

الصحافة اليسارية
في مصر

تصميم الغلاف الفنان عبدالمنعم القصاص

تاريخ الحركة الشيوعية المصرية

المجلد الثانى

الصحافة العلنية

١٩٢٥ - ١٩٥٢

- الكتاب الأول

الصحافة اليسارية فى مصر

١٩٢٥ - ١٩٤٨

الطبعة الرابعة

- الكتاب الثانى

الصحافة اليسارية فى مصر

١٩٥٠ - ١٩٥٢

الطبعة الثالثة

الكتاب الأول

الصحافة اليسارية في مصر

٠٠٠ عام ١٩٢٥

* الحساب

* روح العصر

* شعبرا

* التطور

* الفجر الجديد

* الضمير

* الجماهير ٠٠ عام ١٩٤٨

الطبعة الرابعة

الطبعة الأولى - دار الطليعة - بيروت

الطبعة الثانية - مكتبة مدبولي - القاهرة

الطبعة الثالثة - دار الطليعة - بيروت

الى ٠٠ جدى لأمى

عوض سلامة

تاجر بسيط ، كل علاقته بالصحافة أنه منحها حياته دفاعا
عن حريتها .

ففى عام ١٩٣٠ ، عندما ألغى الطاغية صدقى الدستور
وصادر كل صحف المعارضة ، قام هو بقياده أبناء بلدنا
« المنصورة » فى مظاهرة قهتف للدستور ، وللحرية ، وللصحافة
الحرية . وأطلقوا عليه الرصاص واستشهد .

وبقى بدلا منه لوح رخامى شامخ أقاموه وسط حديقة ، كثيرا
ما وقفت أمامه وأنا طفل ، أحاول فى خشوع أن أفك طلاسم
كلمات حفرت على رخام أبيض ٠٠ « استشهد فى سبيل
الوطن والحرية ٠٠ »

وفى عام ١٩٤٦ جاء الطاغية صدقى من جديد .
واستشهد جدى مرة أخرى ، فقد دمروا لوحه الرخامى
وألقوا به بعيدا .

اليه ٠٠ رمزا للانسان الذى يرفض الطغيان حتى ولو لم
يمسه مباشرة ، الانسان الذى يمجّد الكلمة الحرة حتى ولو
دفع حياته ثمنا لها .

اليه ٠٠ رمزا لصراع دائم لم ينته ، سيظل الانسان المصرى
قادرا فيه - دوما - على أن يبذل حياته ثمنا لحريته .

اليه ٠٠ مضطهدا على الدوام ٠٠ ، مطاردا ٠٠ منسيا ٠٠
مقتولا على الدوام ٠٠ تماما كالحرية فى أرضنا .

٠٠ بدلا من المقدمة

لم تكن الصحيفة بالنسبة لليسار مجرد منبر اعلامى ٠٠
كانت أكثر من ذلك بكثير .

ففى بعض الاحيان كانت الوجه العلنى لتنظيم سرى ، وفى أحيان أخرى كانت - فى نظر البعض - بديلا عنه ، وفى حالات ثالثة كانت أكثر من أداة تجميع وتنظيم وتعبئة وانما محورا يمارس التنظيم نشاطه من خلاله .

لكننى أعترف ان هذا كله لم يكن الدافع لاعداد هذه الدراسة الان . ٠٠
لقد كان مخطئى أن أمضى قدما فى انجاز الجزء الثالث من دراستى المطولة عن تاريخ الحركة الشيوعية فى مصر والتى وقفت بالجزء الثانى منها عند مشارف الاربعينات ٠٠ وبدأت أستجمع كل قواى كى أقتحم ميدان المحاولة الجديدة ، وهو ميدان صعب ، ملئ بالتعقيدات ، بقدر ما هو ملئ بالتوقعات .

فهنا ٠٠ فى الاربعينات ولد كل شئ من جديد . ٠٠ تحولت الاجنة التى ظلت تنمو فى أحضان مصر منذ العشرينات الى حركة عارمة ٠٠ غامرة ، لعل مصر لا زالت تعيش - حتى الان - فى الظلال الوارفة لهذه الحركة التى هزت أعق أعماقها .

هنا ٠٠ فى الاربعينات ، كان النضج ، وكان ميلاد الحركة الشيوعية الجديدة ، ولادة طبيعية وفى موعدها تلاما .

وهنا ٠٠ فى الاربعينات ، تبلورت التنظيمات الشيوعية ، ونمت وتصارعت وصارعت ، وعاشت - كائى كائن حى دافق الحيوية - الحياة بطولها وعرضها ، وأقامت مصر وأقعدتها معلنة وبأعلى صوت . ٠٠ راية البروليتاريا المصرية المستقلة .

ولم يكن قد مضى على بداية الاربعينات سوى ست سنوات ، حتى كانت مصر كلها تنفجر ثورة ضد الاستعمار وضد الرجعية ومن أجل الديمقراطية وحقوق الشعب ، وقد تفجرت - ولاول مرة - فى ظلال قيادة جديدة نواتها الأساسية هم الشيوعيين فى اطار « اللجنة الوطنية للطلبة والعمال » .

وبعدها بأشهر قليلة كان الطاغية صدقي يقف أمام مجلس الشيوخ مستحثاً الأعضاء على اغماض أعينهم ، والموافقة على مشروع قانون غير دستوري لمكافحة الشيوعية ، وتطاول البعض بسبب الخرق الفاضح للدستور ، ولم يجد صدقي من وسيلة لإقناعهم سوى أبيات من قصيدة « اصرار » لكمال عبد الحليم . . كانت كافية ليرتعد الشيوخ جميعاً وارتفع صوتهم بالموافقة على مشروع القانون .

ان الاربعينيات هي محور تاريخ حركة اليسار المصري المعاصر ، انها سنوات ولادتها ، وحضانتها ونموها .

وكان لا بد من عمل مضن ، كبير ، يتهيب المرء أن يقحم نفسه فيه .

.. ومع ذلك فقد بدأت . .

وكالعادة . . تلمست طريقى الى صفح اليسار في هذه الفترة ، وعشت معها لفترة طويلة ، أسجل ، وأدون ، وأقتبس ، كل ذلك تجميعاً لبعض المواد المواد اللازمة للبحث الكبير .

وفجأة . . أدركت أن كمية المواد التى تتضمنها هذه الصحف ، كثيرة وداهية وضرورية الى درجة أنها تستغرقنى وتستحثنى على الانغماس فيها . . بشكل تفصيلي . . بحيث تعوقنى عن التقدم نحو الدراسة الاساسية .

أحسست انى أمام أحد أمرين اما أن أركز الضوء على هذه الصحف فأتخم بها دراسة تستهدف شيئاً آخر ، أو أن أتجاوز عن الشيء الكثير الذى تضمنته بما يعنى من خسارة لقيمة تاريخية هامة .

أقول . . - فجأة - وأنا أنغمس فى الدراسة الرئيسية . . لمعت هذه الفكرة فى رأسى لماذا لا أغير ترتيب مشروع دراساتى . .

كنت قد رتبت أمرى على استكمال دراسة تاريخ الحركة الشيوعية ثم أبدأ بأعداد كتاب عن صحافتها .

وأحسست أن الترتيب الأكثر معقولية هو أن أبدأ بالصحافة . . كمحاولة لتقديم الوجه العلنى ، والفكر ، والمواقف السياسية ، والصراع الظاهر ، ثم يصبح متاحاً بعد ذلك - ان انثنى الى الصورة الداخلية للعمل الحزبى . . تناقضاته . . صراعاته . . تاريخه .

وفى بادئ الامر ، راودتنى شكوك كثيرة ، غلت لى نفسى ربما كنت تبحث عن مهرب من العمل الأكثر مشقة ، وطرحت الفكرة . . ومضيت قدماً فى دراستى الأصلية .

ومرة ثانية ، وثالثة ، أحسست انه لا بد لى من أن أنتهى من دراسة
صحافة اليسار كتمهيد ضرورى لاستقصاء الحقيقة عن « تنظيمات اليسار » .

وهكذا قررت أن يصدر هذا الكتاب أولا .

« والصحافة اليسارية » كلمة مطاطة . . فثمة محاولات عديدة لصحافة
متقدمة أو مستنيرة أو ليبرالية لعل خير مثال لها صحف سلامة موسى :
« المستقبل » . « المفيد » « المجلة الجديدة » . الخ .

وثمة محاولات أخرى تمثلت فى نجاح كاتب يسارى ، أو كتّاب
يساريين فى الانضمام الى مجلة أو مجلات والكتابة فيها بقدر لا بأس به من
الحرية ، الى درجة أنه يمكن اعتبار أن صحيفة كهذه كانت « نصف يسارية »
والنصف هنا يعنى المناصفة العملية والفعالية بمعنى أن بعض صفحات الجريدة
كان يميل يسارا والصفحات الاخرى تميل فى اتجاه آخر . وثمة حالات
نجح فيها بعض كتّاب اليسار ، فى (تغيير مسار) صحيفة ما ، لفترة من
الوقت ، معلّنين سيطرتهم عليها مثل مجلة (الشعاع) . . ومجلة (الطليعة)
التي كانت تصدر عام ١٩٤٦ عن اتحاد خريجي الجامعة .

وكانت هناك صحف أخرى تمثل جناحا يساريا فى حزب برجوازي
مثل « رابطة الشباب » و « البعث » وكانتا تمثلان لفترة ما يسار حزب
الوفد .

كل هذا لم يكن قصدى عندما استخدمت تعبير « الصحافة اليسارية » .

نفد أردت به بالتحديد الصحف التي كانت منبرا لتجمعات أو منظمات
يسارية أو كانت بذاتها « مشروعا » لتنظيم يسارى . . أقصد - بوضوح أكثر -
صحافة المنظمات الماركسية المصرية التي صدرت باللغة العربية ، ذلك أن
ثمة مجلات مثل « دون كيشوت » وغيرها صدرت بالفرنسية بما يجعلها غير
نايلة للتأثير الفعلى فى المسار المصرى للحركة .

وثمة مجلتان كانتا يساريّتين بغير ما شك ، وكانتا صادرتين أيضا عن
تنظيم شيوعى مصرى هو الحركة المصرية للتحرير الوطنى (ح . م) ، لكنهما كانتا
تصدران عن « قسم السودانين » فى هذا التنظيم وبهدف محدد . . هو حشد
التأوى الوطنىة والتقدمية السودانية سموا فى مصر أو فى السودان من أجل أن
ينمو هذا القسم الذى ولد فى أحضان ح . م ، ليزهر فى أرض السودان الخصبة
تنظما استقل فيما بعد تحت اسم « الحركة السودانية للتحرير الوطنى »
(حسنو) والذى أعلن نفسه بعد ذلك (الحزب الشيوعى السودانى) .

والمجلتان ٠٠ (حرية الشعوب) ٠ (١٩٤٢ - ١٩٤٣) و « أم درمان »
(١٩٤٥ - ١٩٤٦) حضرتنا نفسيهما سواء في موادهما أو في محريريهما بشكل
أساسي في محيط السودان ٠٠ ومشاكله .

وحتى أحد الاعداد الاخيرة من (أم درمان) عندما فتح صفحاته أمام
كتاب مصريين وهو العدد الصادر في ١ يناير ١٩٤٦ كان من الضروري أن تقول
عنه « أم درمان » :

« انه (عدد خاص) وتعتذر لقرائها قائلة « تقدم مجلة أم درمان لقرائها هذا
العدد الذي حرره شباب الجامعة المصرية الحر ، وتعتذر في نفس الوقت الى
القراء الكرام الذين تعودوا أن يقرأوا على صفحاتها أخبار السودان ومعالجة
مشاكله فالى العدد القادم » ٠٠ حتى هذا العدد لا تجد فيه سوى مقالين
اثنين عن مصر أما بقية العدد موادا ومحررين فكلها سودانية صرفة .

ومن هنا فانه يمكن القول ان « حرية الشعوب » و « أم درمان » كانتا
مجلتين يسارييتين سودانيتين (سواء من حيث المادة أو من حيث المحررين)
لكنهما صدرتا في القاهرة بحكم الأوضاع الخاصة التى سادت العلاقات بين
مصر والسودان في ذلك الحين .

وانهما كانتا تعبرا عن اهتمام الشيوعيين المصريين بالسودان ٠٠
وبمستقبل الكفاح الثورى فيه .

ودراستهما تنتمى الى دراسة تاريخ الحركة الشيوعية السودانية بأكثر
مما تنتمى الى دراسة تتعلق بالوضع في مصر .



وكان لا بد ٠٠ أن أبدأ من البداية الحقيقية ، من أول محاولة لاصدار
منبر صحفى ماركسى ، كلسان حال للحزب الشيوعى المصرى « الأول » .

لكن هذه المحاولة وئدت سريعا .

وتنشر « الأهرام » : « كان الحزب الاشتراكى قد طلب من الحكومة
رخصة لاصدار جريدة اشتراكية خاصة به ، فرفضت وزارة الداخلية هذا
الطلب ، لا سيما على أثر ما نشره الحزب من الاحتجاجات والاعتراضات المتعلقة
بالسياسة المحلية ، ولما لم ينجح في أخذ الرخصة جعل يبحث عن جريدة
موجودة فوجد « جريدة الشبيبة » وهى جريدة أسبوعية أدبية اجتماعية
للشيخ عبد الحميد النحاس ، فاتفقوا وياه على تحويلها الى جريدة اشتراكية .
وحولها الحزب الى شكل جديد ، وألغى عدد ما صدر منها ، وجدد نشرها
بالعدد « ١ » . وقد صدر عددها الاول في هذا الاسبوع الغائب وفيها مقالة عن
لينين ومقالات اشتراكية متعددة ، وقد جعل شعارها المنجل والمطرقة .

ويظهر أن وزارة الداخلية لم تتوافق على هذا الإبدال ، فأصدرت اليوم أمرا بإغلاق (جريدة الشبيبة) ومنع نشرها • وكان الحزب قد شرع في توزيع نسخها على أعضائه باعتبار أنهم مشتركون وجعل الاشتراك ٣٠ قرشا في السنة « (١) » .

ومرة أخرى يحاول الحزب الاتفاق مع صاحب جريدة أخرى ، لكن « الأهرام » يلاحق المحاولة ناشرا الخبر ، وتجنبه وزارة الداخلية للأمر وتحبط المحاولة الثانية (٢) •

وإذا كان هذا العدد الوحيد من مجلة « الشبيبة » هو أول صحيفة شيوعية تصدر علنا في مصر ، فلقد بذلت جهدي للعثور عليه ، لكنني فشلت ، فدوريات « دار الكتب القومية » تحتوى على كل مجموعة « الشبيبة » باستثناء هذا العدد •

لكن الكثيرين من الرعيل الأول للشيوعيين قد تحدثوا معي طويلا عن هذا العدد وأفاضوا في مديحه •

وليس أماننا سوى التعلق بالامل ، فلعلنا يوما ما نعثر على نسخة منه •



... ووفقا لقانون المطبوعات ، كان يتعين الحصول على « رخصة » من وزارة الداخلية لإصدار أى مطبوع دورى وثمة إجراءات خاصة أخرى بالنسبة لقبول « رئيس التحرير المسئول » • وكثيرا ما كان الحصول على مثل هذا الترخيص مسألة بالغة الصعوبة بالنسبة لشخصيات معروفة بنشاطها الشيوعى أو اليسارى ، كذلك كان الأمر يتطلب دفع تأمين مالى ، أو إيجاد « ضامن » مالى مقبول •

ومن هنا فقد اضطرت الكوادر اليسارية - فى أغلب الاحيان - الى التحايل « باستئجار » رخصة ما ، بمعنى أن تصدر الجريدة حاملة اسمها القديم واسم صاحب الامتياز ، وربما اسم رئيس التحرير ، بينما يتولى الشيوعيون مسئولية تحريرها وإصدارها وكان ذلك يتطلب تسديد إيجار شهرى لصاحب الرخصة ، بالإضافة الى سلسلة من التحايلات القانونية لتغطية حدود المسئولية عن التحرير أمام السلطات •

١ - الأهرام ١٢ - ٧ - ١٩٢٢ •

٢ - الأهرام ١٢ - ٧ - ١٩٢٢ •

لكن وزارة الداخلية كانت تملك حق الغاء الترخيص . . وقد فعلت ذلك في كثير من الأحيان .

فعلته مع « الشعبية » بعد العدد الاول ، ومع جرائد أخرى عديدة .

لكن المحاولات لم تتوقف ، فقد كان ذلك هو السبيل الوحيد - في معظم الأحيان - لاصدار منبر علني يساري .

وقد خلقت مسألة استئجار الرخص هذه بعض المشاكل أمام هذه الدرامه فالجريدة تتحول من جريدة عادية الى جريدة شيوعية ، لكن متى بدأ هذا التحول ، ومتى انتهى ؟ قد يبدو الامر سهلا في أول الامر ، لكنه يصبح أكثر صعوبة عندما تصاحبه تلك التعقيدات القانونية والسياسية التي كانت تلازم عملية استئجار رخصة جريدة ، خصوصا وأن الكوادر الشيوعية كانت تبدأ - في كثير من الحالات - بالتواجد . . الذي يتزايد تدريجيا ، حتى يتحول الى مشاركة ، ثم يتوج رويدا رويدا ودون ضجة بأن يفرضوا ظلمهم على المجلة كمنبر ، ثم لا يلبث هذا الظل أن ينكمش ويتلاشى . أو تغلق المجلة أبوابها .

وهكذا فقد تعين علينا أن ندرس في كل حالة على حدة تطور علائقة الكوادر اليسارية بهذه الجريدة أو تلك ، ومتى يمكن القول باطمئنان ، الى أنها قد أصبحت جريدة يسارية .

أقول ذلك أيضا - لاننى عندما أقول ان (الحساب) أو (شبرا) ز (حرية الشعوب) . . كانت صحفا يسارية ، فاننى أعنى أنها كانت كذلك في فترة محددة بالذات ، بذلت أقصى جهدى في تحديد بدايتها ونهايتها تحديدا قاطعا . ذلك أن تقليب صفحات عدد سابق على هذه الفترة أو عدد لاحق لها سوف يعطى انطبعا مختلفا تماما .

* * *

ولما كان الحصول على « رخصة » لاصدار مجلة دورية مسألة غير سهلة ، فقد لجأت المنظمات اليسارية في كثير من الاحيان الى اصدار « نشرات غير دورية » فهي لا تحتاج لاذن خاص ، وكان أول مطبوع « غير دورى » وعلنى - فيما نعلم - هو النشرة التي كان يصدرها الحزب الاشتراكي المصري «الأول» في أواخر عام ١٩٢١ وكانت تباع بخمسة مليمات ، ويوزعها الأعضاء بأنفسهم علنا في شوارع مدينة الاسكندرية (١) وكان الحزب يلجأ في مختلف المناسبات

١ - راجع محضر النقاش مع حافظ سند ، وحديثات الحكم الصادر عن محكمة جنائيات الاسكندرية عام ١٩٢٤ في د. رفعت السعيد - تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر - ١٩٠٠ - ١٩٢٥ الطبعة الثالثة - دار الفارابي - بيروت . ص ٢٧٦ وما بعدها .

الى اصدار نشرة مطبوعة بعنوان « خطاب مفتوح الى . . . » يقوم أعضاء،
ببيعها الى الجمهور . . ومن هذه السلسلة من « النشرات غير الدورية » نجد
« خطاب مفتوح الى سعد زغلول » ، « خطاب مفتوح الى أعضاء لجنة التوفيق »
(وهى اللجنة الخاصة بالفصل فى المنازعات العمالية) « وخطاب مفتوح الى

عمال القطر المصرى » و « خطاب مفتوح الى المثقفين » (يدعواهم فيه الى
الاتجاه الى الريف والاهتمام بمشاكله) (١) .

ثم نجد بعد ذلك (مجلة الفن والحرية) وقد صدر منها عددان
مطبوعان بالرونيو كل منهما يتضمن مقالات باللغتين العربية والفرنسية
معاً ، وتاريخ العدد الاول مارس ١٩٣٩ وغلافه مكون من لوحة تشكيلية
سيرالية وقعها « التلمسانى » وعنوانها « أم الشعوب » ، أما العدد الثانى
نقد صدر فى مايو ١٩٣٩ وعلى غلافه لوحة تشكيلية سيرالية أيضاً ولكن
التوقيع غير واضح . ولعلها المرة الأولى التى يرسم فيها فنان مصرى لوحة
تشكيلية متكاملة على الاستنسل ، لتسهم فى اصدار نشرة مطبوعة بالرونيو

لكن ذلك كله كان محدود الاثر والتأثير ولا يقارن مثلاً بالنشرة غير
الدورية التى كانت تصدرها « دار الأبحاث العلمية » (منظمة ايسكرا) عام
٤٦ - ١٩٤٧ والتى صدرت منها أعدادا كثيرة متناولة موضوعات ودراسات
شتى وكانت تصدر فى شكل كتيب مطبوع بعنوان « نشرة دار الأبحاث
العلمية » ولم أتمكن من العثور الا على نسخة وحيدة من هذه النشرة وهى
منزوعة الغلاف ومخصصة كلها لدراسة القضية الفلسطينية وأبعادها .

وهناك أيضاً « مجلة كفاح العمال » وكانت تطبع على المطابع السرية
للحركة المصرية للثحر الوطنى وتباع بشكل نصف علنى بخمسة مليمات .
وكانت تصدر عام ١٩٤٦ عن (قسم العمال) بالحركة المصرية للثحر الوطنى .
وقد انقظم صدور هذه المجلة واتسع نطاق توزيعها بحيث اكتسبت طابع
الجريدة العلنية الواسعة الانتشار .

وهناك أيضاً (صوت الطالب) وكانت تصدر فى أواخر ١٩٤٦ كلسان
حال لرابطة الطلبة المصريين ، وكان يتولى اصدارها (قسم الطلبة بايسكرا)
وبشرف على تحريرها (عبد المنعم الغزالى - سعد زهران - جمال شلبي)
وكانت تطبع بأحد مطابع الجيزة العلنية وتوزع ما يقرب من ستة آلاف

١ - المرجع السابق ص ٢٣٣ وما بعدها .

✽ يتوجب على أن أفى الصديق « ألبير أرييه » حقه من الشكر فقد أهدانى
مجموعة من وثائق هذه الفترة تتضمن هاتين النشرتين .

نسخة وصدر منها ثلاثة أعداد ، ولاحق البوليس المطبعة ، فصدر العدد الرابع بالرونيو ثم توقفت عن الصدور (١) .

وقد لعبت هذه المنشرات (غير الدورية) و (نصف العلنية) دورا اعلاميا ودعائيا بالغ الاهمية ، لكنها تخرج عن نطاق هذا البحث ، كما انه لم يمكن العثور على مجموعات متكاملة منها بحيث يمكن اخضاعها لدراسة تحليلية .

وغنى عن القول انه الى جانب ذلك كله ، كانت المنظمات الشيوعية المصرية تضد عديدا من نشراتها السرية الخاصة بها ، وقد اكتسب بعضها أهمية تاريخية وجماهيرية خاصة ، بحيث كانت أرقام توزيعها ترتفع في بعض الاحيان الى ما يزيد عن توزيع مجلات علنية معروفة ، ولعل أهم هذه المجلات وأكثرها شهرة وتوزيعا واستمرارية هما مجلتا « الكفاح » و « صوت الفلاحين » . وكانتا تصدران عن تنظيم « الحركة الديمقراطية للتححر الوطني » (حدثو) . وهناك أيضا مجلة « راية الشعب » التي كانت تصدر في منتصف الخمسينات عن منظمة الحزب الشيوعي المصري والتي فرضت اسمها حتى على اسم التنظيم نفسه بحيث اسميت المجموعة كلها باسم مجموعة « الراية » .

لكن البحث في هذا المجال غير وارد أيضا - هنا - ، فنحن نعالج فقط الصحافة العلنية .

واذا كنا قد حددنا نقطة البدء لهذا الجزء من الدراسة بصدور مجلة الحساب ، باعتبارها أول منبر يعبر بشكل متكامل ورسمي عن « الحزب الشيوعي المصري » عام ١٩٢٥ فان نقطة التوقف بهذا الجزء الاول كانت محل ترجيحات واحتمالات عدة .

وطرحت في ذهني احتمال أن أتوقف عند ١١ يوليو ١٩٤٦ باعتباره تاريخ أشهر مذبحة تعرضت لها الصحافة اليسارية والتقدمية ، حين عصفت قرار من الطاغية صدقي بكل صوت معارض ابتداء من (أم درمان) الى (البعث) و (اليراع) .

لكن هذه الفكرة رغم وجاهتها تتترك أهم مجلة يسارية صدرت في الاربعينات وهي (الجماهير) معلقة في غير ما موضع . ذلك أن الموجة الثانية من الصحف اليسارية لم تبدأ الا مع بداية الخمسينات ، بينما عاشت (الجماهير) فترة ١٩٤٧ وبعض ١٩٤٨ . وأحسن أن مثل هذا التقسيم سوف يفسد السياق التاريخي للحدث وسوف يفقد الجزء الاول وحتى الجزء الثاني

(١) مناقشة أجريت مع عبد المنعم الغزالي .

- عندما تتاح فرصة اصداره - اتساقهما • خصوصا وان (الجماهير) تعتبر بالنسبة لصحافة اليسار في الاربعينات القمة والتتويج من حيث الفن الصحفي والانتشار والتأثير والنجاح السياسى •

وثمة خاطر آخر الخ على بشدة •

اذا كانت صحافة يسار النصف الاول من الاربعينات مزيجا من محاولات تنظيمات وتجمعات وشخصيات متعددة ، فان الصحافة اليسارية ابتداء من الجماهير - ١٩٤٧ - وحتى مجلة الغد - ١٩٥٦ - مرورا بالبشير والملايين والواجب كانت جميعا صادرة بتأثير مباشر أو غير مباشر من منظمة (حدثو) فهي التنظيم الوحيد الذى استمر مدركا لأهمية المنابر الصحفية العلنية .

اذا كان الامر كذلك فلماذا لا نخصص الجزء الاول للصحافة التى لم نخضع لتأثير (حدثو) تاركين الجزء الثانى تماما لدراسة صحافة ح • م ثم امتدادها التاريخى (حدثو) •

وكان ذلك يتطلب أن نقطع من هذا الجزء (الجماهير) .

لكننى - أيضا - استبعدت هذا الاحتمال باعتبار انه يشئت السياق التاريخى للدراسة اذ لا يمكن دراسة تاريخ جريدة ما بشكل منعزل عن الاطار التاريخى العام لفترة صدورها • . كذلك فان مثل هذا التقسيم قد يعطى انطبعا خاطئا بأن « حدثو » ليست كغيرها من المنظمات امتدادا - يفترض انه طبيعى - لنشاطات العشرينات والثلاثينيات •

• • وبعد تردد طويل بين ترجيحات عدة رأيت ان أتوقف بالجزء الاول من هذه الدراسة عند عام ١٩٤٨ • • أى عندما توقفت مجلة « الجماهير » • وهكذا تمتد دراستنا هذه لتغطى الفترة من ١٩٢٥ حتى ١٩٤٨ •



ولم تكن هذه الدراسة مجرد بحث عن مجموعات هذه الصحف وتقليب لصفحاتها ، وتحديد أهم ما تردد فيها من اتجاهات فكرية وسياسية ، لكن الامر كان فى الاساس بحثا تاريخيا عن « الحدث الداخلى » ، عن القصة التى تكمن خلف صدور كل جريدة والتى لم تنشر - وما كان لها أن تنشر - على صفحات الجريدة ذاتها • كيف تأسست ؟ من كان صاحب المبادرة ؟ ولماذا ؟ من الذى مولها ؟ ولماذا ؟ الصراعات الداخلية وبواعثها ، الاسماء الحقيقية التى توارت فى أغلب الحالات خلف أسماء مستعارة • الخ • وباختصار - كان الامر بحثا عن تاريخ المجلة ، وليس مجرد استعراض لما دون بها من مقالات ودراسات ، وان كانت الدراسة التاريخية - ذاتها - تتطلب بالضرورة

تسليط الضوء على المواقف السياسية والفكرية التي رددتها الصحيفة .
ومقارنتها بموقف التنظيم والمجموعة التي تصدرها . وربط ذلك كله بالاطار
الناريخي العام لحركة اليسار المصرى ككل .

وقد تطلب الامر مقابلات عديدة مع كل من تيسرت مقابلته من المشاركين
فى اصدار أو تحرير هذه المجلات . وهؤلاء - بطبيعة الحال - مجرد رواة ،
يرددون ذكريات قديمة ، بعضها صحيح ، وبعضها الآخر مختلط بحوادث
أخرى ، وبعضها تلونه مواقف أو نزعات شخصية ، وكان لابد من عمادة
مستمرة للمطابقة بين الروايات وبعضها البعض وبينها وبين الحقائق
التاريخية ، وأيضا بينها وبين ما يمكن استنتاجه من خلال النظرة المتأنية
لصفحات هذه المجلات .

لكننى فى نهاية الامر لم أرد أن أثبت هنا غير الحقائق المتيقن من
صحتها ، وبقيت بعض المسائل المعلقة بغير ايضاح كاف ، تصورت أن تركها
معلقة أفضل من فرض تفسير قد يكون غير صحيح لها .

ولقد بذلت كثيرا من الجهد فى استقصاء الأسماء الحقيقية لهؤلاء الذين
آثروا لسبب أو لآخر استخدام أسماء مستعارة وهم كثيرون . وخاصة فى
مجلتى « الفجر الجديد » و « الجماهير » .

ولقد نجحت فى معظم الحالات بالنسبة « للفجر الجديد » ، ذلك أن عدد
كتابها كان محدودا ، وكان أكثرهم يكتب باسمه الحقيقى ، ثم باسمه المستعار
لسبب فنى بحت . وهو تلافى تكرار اسم واحد أكثر من مرة فى العدد الواحد
، وعلى أية حال فإن مقابلتين مع اثنين من أصحاب « الفجر الجديد » كانتا
كافيتين تماما فى هذا الصدد .

غير أن الامر يختلف بالنسبة « للجماهير » ، ذلك انها كانت تصدر عن
تنظيم متسع النشاط ، جم العلاقات ، والأسماء كلها مستعارة تقريبا ،
والاسباب هنا متعلقة بالامن وبجماعية العمل وحزبيته معا ، فصحة الطلبة
يحررها مكتب الطلبة ، وصحة العمال يحررها مكتب العمال .. وهكذا
بالنسبة للنساء أيضا ، ويتم التوقيع على العمل سواء أكان فرديا أم جماعيا
باسم مستعار . ولقد قمت بمحاولات متعددة لترجمة الاسماء المستعارة الى
أسماء حقيقية ، نجحت فى بعضها وفشلت فى البعض الآخر .



ولقد كانت النظرة المتأنية على هذه الصحف ، والانغماس لفترة
طويلة من الوقت فى صفحاتها ومشاكلها ، فرصة رائعة أمكنها أن تجسد فى

- ذهني صورة متكاملة الخطوط لكل تنظيم من التنظيمات ، أسلوبه في العمل •
منهجه الفكرى .. خطه السياسى .. الخ •

ان الفارق بين (الفجر الجديد) و (الجماهير) واضح تماما . يمكن تلخيصه في انه فارق بين عقليتين ومنهجين مختلفين .. وأدركت أن دراسة « الجريدة » كانت سبيلا لدراسة « الوجدان الداخلى » للتنظيم السياسى •

وهكذا - يمكن القول - بأن دراستنا هذه كانت مقدمة ضرورية لدراسة تاريخ المنظمات .. انها مجرد اعداد للمسرح ، نوع من ضبط قواعد الحوار الداخلى فى العمل الفنى ، رسم ملامح الصورة .. تحديد معالم الديكور • وباختصار انها تمهيد ضرورى كى يمكن للعرض الاساسى أن يبدأ ..

القاهرة - أغسطس ١٩٧٤

الصفحة الاولى

العدد الحادى عشر

الاعلانات قضاير الادارة بشأنها رأسا

الاشتراك عن سنة

بشارع الدواوين رقم ٤٤

٣٥ قرشا للعمال والفلاحين
٥٠ لسواهم

مدير سياسة الجريدة المسئول

الاشتراك عن سنة خارج البلاد

ابراهيم الصيحي

٤٥ قرشا للعمال والفلاحين

٥٠ لسواهم

مَسْأَلَةٌ

صحيفة سياسية اجتماعية اقتصادية يومية

تصدر مؤقتا مرة في الاسبوع

للدفاع عن حقوق العمال والفلاحين

القاهرة في يوم الجمعة ٦ مارس ١٩٢٥

•• في عام ١٩٢٥ كانت ماكينة الارباب تدور بأقصى سرعتها ، ليس ضد الشيوعيين وحدهم وإنما ضد كل القوى الوطنية والتقدمية •

وسعد زغلول بعد ان أنجز مهمة ضرب الحركة العمالية بأقصى عنف ممكن وبعد أن حل حزبها السياسي ، وطارد قادته وكوادره وأغلق دوره ، وبعد أن بذل كل جده محاولا أن يقدم البديل للعمل الشيوعي وسط العمال بتأسيس اتحاد عمال وفدى برئاسة عبد الرحمن فهمي • واستخدم كل ثقل زعامته الجبار ، وكل جماهيريته ، وجماهيرية حزب الوفد في المعركة ضد الحزب الشيوعي ، بعد أن أنجز هذه المهمة أصبح هو أيضا عنصرا غير مرغوب فيه من قبل الاحتلال والسراى •

وإذا كانت محكمة جنابات الاسكندرية ، قد أصدرت أحكامها القاسية بالسجن على أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في ٦ أكتوبر ١٩٢٤ • فقد دلتها مباشرة - في ١٩ نوفمبر - حادثة السردار المعروفة واستقال سعد مرغما •

وجاءت حكومة زيور التي واصلت حملة تصفية الحزب الشيوعي في هيستريا واضحة ، فأصدرت قرارا بمنع دخول السفن السوفيتية الى الموانئ المصرية . وتنتشر «الأهرام» قصة عن وصول سفينة « بلشفية » الى المياه المصرية • • « وصلت الى الاسكندرية أمس باخرة روسية بلشفية تدعى «تشيشيرين» تنقل بضاعة الى هذا القطر ، وربما كان عليها بعض الركاب أيضا ، فلم تكد تصل الى الميناء الخارجى حتى أصدرت السلطة المحلية أمرا الى البوليس بمراقبتها وحراستها ومنعها من الدخول الى المرفأ . فأوقفت في الخارج ولا تزال حتى الآن تحت حراسة الشرطة . والمفهوم ان الحكومة ستأذن بتفريغ مشحونها حيث هى راسية ، ثم تأمرها بالانصراف غدا ، ويظهر أن الباخرة « تشيشيرين » هذا لا تدري ما نحن فيه من الانهماك في قضية الشيوعية البلشفية في هذه الايام » (١) •

كذلك أصدرت الحكومة قرارا بمنع السماح ببيع أو تداول الكتب الاشتراكية ، أو جلبها من الخارج ، وأصدرت قرارا بمنع دخول جريدة « الأومانيتيه » الفرنسية ، وجريدة « الانسانية » التي كانت تصدر في بيروت أو أية جريدة أو مجلات شيوعية أو اشتراكية » •

ويعلق (الاهرام) على ذلك قائلا : « عزمت السلطة عزمًا ثابتًا على مكافحة الشيوعية ، ومبادئها ودعاتها في هذا القطر ، وغدا هذا العزم يتضح

من ائسماع نطاق المسماعى المبذولة لاستئصال شأنة ذلك الداء الاجتماعى الخطير . وقد صادر البوليس مؤخرا بالاسكندرية بعض كتب اشتراكية وجدت عند شاب يونانى يقول عنه أصحابه انه لا غلانة له بالحركة الشيوعية مطلقا ، وقد أرسل هذا الشخص الى القاهرة للبحث فى أمره « (١) » .

وكان كل ذلك يجرى فى ظل حملة عنيفة من الكتابات المعادية للفكر الاشتراكى أسهمت فيها معظم الصحف والمجلات وصدرت من أجلها عشرات الكتب .

لكن الامر لم يكن بهذه السهولة . . فحتى أحمد الصاوى محمد الذى كان أحد متزعمى الحملة المعادية للشيوعية . . اضطر الى أن يقول ان الشيوعية قد أصبحت « شوكا دق جنوره العميقة فى الارض » .

وفى نفس اليوم الذى أصدرت فيه محكمة جنايات الاسكندرية حكمها على أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعى . . أى فى ١٦ أكتوبر ١٩٢٥ . تكونت لجنة مركزية جديدة . . وبدأت تمارس قيادة العمل السرى فى ظروف بالغة الصعوبة . . وكان أحد سكرتيرى اللجنة المركزية رفيق جبور . الذى رأس تحرير مجلة (الحساب) .

ولسنا نريد أن نتابع هنا نشاط الحزب ومسيرته فى هذه الفترة ، فقط نريد أن نلقى بعض الضوء على منبره العلنى مجلة « الحساب » ، أردنا بالاسطر السابقة أن نصور الجو العام الذى صدرت فيه ، حتى يستطيع القارىء أن يتصور مدى الشجاعة التى احتاجها محرروها كى يواصلوا المسيرة فى طريق صعب .

ورفيق جبور رئيس تحرير هذه المجلة شخصية فريدة ، صحفى لبنانى مخضرم أحد قادة جماعة لبنان الفتى بمصر ، لعب دورا هاما فى صياغة الرأى المصرية وخاصة فى جريدة « النظام » الوفدية الميول ، وقد ظل منذ ١٩١٨ وحتى ١٩٢٥ محررا بهذه الجريدة ، ومن ثم فقد كان القبض عليه فى قضية شيوعية مثارا لاقاويل كثيرة حول علاقة الوفد بالحركة الشيوعية ، متهمه الوفد الذى استخدم كل القسوة ضد الحزب الشيوعى عام ١٩٢٤ ، بأنه على علاقة بالحزب الشيوعى ، وينقل الاهرام عن الديلى تلجراف « واعظم ما يلفت الانظار فيما اكتشفه البوليس هو ما يدل على العلاقة الوثيقة بين سمائس البلاشفة وحملة القتل ، وعلاقتهم أيضا بالوفد ، لانه يوجد بين المقبوض عليهم طاهر افندى العربى المحرر بـ « كوكب الشرق » احدى

الصحف الوفدية الكبرى ، ورفيق جبور المحرر بجريدة « النظام » وهى
من الصحف الوفدية ايضا « (١) .

ويتضح من مذكرات طاهر العربى ان رفيق جبور هو الذى قدمه الى
« كونستانتين فايس » وهو الشخصية الشيوعية الشهيرة (أفيجدور) (٢) ،
يقول طاهر العربى حول ظروف علاقته بالنشطاء الشيوعى فى عام ١٩٢٥
« كنت اعرف زميلا صحفيا يعمل فى جريدة (النظام) هو الاستاذ رفيق
جبور ، وكنت أتردد عليه من وقت لآخر فى محل عمله ، وذات يوم عرضنى
بصديق له كان زائرا فى مكتبه ، قال أنه (مستر كونستانتين فايس) مكاتب
جرائد عمالية دولية حضر لمصر لدراسة حالة العمال والفلاحين وقدمنى اليه
قابلا : هذا صديقى طاهر ضحية من ضحايا الاستعمار البريطانى ، قضى
فى السجن اثنى عشر عاما فى محاربة الانجليز فهو يكرههم ويكره كل
ما يتعلق بهم » (٢) . *

٠٠ وقدم قرار الاتهام فى قضية الشيوعية الصادر عن النيابة العامة
فى ٨ سبتمبر ١٩٢٥ المتهم السادس - رفيق جبور - سن ٤٣ سنة مولود
بجبل لبنان محرر بجريدة « النظام » ، واتهمه هو وغيره من المتهمين بأنهم
« نشروا وهم متفقون جميعا على ذلك أفكارا ثورية مغايرة للمبادئ الاساسية
لدستور الدولة المصرية ، وحذبوا تغيير النظم الاساسية للهيئة الاجتماعية
فى البلاد المصرية بالقوة والارهاب وبوسائل أخرى غير مشروعة ، وذلك علنا
بطريق بيع وتوزيع كُتب وجرائد مطبوعة ، والقاء مقالات فى المحل
والمحافل العمومية وبواسطة اشهار رسوم وتصاوير ، وهذه الكتب والجرائد
والنشرات والمقالات والرسائل تحوى أمورا وأفكارا تخالف مبادئ الدستور
المصرى الاساسية . ومن شأنها تغيير النظم الاساسية للهيئة الاجتماعية
مثل الغاء نظام الملكية الفردية المقرر فى دستور الدولة واستبداله بنظام
شيوعى بطريق الثورة والقوة والتهديد ، وذكر فيها أن النظم التى يسعون
اليها أفضل من النظم الحالية ، وانها حرية ان تحقق ، وأنه يجب العمل

(١) الاهرام ١ - ٨ - ١٩٢٥ .

(٢) للمعلومات عن شخصية أفيجدور راجع : والتر لاكور - الاقتصاد
السوفييتى والشرق الاوسط - ترجمة المكتب التجارى - بيروت - ١٩٥٩ ،
ص ١٥٥ .

(٣) محمود طاهر العربى - هذا المجتمع الظالم - الطبعة الاولى - دار
المستقبل ص ١٨٠ .

* ثبت فيما بعد أن طاهر العربى كان عميلا للبوليس ، راجع الوثيقة
الادلة على ذلك فى : د. رنعت السعيد - تاريخ الحركة الشيوعية المصرية -
المجلد الاول - ١٩٠٠ - ١٩٤٠ - دار الأمل - القاهرة - ١٩٨٧ - ص ٤٦٤ .

والسعى لتحييتها وقد ألفوا حزبا لهذا الغرض سمّوه بالحزب الشيوعي
المصري» (١) .

وعلى أية حال فقد حوكم رفيق جبور باعتباره عضوا في سكرتارية
اللجنة المركزية للحزب وخلال المحاكمة نسبت اليه كل المافات التي نشرت
في مجلة « الحساب » والموقعة باسم محمد صديق عنتر . . وكذلك كتيب
سريا موقعا باسم محمد عنتر المصري ، وحكم عليه بالسجن ، والراجح انه
أبعد عن البلاد بعد وفاء مدة العقوبة .

وقد شارك في تحرير « الحساب » أيضا الشاعر محمود رمزي تنظيم الذي
نشر عديدا من القصائد بعنوان « من الشعر الفلاحي » ووقعها بامضاء فلاح . .
كذلك نشر بعض المقالات السياسية . . وكان تنظيم على علاقة رتيقة
بالحزب في ذلك الحين .

ومن محرري « الحساب » أيضا الشيخ شاكِر عبد الحليم ، وكان أيضا
من كوادِر الحزب ، وكان اتهم السابِغ في قرار الاتهام المشار اليه
سابقا وذكر فيه انه يبلغ من العمر ٢٦ سنة - وانه طالب بالازهر وحكم
عليه بالسجن هو الآخر ، وأيضا محمود ابراهيم السمكري وهو عضو
تقديم باللجنة المركزية للحزب .

وفي ظل السرية الشديدة والمطاردة المتواصلة كانت « الحساب » منبر
عُنيا وكانت أيضا مجالا تمارس كوادِر الحزب عملا سريا نشيطا في اطاره .
فالشيخ شاكِر عبد الحليم الذي كان مسئولاً عن نشاط الحزب في الوجه
البحري ، كان يستند في حركته الواسعة عبر قرى ومدن الوجه البحري الى
صفته كوكيل متجول للحساب في الوجه البحري . فقد نشرت « الحساب »
الاعلان التالي في العدد ١٨ « من ادارة الجريدة » : انتدبت جريدة (الحساب)
حضرة الاستاذ الشيخ شاكِر عبد الحليم وكيلها متجولا في الوجه البحري
وهي ترجو العمال والنقابات وكل من له عِقة بها اعتماده في كل الشئون
الخاصة بها . الادارة . وفي نفس العدد اعلان آخر (وكيلنا في الاسكندرية :
تعلم ادارة جريدة « الحساب » ان وكيلها العام في الاسكندرية هو حضرة الأديب
أحمد أنندى حشمت حماد ، وهي ترجو العمال والنقابات وكل من له علاقة
معه في الادارة باعتماد حضرته في كل أعمال الجريدة) .

ولكن الحصول على ترخيص باصدار جريدة ليس بالمسألة السهلة
بالنسبة لاي واحد من الكوادِر الحزبية ، وتجربة الحزب في ذلك لم تنل ماثلة

في اذعان كل كوادره عندما طلب ترخيصا باصدار جريدة فرفضت الداخلية ،
فاستأجر مجلة (الشبيبة) وأصدر منها عددا واحدا ثم أصدرت الداخلية أمرا
بإغلاقها . ثم نادى بطلب ترخيصا من جديد دون جدوى .

وعلى أية حال فقد طلب رفيق جبور ترخيصا من الداخلية لاصدار
مجلة ، وقبل منه التأمين ثم عادت وزارة الداخلية فرفضت منحه
الترخيص (١) .

ومن ثم فقد كان السبيل الوحيد هو استئجار رخصة جريدة .

وهكذا استأجر رفيق جبور رخصة جريدة (الحساب) من صاحبها
ابراهيم الصيحي . وشخصية (الصيحي) غير معروفة لكننا يمكن أن نعلمها
من الاعداد التي أصدرها بنفسه من جريدته قبل أن يؤجرها للحزب .
نشعار الجريدة كان الآية القرآنية « ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب
شديد بما نسوا يوم الحساب » ثم . صحيفة يومية ، سياسية ، تعنى بنوع
أخص بالشئون الداخلية ، وفي صدر الصفحة الاولى من العدد الاول صورته
الملك فؤاد وتحتها « جلاله مايكنا المفدى فؤاد الاول » ثم تنبيه بأن « المكاتبات
ترسل الى ابراهيم الصيحي - صاحب ومدير جريدة « الحساب » الادارة
مؤقتا بدرب الجماميز نمرة ١٥ » .

ومن الواضح ان ابراهيم الصيحي قد فشل في مواصلة اصدار جريدة
يومية ، ذلك أنه أصدرها أسبوعية ، ثم توقفت « الحساب » عن الصدور بعد
العدد العاشر الصادر في ٢٣ ديسمبر ١٩٢٤ ، حتى عاودت صدورها على يد
رفيق جبور وكوادر الحزب في ٦ مارس ١٩٢٥ .

كذلك فانه من الزاجح ان علاقة الحزب بالحساب لم تبدأ في هذا
التاريخ لان مراجعة الاعداد العشرة التي أصدرها الصيحي توحى بأن الحزب
ورفيق جبور بالذات ، كان يمارس نوعا من العلاقة مع الجريدة قبل ان يتولى
جبور مسؤوليتها بشكل كامل ومباشر .

فهذا العدد الرابع من الترتيم الأصلي ، وهو العدد الذي أصدره ابراهيم
الصيحي في ١١ نوفمبر ١٩٢٤ ، يمكننا أن نلاحظ بسهولة بصمات صحفى
قدير مثل رفيق جبور ، كذلك فاننا نلمس بشكل واضح اتجاهاته
السياسية .

ولسوف نشير - فيما بعد - الى مقالات ثلاث نعتسدها أن كاتبها هو

(١) الحساب ، ١٨ - ٥ - ١٩٢٥ .

رفيق جبور ، الاولى بعنوان « ما يشغلنا » وقد نشرت بالعدد ٤ (الترقيم
الأصلى) ١١ نوفمبر عام ١٩٢٤ ، والثانية بعنوان « الأحزاب والشقاق »
(العدد ٩ الصادر في ١٦ ديسمبر ١٩٢٤) ، أما الثالثة فبعنوان « السياسة
اليوم - مسئولية الوزراء - يوم البرلمان » (العدد ١٠ الصادر في ٢٣ ديسمبر
١٩٢٤) . وهو آخر عدد صدر تحت مسئولية ابراهيم الصيحي ثم توقف
المجلة بعد ذلك . . ليصدر العدد رقم ١١ في ٦ مارس ١٩٢٥ تحت اشراف
رفيق جبور .

وقد أثرنا أن نؤجل القاء نظرة على هذه المقالات الثلاث لحين الحديث
بشكل متكامل عن النهج السياسى للمجلة باعتبار أنها امتداد او بالدقة
تمهيد للخط السياسى العام الذى رسمه الحزب للمجلة والذى سنتحدث
عنه تفصيلا فيما بعد . .

وقد غير جبور من قطع المجلة فجعله « كوارتر » كما غير شعارها الى
« الحساب صحيفة سياسية اجتماعية ، اقتصادية يومية ، تصدر مؤقتا مرة
فى الاسبوع - للدفاع عن حقوق العمال والفلاحين » .

واتخذت الجريدة مقرا جديدا لها فى شارع الدواوين رقم ٤٤ . ثم عادت
فغيرت مقرها ابتداء من ٨ مايو ١٩٢٥ (العدد ١٧) الى شارع كامل رقم ٩
مقابل فندق شبرد .

وظل اسم ابراهيم الصيحي باعتباره « مدير سياسة الجريدة المسئول »
وقد يبدو ذلك غريبا لكن الحقيقة تتكشف عندما نطلب صفحات الحساب
نفجد أن رفيق جبور قد طلب من الداخلية الاذن بتولى رئاسة تحرير
« الحساب » لكن الداخلية رفضت ومن ثم فقد كان من الضرورى ابقاء اسم
« الصيحي » حيث لا تستطيع الصحيفة الصدور بدون اسم رئيس تحرير
مسئول . وحول هذا الموضوع تقول « الحساب » : « لم يضر هذا العدد
والعدد الماضى فى موعدهما نظرا لما لاقيناه ونلقاه من رجال الادارة من
المعاكسة فقد رفض قلم المطبوعات اعطاء مدير هذه الجريدة رخصة لاصدار
جريدته الخاصة بعد أن كان قد سمح له بذلك ، وقبل منه التامين المعتاد . .
ثم حرم قلم المطبوعات على مدير هذه الجريدة وضع اسمه عليها مع انه فى حق
ما يقال فيه انه مثل كثيرين من الذين سمح لهم باصدار الصحف أو بوضع
أسمائهم على ما يشاءون منها » (١) .

ومع ذلك فان رفيق جبور يتحدى . . ويتولى مسئولية المجلة . . وفى
الوقت الذى يبقى فيه « ابراهيم الصيحي » شكلا - على الصفحة الاولى -

مديروا لسياسة المجلة ٠٠ فان المجلة تعلن التنبيه التالي في صدر الصفحة الثانية من العدد ١٣ (الترتيم الاصلى) « من الادارة الى القراء : تترجو ادارة جريدة « الحساب » حضرات القراء والمكاتبين ، وكل من له علاقة معها مخاطبة رفيق جبور (ادارة جريدة « الحساب » بشارع الدواوين رقم ٤٤) في كل شأن من شئون الجريدة . وجميع المراسلات يجب أن تكون باسمه لا باسم آخر » .

ويتكرر هذا التنبيه في هامش الصفحة الثامنة من نفس العدد « جميع المراسلات تكون باسم رفيق جبور بادارة جريدة « الحساب » بشارع الدواوين رقم ٤٤ القاهرة » .

ويبدو أن ثمة مشكلات معقدة قد اعترضت اصدار العدد الاول من المجلة (تحت اشراف رفيق جبور) أى العدد (١١ بالترقيم الاصلى) فقد صدر متأخرا ٣٦ ساعة عن مواعده المحدد ، كذلك لم تكن هناك مواد كافية أو بالدقة حذفت منه مواد كثيرة ولم يتمكن المخرجون من كتابة غيرها فلم يجدوا حلا سوى جمع العدد كله بينط ٢٤ وهو بينط أكبر بهدف شغل مساحة الصفحات بأقل عدد ممكن من المقالات . وفى اعتقادنا أن السبب فى ذلك قد يكون ان ابراهيم الصيحي الذى يظل مسئولاً من الناحية القانونية عن كل ما يصدر بالمجلة ، طالما يضع اسمه عليها كمسئول عن تحريرها قد اعترض فى آخر لحظة على بعض المقالات . . وعلى أية حال فان « الحساب »

قد اعتذرت لقرائها على الوجه التالى : تصدر جريدة الحساب صباح يوم الجمعة من كل اسبوع . وقد تأخر صدور هذا العدد الى مساء السبت لأسباب قاهرة . وقد اضطررنا كذلك الى حذف بعض المواد المهمة منه وصرف أحرفه بحجم ٢٤ وهو حجم كبير سنبذله بأصغر منه كلما اتسع معنا المجال فى المستقبل .

وسبب هذه المسائل التى ما كنا نود أن تحدث هو اصدارنا هذا العدد على عجل ، اذ لم يتفق على اصداره الا مساء الخميس ، فلم نشأ أن نؤخره الى يوم الجمعة المقبل وسيرى القراء التحسين باديا بوضوح فى جريدتهم فى كل عدد من الاعداد المقبلة - الادارة « (١) » .

ومع صدور العدد الاول بدأت مضايقات البوليس ٠٠ « ويعتدنا طبعنا العدد قامت مشكلة أخرى حول السماح للطباعة بطبع « الحساب » . وبينما كنا نطبع العدد الثانى صادرة البوليس وهو على الطابع ونقل أعدداه الى القسم حيث حجز ثلاثة أيام ثم سلم لمدير « الحساب » ومعظم الأعداد

مقطعة فكسنت الخسارة مزدوجة . فعسى أن وزارة الداخلية وما يتبعها من الإدارات تكف عن معاكستنا وتلتفت الى سوانا لحظة نتمكن في أثنائها من التنفس بحرية» (١) .

ومكذا فقدنا العدد الثانى فلم نجد أى نسخة منه . أما العدد الثالث (١٣) بالترقيم الاصلى (فيبدو أن صدوره قد تعثر طويلا لانه لم يصدر الا فى ١٠ ابريل بينما كان الموعد المفترض لصدوره ٢٠ مارس . لكن المحطة انتظم صدورها بعد ذلك .

ولم تكف وزارة الداخلية مطلقا عن مطاردة « الحساب » ولا حتى اللحظة واحدة تتمكن فى أثنائها من التنفس بحرية . . كما كان يتمنى محرروها . ومع ذلك واصلت « الحساب » المسيرة . . تقاوم كى تصدر ، وتصدر كى تقاوم .

ولنحاول الان أن نتابع كيف واصلت « الحساب » مسيرتها فوق الشوك . .

ولنبدا بالمخالات الثلاث التى نعتقد أن كاتبها هو رفيق جبور والتى نشرت فى الاعداد السابقة على تولى جبور رئاسة تحرير « الحساب » . ونعتقد أن هذه المقالات تندرج مع موقف الحزب تجاه قضية هامة فى الموقف من حزب الوفد .

والمقال الأول « ما يشغلنا » كتب قبيل استقالة سعد على اثر مقتل السردار وجاء فيه « مالت كفة المعارضة عندنا للبحث عن الشئون الخارجية وتصوير ضعف سعد فى محادثاته أمام بريطانيا ، بعد أن أعلن دولته الرجوع لنظرية استقلال مصر فى عقر مصر (التى هى نظريتنا) فعلت الاصوات واشتدت الضوضاء من أجل اهمال السياسة الخارجية مؤقتا . نحن لا نلوم معارضا على معارضته بلجميع آراؤهم . ونحن نظرب للمعارضة فى حدود المصلحة البريئة ، ونحذرها ما دامت شريفة لا يندسها غرض ولا يشوبها سوء النية » .

لأن المقال لا يكتفى بتأييد سعد بل هو ينتقده ايضا . . بل هو يلجأ الى خطأ سعد فى توجيه الضربات للحزب فيقول : « ولقد عارضنا سعدا فى تصرفاته يوم أن افتتح جهاده فى داخلية البلاد بما افتتحه . وظننا له خير من هذا أن نلثم شمل قومك ، وتعرف متى يومك ، وعارضنا الوفد

على سكوته أمام حوادث السودان ، والتزام الصمت ، فليس الصمت في مثل هذا الظرف لغة لأمة » .

• ويمضى المقال « عارضنا ومازلنا نعارض في كل عمل لا يتفق مع المصلحة التي عاهدنا النفس على احترامها والفناء فيها • ولكننا لا نرى من المصلحة ان نقابل سعدا بإلفاظ المخزية والتشفي على مسمع من العدو الرابض في منزلك مما يضر بقضيتنا • • وذلك مايريدهم اعداؤنا » (١)

وعكذا فان اسابيع قليلة لم تكن قد مضت على الاحكام القاسية التي أصدرتها محكمة جنابات الاسكندرية ضد قادة الحزب ، ومع ذلك فان الحزب كان قادرا على أن ينفذ سياسة موضوعية تماما تجاه الوفد وزعيمه .

ويستتيل سعد • • وتبدأ معارك كلامية حامية على صفحات الجرائد ، بينما يواصل الانجليز انتهاكهم الصارخ لاستقلال مصر • • ويدعو الحزب الى نبذ الخلافات والى توحيد الصفوف الوطنية كلها ضد الاستعمار ، لكن الدعوة للوحدة تأتي من باب النقد المر والعنيف والتحكم الصارخ على المتاجرة بالكلمات • • وتحت عنوان « الأحزاب والشقاق » كتبت « الحساب » تقول : « لا نعرف ولا المنجم يعرف ما هي مهمة الأحزاب في مصر ! ولا الى أية ناحية يقصد أعضاؤها ! انها لحيرة كبيرة • • نعرف مصر كثيرة الجمعيات كثيرة الهيئات ، ثم نستعرض برامج احزاب مصر ، وهيئات مصر ، وجمعيات مصر فنجد العجب العجيب ! نجد كل هيئة فتشت في حال البلد تفتيشا دقيقا فعرفت مواضع الضعف فيها وجعلت اصلاحها أول مقاصدها وصدر برنامجها ! الا أننا مع الاسف نبحث عن العمل ونحدث عن التنفيذ فلا نجد له أثرا ولا خيرا ، كأنما تلك البرامج انما جعلت أحابيل وشباك لكسب الجمهور » .

وختام المقال « والآن فقد خسرنا كل شيء تقريبا ، ولم يبق أمامنا غير خيط من خيوط الرجاء ، وهو خيط ايمان الشعب بحقوقه وتقديسه لبلاده ، ولا يزال زعماء الأحزاب ولا تزال صحف الأحزاب تشن الغارات بعضها على بعض ويكسح كتابها ويجهدون قرائهم في النجاري في السب والشتم والنقد البارد ، وكل واحد يتكلم باسم الأمة ، ويدعى المحافظة على حقوق الأمة ، وأغرب من كل هذا أن يكون هذا لسان الصحف في الوقت الذي يدعو فيه بعض أعضاء الأحزاب للاتحاد » (١) .

والحقيقة ان الموقف تجاه حزب الوفد كان بالغ التعقيد ، بل كان يتعين عليه أن يكون كذلك ، فسعد زعيم وطنى ما فى ذلك شك ، وكان يتعرض لهجمات الاحتلال والسراى وأعوان الاحتلال والسراى ، نكن للوفد ولسعد نفسه أخطاء كثيرة - من وجهة نظر الحزب على الاذل - وهكذا كتبوا يقولون « لم يخطر ببالنا أن نعيد على أذهان النواب حديث مسئولية الوزراء . وأن نطالبهم بعقد محكمة محاسبة من ضحوا بمصلحة الأمة فى عهد مستورها ، وفى عهد أول نواب دستوريين من أبنائها ، لم نشأ ذلك ، ولم نشأ أن نثير حديثه ، لان مصر كما قدمنا عجيبه فى تكوينها ونظامها . » فحديث مسئولية الوزراء الذى كان يلذ للكاتب أن يكتب فيه أمس ويلذ للنواب أن يسمعه فى ابان عهد وزارة زغلول باشا ، أصبح اليوم ممقوت عندنا ، وثقيل على الآذان لان المسئولية القضائية ، ولان المحكمة النيابيه اذا وجدت بالفعل فلا بد أن تتناول سعدا كغيره بتهمة التقصير فى الواجب الوطنى المقدس ، لانه كغيره لم يسلم من التقصير » (١) .

وفى نفس الوقت تنشر « الحساب » تعليقا قصيرا بعنوان « هنيئاً للورد » يقول « قامت اليوم حرب بين صحف الوفد وصحف المعارضة حول الزيارات الخفية التى كثر التحدث عنها اليوم ، فصحف المعارضة تقبل ان الوفد أرسل رسله خفية لترضية اللورد اللبى ، على أن يعود الوفد للحكم بشرط أن يسلم البضاعة ، وصحف الوفد تقول ان الدستوريين والوطنيين هم الذين تحالفوا على تسليم البضاعة نكايه فى الوفد . وسوا صحت الدعوى الاولى أو الثانية فالبضاعة مسلمة لا محالة ، ولهذا فلا نجد من نهضه بذلك غير فخامة اللورد » (٢) .

والشعر العجمى يستخدم أيضا لتأكيد نفس الخط السياسى . وغنمده يذهب برلمان الوفد وتبدأ الانتخابات لبرلمان جديد تنشر « الحساب » قصيدة بعنوان « بين البرلمانيين » بدقيق فلاح . والمعنف أن صاحبها هو الشاعر محمود رمزى نظيم ، الذى كان الوحيد من القادرين على ابداع مثل هذا المستوى الفنى وله علاقة مباشرة بالحزب .

١ - الحساب ، ٢٣ - ١٢ - ١٩٢٤ .

٢ - المرجع السابق .

دوشتونى ولا شىء جديد
جسمتى شركة العمدة وجشى
وزعبوطى المتقطع من زمان
ثم يوجه كلامه لنواب الوفد قائلا :

أدى حلتى مطينة تبكى
خسشتوا البرلمان فكان حربا
خفتونا وزودتوها هبابا
فأيه الذى عملتوه يفيد
على كم قرشا يأخذها العميد
على الفلاح هل هذا حميد ؟

ودنستم قد وقعتم تحت أيدنا
وانتم يا جدد اذا انتخبتم
شففونا يا خلائق احنا منكم
وللايام تصريف مجيد
فماذا تعملوا ؟ ماذا تريدو
ومن مصر وما احناش هنود

ويبدو أن هذا الحديث المستمر عن الاحزاب البرجوازية والاقطاعية وعن فشلها فى التعبير عن ارادة الشعب أو تحقيق مطالبه كان تمهيدا لا بد منه لاثارة قضية أكثر أهمية ، هى قضية الحاجة الماسة الى تأسيس حزب للطبقة العاملة .

واذا ما بدأت « الحساب » معالجة موضوع كهذا ، فقد كان يتعين علينا أن نبدأه بحذر شديد ، - وكالعادة - يبدأ الأمر بنشر رسالة يقال أنها وردت من قارئ اسمه « محمد صديق عنتر » (وقد اتهمت النيابة رفيق جبور بأنه كاتب هذا الخطاب) (٢) . وتقول هذه الرسالة « ان جهودنا ستبقى ناقصة وغير مثمرة ما دام لا يوجد حزب يتدرج ويقوى مع الزمن ويستسلم بيديه الحديدتين حقوق ومطالب العمال .. » .

١ - الحساب ، ٦ - ٣ - ١٩٢٥ .

٢ - كذلك اتهم رفيق جبور بترجمة « كتاب فى الشيوعية » باسم محمد عنتر المصرى « الأهرام » ١٧ - ٦ - ١٩٢٥ نقلا عن تحقيقات النيابة العامة .
وتشير النيابة العامة هنا الى كتاب مترجم عن الفرنسية بعنوان :
المبادئ الاشتراكية - ترجمة محمد صديق عنتر (ابريل ١٩٢٥) - المطبعة العربية - القاهرة .

ولمزيد من التفاصيل راجع : د. رفعت السعيد - تاريخ الحركة الشيوعية المصرية - المجلد الاول - ١٩٠٠ - ١٩٤٠ - المرجع السابق - ص ٤٨٨

وتتجدد « الحساب » بسلسلة من المقالات كذبها رابيق حبور . . . وكان لا بد في هذه المقالات من الإشارة الى دور الوفد وعجزه عن تنفيذ لارادة ومما الح جماهير العمال والعمالين .

« . . . ان زعماء الحركة الوطنية انفسهم ، لم يحسدوا التصرف عندما هبت هذه الامة الفشيطة مطالبة بحقوقها ، مدافعة عن استقلالها وحريتها . فهم اغذنموا فرصة نهوضها ليضعوا انفسهم في مقدمة الصفوف وعلى رأس القيادة ، ولكن أين الخطأ التي وضعوها لاستمرار الجهد والتقدم شيئا فشيئا في سبيل الغاية القصوى وهي الاستقلال التام ؟ . أين ما وعدوا به الفلاح الذي حمل عبء النهضة المصرية على كتفيه القويتين ، وأين وعودهم للعمال الذي تذف بنفسه في اتون ثورة ١٩١٩ فالتهمته نيرانها . ٠ »

ونمضي « الحساب » قائلة « ولولا جبن الوفد وخونه ، ولولا معرفة الانجليز بجبنه وخوفه لما تجاسروا قط بل لما فكروا قط بامتهان حقوق مصر بعدا وجنوا من عملها المدمر عام ١٩١٩ » (١) .

لكن ماذا كان الهدف الاساسي الذي حددته « الحساب » لنفسها ؟
نعتقد ان الهدف الاول كان تأكيد اهمية نواجد حرب يمثل الطبقة العاملة المصرية ، وحق العمال في ان يمارسوا نشاطهم الطبقي من خلال حزب يمثل لارادتهم .

وفي افتتاحية العدد الاول (١١ بالترقيم الاصلي) تتحدث « الحساب » عن الطبقة العاملة قائلة « لأهل الطبقة العاملة من فلاحين وعمال انشأنا هذه الصحيفة ، لأجل اسماع السلطات الحاكمة وباني الطبقات في مصر صوت هذه الطبقة انبائسة المظلمة ، اقدمنا على هذا العمل الشاق الذي طالما عجلت النفس الى خوض أمواجه المتلاطمة فصدتها العقبات والموانع ، فأقدمت تارة بضع خطوات الى الامام ، وتراجعت طورا الى الوراء بضع خطوات . . . ان الطبقة العاملة في مصر هي أكثر الطبقات عددا وبؤسا وشقا ، وأقلها نصيبا من اعتناء الحكومة والعمل على رفع مستواها وازالة المظالم عنها » .

ثم تمضي (الحساب) في دراسة متمعة للطبقات في مصر والظروف الاجتماعية التي تعيشها كل منها . . . مدافعة في ذلك كله عن الفقراء مركزة هجومها على الأغنياء وعلى أصحاب الاعمال الذين لو أن الواحد منهم « طحن الذهب وعجنه بدل الدقيق ، وأكله خبزا ابريزا لما تمكن ان يأكّل هو وآله واقاربه وخدمه وحشمه ورفيقاته وسراريه عشر دخله اليومي . . . »

ومنذ البداية فان (الحساب) لا تخفي وجهها ، بل هي تلمح في المقال الافتتاحي الى أنها امتداد لنضال حزبي قديم « . . . كنا ممن اندمج في حركة العمال منذ تتجدد نهضتهم الى الآن ، وجاهدنا معهم وتمشينا واياهم درجة درجة فاخترناهم واختبرونا » .

وأيضاً تؤكد (الحساب) « ستخصص جريدتنا هذه لمجرد خدمة العمال لتكون (صوت العمال) فلا يسمع من على صفحاتها صوت آخر ، ولا تخدم هيئة غير هيئاتهم ، ولا شخصا غير أشخاصهم وأشخاص الذين يعاملون عليهم ويسعون في منعتهم وفي سبيل الوصول الى حقوقهم .. » (١) .

ومع خط التأكيد على ضرورة قيام حزب سياسى للطبقة العاملة المصرية . يمتضى عبر أعداد المجلة خط آخر هو تقديم خبرة العمل النقابى للعمال المصريين ، فعبر أعداد « الحساب » كانت تمتضى سلسلة مقالات حول حزب الطبقة العاملة .. وسلسلة أخرى بعنوان « كيف يجب أن تكون نقابتنا » وهى تتحدث تفصيلا عن النقابات ودورها كمنابر نضالية للطبقة العاملة ، وكيفية تأسيسها وممارسة العمل النقابى ، وأساليب ادارته بما فى ذلك تبسيط للاجراءات الادارية والمالية والقانونية الواجب اتباعها .

وبين هذين الخطين الرئيسيين تمتضى (الحساب) لتدافع فى كل سطر من أسطرها عن حقوق العمال والفلاحين ، وخاصة حثهم فى المشاركة النشطة فى المعركة الانتخابية التى كانت تجرى فى ذلك الحين لانتخاب برلمان جديد .

وهى تنشر « بيان لجنة الدفاع عن حقوق العمال والفلاحين » وهو برنامج مرحلى تقدم به الحزب للمرشحين والناخبين .. وهى توجه نداءها فى نهاية البرنامج الى الفلاحين والعمال قائلة « لا تعطوا أصواتكم لأى شخص لا يقبل هذا البرنامج ويعد بتفيذه » (٢) .

وعندما تضع الحكومة العتبات أمام مشاركة العمال والفلاحين فى الانتخاب فى محاولة لقصر منح حق الانتخاب على دافعى الضرائب العتارية وحملة الشهادات تنشر « الحساب » التعليق القالى موقعا باسم رفيق جبور « الوزارات تريد ٩٠٠.٠٠٠ جنيه من أموال العمال والفلاحين لزيادة مرتبات كبار موظفيها . ثم تفكر الحكومة فى حرمان الطبقة العاملة من الانتخاب .. » ويقول التعليق « قد بضن اننا مبالغون . اذا قلنا أن الخفير اذا قتل وهو يقوم بوظيفته فى الدفاع عن الارواح والامن العام لا تجد الحكومة لديها مائة قرش كل شهر تدفعها معاشا لارملته أو - أرملته - ولأولاده العديدين ، ولكنها تجد فى كل ساعة ودقيقة ١٢٠ جنيها معاشا ل احد كبار موظفيها متى أراد سعادته أو معاليه أن يتقاعد عن العمل .

١ - الحساب ، ٦ - ٣ - ١٩٢٥ .

(٢) الحساب ، ٦ - ٣ - ١٩٢٥ .

٢ - راجع النص الكامل للبرنامج ، د . رفعت السعيد - المرجع السابق -

ص ٥٧٢ .

والآن تريد الحكومة ٩٠٠.٠٠٠ جنيه لتزيد مرتبات حضرات كبار الموظفين زيادة أخرى . ثم تفكر الوزارة بسن قانون انتخاب جديد يحرم الطبقة العاملة من حق الانتخاب ، هذا الحق المقدس لا توجد حكومة دستورية في العالم يمكنها أن تفكر بحرمان دافع الضرائب منه ، والطبقة العاملة في مصر ٩٥ بالمائة من مجموع السكان ، وكل الضرائب تجبى من عرق جبين الفلاح وثمره انتاج يمين العامل والفلاح المسكين « (١) » .

وشعرا تشن (الحساب) - أيضا - حملتها دفاعا عن حقوق العمال والفلاحين في الانتخاب . وفي قصيدة رائعة من شعر محمود رمزي نظيم تدعو (الحساب) الفلاحين الى (لم عزالهم) والهجرة من مصر :

« وسيبوا مصر للملاك تسكنها
وسيبوا النيل للاسياد تحرسه
ودورا لنا على العمال اخوتنا
يسيبوا الشغل للملاك تعمله
وساعدوهم على لم العزال ونا

والشاعر يدعو العمال والفلاحين الى ترك مصر للاغنياء طالما أنهم وحدهم اصحاب الحقوق فيها . . وطالما أنهم يريدون حرمان العمال والفلاحين حتى من حق الانتخاب ثم يقول :

يكفى بقى غلبنا يكفى نضحتنا
قال يتركونا وعن صحة سلامتنا
والاغنيا بس مندوبون ينتخبوا
والحاملين شهادات مقلوطة
سبعة وتسعين في اليه مكممة
أما الثلاثة في اليه فانهموا
فان يقولو فمصر كلها نطقت

ولسنا نريد أن نطيل في استعراض مقالات وكتابات « الحساب » ، فليس هذا هو هدفنا الاساسي ، لكننا فقط نريد أن نشير الى مقال هام . . حددت فيه « الحساب » - وربما كانت أول من تنبى الى ذلك - موقفا واضحا من المشكلة الفلسطينية ، ومن زحف الصهيونية على فلسطين ، فهي تنشر مقالا بعنوان « بلفور يزور ضحيته وفلسطين تقابله بالاضراب العام » (٢) .

١ - الحساب ، ١٧ - ٤ - ١٩٢٥ .

٢ - الحساب ، ١٨ - ٥ - ١٩٢٥ .

٣ - المرجع السابق .

والقتل هجوم على الصهيونية وعلى محاولتها لاغتصاب فلسطين من أصحابها . وتصف بلفور بأنه « صاحب التصريح المشهور الذى أصدره باسم الحكومة الانجليزية » . والذى بموجبه أعطت فلسطين لليهود والصهيونية رغم ارادة سكانها وضد كل شرع وعرف وقانون » وتقول « انه عندما زار بلفور فلسطين فى اول ابريل ١٩٢٥ بدعوة من الجامعة العبرية قابله السكان فى كل مكان حل فيه بجميع الوسائل التى تعبر عن سخطهم وغضبهم واشتمئزازهم من زيارته التى تتسبب زيارة القاتل لآل القتييل ، والمعتدي لضحيته » .

وتختتم « الحساب » مقالها « اننا نحى هذه الفضة البديعة فى فلسطين ، ونأمل أن يواظب الفلسطينيون الكرام على أمجادهم وجهادهم فى سبيل استقلال بلادهم ، وهم كمظلومين مرهقين عليهم أن يضعوا أيديهم فى أىدى كل طبقة من طبقات العمال فى أى بلد من البلدان ، فالطبقة العاملة مظلومة فى كل مكان وكل مظلوم للمظلوم نسيب » .

وتمضى « الحساب » سائرة على الشوك . متعرضة للاضطهاد والمطاردة ، لكنها تواصل اصرارها العنيد على ضرورة الاعتراف بحق العمال والفلاحين فى تأسيس حزبهم السياسى مؤكدة « أن العمود الفقرى للحزب ودماعه المفكر وقلبه النابض يجب أن يكون من العمال ، وعلى قانون الحزب الاحتياط الشديد لعدم تمكن بعض افراد الطبقات الاخرى التى تندمج فى الحزب من السيطرة عليه والتلاعب بمصالحه بل يجب أن يكون الحزب حزب عمال للعمال ومن العمال ، أما من ينضم اليه من أبناء الطبقات الغربية عن - الطبقة العاملة فيجب أن يبقى دائما تابعا للحزب الى حد ما ، لكن على كل حال يجب أن تكون وتبقى السيطرة فى الحزب للعمال وحدهم » .

ماهى مرامى الحزب وأغراضه ؟

ما هى مبادئه وما هو برنامجه ؟

هذا ما سنتكلم عنه فى العدد التالى « (١) » .

لكنه لم يكن هناك عدد تال ، فقد أسكت الارهاب صوت مجلة « الحساب » بتحريض سافر - أو بالدقة - بأوامر سفارة من سلطات الاحتلال .

فبعد ان نشرت « الديلى ميل » تقول « حدثت ضجة عظيمة من جراء عصابة شيوعية كبيرة فى مصر » .

(١) الحساب ١٨-٥-١٩٢٥ .

ونشرت الديلى كرونىكل « تلغرافا لمراسلها فى القاهرة قال فيه :
« قامت الدلائل على وجود مؤامرة بلشفية واسعة النطاق لتدبير ثورة
شيوعية فى مصر تكون جزءا من مشروع يرمى الى اشارة افريقيا كلها فى وجه
الدول الاستعمارية » (١) .

بعد ذلك التحريض السافر كان لابد من القبض على هؤلاء الرجال
الشمجعان الذين تحدوا الشوك وساروا فوقه .

وبعد رحلة شاقة لم تستغرق سوى تسعة اسابيع فقط صدر خلالها
ثمانية اعداد توقفت « الحساب » عن الصدور فقد سجن رئيس تحريرها
ومحرروها ومندوبوها بالاقاليم .

(١) نقلا عن الاهرام ، ٣-٦-١٩٢٥ .

الجمعة ١٤ فبراير سنة ١٩٣٠ ثمن النسخة خمسة مليمات -
السنة الأولى

- العدد ١ -

الاشتراكات ٢٥٠ مليما عن سنة داخل القطر
الادارة : ٨١ شارع محمد علي بمصر

روح العصر

جريدة اشتراكية سياسية اسبوعية

في هذا العدد

ما هي الاشتراكية ؟
للاستاذ عصام الدين ناصف

تاريخ النقابات في إنجلترا
للاستاذ العرابي

دسائس الرجعيين
للدكتور القاضي

في دوائر العمل
من هو بنايتي ستراتي

حديث ...
الخ ... الخ . الخ .

المطبعة الاهلية الكبرى بشارع محمد علي بمصر

• ولم تكن « روح العصر » مجرد جريدة أو مجلة تتحدث عن الاشتراكية بل كانت في الأساس محاولة لتأكيد نظرية نادى بها أحد كوادى الحزب . تدعو الى التمسك بالعننية ، على اساس ان الحزب ظل بعيدا عن المطاردة طالما كان « اشتراكيا » وليس « شيوعيا » ، وطالما تباعد عن اية علاقة مع الكومنترن •

ومحمود حسنى العرابى صاحب هذه النظرية ، حاول جاددا ان يضع افكاره موضع التطبيق ، وانسحب من الحزب الذى كان يوما ما أول سكرتير عام له ، وخاض ميدان العننية •

وفي خطة مبيتة فتحت له كل الصحف صدرها ليكتب آراء « مخفية » وليست « حمراء تماما » ، وليتحدث عن الاشتراكية « بمرونة » و « اعتدال » •

وكانت المصيدة معدة باحكام ففى وقت واحد كانت مقالات العرابى تظهر فى « الهلال » و « الحياة الجديدة » و « الرقيب » وحتى « المقتطف » (١) •

ولم تكن الكتابة فى الصحف لتنوير الاذهان وشرح انبساطى الاشتراكية المعتدلة هى كل اهداف الرجل •

فعلى اثر انسحابه من الحزب تتلقى الصحف بيانا موقعا باسم « اللجنة التحضيرية للحزب الاشتراكى المصرى » والسكرتير هو (عصام ناصف) صديق العرابى وزميله فى موكب العننية • ولقد كان العرابى وناصف على علاقات وثيقة فى هذه الفترة • ثم كتمت أنفاس المحاولة وأشبعتها الصحف هجوما وتهكما ووصفت « كوكب الشرق » هذا الحزب بأنه « حزب البقلة الحمراء » وأنه « لم يسمع به أحد ونبت نبتا شيطانيا » (٢) •

ثم انضم الى الموكب د • عبد الفتاح القاضى - طبيب اطفال - تعلم فى جامعات ألمانيا ، واجتذبتة هناك رياح الفكر الاشتراكى فانقلبت به

(١) الهلال عددا يوليو واغسطس ١٩٢٧ ، الحياة الجديدة ١٨ - ١ - ١٩٢٨ و ١٥ - ٨ - ١٩٢٨ و ٢٩ - ١ - ١٩٢٨ ، والرقيب ١٩ - ٢ - ١٩٢٨ ، والمقتطف مارس ١٩٢٩ •
(٢) كوكب الشرق ، ٨ - ١ - ١٩٢٧ •

من موقع « عضو الحزب الوطنى الشديدا العداء للانجليز » أو موقع « الاشتراكى نكرا » ثم « موقع الاشتراكى عملا » كما قال هو نفسه .

و « عملت كطبيب أطفال واحسنت بحقيقة الفقر وبشاعته ، كنت أقول للألم اشتدى دواء لطفلك أو غداء لطفلك وأشعر أنها لا تملك قرشا . . واقنعت أنه لا فائدة من الطب ولا فائدة من أى مجهود يبذل الا اذا تغير المجتمع . وأدركت ان الواجب الاساسى للانسان هو العمل لنفسه الاشتراكية » (١) .

وكان هناك شخصان فى الانتظار العربى وناصف ، أضافهما السعى الى ميدان العمل القانونى ، فأغلقت الصحف بابها فى وجهيهما ، ثم فشلت محاولة تأسيس حزب على اسم الحزب الاشتراكى المصرى . . على أساس أنه حزب اشتراكى وليس شيوعى فقد كانت حمى العداء للشيوعية شاملة وكاسحة الى حد رفض حتى الاتجاهات الاصلاحية والمعتدلة . . ولم يعد أمامهما مواصلة السعى فى طريق الدعوة القانونية الاشتراكية بسوى اصدار مجلة . .

يقول ناصف « وبعد ذلك فى سنة ١٩٢٠ كان لى صديق هو د . عبد الفتاح القاضى واجتمعنا نحن الثلاثة لاصدار مجلة . وأنا كنت معروف لنى شيوعى ، وكذلك حسنى العربى ولا يمكن منحنا رخصة للمجلة ، ولهذا طلبنا الرخصة باسم د . عبد الفتاح القاضى » (٢) .

ويقول القاضى : « عندما اتصل بى عصام الدين حفنى ناصف وعرفنى بحسنى العربى وعرض على فكرة اصدار جريدة اشتراكية سياسية اسبوعية صادف ذلك هوى فى نفسى » (٢) .

وهكذا أمكن ايجاد حل للمشكلة المستعصية التى كانت تواجه الصحافة اليسارية أو أية صحافة للرأى فى مصر . . وهى الحصول على ترخيص . فقد حصلت المجموعة على ترخيص باسم د . القاضى الوحيد من بين الثلاثة الذى لم تكن أضواء البحث البوليمى مسلطة عليه بصورة أساسية . وبدأت الاستعدادات لاصدار المجلة .

(١) راجع النص الكامل لمحضر النقاش معه - د . رفعت السعيد - تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر - الجزء الاول - دار الفارابى - ص ٢٧ .
(٢) راجع النص الكامل لمحضر النقاش معه - المرجع السابق .

ص ٢٧٧ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٧٤ .

« وجعلت عيادتي بشارع محمد على ، بعد اجزاخانة راتب والبيت موجود حتى الآن - دارا للجريدة ، وألقيت اليها بكل ما أملك من نقود ، وكذلك حسنى العرابى وعصام » (١) .

* * *

وبدأت المعركة ٠٠ معركة اصدار مجلة اشتراكية فى أهلك أعوام تاريخ مصر الحديث عام ١٩٣٠ ، حيث تسلط على مقاعد الحكم فى مصر الطاغية اسماعيل صدقى فارضا جوا من الارهاب الخائى ، ضد أى خصوم ، فما بالك بخصوم ينادون بالاشتراكية . حتى ولو كانت معتدلة .

ويجتمع حول « روح العصر » أفراد ممن انسحبوا من الحزب الشيوعى مع حسنى العرابى سالكين معه طريق الكفاح القانونى ، أهمهم « الهامى أمين » وكان موظفا بالسكة الحديد ثم فصل بسبب نشاطه الشيوعى ، والتصق بحسنى العرابى وجمع مقالاته وأصدرها فى كتيب بعنوان : « مقالات العرابى » كتب فى مقدمته « أعتقد عن يقين أن من أبلغ ، وأقوى ، وأمتن ما كتب بالعربية فى تقويض الرجعية ونشر الثقافة الحديثة ، ورنع لواء التجديد سواء أكان ذلك فى الادب ، أم الاجتماع . أم التاريخ . أم الاقتصاد ما كتبه صديقى الاستاذ محمود حسنى العرابى ، ولا أكون مغرنا اذا قلت ان غير محمود حسنى العرابى فى مصر لا ينوى على صرخته الجريئة » (٢) .

وفى روح العصر كان الهامى أمين مدير الادارة . وحول « روح العصر » تجمع ايضا عدد من النقابيين المرموقين أمثال « سيد قنديل » الذى كان متحمسا لفكرة المجلة الى حد انه كان يحرق فيها نثرا وشعرا عاميا ويوجه على صفحاتها نداءات حارة للعمال ثم « يحصر الاعداد على كتفه ليوزعها بنفسه » (٣) .

ومنذ البداية كانت المشكلة التى تواجه المجلة هى مشكلة التوزيع . فقد وضعت نفسها كمادة كل المجلات فى زمنها بين فكى متعهد توزيع الصحف « على الفهلوى » وتضطر روح العصر الى تملق « الفهلوى » معلنة على صفحات عددها الاول ان متعهد توزيعها هو (حضرة الفاضل المعلم على الفهلوى متعهد عموم الجرائد والمجلات الاسبوعية بالقطر) .

(١) المرجع السابق ص ٣٧٤ .

(٢) محمود حسنى العرابى - مقالات العرابى - عنى بجمعها وترتيبها ونشرها الهامى أمين . المطبعة الاميرية الكبرى - ص ٢ .

(٣) د. رفعت السعيد ، تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر - المرجع

السابق ص ٢٧٧ .

« ٠٠ . وتآمر ضدنا متعهد توزيع الجرائد فكان يخزن الاعداد ولا يوزعها » (١) .

واضطرت المجلة الى أن تشن في اعدادها الاخيرة حملة عنيفة على الفهلوى متهمة اياه بأنه يمالئ البوليس ويمتنع عن توزيع نسخها . . وتطالب محافظ القاهرة بالتدخل لمنع تسلط هذا « المعلم » على عملية توزيع الصحف .

لكن « روح العصر » تجد من يصل بها الى قرائها ، طلابا ومناضلين نقابيين انفخوا حولها وكانوا يقومون بتوزيعها بأنفسهم .

* * *

ولم تكن مشكلة التوزيع هي المشكلة الوحيدة .

فقد كانت هناك مشكلات سياسية أساسية .

يقول القاضي « كان همنا أنا وحسنى العرابي ألا نعطي لاسماعيل صدقي حجة قانونية لاجلاق المجلة ، كان هدفنا ان تستمر المجلة أطول مدة ممكنة ، أما عصام ناصف فقد كان متطرفا وكان رأيه ان نهاجم ونستقتر اسماعيل صدقي » (٢) .

كذلك فان فذبح الباب أمام المنهج القانوني كان بغير حدود من جانب البعض على الأقل ، بحيث انحرفت المجلة في بعض ما نشرته من مقالات عن المنهج الذي يقبله أشد الاشتراكيين اعتدالا واصلاحية . . ففي العدد الثالث تنشر مقالا ل احمد المصرى بعنوان « اشتراكية الدولة - حكومة مصر تسيير على نظام اشتراكي » (٣) . ولنفس الكاتب مقال آخر بعنوان « محمد على باشا يطبق النظام الاشتراكي في مصر » (٤) .

وفي العدد الرابع تنشر فصلا عن كتاب « الحركة الاشتراكية » لرامزي ماكدونلد تعريب الاستاذ العرابي والفصل بعنوان « الفوضوية والشيوعية ليست من الاشتراكية » (٥) .

(١) د٠ رفعت السعيد - عصام الدين حنفى ناصف - سلسلة طلائع الفكر الاشتراكي ، دار الثقافة الجديدة - ص ٨٤ .

(٢) د٠ رفعت السعيد تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر - المرجع السابق - ص ٣٧٤ .

(٣) روح العصر ، ٢٨-٢-١٩٣٠ .

(٤) روح العصر ، ١٤-٣-١٩٣٠ .

(٥) روح العصر ، ٧-٣-١٩٣٠ .

ولكننا وفي نفس الوقت نجد دراسات ماركسية ذات مستوى رفيع ، مثل العرض الذى قدمه د. القاضى لتاريخ مشاهير الاشتراكيين ، ودراسه للدكتور القاضى أيضا عن المذاهب الاشتراكية (١) ، ومقالات لعصام الدين حنفى ناصف والتى استهلها بمقال بالغ الاهمية نشره فى العدد الاول بعنوان « ما هى الاشتراكية » (٢) والترجمة التى نشرها د. القاضى لكتاب كارل ماركس (العمل المأجور ورأس المال) وكتابات ماركس عن المادية التاريخية وغيرها من الكتابات الاخرى . ثم ذلك العدد التاريخى الذى صدر بمناسبة عيد أول مايو ١٩٣٠ وهو العدد ١٢ ففى صدر الصفحة الاولى من المجلة شعار (يا عمال العالم اتحدوا - ليحيا أول مايو) ثم صورة كبيرة لكارل ماركس وتحتها العبارة الثالنية « رأينا أن نحلى صدر هذ العدد فى هذا اليوم العظيم بصورة أبى الاشتراكية العلمية كارل ماركس وهى أول صورة تنشر لمعلمنا الاكبر فى مصر » (٣) والتوقيع « ح » وهو توقيع مستعار لحسنى العرابى .

وإذا كان القول بأن هذه هى المرة الاولى التى تنشر فيها صورة كارل ماركس فى مصر - ليس دقيقا تماما ، فان الإشارة الى أن كارل ماركس هو « معلمنا الاكبر » كانت تمثل نشلة كبيرة فى الافكار المعلنة « لروح العصر » .

والعدد ١٢ ليس تاريخيا لهذا السبب فحسب ، وانما لانه شهد محاولة جديدة لتحويل « روح العصر » من مجرد مجلة ٠٠ او منبر اشتراكى الى تنظيم اشتراكى .

ففى الصفحة السابعة من هذا العدد ينشر فداء بعنوان : « نداء العمال المصريين الى رفاقهم الاوربيين » جاء فيه « تتوجه طليعة الطبقة المصرية العاملة الى رفاقها الاوربيين بمناسبة أول مايو على لسان « روح العصر » (الجريدة الاشتراكية الوحيدة فى الشرق) بهذا البيان :

١ - نعلن تضامننا مع رفاقنا الاوربيين فى جهادهم ضد الرأسمالية الدولية .

٢ - نلخت نلار رفاقنا الى آلام واستعباد الجماعات العاملة فى الشرق بواسطة الاوروبيين . ولذا فنحن عمال الشرق نلنتظر من روح التضامن

(١) روح العصر ، ١١-٤-١٩٣٠ .

(٢) روح العصر ، ١٤-٢-١٩٣٠ .

(٣) روح العصر ، ٢-٥-١٩٣٠ .

التي تسود رفاقنا الاوروبيين أن تدفع بهم الى تلبية ندائنا بايجاد صلات صداقة وعطف بيننا وبينهم» (١) .

واذا كان البيان يمثل في حد ذاته نقطة تحول هامة في منهج « روح العصر » - (الجريدة الاشتراكية الوحيدة في الشرق) كما صمم أصحابها على وصفها من حيث التوجه لايجاد صلات « أممية » مع عمال أوروبا ومن حيث استخدامها للفظ « رفاقنا » ومن حيث ابرازها أهمية الوحدة في المعركة ضد « الرأسمالية الدولية » .. فان الشيء الأكثر أهمية هو أن البيان قد وقع كما يلي (عن العمال المصريين - الكتلة الاشتراكية) .

وكانت (الكتلة الاشتراكية) واحدة من المحاولات المضنية التي بذلتها المجموعة التي أصدرت (روح العصر) لتأسيس تنظيم اشتراكي عظمى ، لكنها كغيرها من المحاولات التي سبقتها والتي تلتها فيما بعد جوبهت بمقاومة حازمة من سلطات الامن .

وبما أن مجلة « روح العصر » لم تكن مجرد صحيفة تصدر لتقول كلاما عن الاشتراكية ، وانما كانت - في تصور أصحابها - خطوة نحو اقامة تنظيم سياسى للعمال والفلاحين ينادى بالاشتراكية .. فان محاولة تأسيس « الكتلة الاشتراكية » - تلك المحاولة التي احبطت على الفور - قد تلتها على الفور ، وفي العدد التالى مباشرة وهو العدد ١٣ ، محاولة أخرى للالتقاء مع مشروع اسماعيل مظهر لتأسيس حزب للعمال والفلاحين .

والامر يستحق وقفه ..

فاسماعيل مظهر قد بدأ محاولته لتأسيس حزب اصلاحى بحث باسم « حزب الفلاح المصرى » . وفي مشروع تأسيس الحزب الذى وجهه اسماعيل مظهر الى مصطفى النحاس قائلاً « بالصفة العليا التي لكم في هذه البلاد كرئيس للوفد المصرى وخليفة للزعيم الاكبر المغفور له سعد زغلول باشا ، والمدافع الطبيعى عن الديمقراطية الحقيقية ، وبحكم انكم الزعيم الاول للاغلبية الساحقة من المصريين أقدم اليكم بهذا المشروع .. » والتوقيع « خادكم المطيع » (١) . ويوضح اسماعيل مظهر في مشروعه أن الهدف « هو تكوين حزب اجتماعى يكون أساس الاصلاح فيه فلاح مصر باعتباره الاكثرية العظمى ، وأنه أصل الذروة ، كما أنه لا يجب أن يغيب عن أذهاننا ان اعمال تكوينه سوف يكون عما قريب أساس الفلق الاجتماعى » .

١ - المرجع السابق .

٢ - السجود - الشهرية - أكتوبر ١٩٢٩ .

ثم يمضى اسماعيل مظهر قائلاً بوضوح أكثر « لهذا وجب علينا أن نبحث في أمثل الطرق والوسائل التى تحمينا من الانقلابات الفجائية والتى تصد عنا سبل الافكار المتطرفة الحديثة التى تفيض علينا بها دوليات أوروبا الشيوعية . . وانى لشديد الاقتناع بأن تنفيذ مشروع حزب الفلاح المصرى على القواعد التى وضعتها فى مبادئه كفيلة بأن تحمينا من هذه الشرور » .

وبالرغم من كل هذا التأكيد الواضح ، وبالرغم من أن البرنامج كان اصلاحيا بحتا ، وان أقصى تطرف لجأ اليه كان حديثا عن تحديد الحد الأقصى للملكية الزراعية بخمسمائة فدان . . وبشرط أن يتم ذلك دون أى تدخل قانونى أو حكومى وانما بمجرد الانتظار لان تفعل أحكام المواريث فعلها الطبيعى .

برغم ذلك كله فقد وقفت الرجعية المصرية - التى اشتهرت برفض أية نزعات اصلاحية - من محاولة اسماعيل مظهر موقف الرفض التام ، بل والادانة الكاملة . . ولم يبق أمام اسماعيل مظهر الا أن ينتجه الى أحضان اليسار . . .

وكانت البداية اشارة عابرة فى العدد ١٣ من « روح العصر » الى أنه طبع « بدار العصور للطبع والنشر بشارع الخليج المصرى بميدان الظاهر » (١) وإذا كان غريبا أن يلتقى اسماعيل مظهر - بموقفه المعروف من الاشتراكية - بمجلة « روح العصر » ، فان الاغرب هو أن يتم هذا اللقاء فى العدد التالى مباشرة للعدد ١٢ وهو العدد الذى صدر فى صفحته الاولى صورة « معلمنا الاكبر » كارل ماركس ، والذى تميز بانعطاف حاسم فى توجيهه نحو اليسار السافر .

وتتطور العلاقة لنقرأ اعلانا فى العدد ١٥ يقول « اقرأ مجلة «العصور» تحرر فكرك » (٢) .

ثم يصدر العدد ١٧ من « روح العصر » متضمنا النص الكامل لبرنامج « حزب العمال والفلاحين » ويوقعه نيابة عن اللجنة التحضيرية لحزب العمال والفلاحين اسماعيل مظهر (٢) .

وبطبيعة الحال فان البرنامج كان يمثل تطورا هاما فى فكر اسماعيل

-
- ١ - روح العصر ، ٩-٥-١٩٣٠ .
 - ٢ - روح العصر ، ٢٣-٥-١٩٣٠ .
 - ٣ - روح العصر ، ٦-٦-١٩٣٠ .

مظهر ومواقفه وتبدو بصمات الفكر الماركسي واضحة تماما في أغلب مواده .
ثم يبدو الالتحام بين المجلدين « روح العصر » و « العصور » أكثر فأكثر حين تبدأ « روح العصر » ابتداء من العدد ١٨ في إعادة نشر مقالات كاملة عن العصور ولعله من الملفت للنظر أن يكون أول مقال تنشره « روح العصر » نقلا عن العصور هو مقال بعنوان « حياة لينين » (١) .

* * *

وبطبيعة الحال فان « روح العصر » قد تعرضت لهجمات سياسية عنيفة وخاصة من جانب « جريدة السياسة » . التي اتهمت « روح العصر » بأنها تروج للشيوعية داعية السلطات الى اتخاذ موقف حازم تجاهها ..

وتتصدى صحف عديدة للدفاع عن « روح العصر » وعن حقها في التعبير عن رأيها .. وتنشر « روح العصر » باعتزاز ظاهر « دفاعا تقدمت به زميلتنا البقطة البيروتية بعنوان جريدة السياسة « وزهيلتنا » روح العصر ننقلها فيما يأتي » .. « لا تزال جريدة « السياسة » لسان حال حزب الديكتاتور المصري الهابط محمد محمود باشا تثير حملة على جريدة « روح العصر » المصرية الراقية داعية الحكومة الى البطش بها ، فنحن نستغرب هذا التهجم اللئيم وهذه المحاولة السخيفة من صحيفة يرأس تحريرها أديب كمحمد حسين هيكل ونرجو من نقابتنا وجميع النقابات المنظمة أن تتأزر في الاحتجاج على ذلك الدس غير المتوقع من صحيفة جدير بنها أن تبقى بين سطورها بقية احترام لها في نفوس القراء » .

ان روح العصر يجب أن يؤيدها العمال وأن يستعيدوا قواعم من الضعفاء ويردوا الضعف الى أسبابه » .

وتعلق « روح العصر » على هذا الدفاع الذي تفهم جيدا انه قادم من حزب شقيق ان « روح العصر » تشكر للزميلة روح التضامن والعطف ، وتعاهد جميع عمال وفلاحى الشرق على أن لا تحيد عن الخططة التي سارت عليها مهما أصابها من افتات المتورين » (٢) .

ولعل هذا المنهج في الرد على « السياسة » كان أفضل بكثير من المنهج الذى اتبعه د . القاضى محاولا التنصل من اتهامات « السياسة » مؤكدا انهم « اشتراكيون » وليسوا « شيوعيين » .. وتحت عنوان « جهل أم تجاهل » .. كشف النقاب عن وجه السياسة « كتب الدكتور القاضى يقول ..

١ - روح العصر ، ١٣ - ٦ - ١٩٣٠ .

٢ - روح العصر ، ٩ - ٥ - ١٩٣٠ .

« لا نريد أن نناقش » السياسة « في هذا المقال دعاويها الباطلة واختلاقاتها المألوفة ، لا نريد بذلك البتة أن نبرى أنفسنا مما ترمينا به افذئاتنا ، نحن مرتاحو الضمير بأننا إذ نعتنق المذهب الاشتراكي لا نأتى أمرا اذا » .

ويحاول د . القاضى جاهدا أن يؤكد أنه ومجلته اشنراكيون وليسوا شيوعيين « كما أننا موقنون كل اليقين أن جهلها أو تجادلها المتعمد للفرق ما بين الاشتراكية والشيوعية وخطأها خلطا معييا بين الانين لن يحدث الاثر الذى تطلبه » (١) .

وقد يبدو الامر غريبا من رجل كان يعتبر نفسه بالفعل - ومنذ أمد ليس بالقريب شيوعيا ، بل انه وبعد أن انخرط عقد جماعة « العمل القانونى » ما لبث أن انضم دون أى تحفظ الى تنظيم شيوعى .

ويقودنا ذلك الى الذناقض الخطير الذى أقص مضاجع أصحاب «روح العصر» كانوا شيوعيين لكن القانون يحرم الشيوعية ، وهم يهتمون بالقانون والعنبة ، فلا بأس اذا من بعض التسامح أو بالدقة « التوصل » من اسم « الشيوعية » . الامر الذى أدى الى تناقض خطير سواء فى مواد المجلة . أو فيما بين مؤسسيها الثلاثة .

ومع ذلك - وبرغم التناقضات بين الثالوث المسئول عن المجلة ، استطاعت روح العصر أن تكون بالفعل - وفى ظل فترة من أحلك فترات التاريخ المصرى منبرا تنزدد من فوقه شعارات ومبادئ الاشتراكية . ربما ترددت فى غير وضوح أحيانا ، وربما لم تكن الخطوط واضحة تمام الوضوح ، لكن الشئ الهام هو ان «روح العصر» كانت برغم كل ما شاب تحزيرها من نواقض منبرا يقول كلمة الاشتراكية . ويواجه طغيان صدقى وارعايه ويواجه مناورات الاحتلال وعملاء الاحتلال بمنطلقات طبقية تنتمى بوضوح الى العمال والفلاحين ، وتدين الاستغلال وتربط المعركة ضده . ربطا محكما ووثيقا . بالمعركة الوطنية ضد الاحتلال البريطانى .

كذلك كانت « روح العصر » أولا وأخيرا درسا قاسى الملامح لاشخاص حاولوا أن يشقوا بأظفارهم طريقا غنيا وقانونيا للعمل الاشتراكي فى صخر رجمى صلد يرفض حتى أية نزعات اصلاحية .

كانت مرحلة ضرورية حتى يتلقن عصام ناصف والناضى وأمثالهما

الدرس ، ثم ينهضنا بعد عشر سنوات ليواصل المسيرة في طريق « غير قانوني » .

بعد ذلك يمكننا أن نشرع في تقليب صفحات المجلة .

فإذا ما بدأنا بالقضية الوطنية وهي المحور الاساسى لاي عمل كفاحى في ذلك الحين فان « روح العصر » كانت منبرا ملتجيا للعداء ضد الاستعمار . . ولنهم المغزى الاقتصادي للاستعمار . . ودعوة للعمال والفلاحين لكي يكون لهم موقف طبقى ومتميز في معركة الاستقلال الوطنى .

وفي العدد الاول نقرأ موضوعا بعنوان « حديث » والتوقيع « خرافة » وينم السلوب عن أن صاحبه هو عصام ناصف . « ويقول الاحرار الدستوريون انهم حزب البيوتات العريقة في المجد والثروة والطبقة الارستقراطية المصرية . . ويقول الوفديون انهم رجالات الشعب في طالب الاستقلال التام لوادى النيل ، ويقول الحزب الوطنى زيلع . . مصوع . . أوغندا . . الى آخر السورة غير المحفوظة ، فإذا غرضنا وتمت المعاهدة على ما يرام فماذا تقول أنت أيها العامل وأنت أيها الفلاح ؟ فكر الان فيمن سوف يتكلم باسمك . ويعمل على تنفيذ رغباتك وارادتك . . فكر وحياة أبوك . . الله يهديك » (١) .

لكن المعاهدة لم توقع . . المفاوضات تقطع ، وتصيح « روح العصر » في افتتاحية العدد ١٤ « قطعت المفاوضات فماذا نحن فاعلون ؟ » وبعد أن يستعرض الكاتب مواقف الساسة البرجوازيين يمضى سريعا الى موقف طبقى واضح فيقول « . . لندع تصريحات الساسة جانبا ولننظر الى المستقبل بعين النفاؤل ، ان من يمعن النظر في تطور المذاهب السياسية في العالم في السنين الاخيرة لا بد وأن يعترف معنا بأن المذهب الاشتراكي يكسب أنصارا ويزداد قوة اليوم بعد اليوم ، وان العالم كله صائر الى الاشتراكية لا محالة . .

وهنا سيتحقق ما تراه الانسانية اليوم حلما تصبو اليه فتستعيد الامم جميعا حريتها واستقلالها ، وتحل المعاهدات الاقتصادية محل القيود الاستعمارية » .

وهنا يبدو الامر واضحا فالكاتب يقول للجماهير اذ أردتم استقلالا حقيقيا وكاملا لوطنكم تعالوا معنا في طريق الاشتراكية .

١ - روح العصر ، ١٤ - ٢ - ١٩٣٠ .

بل انه يعرض بحكم البرجوازية المصرية وينظر الى توليها السلطة الشكلية نظرة طبقية صرفة » . ٠ لم نر في السنوات التي أعقبت الاحتلال البريطاني حتى اليوم ، أحدا ممن تولوا الحكم في مصر يوجه اهتمامه الى انتشار البلاء من هذا التأخر المعترف به من الجميع ، فهذه السنون تنقضى سريعا ٠٠ والفلاحون ما زالوا أسرى جهلهم وسذاجتهم والعمال طعمة سائغة لأصحاب الاعمال يأكلونهم لحما ويرمونهم عظما « (١) .

وهنا يتعين علينا أن نتوقف لنفأمل هذا الموقف الجديد من القضية الوطنية ، فهنا نلمس أن النضال ضد الاستعمار يتخذ طابعا طبقيا صرفا ورأس الحربة موجهة ضد الاستعمار الاجنبى والاستغلال المحلى معا وجنبا الى جنب ودون أى تفرقة . ٠

ورسام الكاريكاتير في المجلة يصور مصر كبقرة يحلبها أقطاعى وجون بول ينتظر نصيبه من الغنيمة وتحت الرسم (عبارة) « البقرة الحلوب بين الاقطاعيين المصريين والمستعمرين الانجليز » (٢) .

ولكى نفهم هذا الموقف يتعين علينا أن نعود بالذاكرة الى موقف اليسار العالمى في هذه الفترة . فمنذ عام ١٩٢٨ اتخذ الكومنترن في مؤتمره السادس موقفا يعلن أن البرجوازية الوطنية الصينية قد انتقلت وبصورة نهائية الى معسكر الثورة المعادية . ٠ وبصورة تلقائية انتقل تحليل الوضع في الصين الى مصر . ٠ وعومل الوعد معاملة الكومنتانج .

وهكذا فسر الصراع بين الوفد وصدقى وبين الوفد ومحمد محمود بأنه مجرد مسرحية وان « هذه المسرحية ذات الخصائص الفريدة تجرى من أجل متفرج واحد هو المندوب السامى البريطانى اللورد لويد . فان كلا من محمد محمود والنحاس باشا يحاول أن يقنع المندوب السامى البريطانى بأن حكم مصر ممكن فقط بواسطته هو شخصيا » . ويؤكد هذا الرأى أن انجلترا « باعمالها لنداءات الجماهير العريضة في مصر تعتمد أساسا على اعتقاد راسخ مؤداه أنه ما من جماعة من الجماعات السياسية المصرية تعارض معارضة حقيقية في استمرار السيطرة البريطانية » (٣) .

فاذا كانت « البرجوازية الوطنية » كلها قد ألفت بعلم الوطنية وارتفعت في أحضان الاستعمار فليس أمام الشيوعيين سوى الصراع الوطنى

١ - روح العصر ، ١٩ - ٥ - ١٩٣٠ .

٢ - روح العصر ، ١٨ - ٣ - ١٩٣٠ .

٣ - أ. الجبالى - مقال بلا مخرج - مجلة ريفولوسيونى فوستوك (الشرق

الثورى) عدد ١ عام ١٩٣٢ - ص ١٤٦ - (مترجم عن النص الروسى) .

من خلال الكتلة الثورية من العمال والفلاحين وحدها ..

وتنهج « روح العصر » هذا النهج ..

وتحت عنوان « دعونا من مهازل المفاوضات ، وتقدموا الى ميدان الكفاح » يكتب محمود حسنى العرابى قائلا « .. فلنبداً باعلان رفضنا للاستعمار ، واعلان الخصومة معه ، ثم نعمل على لم الصفوف وتوحيد الجهود المشتتة فتعمل مصر مجتمعة وموحدة ضد العدو » .

لكن « مصر » التى يريد العرابى توحيدها ضد الاستعمار هى مصر العمال والفلاحين وحدهم ، فهو يمتضى فى مقاله مطالباً بمطالبتين اثنتين :

« - أن تنظم الكتلة العاملة فى مصر ، فقراء الفلاحين فى حقولهم ، والعمال الاجراء فى نقاباتهم وتجمع النقابات فى اتحادات ، وتجعل صلة بين اتحاد العمال واتحاد الفلاحين . وتبث عن طريق الاتحادات بين أفراد الشعب روح البغضاء للاستعمار ، وتعمل على الهابها واذكائها حتى تخلق فى الشعب الوعى والاحساس ، ويومئذ يعرف الشعب أن يختار طريقه للخلاص . »

٢ - أن نمد يدنا الى الشعوب المستعبدة والننى مدت اليها غير مرة . ونقف معها جبهة موحدة ضد الاستعمار . ومتى ثم تأسيس عصبة شريفة قوية من البلاد المهضومة تبدلت الحال غير الحال ..

.. أما سياسة المفاوضات ، وسياسة حسن التفاهم ، أو سياسة الخنوع وسياسة الموت ، فسياسة جريئناها فأساءت اليها ..

.. وواجب كل مصرى مخلص ، ذى كرامة ، أن يعلن التحول عنها الى سياسة الاقدام والعمل ، فالى الميدان « (١) » .

وفى عدد تال يكتب العرابى أيضا تحت عنوان « سياسة الموائد لا تجدى لنكن سياستنا سياسة الاستعداد والتحفظ » (٢) .

لكن الموقف من القضية الوطنية ، ومن الاحزاب السياسية المتصارعة فى الحقل الوطنى يتضح تماما من تعليق « روح العصر » على مجزرة المنصورة « كان أمس الاول موعد زيارة النحاس باشا للمنصورة ، فوضعت الحكومة العقبات فى سبيل رحيله . فتحداه الباشا ، وكان أن التحم الشعب والبوليس والجيش فى معركة انجلت عن ٦ قتلى و ١٤٥ جريحا . والوفد

١ - روح العصر ، ٣٠ - ٥ - ١٩٣٠ .

٢ - روح العصر ، ٦ - ٦ - ١٩٣٠ .

ومعه الاغلبية الساحقة يلقى تبعة هذه المجزرة على سلوك الحكومة ، وتلقى الحكومة ومعها الجيش والبوليس التبعة على سلوك الرعاع .
 شبهات حزبية تسال فيها الدماء البريئة . والمسئولون آمنون مطمئنون .
 « تلك غمة نرجو ان تنكشف عن هذا الشعب قريبا » (١) .

انه موقف شبيه بذلك الموقف الذى انتقده الكومنترن فيما بعد عندما دعا الحزب الشيوعى عمال العنابر المضربين ضد أعمال صدقى التعمسقية الى أن « يدعوا البرجوازيين يتصارعون فيما بينهم » متجاهلا بذلك المغزى الثورى لحركة الوف العمال المضربين ضد القهر والديكتاتورية .

وعلى أية حال فان موقف « روح العصر » لم يكن سوى امتداد لخطا عام وقع فيه اليسار العالمى كله عندما عمم تجربة الصين وخيانة الكومنتانج فيها على كل البرجوازيات الوطنية ومن ثم فقد حدد واجب الشيوعيين فى المستعمرات من الدرجة الثانية مثل الصين ومصر « بالسعى لتأسيس كتلة ثورية من العمال والبرجوازية الصغيرة (صغار ومتوسضى الفلاحين) » (٢) متجاهلا بذلك الدور الوطنى لقطاعات هامة من البرجوازية الوطنية .

وبطبيعة الحال فقد اقترن النظر للقضية الوطنية من خلال فكرة تقوى بخيانة كل البرجوازيات وتخليها عن القضية الوطنية ، بجملة طبقية ضاربة ضد الاغنياء وضد الراسمالين والاقطاعيين المصريين والاجانب على السواء .
 ولقد اعلنت « روح العصر » منذ اليوم الاول مؤمنا صريحا ضد الاغنياء . . والى جانب العمال والفلاحين . .

وانتامل انتقاحية العدد الاول . . « امنية طالما جالت بخاطر الكثيرين ممن أتتحت لهم أن يرو بلادا غير هذا البلد ، تعيش حقا فى سؤدد ، باللغة من الرقى ذراه ، أن يكون لهم صحيفة يصارحون فيها مصر وأهلها القول من غير مراهنة أو خداع ولو بدافع عامل المنفعة الذاتية الذى تملئ على الأقلام ما لا تؤمن به القلوب فى أعماقها ، ولا سعيها وراء ارضاء طبقة قوية ذات سلطان أو استغلال فئة أخرى عديمة العون .

تلك امنية آن لها أن تخرج من حيز التمنى الى حقيقة الوجود . ولذا

فانفسا نتقدم بصحيفتنا « روح العصر » الى الشعب المصرى ، وقد اتخذت
لهما عن الاسس ما سلف ذكره .

على هذه الاسس ستسير هذه الصحيفة محاولة أن تبين الطريق
السوى نحو الرنعة الحقيقية لمصر وأهلها .

ان من الحقائق الثابتة ان حظ أى بلد ما من الرقى ، يتعلق تعلقا كليا
بما عليه حال سواده الأعظم من رغد العيش والتثذيب والثقافة ، فليس
يكفى أن يكون ثمة بضع آلاف من المصريين يسكنون القصور ، ويقتنون
السيارات الفخمة ، ويرتدون الحلى وبهيج الثياب ، ويجيدون التكلم
بالفرنسية أو بأية لغة أجنبية أخرى ، ثم هم بعد ذلك قد يكونون على
علم وفهم ببعض الفنون الجميلة . . . ليس يكفى هذا لكى يقال عن مصر انها
بلد متحضر . . . لن تكون مصر بلدا محترما له مكانته حتى يختفى من بين
سكانها حفاة الاقدام ، خاوى البطون ، رثو الثياب ، متوسدوا الارض
وملتحفوا السماء ، قاطنوا الاكواخ الطين ومواشيهم صحبة ، الاميون الجاهلون
الباهون على سذاجة الفطرة وقسوتها .

هكذا تمضى « روح العصر » على نفس الخط السابق فاذا كان الاستقلال
الوطنى يتعين النظر اليه من خلال منظار طبقى . . . محتواه الاساسى العمال
والفلاحين فان « كرامة مصر واحترامها » يتطلبان أولا وقبل كل شئ
الدفاع عن العمال والفلاحين ومنحهم حقوقهم .

وتمضى الافتتاحية « أجل لن تصبح مصر بلدا ذا مكانة محترمة ، ما لم
يقبل فلاحوها وعمالها من وهنتهم السحيقة الى صفوف البشر ، فلا فقر
مدقع ولا جهل مطبق ، ولا استغلال يبلغ حد الاستعباد .

هذا هو برنامجنا الذى جعلنا « روح العصر » داعية له ، نعاهد أن
نثبت عليه راجين أن لا يطول بنا العهد حتى نراه محققا » (١) .

وفي مقال بعنوان « حل الفقر ضرورى ؟ » يقتحم العرابى ميدان
الحقيقة قائلا : « ان كان العقل يسمح بانقار تلك الاكثرية لهذه الاقلية
فما لا يمكن لعقل أن يتصوره أو يقول به حالة واحدة يجوز فيها ذلك
المنطق المقلوب وهى تنطبق على حالنا ؟ . . . وتلك هى عندما تحتكر الاقلية
موارد الثروة بأية وسيلة من الوسائل فيصير الانتاج غاية فى نفسه أو وسيلة
للفوز السياسى بدلا من أن يكون وسيلة للتقويات ، أو بعبارة أوضح عندما
يكون الانتاج للسوق لا لسد حاجات الجمعية عندئذ نفهم جميعا أن الفقر

ومن الحديث عن الفقر . وتحليل أسبابه الموضعية ، الى الدعوة صراحة للاشتراكية ومحاولة شرحها وشرح مبادئها الاساسية .

والحقيقة أن « روح العصر » التي كانت تستمتع عادة بتسمية نفسها « الصحيفة الاشتراكية الوحيدة في الشرق » قد جعلت من نفسها مدرسة لشرح وتقديم المبادئ الاساسية للفكر الاشتراكي . .

ومنذ العدد الاول يقدم عصام ناصف مقاله الشهير « بما هي الاشتراكية ، ويقدم اجابة مباشرة ومحددة :

« الاشتراكية هي نظام اقتصادي واجتماعي يراد به :

١ - منع الانسان من استبعاد الآخرين أو استغلال مجهوداتهم ، فإذ يسمح لرجل أن يملك مصنعا يستخدم مئات العمال يتحتم في أرواقهم ولكن يسمح له بامتلاك منزل صغير لسكنه .

٢ - منع الافراد والشركات الرأسمالية من التحكم في كمية المحاصيل الزراعية والصناعية وفي تقرير ثمنها - وقد رأينا في مصر كيف كانت شركات زيت البترول ترفع ثمنه مدة الحرب وما بعدها بدون مسوغ كما أن شركات الدخان والادوية الطبية وغيرها تتحد لتكون نوعا من الاحتكار حتى تستطيع ان تفرض ارادتها على الجمهور وذلك لا يتأتى الا بجعل وسائل الانتاج ملكا لامة تديرها الحكومة أو المجالس البلدية أو النقابات التعاونية .

٣ - منع الاستعمار والحروب التي تنشأ من الرغبة في الاستعمار . ان الشركات تنتج من المحاصيل كميات هائلة جدا ، ثم لا تجد لها شاربيا فتكدسها في مخازنها ثم تأخذ في عمل الوسائل الفعالة لحمل حكوماتها على استعمار قطر ضعيف كمصر والسودان ، ثم تستعمل الحكومة الانجليزية نفوذها لحمل حكومتنا على شراء معظم مشترواتها (كالنحم وعربات السكة الحديدية والأسلحة وأدوات الكتابة) من المعامل الانجليزية رغم ارتفاع الأثمان التي تباع بها . لقد خسرت مصر عشرات الملايين من الجنيهات في هذا السبيل ، وهو مبلغ ضخم كنا نستطيع توفيره لو كان النظام الاشتراكي متبعاً في انتاج البضائع الانجليزية .

٤ - منع الحروب التي تنشأ من التنافس التجاري ، فان الحرب

العظمى التى قتل فيها ملايين الشبان ممن لا ذنب لهم والتى صرفت فيها الدول ألوف الملايين من الجنيهات ، هذه الحرب نشأت بسبب التنافس التجارى بين الدول . . .

٥ - تقليل تكاليف الانتاج . فإذا كانت الاراضى الزراعية التى فى مصر تستثمر كلها على الطريقة الاشتراكية فان وابورات الحرث وماكينات الدراس وغيرها تحل محل المحراث البلدى والنورج فتقل تكاليف حرث الفدان فى المرة الواحدة من ٧٩ قرشا الى ١٥ أو ٢٠ قرشا فقط .

وينشأ من ذلك أنه يمكن للزراعة أن تستغنى عن عدد من عمالها فيشتغل بعضهم فى بناء منازل صحية للفلاحين وانشاء طرقات جميلة فى القرى ومسارح للتمثيل ومدارس ومستشفيات ودور للكتب وغير ذلك مما تجعل الاقامة فى القرى سارة ، هنية ، ويعمل البعض فى المصانع لانتاج كمية عظيمة من الادوات الضرورية والكمالية حتى لا يحرم منها عامل ولا فلاح .

وهكذا تمضى محاولة « ناصف » الذكية فى تناول الفكر الاشتراكى من منطلقات تهيم المواطن المصرى وترتبط ارتباطا وثيقا بمصالحه وبمشاكل حياته اليومية . .

والى جانب العديد من المقالات الماثلة قدمت « روح العصر » شرحا دقيقا وجيدا لافكار « مشاهير الاشتراكيين » لاسال ، أوين ، سان سيمون ، فورييه ، كارل ماركس .

وقد نشرت هذه المقالات بتوقيع « مؤرخ اشتراكى » ووفقا لرواية القاضى ، فى محضر النقاش معه ، فانه كاتب هذه السلسلة من الدارسات .

وابتداء من العدد ١٤ بدأت « روح العصر » فى نشر الترجمة الكاملة لكتاب ماركس « العمل المؤجر ورأس المال » وقد ترجمه د. القاضى ، ونشر فى خمس أعداد متتالية : ما الذى يحدد ثمن البضاعة (العدد ١٥) ، ما هى نفقات انتاج العمل نفسه (العدد ١٦) ، ما هو نمو رأس المال المنتج (العدد ١٧) ، كيف يؤثر نمو رأس المال المنتج فى أجر العامل (العدد ١٩) .

وفى العدد ١٨ مقال هام عن حياة لينين (١) ، كذلك نشرت المجلة دراسة لماركس بعنوان « المادية التاريخية » (٢) . وفتحت صفحاتها أمام اجتهادات شابة فى مجال الدراسة النظرية ، فنشرت فى باب رسائل القراء

١ - روح العصر ، ١٣ - ٦ - ١٩٣٠

٢ - روح العصر ، ٩ - ٥ - ١٩٣٠

مقالاً بعنوان « الاشتراكية من الطوبى الى الحقائق المادية » بتوقيع ح . حسن جاء فيه « مما تقدم نرى أن ظهور الاشتراكية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين وانتشارها في العالم تركز على حقائق مادية وليست آراء خيالية كما يتصورها البعض في مصر . وخصوصاً بعد التحليل المادى والاقتصادى اللذين قام بهما أقطاب الحركة الاشتراكية امثال كارل ماركس وفريدريك انجلز وغيرهما فانهم وضعوا الآراء الاشتراكية في صيغتها العلمية وأثبتوا للعالم أن النظام الرأسمالى لا يناسب العصر الحاضر ، كما وأن النظام الاقطاعى والملكية المطلقة لا تناسب عصر الرأسمالية . إذا وسنبين في مثال آخر آراء هؤلاء الزعماء » (١) .

وفي عددهما الأخير تقدم « روح العصر » باباً جديداً بعنوان « كيف صرت اشتراكياً ؟ » تقول في مقدمته انها سوف ترحه هذا السؤال للمفكرين والمناضلين الاشتراكيين المصريين وتطلب اليهم أن يحددوا على صفحاتها الدوافع التى وجهتهم نحو النضال الاشتراكى .

والتحدث الاول - والاخير - في هذا الباب وقع حينئذ بكلمة « هو » لكن سياق السرد يوحى بأنه محمود حسنى العربى .

فكيف أصبح « هو » أو « محمود حسنى العربى » اشتراكياً ؟

انه يروى كيف عاش في ريف مصر ورأى « ان أصحاب الاملاك كلهم يستحلون عرق هؤلاء الفلاحين ويسخرونها كالماشية لخدمتهم وانهم يستنفدون دماءهم قطرة قطرة وعرقهم نقطة نقطة على مر الايام .

وانتهت العطلة المدرسية وانتقلت الى الاسكندرية وكان عام ١٩١٤ ، وفي أواخر هذا العام تعرفت بجندى انجليزى اسمه فكتور شتن ، وكان شتن هذا أديباً ضليعاً واشتراكياً مذهباً . . وعلمنى أن أرد الحوادث مهما اختلفت الى الاصول الاقتصادية لا الى الاصول الروحية كالاديان وجاءنى بعدة رسائل في الموضوع ، وتدرج معى فأمدنى بكتب مختلفة » (٢) .

وهكذا يمكن القول بأن ما قاله د . القاضى في محضر النقاش معه أن « روح العصر » كانت مدرسة للفكر الاشتراكى لم يكن بعيداً عن الصواب . وقد حرصت « روح العصر » أن تربط معركتها ، بمعركة كل القسوى الاشتراكية والديمقراطية في العالم مبرزة بصورة واضحة أهمية « التضامن الأسمى » في المعارك ضد الاستعمار ورأس المال والخطر الفاشستى .

١ - روح العصر ، ١٤ - ٣ - ١٩٣٠ .

٢ - روح العصر ، ٨ - ٨ - ١٩٣٠ .

فنداءات الاشتراكيين الفرنسيين بمناسبة عيد أول مايو ١٩٣٠ ، وقرار مؤتمر مكتبي دولية العمال الاشتراكيين ودولية النقابات الذي صدر بباريس في اجتماع ٧ مارس ١٩٣٠ وبيان سكرتارية اتحاد النقابات الدولي بأستردام بمناسبة أول مايو ، وقرارات مؤتمر الطلبة الاشتراكيين بستراسبورج ، ومقالات جان جوريس عن اشتراكية المستقبل القريب ٠٠ تجد جميعا - هي والكثير غيرها - مكانا متاحا لها على صفحات « روح العصر » .

وعندما توجه « روح العصر » نداءها لعمال مصر بمناسبة عيد مايو فانها تبدأه قائلة « أيها العمال : لقد آن لكم أن تترسموا خطوات اخوانكم العمال في أوروبا وأمريكا فتسندوهم من أعمالكم في أول مايو عيد العمال الدولي .. »

أيها العمال : اجتمعوا في هذا العيد العظيم وقرروا كما قرر اخوانكم العمال في كل العالم مطالبة الحكومة بحمايتكم من ارهاق أصحاب الاعمال . وليعلم الجميع ان في مصر عمالا يشعرون بما يشعر به كل عمال العالم من أن لهم كل الحق في أن يعيشوا بكرامتهم وكونهم ، وجانبهم عزيزا وحقيهم مؤيدا منصورا .

ليحيا أول مايو . ليحيا عيد العمال الدولي « (١) » .

وفي برنامج حزب العمال والفلاحين الذي نشرته « روح العصر » نجد فقرة تقول « القيسام بنشر الدعوة لاطهار بشاعة الحروب الاستعمارية ، وغرس روح الاخاء الشعبي بين الامة » (٢) .

كذلك اهتمت « روح العصر » بالدفاع عن التجربة السوفيتية وابرار نجاحاتها وانجازاتها . وفي مقاله الشهير « ما هي الاشتراكية ؟ » نلاحظ حرص « عصام الدين ناصف » على أن يقارن دوما بين العمال في مصر وتدهور أحوال معيشتهم وبين المنجزات التي تحققت من أجل العمال في الاتحاد السوفيتي .

وعندما اشتدت حملة العداء للاتحاد السوفيتي متسترة خلف ما أسمته بالاضطهاد الديني تكتب « روح العصر » قائلة « أفاضت التلغرافات العامة في ذكر الاضطهاد الديني في روسيا السوفيتية فشمنا رائحة الدعاية السياسية بين سطور هذه البرقيات ، ولم نشأ أن نعلق حتى جاءنا البريد الأوروبي فأرئنا صحف الاحرار والعمال طامحة بالرد على هذه الدعاية » (٣)

١ - روح العصر ، ٢ - ٥ - ١٩٣٠

٢ - روح العصر ، ٦٠ - ٦ - ١٩٣٠

٣ - روح العصر ، ١٤ - ٣ - ١٩٣٠

وكانت صفحة القصة في « روح العصر » مخصصة في أغلب الأحيان لنشر قصص من نوع « أنشودة الصقر - للكاتب الروسي الأشهر مكسيم جوركي . عن الشيطان لمكسيم جوركي ، عيد ميلاد وحفلة زفاف بقلم القصصى الروسى الكبير نيدور ديستوفسكى اضراب في نابولى لمكسيم جوركى . الخ » .

على انه يتعين علينا ان نشير هنا الى بعض الملامح « التروتسكية » التى برزت سريعا ثم اختفت سريعا أيضا على صفحات « روح العصر » . ودلينا على ذلك مقال وحيد نشر فى العدد الاول بغير توقيع بعنوان « من هو بنايىنى استراتى ؟ » جاء فيه « كان بنايىنى استراتى اذ ذاك من اشد أنصار الحركة الشيوعية فى روسيا والعالم فهو بطبيعته الشعرية ميل للتطرف ونزاع للمثل الأعلى فى الإصلاحات الاجتماعية وله فى ذلك مقالات ملتجة نشرتها مجلة « أوربا » الفرنسية .

هذا الرجل الذى قضى حياته محترفا شتى المهن مختبرا الجوع والفاقة والعمل ، لم يطق ان يرى النظام الديكتاتورى يقوم فى روسيا ولو فى سبيل تأييد الشيوعية التى ينادى بها ، ورغبة منه فى تعرف جو الحال هناك سافر بنفسه ودرس أحوالها وعاد منها ناقما على سلطة البيروقراطية التى جعلت من الحزب الشيوعى الحكم الوحيد فى روسيا ، وكتب فى ذلك سلسلة كتب غنية يؤيد فيها نزعة تروتسكى المتطرفة فهو ليس كما قالت « الاهرام » كاتباً كان شيوعيا فيما مضى ، ولكنه على النقيض شيوعى كامل الايمان بفكرته لا يعرب الحل الوسط . . . وانا متى ادرکنا ان النظام فى روسيا يسير شيئا فشيئا ونفى تعاليم تروتسكى ، ورغبة فى تنفيذها مع مرور الزمن لا يمكننا الا ان نقول ان أولئك الناس جميعا انما تجمعهم فكرة واحدة وغاية واحدة وايمان واحد . مهما اختلفت السبل وتنوعت الوسائل » (١) .

ولقد لفت هذا المقال نظرى ، كما لفت نظرى انه كان من بين المضبوطات التى ادرجتها النيابة فى قرار اتهام لقضية اتهم فيها عصام الدين حنفى ناصف أصول مقالات لتروتسكى مترجمة الى العربية (٢) .

وأدرت حوارا ممتدا مع عصام ناصف - قبل وفاته بقليل - حول هذه المسألة ونفى عصام عن نفسه اية نزعة تروتسكية « حقيقية » وقال « ربما استهوانا الامر لبعض الوقت - وربما كانت لدينا مجرد الرغبة فى تعرف أسرار وحقائق هذا الخلاف ، لكننى لم اكن تروتسكيا مطلقا » .

(١) روح العصر ، ١٤-٢-١٩٣٠ .

(٢) ملف القضية رقم ٣٤٤ كللى ١٩٣١ جنايات الاسكندرية .

كذلك يتعين علينا ان نشير الى ان « روح العصر » كانت أول صحيفة
مصرية تحذر من خطر الفاشية وتدعو للنضال ضدها .. وعلى صفحاتها نجد
مقالات عديدة ضد الفاشية مثل « من هو نوردين شهيد الفاشيستية » (١)
و « ديكتاتورية الفاشيزم وما جرفته على ايطاليا من البلوى » (٢) .

* * *

وكانت « روح العصر » تعتبر ان قضية العمال هي المحور الاساسى
لكفاحها ومن هنا فقد خصصت الكثير من صفحاتها للحديث عن مشاكلهم وحثهم
على النضال من اجل تحقيق ظروف افضل لمعيشتهم، واهم من هذا كله حثهم
على ضرورة اتخاذ مواقف طبقية متميزة فى مختلف المسائل ، وتأكيدا الدائب
على ضرورة قيام حزب اشتراكى يدافع عن مطالب العمال والفلاحين .

واذا التينا نظرة على العدد الاول من « روح العصر » نجد الموضوعات
العمالية التالية : تاريخ النقابات فى انجلترا ، نقابة عمال الحرذية ، نقابة
عمال المطابع ، عمال المسجائر ، التعريفية الجمركية ، تشريع العمال فى مصر ..
فى يونيو القادم يقطع اربعة أعوام فى البرلمان ، فى دوائر العمل ، اضراب عمال
العنابر ، نقابة عمال وسائقى السيارات تقيم حفلتها السنوية الاولى
، السنخ » (٢) .

ويمكن القول باطمنان الى ان كل اعداد « روح العصر » قد نهجت هذا
النهج فى التركيز على المطالب والنشاطات العمالية .

كذلك فقد افسحت « روح العصر » صفحاتها امام النقابيين المصريين .
مثل سيد قنديل الذى كتب عديدا من المقالات والازجال ، وطلبة محمد طلحة ،
واحمد اسماعيل ومحمد ابراهيم زين الدين الذى كتب مقالا بعنوان « صور
مظلمة - العمال العاطون فى مصر ، حياتهم وكيف يعيشون » (٤) .

والحقيقة ان العمال المصريين قد أثبتوا على صفحات « روح العصر »
وعيا طبقيا وفكريا راقيا ... وشجاعة نادرة فى الدفاع عن الاشتراكية وفى
التأكيد على انها السبيل الوحيد لنيل مطالبهم العادلة .

فسيد بدوى قنديل يكتب مقالا ممتازا بعنوان « الانسانية يجب ان
تسود العالم - نريد حياة غير هذه » (٥) . وفى مقال آخر يروى لنا سيد قنديل

(١) روح العصر ، ٢١-٢-١٩٣٠ .

(٢) روح العصر ، ٨-٨-١٩٣٠ .

(٣) روح العصر ، ١٤-٢-١٩٣٠ .

(٤) روح العصر ، ٢٥-٧-١٩٣٠ .

(٥) روح العصر ، ٢٠-٥-١٩٣٠ .

محنة المناضل العمالي الاشتراكي عندما يحاول ان يقول كلمته دفاعا عن
ذليقته ومبادئه .

« كيف تكون اشتراكي . ولماذا ؟ » هذا هو عنوان المقال اما الاجابة
فهى تصوير للمعاناة التى عاناها الكاتب وهو ينفذ الكلمات خوفا - لا على
نفسه وانما على الجريدة من ان تغلق - ولنتامل تصوير سيد قنديل لمعاناة
هذه فهى صورة بالغة الاعمى لانها توضح لنا طبيعة المعركة التى كانت
تخوضها صحفانة اليسار فى ذلك الحين . . يقول العامل المناضل سيد قنديل
« سؤال وجبته الى نفسى حينما كنت اكتب فى جريدتى (الاخبار)
و « النظام » مقالات متتالية خصصت كثيرا منها عن العمال فى مصر ، ولكنى لما
كنت ابيع لقمى الصغير ان يطالع القراء - خصوصا ساداتنا الحاقدين على
ما يظنونهم (ضارا بمصالحهم) ! بكل ما كان يجيش فى صدرى من كلمات
كنت أعتقدهما حقا وصراحة ، فى حين كانوا يعتقدونها هم ثورة ! وخروج على
الانظمة ! واشتراكية ، بل وليست فقط اشتراكية وانما اشتراكية (ثائرة) .

ولطالما كنت أكتب وامزق . وهكذا ساعات دون ان انتهى الى ما اريد
ان اكتب فى أسلوب لا يشتم منه رائحة يتمسكون بها حجة على تطرى
- حسب اعتادهم - وما ذلك رهبة ولا فزعا ، وانما ضنا على الجريدة من
ان تسال من أجل مقال هو على الرغم من ان ما يجىء به حق . فهو فى عرب
(ساداتنا) خروجا على شريعتهم التى سنوها لانفسهم - ونحن زاعمين انها
خروج على انظمتهم التى نحن بها مضطهدين » .

ثم يمضى سيد قنديل داعيا العمال والفلاحين الى الوحدة ذلك ان الوحدة
« عنوان اشتراكيتنا » وحيث تكلمنا عن الاشتراكية - وهذا وقتها - فليكن
منا اشخاص عاملين لها بكل قواهم . باذلين فى سبيلها جميع جهودهم .
لا يرميهم غير صوت الحق ولا يقعد بهم ما يلاقوه من عسف وجور « ثم ان
يطالب بعدد من المطالب العاجلة من بينها :

« ضم صوتنا لصوت اخواننا الاشتراكيين فى بلدان العالم ، وعلى
الاخص العاطفين علينا منهم فى الشرق - مطالبة الحكومة بسرعة سن وطبع
تشريع العمال وضرورة سن تشريعات تحميننا من عسف المولدين وأصحاب
الاعمال خصوصا وأن غالبهم من الاجانب » (١) .

وفى النداء الذى وجهته « روح العصر » الى العمال المصريين قالت
« انكم فى حاجة ماسة الى اسماع اولى الامر وأصحاب الاعمال ظلامتكم ،

وكَلِّمًا كَانَ هَذَا الصَّوْتُ قَوِيًّا وَاجْمَاعِيًّا سَيَنْتَبِهُونَ إِلَيْكُمْ وَيَسِيرُونَ أَنْفُسَهُمْ أَمَامَ
اجْمَاعِكُمْ أَنْكُمْ عَلَى حَقٍّ فِي مَطَالِبِكُمُ الْعَادِلَةِ .

أيها العمال : طالبوا بحَقِّكم في أن لا تعملوا أكثر من ثَمَانِي سَاعَاتٍ .
طالبوا بحَقِّكم في زيادة الأجور . طالبوا بحَقِّكم في ضمان العجز والعطَّل ،
وطالبوا بحَقِّكم في بناء مساكن تؤوِّيكم ومِدارِس تُتَعَلِّمُونَ غِيَابًا أَنْتُمْ وَأَوْلَادُكُمْ
وَمُسْتَشْفِيَّاتُ تَعَالَجُكُمْ » (١) .

وتعليقًا على كتاب « حركات العمال بمصر في ربع قرن » لاجمَدِ افندي
اسماعيل تكتب « روح العصر » : « وتناولنا الجزء الثاني فوجدنا المؤلف قد
ركب رأسه في تاريخ حركة النقابات في مصر فأغفل الدور الذي لعبته النقابات
في القطر المصري سَنَى ١٩٢١ - ١٩٢٤ في الاسكندرية . . . وتكلم كثيرا عن
عبد الرحمن بك ذمهمي ونسب اليه أفضالا لا نعرف لها أصلا بل هي على خلاف
ما هو متداول عن البك وحرام على المؤلف أن يسجل في تاريخ العمال المصريين
زعامة هذا البك وقد كانت زعامة صورية دخلها عليه سعد باشا لامور معلومة
في دوائر العمل » .

كذلك حاولت « روح العصر » أن تتناقص أوضاع الحركة النقابية
وأفاتها وامكانيات تأسيس اتحاد عام للعمال . . . وأيضا إمكانيات تأسيس
حزب عمالي اشتراكي . . من خلال مقابلات صحفية أجراها حسني العرابي
مع مستشاري نقابات العمال . . تحت عنوان « آراء مستشاري النقابات
في نهضة العمال المصريين » .

وفي حديث مع « حسن افندي نافع رئيس لجنة تشريع العمال في
البرلمان ومستشار بعض النقابات » .

يسأل العرابي : « ألا تلاحظون معي أن العمال عندما يتولون الوفد
الحكومة ينشطون في لم شملهم ثم لا تطول هذه الحال ويأخذون في
الاضمحلال ؟ فهل تعلقون لنا سبب ذلك ، وهل سيتجدد هذا في عهد الوزارة
الحاضرة ؟

والجواب : يعتبر العمال الوزارات الوفدية كأب لهم يقدر على كبل
مطالبهم فعندما تتألف وزارة وفدية دستورية (لأن الوفد لم يؤلف وزارة غير
دستورية) يزحمونه بمطالبهم الممكنة وغير الممكنة ، ثم لا يطول العهد
بالوزارة الوفدية فلا يتحقق للعمال مطلب . . . » .

(١) روح العصر ، ٢-٥-١٩٣٠ .

وبعد « ثعريه » دور الوفد تجاه الطبقة العاملة ومطالبها ، ، يأتي سؤال حاسم ..

« س : هل ترون من الصالح تأليف حزب اشتراكي في مصر ، وان شئت فسمه حزب عمال ؟ واذا كان كذلك فمتى يحسن القيام بهذه الدعوة ؟

ج : عندي انه لو حل ما بيننا وبين الانجليز من اشاكل بامضاء المعاهدة وبقي المجلس النيابي خمسة أعوام لابد وانه ستنشأ احزاب اجتماعية بطبيعة الحال ، واما الان فكل حزب يتألف يفت في القضية الوطنية وتتوجه اليه الشبهة » (١) .

لكن هذه الاجابة « الوفدية » لم تمنع العربي من ان يوجه نفس السؤال لمشتشار نقابى آخر هو زهير صبرى .

« س : متى يحسن الدعوة لانشاء حزب عمال في مصر ؟

ج : هذا يتوقف على الموقف السياسى ، ولا استطيع ان اذكهن بالزمان . غير انى استطيع ان اقول ان روح الحزب موجودة اليوم . وافضل ما اشير به الان السعى في تقوية النقابات » (٢) .

غير ان الوقت لا يطول بزوح العصر ، فان مثل هذه الاسئلة لم تكن سوى مقدمة لعمل تعد له المجموعة التى تصدرها . . . وهو تاسيس حزب للعمال والفلاحين . . .

وفى العدد ١٧ تنشر « روح العصر » برنامجا لحزب العمال والفلاحين وتنتشر مقدمة له بقلم اسماعيل مظهر . . .

« جاءنا من اللجنة التحضيرية لحزب العمال والفلاحين ما يأتى . اعلنت منذ بضعة اسابيع عن ضرورة انشاء حزب لالاخذ بناصر الفلاح المصرى واقترحت له برنامجا نشرته في مجلة « العصور » وفى بعض الصحف اليومية ، فكتب لى الكثيرون يحبذون تكوين هذا الحزب ويبترحون تعديل بعض مواده . ثم ناقشت الكثير من المفكرين والمهتمين بشئون الطبقة العاملة في هذه التعديلات ، وانتهينا الى وضع هذا البرنامج الذى نذيعه الان لنعطى فرصة اخرى لكل من يود ان يقترح تعديلا جديدا ونأمل من كل من يهمه امر العمال والفلاحين ان يببى لنا ما يعن له من الآراء فى هذا الشأن ، حتى نببحثها قبل التكوين النهائى للحزب فى اواخر هذا الشهر » .

(١) روح العصر ، ٢١-٢-١٩٣٠ .

(٢) روح العصر ، ٢٨-٢-١٩٣٠ .

وواضح من استقراء بنود البرنامج ان بصمات عصام ناصف قد غيرت
تماما من البرنامج الذى اقترحه اسماعيل مظهر وحولته من برنامج متخلف الى
برنامج تقدمى تماما ..

وتمضى بنود البرنامج المقترح ..

« الاغراض :

١ - الاستقلال التام لمصر والسودان وأن تكون قناة السويس مصرية .
٢ - القضاء على الاستعمار البريطانى ، وكافة الفزعات الاستعمارية
فى جميع بلدان العالم .

٣ - تحرير الطبقات العاملة فى مصر من عمال وفلاحين ، مع تقليل
الفوارق بين الطبقات الاجتماعية ، وجعل هذه الفوارق قائمة على اساس
الاجتهاد والمنفعة للمجتمع ..

٤ - بث الافكار الديمقراطية وروح المساواة العامة فى الشعب » .

ثم بعد ذلك المبادئ وعددها ثلاثون بندا .. من بينها التكاتف مع
الامم المستعبدة ولا سيما الامم الشرقية والعربية على محاربة الاستعمار
- الغاء الامتيازات الاجنبية بدون قيد ولا شرط - سن قوانين لتحديد
هجرة الاجانب الى مصر - فرض ضرائب جمركية خاصة على الكماليات ومواد
الزخرف والرفاهية - نشر الثقافة ومحاربة الامية وفتح مدارس ليلية للطبقات
العاملة - قيام الحكومة باصلاح اراضيها البور وتوزيعها على صغار المزارعين -
فرض ضرائب متدرجة على الدخل والميراث - المساواة بين الرجل والمرأة فى
الحقوق السياسية والاجتماعية .. الغاء الرتب والانياسين - جعل التعليم
مجانيا بجميع درجاته - منع تعدد الزوجات - تحديد الملكية الزراعية ...
الخ « (١) .



وتستمر « روح العصر » فى معركة متصلة .. وتعانى من مؤامرات
عديدة ، اشدها خطرا تأمر متعهد التوزيع مع البوليس لمنع توزيعها فى
الاسواق ..

وتوجه « روح العصر » نداءات صارخة لقراءها « الاشتراك فى جريدة
« روح العصر » هو الوسيلة الوحيدة لضمان وصولها ، وواجب الشجب

(١) روح العصر ، ٦-٦-١٩٣٠ .

الاشتراكي ترويجها بكل الوسائل بين اهله ورعاقه « (١) »
وتعاني « روح العصر » من ازمة مالية خطيرة استنفذت كل مدخرات
الثالث فافلسوا جميعا . .

لكن التوقف عن الصدور كارثة . . وقاوم الثلاثة قدر استطاعتهم حتى
آخر قرش يملكونه ولا زال المأزق قائما . .

واقترح عصام الدين ناصف التوقف عن الصدور على طريقة « الهارى
كارى » وذلك بتجدي السلطة تجديدا شديدا والهجوم عليها بكل القسوة
الممكنة ، وذلك لاجبارها على اصدار قرار باغلاق المجلة . .

ويصدر العدد ٢٤ . . آخر أعداد « روح العصر » بمقال عنيف بعنوان
« الوزارة الطاغية » قالت فيه :

« كل يوم تريننا الليالى خلقا من ابى سعيد جديدا »

فى كل يوم يزيع صاحب الدولة صدقى باشا بيديه القناع عن وجهه
شبيها فشيئا ، حتى انكشف وجه الباشا من تحت ذلك البرقع الملهل او كاد ،
فانكشف عن سحنة متنمرة مرسوم عليها البطش والغضب .

وما هو اليوم يقف امام الشعب وجهها لوجهه يسومعه كل انواع
الاضطهادات ، ويتجنى عليه الاتام ، ويرميه بكل نكراء ، ويسوط ظهوره على
ذنوب لا وجود لها الا فى مخيلة الباشا فهل تطول « هذه الحال وهل فى الطاقم
الصبر عليها » .

ثم يمضى المقال او « الهارى كارى » قائلا « . . عذبة الوزارة يشدد طغيانها
يوما عن يوم ، ولو طال عمرها فستخلق نظاما فى مصر يشبه نظام الفاشست
فى ايطاليا ، نظاما يقوم على العسكرية او الليشيا فتقتل الكفايات وتخنق
الحريات وتتفشى الجاسوسية ، فلا بد من مكافحتها فى المهد حتى تنقص
اظرفها وتقل حدتها . . فمسايرتها فى خطتها اجرام ليس بعده اجرام .
ونقدها وتعدد اخطائها واجب على الافراد والجماعات فلتتعاون كل القوى
مصر على خضد شوكتها قبل ان يتمكن لها فى البلاد فيستعصى الداء ويعز
الدواء .

وإذا اتحدت قوى البلاد على امر غايب في العالم قوة يمكنها ان تقف في طريقها « (١) » .

والتوقيع « م . ح . ع » وهو محمود حسنى العرابى . .

وفكرة « الهارى كارى » ليست ممنتجة من عنف المقال في العدد الاخير . . ولكنها وردت في مناقشة مع عصام الدين ناصف .

« . . وأحسبنا أننا نغلس وأفلسنا فعلا ، وبدلاً من أن نغلق المجلة بأيدينا حاجمنا الحكومة بشدة وعنفة ، فاجتمع مجلس الوزراء وأصدر قراراً بإغلاق المجلة » (٢) .

ويقول د . عبد الفتاح القاضى « لما أغلق اسماعيل صدقى المجلة . . كنا أفلسنا في الحقيقة ، أنا أفلسنا وحسنى العرابى أفلس . . حتى انى اضطررت الى الاقتراض لاسافر للخارج للعلاج . وبعد اغلاق المجلة ظل البوليس يطارد حسنى العرابى ويستجوب كل شخص يقابله حتى اضطره الى الهجرة من مصر » (٢) .

ولما كانت « الهارى كارى » محاولة غير مضمونة النتائج . . فقد احتاطت الجماعة كى لا تضطر سريعاً لاصدار عدد تال . . وهى لا تملك مليماً واحداً لاصداره . . فكتبت في العدد الاخير . .

« روح العصر » تصدر مرة في كل أسبوعين طوال شهرى أغسطس وسبتمبر نظراً لسفر بعض المحررين الى مصايف القطر لاشتداد الحر في العاصمة . ومنعوض القراء ما يفوتهم في هذه المرة في الاعداد المقبلة » .

لكن مفعول المقال الحاد كان حاداً كذلك ، واجتمع مجلس الوزراء ووقع صدقى الساكر في الفخ وأصدر قراراً بإغلاق جريدة لم تكن تستطيع مواصلة الصدور . .

وهكذا ماتت « روح العصر » كما عاشت طوال حياتها . . بأسلوب درامى . .

وسافر د . القاضى الى ألمانيا للعلاج .

١ - روح العصر ، ٨ - ٨ - ١٩٣٠ .

٢ - د . رفعت السعيد - تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر - المرجع السابق

ص ٢٧٨

٣ - المرجع السابق ص ٢٧٤ .

وحاصرت المراقبة المشددة العرابى ٠٠ ومضى وحيدا يتجول فى شوارع الاسكندرية التى شهدت يوما وقفات تاريخية مشهودة تردد فيها اسمه لامةا كالشهاب ويقول العرابى متحدثا عن آخر جولة فى شوارع الاسكندرية « أحب بلاد مصر الى ، فيها قضيت زهرة شبابى ، فيه ادرست فى العباسية الثانوية فيها ضاربت فى البورصة وجمعت عشرات الالوف من الجنيئات ، فيها بدأت حياتى السياسية وخطبت فى آلاف العمال ٠٠ طفت فى شوارعها ساعات ، فكان جوادها صريحا ، لا ٠٠ لا ، الشوارع نظيفة ، والعمارات جددت شبابها ، والشمس مشرقة ضاحكة ٠٠ والناس رائحون غادون وعلى وجوههم مظاهر المرح والمسرة - أما أنا فأسير وحدى كسير القلب ، مهيبض الجناح ، لا يابيه لى مار ولا مارة كأن لم يكن لى فيها دولة ، أغريب أنا » (١) .

وماجر هو أيضا ٠٠

وبقى رجل صلب .

صلب الى الحد الذى لم يشعر فيه بالوحدة ، واثق من نفسه ومن مبادئه ومن شعبه الى الحد الذى لم يكن ممكنا معه ان يشعر أبدا أنه وحيد أو أنه كسير القلب أو مهيبض الجناح ٠٠ أو غريب عن بلده ٠٠ رجل صمم ان يفاوم حتى آخر لحظة ٠٠

واغلاق الجريدة لم يكن سوى بداية ٠٠

فسرعان ما أطبقت يد الجلاد على الرجل الوحيد البانى من الثالث ٠٠ وواجه عصام الدين حفى ناصف محكمة الجنايات بتهمة الترويج للشيعوية ٠٠ وكانت مقالاته فى « روح العصر » أحد أدلة الاتهام ٠٠ ودافع الرجل عن نفسه ، بل دافعت عنه مصر كلها ٠٠

فقد هزت قضيته مشاعر الكثيرين وتطوع للدفاع عنه أكبر المحامين ، وكانت قضيته قضية تاريخية انتهت بحكم تاريخى ٠٠ البراءة ٠٠

ونشرت معظم الصحف النص الكامل لحيثيات الحكم باعتباره تأكيدا لحرية الرأى والعقيدة فى مصر ٠٠ وهزيمة لاسماعيل صدقى وأسلوبه فى الحكم ٠٠

وفيما يتعلق بمقالاته في « روح العصر » .. قالت الحிثيات .

« .. وحيث أنه فيما يختص بمقاله الاشتراكية من الوجهة العلمية والمقالة التي نشرها في مجلة « روح العصر » وهي كلها متعلقة بالكلام عن الاشتراكية وبعض نظرياتها ، فإن المتهم يقول في شأنها أنها دراسة علمية يريد بها توضيح معنى الاشتراكية للناس لأنه يلتبس عليهم معناها وهو لا ينكر أن نشر مبادئ الاشتراكية قد يترتب عليه قلب نظام الملكية الفردية ، كما تقضى به مبادئ المذهب إلا أن وسائل هذا المذهب في تنفيذ برامجه ليست وسائل العنف والقوة .. وعمدة هذا المذهب كارل ماركس يرى أن تطور الظروف الاقتصادية وتغير ظروف الإنتاج هي التي تؤدي إلى التغيير » .

« ... فلهمه الأسباب وبعد الاطلاع على المادة « ٥٠ » من قانون تشكيل محاكم الجنايات حكمت المحكمة حضوريا ببراءة المتهم » (١) .

وكان الرجل يمتلك من الاصرار ما يكفيه لكي يحاول من جديد .

شبرا

جريدة سياسية اجتماعية أسبوعية

٢٦ أغسطس ١٩٣٧

صاحب الجريدة ورئيس التحرير المسئول

محمد عبد الحميد عبد الله المحامى

جريدة شبرا

مدير الادارة

لسان العمال

محمد بيومى

على مبادئ الزعيم

سكرتير التحرير

عباس حلیم

السيد محمود القصرى

ادارة الجريدة

٢٣ ش . الخلفاء شيكولانى

جريدة شبرا هي جريدة العمال .

فهي ترحب بما يرد لها من العمال وانصار العمال

.. عض الناس يستهويهم المستحيل ..

والمستحيل عند « عصام الدين حنفى ناصف » يصل الى حد محاولة الوصول الى القمر بسيارة عادية .. فقد حاول - أو حلم - بتأسيس حزب عمالى « مستخدما » لافتة عباس حليم .

قد يدفع ذلك الاسم بالبعض الى الاشتمزاز ، ورفض التجربة وطوى الصفحة دون حتى قراءة عدد من سطورها ..

لكن الامر يتطلب فى اعتقادنا بعضا من التأنى ..

رجل وحيد محاصر ..

كانوا ثلاثة هاجر منهم اثنان .. وبقي رجل واحد .

لم يكن يؤمن بالعمل السرى فى ذلك الحين وهذه خطيئة .. لكنها لا تنفى عن محاولته صفة الجدية ، وعن اصراره العنيد صفة التحدى ..

كان الشيوعيون قلة محاصرة تجاهد كى تستمر فى التواجد ، أما هو فقد قرر أن يستنفذ كل امكانيات العمل القانونى حتى الثمالة .

وشرب الكأس المريرة حتى نهايتها الاشد مرارة ..

وفشل مرة وثانية وثالثة .. وعاشرة لكنه كان يمتلك قدرا كبيرا من الاصرار .

وفى نقاش معه قلت له .. كيف كنت تفكر فى تأسيس حزب عمالى حقبقى بزعامة النبيل عباس حليم ؟ أليس ذلك وهما مجرد العمل من مضمونه الثورى ؟

وقال : « كنت أعرف أنه نبيل واقطاعى ورجعى ، لكنه فى وسط هذا الظلام كان يقود بالفعل جموعا عمالية ، لماذا أترك له العمال ، دخلت ، وتسلمت ونجحت فى أن أجر النبيل فى معركة تلو أخرى .. أن أستخدم نفوذه للكتابة فى مجلات عديدة مدافعا عن العمال مهاجما البرجوازية ، مطالبا بحزب طبقى عمالى ، كان النبيل يخدع أحيانا ويتصور أنها أصول اللعبة ، وكان يقترن فى أحيان أخرى ويقول لى فى سخرية « عصام .. لا تنسى اننى نبيل » .

وأعتقد أن الذى كسب أنا وليس هو ، التقدم وليس الرجعية ، اليسار وليس اليمين » .

مكذا تصور الرجل دوره ، لكنه حذرني منذ البداية ، لا تخضع بالمظاهر ولكن تأمل الكلمات وحاول أن تضعها في إطارها التاريخي وتدخل كم كان مفيدا لنضية الاشتراكية ان تقال هذه الكلمات وفي هذا الوقت بالذات ..

وانطب صفحات جريدة « شبرا » غني تجسيد للتجربة .. محسولة الوصول الى القمر بسيارة عادية ، والشئ الغريب في التجربة ان صاحبها كان يعرف جيدا انه لن يصل الى هدفه بهذه الوسيلة ، لكنه لم يجد وسيلة أخرى ، فاستخدم المقاح أطعمه .. واستنفذه وتبدد هو فيه احيانا ، لكنه ظل على الدوام يردد كلمة الاشتراكية ويتحائل كي يسمح لها ان تقال ..

كان يعرف ان المعركة طويلة .. طويلة . وكان يتولى في اواخر ايامه ما أنا أموت وكل حصيلتي هذه الكومة من الكتابات ، لكنها تكفيني كي أموت مستريحا .

كان يدرك أن الكلمة سلاح ، وان السلاح قد يصدا اذا لم يستخدم واذا غاب طويلا عن اذهان الجماهير ، فلنشرعه في كل وقت لامعا او غير لامع ، حادا او مثلوما .. مجديا او مجديا .. وصمم الرجل على ان يدخل يردد كلمة الاشتراكية في كل وقت وفي كل مجال متاح ..

وهكذا فرض هو على « المؤرخ » أن يعتبر مجلة « شبرا » مجلة يسارية لا لانها كانت في محتواها الاساسي مجلة يسارية ، وانما لان صوت عصام ناصف الجمهوري دوما كان دائما قائدا على أن يطغى على كل صوت عدا .. . كان عصام ظاهرة مهيمنة تظهر فتلمع سريعا ثم تطفئ كل ما عداها . ومضت فترة كانت فيها « مجلة شبرا » بالفعل مسرحا لمقالات وتيارات يسارية حقا .

وقد يبدو ذلك غريبا في مجلة تقول انها « لسان العمال على مبادئ الزعيم عباس حليم » .

لكن الرجل علمني ألا أخدع بالظواهر وأن أتأمل كلماته بالتفصيل .. وأن أضعها في إطارها الحقيقي .. والتاريخي .. فلنحاول ..

وللقصة بدايتان .. بداية مع النبيل عباس حليم .. عندما كان عصام يسعى - في طريق العمل القانوني - محاولا تأسيس حزب للعمال والفلاحين ، حاول ذلك عام ١٩٢٧ (اللجنة التحضيرية للحزب الاشتراكي المصري) ثم حاول مرة

أخرى عام ١٩٣٠ ، مع بعض العناصر اليسارية من الحزب الوطني تأسيس
(حزب العمال والفلاحين) (١) .

ثم مرة ثالثة في نفس العام مع اسماعيل مظهر ، ثم مرة رابعة في
١٩٣٢ (الكتلة الاشتراكية) (٢) .

ثم يجيء الدور على عباس حليم وكان يسعى لتأسيس اتحاد للعمال
يسيطر هو عليه ، ووقع خلاف بين عباس حليم وبين الوفد حول مدى
سيطرة كل منهما على الحركة العمالية ، ويشن عصام ناصف عجوما على
كلا المعسكرين قائلا « لقد أعلن انصار الوفد عن انشقاق حزبهم على
اتحاد العمال الذي يرأسه الشريف عباس حليم وأعربوا عن آراء مرتبكة
تدل على نهاية العمل المشترك المشرب بسوء النية .. اذ يزعم الوفد أن الوطنية
البرجوازية الفاشلة التي يرفع هو لواءها لا تسمح بافساح المجال لحركة
عمالية يقوم بها العمال لجمع صفوفهم وتكوين جبهة موحدة للعمل
على تحرير أنفسهم من تحكم أصحاب الاعمال » .

وترى جريدة العمال (عباس حليم) أن تقسم شئون الأمة الى قسمين
تسم يتولاه مصطفى النحاس وقسم يتولاه عباس حليم وينبغي على العمال
في رأيها ان يمتنعوا عن معالجة المسائل السياسية التي لا تختص بشئون
العمال » .

ويهاجم عصام كلا المعسكرين ، « فكل من هذين الزعمين لا يقل عن
الآخر بعدا عن محجة الصواب ، والعمال يجب أن يعنوا ببحث جميع
الشئون السياسية على أن ينظروا اليها من وجهة نظرهم الخاصة دون تبعية
للاحزاب البرجوازية » (٣) .

لكن « البرجوازي الصغير » المحاصر وحيدا في ميدان العنانية ، والذي
سعى وفشل ثم فشل مرات عديدة ، لا يجد مناصا من ان يلجأ بمحاولته
الى أخضار « النجيل عباس حليم » ربما في محاولة للاحتواء به ، وربما في
حالة فقدان للثقة والصبر ، وربما باعتبارها منفذا وحيدا متاحا امام انبساط
يقاوم التيار وحده .

لكن عصام يقتحم معسكر عباس حليم شاهرا سيفه معلنا الحرب
على النقبائين النفيعين فيكتب في صراحة « كنت مضطرا للذهاب الى النجيل

١ - د. رفعت السعيد - عصام الدين حفني ناصف - سلسلة طلائع
الفكر الاشتراكي في مصر - دار الثقافة الجديدة - القاهرة - ص ٦٦ .

٢ - الوادي ، ٣٠ - ٤ - ١٩٣٢ .

٣ - صندوق الدنيا ، ٢٩ - ٨ - ١٩٣٣ .

عباس حليم ، فقد كان جميع العمال تحت زعامته ، وهو رجل مخلص حسن النية ، ولكنه قليل الخبرة بهذه الشؤون ، وقد وجدته وقد ترك الامر في أيدي عدد من العمال معظمهم غير مخلص للحركة وانما كان انضمامهم لاستغلالها والافادة منها أدبيا وماديا « (١) » .

وبحاول عصام الدين ناصف اقناع عباس حليم بتسييس حزب عمالي وليس مجرد اتحاد للعمال ، ويرفع عصام شعاره الشهير « حزب عمال : اتحاد نقابات فقط » .

وتنشر جريدة « شبرا » : « اقترح الاستاذ عصام الدين على الشريف عباس حليم أن يؤسس حزبا للعمال الى جانب اتحاد العمال ، لان للحزب وظيفة غير وظيفة النقابات واقتنع الشريف بصواب الفكرة ودعا الاستاذ عصام الى وضع مبادئ هذا الحزب » (٢) .



وفي ٢٥ مارس ١٩٣٧ يصدر العدد الاول من مجلة « شبرا » كمجلة متخصصة في مشاكل حي شبرا ، وصاحب الجريدة ورئيس تحريرها محمد عبد الحميد عبد الله المحامى ومدير الادارة محمد بيومى وسكرتير التحرير السيد محمود القصرى - وادارة الجريدة ٢٣ شارع الخلفاء - شيكولانى شبرا .

ولم يكن في محتوى العدد الاول ولا في أسماء المسئولين الثلاثة عن المجلة أى شئ يمكن أن يوحي بمسحة من اليسار وحتى بالاهتمام بأية مشاكل عامة .

ثم فجأة يظهر عصام الدين حفى ناصف على صفحات العدد الثانى مباشرة وتحت عنوان « الاستاذ عصام الدين حفى ناصف يحدثنا عن حركة العمال - حزب العمال والفلاحين تصادره النيابة » . وتقدم « شبرا » لقرائها عصام ناصف متذرعة بحجة بسيطة وهى أنه « نشأ وترعرع في حي شبرا » .

« يعرف قراؤنا الافاضل الاستاذ عصام الدين حفى ناصف الذى نشأ وترعرع في شبرا ، فان له ماضيا عظيما في الجهاد الوطنى والجهاد في سبيل الطبقة العاملة وقد قضى في السجون مددا تزيد عن عام ونصف ، وقدم لمحكمة الجنايات ثلاث مرات وذلك بسبب صلابته واصراره على خدمة الوطن

١ - شبرا ، ١ - ٤ - ١٩٣٧ .

٢ - شبرا ، ١ - ٤ - ١٩٣٧ .

عموما والطبقة العاملة خصوصا . وهو الان يشغل منصب مساعد فنى بدار الكتب ، ولكنه ما زال يوالى التأليف والكتابة واليكم رأيه فى الحركة العاملة فى الوقت الحاضر » (١) .

وهكذا تبدأ قصة محاولة لتحويل مسار جريدة ، من أن تكون مجرد لسان يتحدث عن مشاكل حتى من أحياء القاهرة ، الى لسان يتحدث عن مشاكل العمال والفلاحين ومنبرا للدعوة الملحة لتأسيس حزب لهم .

ولقد كتب عصام كثيرا فى مجلة « شبرا » وأصبح صفحاتها أمام كتاب آخرين أمثال سلامة موسى وغيرهم ، واستفاد من تكتلات عمال القرام فى شبرا ليحول المجلة للاهتمام بمشاكلهم . . ونشر على صفحات شبرا مقالات عديدة عن الاشتراكية داعيا الى اقامة نظام اشتراكى على أنقاض النظام الرأسمالى القائم . .

ومع تحفظات كثيرة - قد يثيرها البعض - حول امكانية ادراج « شبرا » وغيرها من المجلات الماثلة ضمن قائمة « الصحف اليسارية » الا انها تمثل مرحلة هامة من تاريخ المحاولات اليسارية للتعبير ، ليس من خلال صحيفة يسارية تماما أو خاضعة لنفوذهم تماما ، وانما من خلال التسلسل عبر منحنيات تتيحها الامكانيات المحدودة . .

وعلى أية حال فان « شبرا » قد ظلت ابتداء من العدد الثانى الصادر فى ١ - ٤ - ١٩٣٧ ، وحتى العدد ٢٥ الصادر فى ١٦ سبتمبر ١٩٣٧ منبرا ترددت الافكار اليسارية والاشتراكية على صفحاته بصراحة ووضوح بحيث كانت هذه الافكار هى السمة الاساسية والمميزة لهذه الصحيفة فى ذلك الحين . . وبحيث يمكن الاطمئنان الى نسبتها الى قوائم « صحف اليسار » أما بعد ذلك وابتداء من العدد ٢٦ الصادر فى ١٦ - ١٢ - ١٩٣٧ فقد تحولت «شبرا» الى مسار جديد واختفت من صفحاتها أية مسحة يسارية . .

لكن هذه هى نهاية القصة .

فلنبدأ من البداية . . من العدد الثانى من مجلة « شبرا » . .



وكمادة « عصام ناصف » كانت البداية عنيفة فقد كتب مقالا طويلا حلل فيه تجربة النبيل عباس حليم ومحتواها وردود فعلها على حركة الطبقة العاملة ، مهاجما فى ذلك كله العناصر النقابية الصفراء التى التفت حول

(١) شبرا ، ١ - ٤ - ١٩٣٧ .

« عباس حليم » سعيا وراء كسب شخصي ..

وهو يلخص كل شيء في أول كلمة من مقالة « ان حركة العمال متجهة الى النوراء وذلك لانها ينقصها زعماء مخلصون مثقفون ثقافة عاملية ولان الروح المعنوية للعمال انفسهم قد أصبحت في حالة تفكك واسهيار عقب الفشل المتوالى الذى أصيبوا به الى الان » .

ثم يحكى قصة كناعه الطويل .. مع « روح العجر » وكنا فيسنا نسعى الى فصل الحركة العاملية عن الحركة الوطنية واعطائنا شخصية مستقلة وقد اصدر مجس الوزراء برئاسة اسماعيل حمدى قراره بالغاء هذه الجريمة بتهمة التمهيد للشيوعية .

فالتجأت بعد ذلك الى الاستاذ اسماعيل مظهر وعاونته في تحرير مجلة « العصور » بشكل مجلة خاصة بالعمال والحركة لاستراكية واصدرا برنامجا لحزب العمال والفلاحين فصادرته النيابة .. » .

ثم تبيدا قصته مع المحاولة الجديدة .. مع عباس حليم .

« .. وكذت مضطرا للذهاب الى النبل عباس حليم فقد كان جميع العمال تحت زعامته في ذلك الوقت ، وهو رجل مخلص حسن النية ولكنه قليل الخبرة بهذه الشؤون ، وقد وجدته ترك الامر في ايدى عدد من العمال معظمهم غير مخلص للحركة وانما كان انضمائهم اليها لاستغلالها والافادة منها ادبيا وماديا فكانوا يركبون سيارات النبل ، ويفتحون بانهم زاروه في قصره او زارهم في منازلهم ، وكان البعض منهم يختلس ما تصل اليه يده من اموال العمال المساكين ، ثم وهناك ما هو - ادهى وامر - كان الكثيرون منهم يتصلون بادرارة الامن العام وقد ثبت ان عددا منهم قد تأمر على حلع النبل عن زعامتهم طمعا في الحصول على اموال المصاريف السرية .. » .

ثم يمضى مجددا موقفا اكثر وضوحا ..

« قلت ان معظم العمال « المتزعمين » الذين كانوا يجتمعون حول النبل عباس حليم كانوا جهلة ادعياء في الحركة .. كانوا من الاصناف التى تعيش في ظلال الاغنياء وتتمتع بكرم الاغنياء فلا يمكن منافقتهم بالعمال الذين يشتغلون في مصانع السكر أو محالج القطن .

ولقد كانت حالة هؤلاء العمال مثيرة للاشمئزاز ، ولذلك بادرت بالانفصال عنهم واعتقد ان هؤلاء الافراد يجب ان لا يعهد اليهم بامور العمال مره اخرى ..

وانى آمل ان تنمو الحركة العاملية من جديد ، ولا بد لذلك من انفصالها

عن الحركة الوطنية واستقلالها عن الاحزاب . وطرد كل من كان له ماضى
سئ من صفوف زعامتها « (١) » .

وهكذا أملى الرجل شروطه ، وطالب عباس حليم أن يختار بينه وبين
كل كواده القديمة الذين كانت « حالتهم مثيرة للاشمئزاز » .

وطالبه بالألا يتتصر على تأسيس اتحاد عمال وانما يجب أن يسعى الى
تأسيس « حزب عمال » .. والغريب أن عباس حليم قد رضخ لكل هذه
الشروط .. « واقتنع الشريف (عباس حليم) بصواب الفكرة ودعا الاستيلاء
عصام الى وضع مبادئ هذا الحزب » (٢) .

وربما كان عباس حليم يخشى من تطرف عصام ناصف ، وربما كان
يخشى من ضغوط قائدته القديمة من العمال الذين اعتادوا أن « يعيشوا في
ظلال الاغنياء » وربما أراد أن يتباعد عن الامر كله ليعطى لنفسه فرصة
الانسحاب في المستقبل اذا ما كان الانسحاب ضروريا ..

المهم أن النبيل عباس حليم وافق مبدئيا على تأسيس حزب للعمال ..
وكلف عصام ناصف بوضع برنامجهم ، ثم غادر البلاد الى أوروبا في رحلة
لدراسة احوال العمال فيها .

وانفتح المجال واسعا أمام عصام ناصف ليقول ما يريد .. ونسى -
أو ربما تناسى - ان الامور تجري تحت مظلة « النبيل » واضطر عباس حليم
أن يذكره « لا تنسى اننى نبيل » .

وبسفر عباس حليم كانت الفرصة أرحب أمام عصام ليعبر عن موافقه
اليسارية سواء في محاولة تأسيس الحزب ، أو على صفحات « شبرا » .

وفي العدد الثالث من « شبرا » يأتي ضيف جديد « سلامة موسى »
وتقدمه « شبرا » ككاتب « له جولات كبيرة في محيط العمال ، وقد اشتغل
بحركتهم سنوات طوال اشتهر فيها بآراءه ومذاهبه الاشتراكية » .. وهكذا
اختلف جواز المرور الى العدد الثالث كان يكتفى أن يكون الكاتب اشتراكيا ..

ويكتب سلامة موسى مقالا بعنوان « حزب العمال والحكم الديمقراطي »
أكد فيه ضرورة أن يناضل العمال من أجل فرض قواعد ديمقراطية للحكم
« .. والواقع ان جميع عمالنا يعترفون أن مصلحتهم تقتضى سيادة الحكم
الديمقراطي ، لا بل رسوخه حتى يتعوده الناس ، وحتى يصبح من الجبال

١ - شبرا ، ١ - ٤ - ١٩٣٧ .

٢ - المرجع السابق .

أن يفكر أحد المستبدين في الوثوب الى الحكم» (١) .

وفي نفس العدد يكتب عصام ناصف مقالا بعنوان « الوطنية الحمقاء »
يعلق فيه على قصة نشرتها جريدة « الثغر » لسان حال « مصر الفتاة » زعمت
انها وقعت في اليابان ، وقد ضربتها مثلا للوطنية العالية ، وملخص
القصة أن يابانيا أراد التطوع في الجيش الذاهب الى الحرب فلم يتبلوه لانه
كان وحيد أمه والقانون هناك يحرم الاشتراك في الحرب على أمثاله كي
يتفرغوا لاعالة أمهاتهم ، فلما قص ذلك على أمه قتلت نفسها وبذلك أصبح
يحق له أن يلتحق بالجيش » .

وقد التحق به فعلا ومات في ميدان القتال » .

ويجدها عصام فرصة سانحة للهجوم على الحرب الاستعمارية مقدما
مفهوما « طبقيا » لفكرة الوطنية . . فيقول « وأنا لست أرى في عمل
هذه الام هي وابنها وطنية بل حمقا وغباء فالمفهوم من القصة أن هذه
الحرب التي مات فيها هذا الياباني الاحمق هي حرب استعمارية . . لقد
مات ذلك الجندي في حالة اعتداء على شعب مسكين سيء الاحوال . أجل
يجب أن يحب الانسان وطنه ولكنه لا يجب أن يكره أوطان الآخرين ، وليس
من الوطنية الحقبة أن يجر الانسان بلاده الى حرب كالحرب التي تستعد أوروبا
لخوض غمارها قريبا . . وليس من الوطنية الحقبة أن يموت الانسان في
حرب لن يجنى من وراء النظر فيها شيئا . ولا يستفيد منها الا طبقة
مخصصة من تجار الاسلحة وكبار الرأسماليين وانما الوطنية الحقبة أن
يخدم المرء كتلة الشعب ويعمل على رفع شأنها وزيادة رفاهيتهم » .

وهكذا يقدم عصام ناصف مفهوما طبقيا واضح المعالم للوطنية . :
بل انه يسوق الاتهام للجميع بأنهم ليسوا وطنيين بما فيهم الكناية لانهم
لا يدافعون عن حقوق العمال والفلاحين فيختم مقاله قائلا « وليس في مصر
من يستطيع أن يزعم أنه قائم بفروض الوطنية ، فاننا جميعا متصرين في
حق العمال والفلاحين » .

وفي العدد أيضا تقديم لقصة « البترول » لابتون سينكلر وقد ترجمها
عصام ناصف ونشرها مختصرة في كتاب . . . ويقول التقديم انها « قصة
اجتماعية قيمة تدور حول النزاع بين العمال وأصحاب الاعمال في أمريكا . .
ونحن ندعو قراءنا الافاضل الى المبادرة باقتناء هذه القصة لخالدة ، وكنا
نتمنى لو أن الاستاذ عصام طبع منها أكثر من الالف نسخة التي طبعها فان
هذه القصة جديرة بأن توجد في مكتبة كل مثقف وكل عامل وكل من يعنى

وفي العدد الرابع يكون عصام ناضف قد قلب في أوراقه القديمة فينتزع من ملف قضية قديمة مقالا كانت النيابة صادرت « مخطوطه » وقدمت عصام للمحاكمة على أساسه والمقال بعنوان « الاشتراكية والاسلام » ثم عنوان فرعى بفرط في التجردى « انما القوانين والاخلاق والدين بالنسبة للطبقات العاملة أستار تخفى وراءها مصالح الاغنياء - بيان ماركس وانجلز - وكان الاقتباس في المخطوط المضبوط منسوباً الى البيان الشيوعى (١) لكن عصام وهو يحاول نشر المقال يتحاشى كلمة « الشيوعى » ويكتفى بنسبة « البيان » الى كاتبه ماركس وانجلز « (٢) .

ويمضى عصام محاولاً أن يميز بين الدين والاشتراكية « فالدين ي الاصل ينظم العلاقة بين الانسان وخالقه ، بينما تعمل الاشتراكية لتنظيم العلاقة بين الانسان والانسان ، واذا فلا علاقة لهذا بتلك ، وعلى أية حال فالانسان لا يستغنى عن تنظيم معاملاته الاقتصادية مع أبناء جنسه ولذا وجب عليه أن يفكر وأن يبحث وأن يطيل البحث والاختيار حتى اذا ما وثق من صحة النتيجة كان عليه أن يعمل . وهذا هو الوضع الصحيح فيما يختص بجميع الاديان . . » •

ثم يحاول بعد هذا التحذير الصارم أن يبرز نوعاً من التقارب بين الاسلام والاشتراكية « فاذا قارنا بين ما أورده الاسلام في شؤون المعاملات وما قرره الاشتراكية . ازاءها وجدنا بينهما أشياء متماثلة في الغاية ولكنها تختلف قليلاً من حيث طريقة تنفيذها كالزكاة التى فرضها الاسلام ، وضريبة الدخل التى أتت بها الاشتراكية •

وأما الربا فقد حرمه الاسلام اذ به يستبد صاحب المال بمن وقع في ورطة مالية ويستغل ضيقه ، وأما الاشتراكية فتقول بمنعه أيضاً ولكن لان النقود يجب أن ينظر اليها دائماً على اعتبار انها « مالا » تشتري به الحاجيات لا « رأس المال » يستعبد به الفرد أبناء جلدته ويستغل جهودهم فالحمل وحده هو الذى ينتج الدخل أما النقود فلا يصح أن تدفع شيئا » •

لكنه يفضل الضريبة على الزكاة ، لان قيام الدولة بجمع الضريبة يمكنها من « صرف المتحصل منها في انشاء المدارس وشق الطرق واقامة المساكن للعمال وغير ذلك من مرافق التعمير الانشائى وعدم الاكتفاء بتوزيع

١ - ملف القضية رقم ٧٥٣ المنشية - ٣٤٤ - كلى عام ١٩٣١ جانيات الاسكندرية ص ٤١٦ .

٢ - شبيرا ، ١٥ - ٤ - ١٩٣٧ •

مال الزكاة على الفقراء نقودا أو مأكولات أو غيرها مما ينمحي أثره بعد بضعة أيام ويظل الفقراء على فقرهم .

كذلك تشعر الطبقة الفقيرة التي تنتفع بالضرية بأنها تحصل على حقها لا أنها تتلقى إحسانا من الأغنياء وكذلك عدم السماح لدافعي الضريبة بأن يشعروا أنهم كرماء وأنهم يتبرعون بما يستطيعون الامتناع عن دفعه .

وتدخل مجلة « شبرا » في اشتباك عنيف مع البرجوازية المصرية . .
لذا يكتب على اسلام باشا مقالا في « المجلة الجديدة » يعرض فيها على الناس كثرة مطالبهم مما يهدد تقدم الصناعة .

ويرد عليه « سلامة موسى » على صفحات « شبرا » بمقال عنيف يذكر فيه بأن « شركة كوم أبو وغيرها من الشركات تقترح أرباحها السنوية بين ٢٠ و ٦٠ بالمائة من رأس المال » .

ويضرب مثلا محمدا « فشركة المياد اقضح أنها في العام الماضي قد أنفقت نحو ٥٠٠ ألف جنيه فكان ربحها من هذا المبلغ يزيد على ٣٣٠ ألف جنيه ، فأى غبن عليها ان حى أدت الاجور لعمالها » (١) .

واشتباك آخر أكثر عنفا دخلته « شبرا » مع « بنت النشاط » عندما هاجمت الحركة العمالية . . واستخدم عصام ناصف « بنت النشاط » مجرد مدخل لحملة هجوم عنيف على خصوم الحركة العمالية . . وتحت عنوان « عدو جديد للعمال والفلاحين - الانسة بنت النشاط » يشن عصام الذين ناصف هجومه على الجميع . .

« ما تزال حركة العمال في مصر منذ نشأتها تواجه عداء بعض الجهات والافراد ، وما يزال بعض الافراد يصرحون بتصريحات تدل على عدم فهمهم للحركة كتصريح معالى عبد السلام فهمي جمعة باشا وزير التجارة والصناعة بأنه يعمل لحماية اصحاب الاعمال من العمال . . وتصريح رفعة النحاس باشا الاخير ضد النبيل عباس حليم وعمله لانشاء حزب العمال .

ولا تزال حركة العمال تواجه منذ نشأتها انواعا اخرى من المحاربة خالية من الصراحة والرجولة ، فالبعض يتجسس لمصلحة القوم السياسى ، والبعض يتصل علانية بمصلحة العمل على زعم انه يستعين بها لخدمة العمال والحقيقة انه لا يعمل الا لنفسه وقد ظهر خصم جديد لحركة العمال ولكنه في هذه المرة من الجنس اللطيف وهى الانسة عائشة عبد الرحمن . . وهى تنشر مقالاتها في جريدة « الأهرام » بامضاء « بنت النشاط » .

ثم يسدد عصام ناصف هجماته في عنف « قرأت الكثير من مقالات هذه الأنسة ولا أذكر انى وجدت بينها مقالة واحدة خالية من حملة موجهة ضد الفلاحين والعمال ، وقد كنت غيما مضى أسند ذلك الى جهلها بالمسائل العاملة والى رغبة في ارضاء الجريدة التى تدفع لها أجر مقالاتها . ولكن ما نشرته في « أهرام » الثلاثاء ٧ سبتمبر الماضى يدل على أن الامر أسوأ من ذلك . وقد بدأت مقالها بالديباجة المملة التى تكتبها في جميع مقالاتها والتى تزعم فيها أنها ما كانت تود العودة الى هذا الموضوع لولا شعورها العميق . الخ . ثم ذكرت أن قضية العمال « قضية غريبة المنشأ والنزعة » ولا أعرف شيئا أغرب في المنشأ والنزعة من خلط هذه الأنسة في مسائل العمال والفلاحين ثم قالت ما نصه « وهل فكر أحد في مغزى حركة العمال من حيث كونها تطبيقا حرفيا للنظم الغربية ؟ ارجو ان تكون هذه النقطة بالذات قد ظفرت باهتمام متزعمى حركة العمال ، فهى كفيhle بأن تسليحهم ببعض الحذر ، حتى نأمن الاندفاع في التطبيق الحرفى لنظم بلاد ليس لنا مثل ظروفها ، ان تحقيق مطالب العمال فيها يتعلق بارتفاع الاجور وتحديد ساعات العمل من شأنه حتما أن يزيد في نفقات الانتاج » .

ويمضى عصام ناصف في عنفه المعروف به ، ردا على الفقرة السابقة قائلا « وما نظن هذه الآراء في حاجة الى اظہار سخفها ، ولكن استمرار نشر هذه الآراء التخريفية في جريدة واسعة الانتشار قد يهوش بعض الذين لا علم لهم بحركة العمال ولذلك نذكر في منتهى الإيجاز :

١ - ان تطبيقنا لبعض النظم الغربية تطبيقا حرفيا ليس مما يصح التنصل منه ، فان ذلك يكون في كثير من الاحيان خيرا من التخطيط في تجارب ونظم اخترعها لنا اناس قليلوا الخبرة والتجربة .

٢ - ومع ذلك فاننا لا نطبق النظم الغربية تطبيقا حرفيا ، وليس ادل على ذلك من البرنامج العمالى الذى سننشره في الاسبوع القادم .

٣ - ان رفع أجور العمال وتحديد ساعات عملهم لا يزيد من نفقات الانتاج زيادة محسوسة فان أجور العمال في مصر لا تكون الا نسبة ضئيلة جدا جدا من نفقات الانتاج « (١) » .

لكن عصام لا يكتفى بتسديد هجماته الى « بنت الشاطيء » وأمثالها ، وإنما يوجه الهجوم عنيفا ومباشرا الى النظام الرأسمالى ذاته ، وتحت عنوان « فشل النظام الاقتصادى الحاضر » يقول « في مصر ملايين القناطير من القطن مكسمة لاشار لها لانخفاض سعر محصول القطن ، وفي مصر ملايين

من العرايا الذين تعوزهم الالبسة المنسوجة من القطن وغير القطن ، ولكن القطن باق بلا غزل أو نسج ، وفي مصر وانجلترا وأمريكا وغيرها ملايين من العمال عاطلين تنتهي عطالتهم ومسغبتهم اذا هم اشتغلوا في غزل القطن ونسجه . .

فما معنى كل هذا ؟ معناه أن هنالك خلاا جوهريا في نظام الانتاج والتوزيع . وأى نظام هذا الذى ينشر العطلة والفقر والعزى سدا لنهم فريين من رجال الصناعة « (١) .

وهو يدين النظام الرأسمالى العالمى ككل باعتباره مصدرا للاستعمار ومصدرا للحرب الوحشية الوقوع وذلك في مقال بعنوان « العالم يتخبط في بحران من الخوف - عصر المدنية أم عصر الاستعمار - احصاء المستعمرات التى تمتلكها الدول الكبرى » (٢) .

وينشر عصام مقالا بالغ الاهمية يشرح فيه بالتفصيل وببسيط مدهش « المذهب الاشتراكى وتطبيقاته والفرق بين المرحلة الاشتراكية والمرحلة الشيوعية . » والمقال بعنوان « علاقة الاشتراكية بالمذاهب الاجتماعية الأخرى » .

ولكى يحمى نفسه من هجوم متوقع فانه يسكت أعداءه بأن يضع في صدر المقال العبارة التالية « حكمت محكمة جنايات الاسكندرية في نوفمبر ١٩٣١ بأن هذا الموضوع لا يحوى شيئا يعاقب عليه القانون » (٣) .

والمقال طويل وهام لكننى سأكتفى بإيراد فقرة واحدة منه يشرح فيها عصام طبيعة النظام الاشتراكى . . « . . . أما النظام الاشتراكى للانتاج فانه يجعل المعامل ملكا للدولة تديرها لمصلحة الشعب بواسطة موظفيها . . وكذلك الحال في الانتاج الزراعى فتصير جميع الحقول ملكا للدولة يديرها موظفون بأحدث الآلات وعلى أحدث الطرق الاقتصادية مع اراحة عمالها بتحسين مرتباتهم وتقليل ساعات عملهم . . واعطاءهم امتيازات كثيرة كمجانية التعليم والمعالجة ودخول المسارح ، والسكن في بيوت مستقلة ذات حدائق . . » .

وهو لا يكتفى بالكتابة بل يترجم كثيرا من المقالات وخاصة مقالات المفكرين الشيوعيين الالمان ، أمثال كارل ديل وكمفاير ليبخت ولودفيج كسل . .

١ - شبرا ، ٩ - ٥ - ١٩٣٥ .

٢ - شبرا ، ٢٠ - ٥ - ١٩٣٧ .

٣ - شبرا ، ٢٩ - ٤ - ١٩٣٧ .

وثمة مثال هام بوجه خاص ترجمة عصام لجريدة « شبرا » بعنوان « مؤتلف الاشتراكية لزاء الدين والزواج . من محاضرات كارل دين » (١) .
وتكمن أهمية هذا المثال في أنه يدحض افتراءات أعداء الاشتراكية
والماركسية حول قضايا الدين والزواج .
وتفسح « شبرا » صدرها لشكاوى العمال ونداءاتهم ومطالبهم
.. ومقالاتهم أيضا .

وثمة نداء تنشره « شبرا » موجه « الى عمال القرام - أيها الزملاء
العمال أنتم الآن في غاية الضعف ، ولستم أحرارا ، وليس في استطاعتكم أن
ترقوا سلم التقدم والوصول الى تحقيق مطالبكم اذ يقتضى ذلك وسائل
جمة لا تتوفر لديكم . ان حالة النقابة التى عليها الان محزنة للغاية ،
وكان الواجب أن نتعاون جميعا على تحسين حالها ، وليس لدينا الان
نفاسة بالمعنى الصحيح . . والتوقيع - نقابى حر - عامل بالقرام » (٢) .
وتشن « شبرا » هجومها على المجلس الاستشارى الاعلى للعمل والعمال
الذى أسسه الوفد وتقول « أنه ليس محل تقدير العمال ولا موضع
ثقتهم » (٣) .

* * *

لكن ذلك كله لم يكن الا مجرد تمهيد للمعركة الاساسية وهى معركة
تأسيس حزب العمال . . المعركة التى خاضها عصام ضد قوى عديدة أهمها
الوفد الذى ألقى بكل ثقل زعامته وجماهيريته ضد هذه الفكرة ، والسراى
التي تدخلت باسم « جلالة الملك » طالبة تعديل البرنامج الذى أعده عصام ،
والنقابيين الصفر الذين كانوا يتحلقون حول « النبيل » ليهبوا أموال النقابات
وقوى الامن والبوليس السياسى التى كانت تتابع بحذر بالغ كل حركة لعصام
وفوق هؤلاء جميعا سلطات الاحتلال . .

ومع ذلك استطاع عصام أن يناور بين هذه القوى جميعا ليخرج الى
حيز التنفيذ بالفكرة التى سيطرت على وجدانه لأمد طويل . .
وكانت « شبرا » منبره الاساسى فى هذه المعركة . .
ويكتب عصام ناصف على صفحاتها قائلا :

١ - شبرا ، ٩ - ٨ - ١٩٣٧ .

٢ - شبرا ، ١٣ - ٥ - ١٩٣٧ .

٣ - شبرا ، ١٣ - ٥ - ١٩٣٧ .

« يجب على عمال المدن والارياف أن ينشئوا حزبا سياسيا يعبر عن آراءهم وينظم نضالهم في سبيل تحقيق مطالبهم العادلة ويتيح لهم تمثيل جموعهم الهائلة في المجالس النيابية وفي مناصب الدولة » .

وعمر يؤكد ان حزب العمال سوف يخدم مصر كنهى وليس العمال وحدهم . . . فهو باشتراكه في الحكم « سيمنى الحكومة شر الاسراف وتبذير أموال دانعى الضرائب ، فيما لا نفع فيه ويقتى الشعب خطر سوق ابنائه الى ميدان الحرب للدفاع عن المصالح الاستعمارية أو سسواعا من مظاهر الرأسمالية الدحجة بقاذنات النار والسموم . ان حزب العمال والفلاحين هو الهيئة الوحيدة التى تستطيع في هذه الظروف المرتبكة ان تفتشل الطبقة العاملة في مصر مما عى فيه من الاحوال وتضعها في المستوى الذى يذبح لها ان تشارك باقى الطائفة العاملة العالية بفضل الجهاد الدولى لتحرير العمال من عبودية الاحر وانقاذ الجنس البشرى كله من التقاتل على مذبح نفر من الراسماليين الانانيين » (١) .

اهداف الحزب اذن واضحة واعمها واكثرها وضوحا ان توجيه المعركة ضد الراسماليين الانانيين . وتحرير العمال من عبودية الاجر . .

وكان ذلك فوق ما يطيق « النبيل » وغيره ممن كانوا يريدونها محاوله لحرف أنظار العمال . . عن هذا الهدف بالذات . .

والحقيقة ان عصام ناصف بدعوته الى تأسيس « حزب عمال » كان قد تراجع كثيرا عن موقفه الاصلى سعيا وراء البقاء مع « النبيل » ومجموعته . . فقبل سنوات كتب عصام مقالا عاما بعنوان « حزب اشتراكى لا حزب عمال » (٢) رفض فيه فكرة تأسيس حزب عمالى دون النص في اسمه على انه اشتراكى ، لكن الظروف جاءت الرجل الى التراجع والتحاييل بحثا عن المستحيل . .

وهو في معركته هذه يتوجه الى جموع العمال محاولا ان يتحصن معها وبها ضد اعداء فكرته . . ويوجه على صفحات « شبرا » نداء الى الطبقة العاملة . .

« ايها العمال . . انتم الان غير احرار من الوجهة الاقتصادية ، وليس في استطاعتكم ان ترقوا سلم المراتب الاجتماعية . انتم تبيعون عملكم بقيمة

(١) شبرا ، ١-٤-١٩٣٧ .

(٢) ملف القضية ٣٧٥ منشية - ٣٤٤ كلى جنايات الاسكندرية عام ١٩٣١ - ص ١٢٠ .

لا تدمع لكم بالمعيشة في المستوى المألوف فلا يمكنكم الاستمرار حتى في انتاج القدرة على العمل وهكذا يلحق بكم التلف في سن مبكرة فتزداد وسائل استغلالكم والسيطرة عليكم وتعيشوا في البؤس والشقاء والعبودية والجهنم والتسوة والانحلال الخلقي .

وان حالة العامل المصري الاقتصادية هي أصل البؤس الاجتماعي ومنشأ الاستعباد بجميع أشكاله وعلّة التدور الخلقي والاستعباد السياسي .

وهو يعلم ان الوغد بما له من ذنوب يقاوم محاولته ولهذا فانه يتوجه حتى الى العمال الوفديين « ليس للمسائل العاطفية والحزبية موضع ، ولا معنى لضياح الوقت وليست قضية العمال قضية فرعية ، بل هي قومية واجتماعية تشمل الجميع وتطرح في سبيلها التفرقات بين شتى الالوان . واعلموا ان كفاحكم ليس الا كناعا في سبيل الحضارة وان به وحدة ذكتم انسانيتمك جسما وروحا » (١) .

ثم هو كعادته يرفع صوته مهددا الجميع « حزب العمال قائم لا محالة » وهو مقاتل عنيف يقول فيه « وبما ان اصحاب الاعمال لم يبد منهم ما يدل على نهم هذه الحقيقة . لذلك لم يبق بدا من يؤسس العمال مؤسسات تتودم الى نيل هذه الحقوق ، وبما ان النقابات العمالية لا تكفي وحدها لتسييد خطاهم ، لذلك لم يبق بدا من تأسيس حزب العمال . وليس الغرض من الحزب هو مجرد مساعدة العمال والفلاحين في الحصول على بعض المزايا ، بل ان غرضه الاساسي يتعدى ذلك كثيرا فهو يرمى الى اشتراك العمال في ادارة دفة سياسة الدولة كلها . . . ولن يقتصر حزب العمال (كالنقابات) على معالجة شئون العمال الخاصة بأجورهم ومقدار ساعات عملهم وما اليها ، بل هو يرمى كأي حزب سياسي آخر الى ادارة سياسة الدولة كلها . فهو حزب جميع المصريين المتحررين العاملين لبناء مصر الحديثة ، ومما لا ريب فيه ان سياسة العمال هي السياسة الوحيدة التي تناسب العالم في هذا الزمن المتقدم ، وخصوصا من وجهة النظر الوطنية » .

ثم يقول عصام كلمته التي فجرت الموقف واخافت كل القوى ودفعتها الى مقاومته . . .

« ولسوف يعمل الحزب بالطرق السلمية ، للاستيلاء على السلطة السياسية » (٢) .

(١) شبرا ، ٩-٩-١٩٣٧ .

(٢) شبرا ، ١٦-٩-١٩٣٧ .

هنا تشعر السلطة الحاكمة بمختلف مؤسساتها انه يتعين عليها ان
تجابه محاولة عصام ناصف ..

وشن الوفد والنحاس باشا شخصيا حملة عنيفة على المحاولة .. وسخر
عصام معظم صفحات « شبرا » للرد على الحملة الوفدية ..

وتحت عنوان « حزب عمال لا اتحاد نقابات » قال « لقد كانت الضربة
التي نزلت على ام رأس الوفد باعلان النبيل عباس حلیم انه يعتزم العمل
لانشاء حزب العمال بمجرد عودته من رحلته الدراسية في اوربا - كانت تلك
الضربة قوية الى حد انقد الوفد رشده ، فسارع النحاس باشا رئيس ذلك
الحزب ورئيس الحكومة يخطب في الاسكندرية متهما عمل النبيل عباس
حلیم بأنه دس للوفد ولكن انشودة الدس والدسائس والدسائس قد اصبحت
ممجوجة هي ومنشودها » .

لكن الخطر لا يأتى من مجرد هجوم النحاس ، بل من الضغوط التي
تعرض لها « النبيل » وهو في لندن حتى أعلن من هناك انه لا يعتزم تأسيس
حزب عمالي وانما اتحاد عمال فقط .

لكن عصام ناصف لا يتراجع بسهولة ..
فهو يذكر الجهم بل ويذكر « النبيل » نفسه انه قد صرح « بلهجة
باطلة واذاع في الصحف انه يعتزم انشاء حزب عمالي .. ومن الواضح ان
النبيل لم يكن عازلا حين قال ذلك بل كان يعنى تماما ما يقول ولذلك فقد
دهشنا اكبر دهشة حين قرأنا ما نشره « الاهرام » في ١٠ سبتمبر الماضى
لمراسلة في لندن من ان النبيل سيكتفى (على الأرجح) بتكوين اتحاد
نقابات » .

ويمضى عصام محاولا التخلص من المأزق الذى وضعه فيه « النبيل » ،
مؤكدًا اصراره واصرار العمال على تأسيس حزب لهم حتى رغم انف النبيل
« اذن فليخفف النحاسيون من فرحهم وهتافهم وزعمهم انهم انتصروا ،
وقضوا على الحزب فى مهده .. ولا يفوتنا هنا ان نلفت نظرهم الى الفارق
الكبير بيننا وبينهم ، فنحن لا نؤمن مثلهم بنظرية الايمان الاعمى بالزعامة ..
وعدم التفكير الا بعقل الزعيم . بل نحن نفكر بعقولنا نحن ، ونعمل ما نقدنع
نحن به وهذا ما يجعل الزعيم عباس حلیم يشعر بالفخار لانه يتزعم حركتنا
ولا يتزعم جماعة مثل جماعتكم » .

ثم يمضى عصام ليقول كلمته الاخيرة ..

« فاذا فرضنا مثلا (وهذا ما نكتبه على سبيل الجدل ولا نعتقد
قط) ان النبيل عباس حلیم رأى ان يتخلى عن الحركة .. فهال معنى هذا ان

العمال يمتنعون عن انشاء حزب العمال ، كلا ثم ألف كلا فالعمال سينشئون حزب العمال لا لان الزعيم عباس حليم يرى ذلك فقط ، بل لانهم هم يرون ذلك « (١) » .

ولكى لا يدع الفرصة امام أى تراجع يسارع عصام بنشر « مبادئ حزب العمال » وهى نفس البرنامج الذى كان عصام قد أعده خلال محاولته السابقة لتأسيس حزب للعمال والفلاحين هو واسماعيل مظهر . . وقد نشر هذا البرنامج فى مجلة « العصور » (٢) ثم فى مجلة « روح العصر » وقد أشرنا اليه فى الفصل الخاص بمجلة « روح العصر » .

لكن عصام يدرك ان هذا البرنامج اكثر من متخالف بالنسبة للنبييل هو لا يرد ان يخسر النبييل . .

لكنه أيضا لا يريد ان يبدو « معتدلا » أكثر من اللازم امام العمال الذين سارع بتكتيلهم دفاعا عن هذا البرنامج . .

ولهذا أمسك بالعصا من منتصفها فنشر البرنامج داعيا العمال للتكتل حوله والدفاع عنه حتى فى وجه النبييل نفسه ، وان كان قد أتاح الفرصة أمام النبييل أيضا ليقول كلمته . .

« نحن ننشر هذا البرنامج ليكون القارىء فكرة عن حزب العمال الذى سيتكون فى القريب العاجل والذى سوف يكون برنامجه مشابها لهذا البرنامج بعد ادخال التعديلات التى هى نتيجة دراسات الزعيم حليم فى أوروبا الان . . » (٣) .

لكن عصام لا يكتفى بالنشر . . بل هو يكتل العمال خلف البرنامج ويعقد مؤتمرات للعمال ليناقتشوا البرنامج ، ثم ينشر على أعداد متوالية توقيعاتهم تأييدا لبرنامجه . . واضعنا النبييل فى مأزق شديد الحرج . .

وعصام لا يكتفى باعلان برنامج يسارى لحزبه بل هو يعان بأعلى صوته فى مقال عنيف رفضه لكل الاحزاب الاخرى لانها تمثل طبقات معادية « حزب العمال يقوم على أنقاض الاحزاب الاخرى » (٤) .



-
- ١ - شبرا ، ١٦ - ٩ - ١٩٣٧ .
 - ٢ - العصور ، يونيو ١٩٣٠ .
 - ٣ - شبرا ، ١٦ - ٩ - ١٩٣٧ .
 - ٤ - شبرا ، ١٦ - ٩ - ١٩٣٧ .

ولأن النقطة الرئيسية ندد كانت لها بدايات .. وأيضا كانت لها
نهايات .

الاولى نهاية محاولة تأسيس الحزب . . فعندما وصلت الامور الى
هذا الحد ، وعندما أوشك حزب العمال أن يكون حقيقة واقعة ، وعقدت
سلسلة المؤتمرات العمالية لمناقشة البرنامج والمواقف عليه ، وانهارت
التأييدات والتوقعات لتعمر معظم صفحات مجلة « شبرا » . . هنا أدرك
الجميع أن الامر جد لا هزل . . واستدعى الزميل عباس حليم على عجل
الى القاهرة ، وتدخل الملك شخصيا في الامر ، وتنتشر « شبرا » الخبز « وقد
علمنا ان عددا كبيرا من العمال البارزين في صفوف الحركة العمالية قد
اجتمعوا مع بعض المثقفين المعروفين بأرائهم وثقافتهم العمالية ودرسوا مشروع
اعلان الحزب وقرروا :

١ - انشاء حزب العمال المصري .

٢ - اعتماد المبادئ الاقتصادية والاجتماعية التي وضعها الأستاذ
عصام الدين حنفي ناصف ونشرت في جريدة « شبرا » بتاريخ ١٦ سبتمبر
١٩٣٧ .

٣ - الاستغناء عن برنامج سياسي للحزب وذلك نزولا على نصيحة
حضرة صاحب الجلالة الملك بعدم الاشتغال بالمسائل السياسية « .
وهكذا كان ثقل الملك ضروريا كي تهزم محاولة عصام ناصف . .

وأحس الرجل أن الحزب الذي يزمعون انشاءه بعد تجريده من حقه
في الاشتغال بالسياسة ليس هو الحزب الذي يريد ولا الحزب الذي كان يؤمل
أن يبنيه . . وانسحب . . لكنه انسحب ليحارب في جبهة أخرى . . وبشأن
الحملة على الجميع . . بما في ذلك عباس حليم نفسه .

وفي مقال عنيف نشره في جريدة « الشعاع » وهو مقال كان نهاية
العهد لعصام بميدان العلنية ذلك أنه تحول بعد ذلك الى العمل السري . .
مقتنعا بعد كل هذه التجارب أنه لا مجال لمساومة « البرجوازية » على
علانية النضال من أجل حقوق الطبقة العاملة . . ومن أجل الاشتراكية . .
يقول عصام :

« عمال قبل كل شيء . . حذار من تضليل البرجوازية » هذا هو عنوان
المقال الذي جاء فيه « ليس هناك أشد ضلالا ممن يزعم أن هناك نزاع بين
الوطنية المصرية والعمالية المصرية . . ما أضر أحزاب البرجوازية في التهويش
والتضليل ، انها تعطي للعامل خنجرا مسموما ليطنع به طبقته وتدعوه باسم

الدين أو الوطن أن ينتحر فيفعل . ويقولون له أين مكانك لا تتقدم إلى الامام حتى ننتهي نحن من اجلاء المحتلين فيجيب سمعا وطاعة سأبقي قابعا في الاووال القذرة الى أن يصدر أمركم بالتحرك فأتحرك في الطريق الذي سارت فيها احزاب العمال والاشتراكية في سائر بلاد العالم » .

ويمضي عصام قائلا « اننا نسعى لتحسين حالة أغلبية الامة من عمال المدن والارياف وهذا أمر لا يعوق الحركة الاستقلالية ، بل هو حصرى أن يقدمها ويقويها فاذا زعمت هذه الهيئات أن حركة العمال تعرقل جهادكم ، فالامر سهل ، فليتحلوا للعمل عن الجهاد لتحرير الوطن . ان العمال يستطيعون النهوض بالحركتين معا : الاستقلالية والعمالية » ولقد أثبتت الحوادث في الصين وغيرها ان احزاب العمال هي التي تستمر إلى النهاية في الجهاد ضد الاحتلال الأجنبي على نقيض الاحزاب البرجوازية فهي مرتشية ، تسامو العدر على حقوق بلادها ، وتضحي بالمصلحة العامة في سبيل المصلحة الحزبية والشخصية . » (١) .

ولم تكن هذه مجرد نهاية لمحاولة مستميتة سعيا وراء المستحيل بل كانت بداية لاقتناع الرجل بأن « العلانية والقانونية » ليسا هدفا بذاتهما وانما الهدف هو « الاشتراكية » . . . واذا استحال السعي للاشتراكية علنا . . فلنسع إليها « سرا » .

وانضم عصام الدين ناصف الى موكب الحركة الشيوعية التي كانت تتبشّر في ذلك الحين .



والنهاية الثانية للقصة . . متعلقة بالمنبر الذي خاص عصام معركته من نوعه جريده « شبرا » التي « احتلها » عصام « احتلالا » واستخدمها بفاعلية وكفاءة كمنبر يساري يدافع به عن فكرته .

ولم تكن « شبرا » مجرد منبر للدفاع عن حقوق العمال والفلاحين ، او للدعوة الى حقهم في تأسيس حزب لهم ، بل فتحت صفحاتها أمام الدراسات الاشتراكية العلمية وأمام المعارك التي خاضتها الانسانية ضد الفاشية وخطرها ، وعلى صفحاتها ترددت نداءات اليسار العالمي ضد الحرب . . وضد الفاشية وضد الاستعمار . .

وقد نظمت « شبرا » حملة شعبية ضد الغزو الايطالي للحبشة بدأتها بنشر نداء صادر عن الاتحاد الدولي للسلام والجمعية الدولية للهيئات التابعة

للعصبة الامم والمؤتمر الدولي للشباب بعنوان « نداء الى جميع الساخطين على
غزو الحبشة » (١) .

ان الأعداد التي صدرت من مجلة « شبرا » خلال فترة سيطرة عصام
ناصر عليها كانت وبحق ذموجا فريدا لكفاح الحركة اليسارية عندما
تستخدم منبرا غريبا عنها ، ثم تتحكم فيه ، وتلوى عنقه ليقدم مصالحها .
لكن ذلك - بالضرورة - لا يمكن أن يستمر طويلا . .

والنهايتان متواكبتان . .

فما أن تجهض محاولة عصام لتأسيس الحزب بناء على تدخل من
الملك . . وما أن ينسحب عصام من حزب لا يمثل أحلامه ، حتى تنسحب
« شبرا » أيضا من المعركة وتنحاز الى الوفد . .

لقد فقدت اللهم . . الذي كان يبث فيها روح الشجاعة . .

وانسحاب « شبرا » من المعركة تم تحت ضغط وارهاب السلطة ، ففي
أعقاب محاولة فاشلة لاغتيال النحاس باشا شملت الاعتقالات محمد عبد
الحاميد عبد الله صاحب « شبرا » ورئيس تحريرها . .

وهو يشير الى حادث القبض عليه « في مساء اليوم الثالث لعيد الفطر »
ثم الافراج عنه مقدما شكره « للعدالة والاخوان » . .

ويبدو أن الافراج لم يكن بغير ثمن . .

فقد غيرت « شبرا » موقفها تماما ، حتى القطع غيرته . . وصدرت في
قطع صغير ، وحذفت من صدرها عبارة « لسان حال العمال » واكتفت بأذيها
« جريدة سياسية أسبوعية » ثم دفاع عن النحاس باشا « زعيم البلاد » (٢) .
والباقي يمكن تخيله . . مقالات عادية بغير اتجاه . .

لقد تخلت « شبرا » عن مسارها اليساري وعادت مجلة « عادية » من
جديد . .

ولم تكن « شبرا » النموذج الوحيد لمحاولة عصام ناصر لتحويل
مسار جريدة والسير بها في اتجاه اليسار فلقد كانت هناك محاولات
أخرى عديدة ، صندوق الدنيا عام ١٩٣٣ ، الادب الحى عام ١٩٣٧ ، الشعاع
١٩٣٨ . لكنها لم ترتق سواء من حيث العمق في الاتجاه اليساري أو من
حيث القدرة في التحكم الى المرتبة التي وصلت اليها « شبرا » . .
فقط ، أردنا أن نشير الى هذه المحاولات استكمالا للصورة العامة .

١ - شبرا ، ١٦ - ٩ - ١٩٣٧ .

٢ - شبرا ، ١٦ - ١٢ - ١٩٣٧ .

التطور

في هذا العدد

- اتجاه جديد
- ذلك الفقر الأزلى
- جولة في الأحياء الفقيرة
- دعوة للتفكير في حالة المجتمع المصرى
- مستقبل الثقافة في مصر
- الفكر في خدمة المجتمع
- حول الغاء البغاء
- سيجموند فروبيد
- مباحث النيران
- بين ابليس وامرأة
- الى أصحاب الأبراج العساجية
- نحو فن حر
- شاعر العيون الخصبية « بول ايلوار »
- شعر ورسوم حرة
- قصة شعبية : قتل الحلاق امرأته

الثمن قرشان

العدد الأول - يناير ١٩٤٠

« غلاف خارجى من ورق مقوى يتغير لونه في كل عدد »

التطور

مجلة شهرية تصدرها جماعة الفن والحرية

العدد الأول يناير ١٩٤٠

الادارة شارع المدابغ
رقم ٢٨ بالقاهرة .
الاشتراك ٣٠ قرشا عن سنة
و ١٥ قرشا عن نصف سنة

صاحب الامتياز
ورئيس التحرير
أنور كامل

اتجاه جديد

« نحن نوؤمن بالتطور الدائم والتغير المستمر . . »
« نحن نقاوم الاساطير والخرافات ونكافح انقيم
التوارثة . . التي وضعت لاستغلال قوى الفرد في
حياته المادية » .

« شلاف داخلي من ورق عادى »

« ٠٠٠ » في البداية اتصلت بجماعة Essayistes « المحاولين » ولكن

صلتني بهذه الجماعة كانت ضعيفة جدا ولم نقعد زيارتين أو ثلاثة لكنني لم
اشعر بالتدرة على الاندماج معهم ٠٠

وفي عام ١٩٣٦ أصدرت كتابا اسمه « الكتاب المنبؤ » وقد صدر
عن دار نشر كان يملكها أحمد الصاوي محمد وهي دار « مجلتي » (١) ٠٠
وعن طريق هذا الكتاب تعرف بي كامل التلمساني وتدعمت العلاقات بيننا
بشكلي وثيق ومستمر ٠٠

« ٠٠٠ » وعن طريق التلمساني تعرفت بجورج حنين ، وتوثقت علاقتي
به ٠ وكان يرتب في ذلك الحين هو وعدد من المصريين للانفصال عن جماعة
« المحاولين » ٠٠ وبعدها اتصلنا بالنادي الديمقراطي لكن لم نشعر
بالارتياح معهم ٠٠ وهكذا انفصلنا أنا وجورج حنين وكونا « جماعة الفن
والحرية » ٠

« وأصدرنا سلسلة من النشرات وأذكر بأن أول نشراتنا كانت عنيفة
جدا بعنوان « يحيا الفن المنحط » وكان الاتجاه العام للبيان معاد
للفاشية ودفاع عن حرية الرأي ، وبعدها أصدرنا نشرة ثانية وكانت دراسة
لأندييه جيسد أعتقد أن عنوانها كان « دفاع عن الثقافة » ٠

وعتب ذلك تجمع حولنا عدد من الشبان وأحسست أنه لا بد أن تكون
لنا مجلة فحصلت على ترخيص مجلة « التطور » وكنت رئيس التحرير
وصدر العدد الاول في يناير ١٩٤٠ « (٢) ٠

هكذا صدرت « التطور » لتفتح صفحة جديدة من صفحات الصحافة
اليسارية في مصر ٠٠ فقد سبقتها محاولات لتأسيس صحافة حزبية

١ - أصدر مجلس الوزراء في ١٩ أغسطس ١٩٣٦ قرارا بمصادرة هذا الكتاب
ومنع تداوله في الدولة المصرية لأنه « يدعو الى الاباحية والتجرد عن الاديان
والتخلي عن الفضيلة والضمير في سبيل ارضاء الشهوات الجسمية - راجع
أنور كامل - مقال تيارات رجعية - مجلة التطور - مارس ١٩٤٠ ٠

٢ - راجع النص الكامل لمحضر النقاش مع أنور كامل في د٠ رفعت السعيد
- اليسار المصري ١٩٢٥ - ١٩٤٠ - دار الطليعة بيروت - الطبعة الثانية -
ص ٢٥٢ ٠

للييسار ، ومحاولات أخرى لاستخدام « الجريدة » منبرا لبحث الدعوة الاشتراكية من أجل توثيق النشاط العلني للفكر الاشتراكي ومحاولة تأسيس منبر اشتراكي علني . .

وتأتى « التطور » لتبدأ مرحلة جديدة ، انها جريدة تحاول أن تجمع حولها تيارا من المثقفين اليساريين ليفكروا معا في الطريق الذى يجب أن يسلكوه . .

نحو ماذا ؟

هنا يثور الخلاف بين الرواة . .

يقول انور كامل انه اشترك في تأسيس جماعة « الفن والحرية » مع « جورج حنين » . . « وحول مجلة التطور تجمع عدد كبير من الشباب المصريين المتحمسين للإصلاح وبدأت أشعر أننا بحاجة الى حركة أكثر ارتباطا بمشاكل الجماهير . . وهكذا تزعمت مجموعة من أعضاء « الفن والحرية » لتكون ناديا جديدا أسميناه « الخبز والحرية » (١) .

لكن مارسيل اسراييل مؤسس التنظيم الشيوعى المصرى « تحرير الشعب » يقدم لنا رواية أخرى : « كما قام أعضاء « تحرير الشعب » بوضع أيديهم على مجلة «التطور» وأصدروها باسم الفن والحياة وحولوها من مجلة فوضوية وسريالية الى مجلة عمالية . لكنها لمؤء الحظ لم يتسع أمامها الوقت لتدعيم تأثيرها فقد منعتها الرقابة بعد صدور عدة أعداد منها . وبعد أن فقدت « تحرير الشعب » كل من « الاتحاد الديمقراطي » و « الفن والحرية » كمنابر علنية كونت بدلا منها منبرين علنيين آخرين هما « الخبز والحرية » والذي اختير اسمه بوحي من معارضة المثقفين الفوضويين في اختيارهم لاسم « الفن والحرية » . أما التجمع الثانى فسمى « ثقافة وفراغ » (٢) .

ويستكمل مارسيل اسراييل المعلومات الخاصة « بالخبز والحرية » فى تقرير خاص كتبه فى عام ١٩٧٣ وسلمه لى فيقول « وبالرغم من أن قيادته

١ - د . رفعت السعيد . المرجع السابق ص ٢٥٣ .

٢ - من تقرير مكتوب على الآلة الكاتبة باللغة الفرنسية وهو محاولة لتاريخ حركة اليسار المصرى ودور مارسيل اسراييل فيها مرفوعة الى قيادة الحزب الشيوعى الايطالى وقد كتب مارسيل اسراييل هذا التقرير عام ١٩٥٠ بعد ابعاده من مصر الى ايطاليا هـمدا به نفسه الى الحزب الشيوعى الايطالى . . راجع النص الكامل للتقرير - المرجع السابق ص ٢٥٨ .

« تحرير الشعب » هي التي كانت مسئولة عن جمعية « الخبز والحرية » إلا أنني لم أظهر مرة واحدة في مقر هذه الجمعية حفاظا على مصريتها » (١) .

لكن أنور كامل يرفض ذلك كله . . مؤكدا باصرار « لم يكن معنا أجنبى مطلعا » وأواجهه بما كتبه مارسيل اسرائيل فيقول « لا جدال في أن مارسيل اتصل بنا . وحاول أن يؤثر علينا ، لكننى وزملائى جميعا صممنا على أن تكون « الخبز والحرية » حركة مصرية مائة بالمائة » .

والجأ الى مصدر آخر للمعلومات هو أسعد حليم أحدد مؤسسى « الخبز والحرية » وأسأله يقول مارسيل أنه مؤسس « الخبز والحرية » ويؤكد أنور كامل أنه مؤسسها فما هي الحقيقة ؟ » .

ويرد أسعد حليم « كلاهما صادق » « نحن (تحرير الشعب) أسهمنا مساهمة ايجابية في انشاء « الخبز والحرية » وكان مارسيل يوجهنا ويقودنا ، وأنور كامل كان الرئيس الرسمى . وكان مجلس ادارة الجمعية مكونا من أنور كامل (رئيسا) ودكتور عبد العزيز هيكل - أسعد حليم - فتحي الرملى - صالح عرابى . وبعد مدة ضممنا عبد العزيز هيكل الى « تحرير الشعب » وهكذا نان مارسيل اسرائيل برغم أنه لم يضم اسمه كعضو في مجلس ادارة « الخبز والحرية » إلا انه كان مسئولا عن ثلاثة أشخاص من مجلس الادارة » (٢) .

وهكذا يمكننا ان نفهم الامر كالآتى . .

أنور كامل حاول استخدام « التطور » كمنبر يتبلور حوله اتجاه « مصرى » يسارى . . وأتاه مصريون لكنهم كانوا منضمين سرا الى تنظيم آخر هو « تحرير الشعب » الذى كان يرأسه مارسيل اسرائيل .



وثمة رواية أخرى أحاطت بتأسيس وتمويل « التطور » فعبد المغنى سعيد أحمد محررى « التطور » روى في مذكرات له نشرها في مجلة « الثقافة العمالية » مؤخرا أن أنور كامل كان في ذلك الوقت على علاقة بمحاولات هنرى كورييل لتأسيس تنظيم الحركة المصرية للتحرير الوطنى . .

وقد نفى كورييل ذلك في مقابلة معه . . ونفاها أنور كامل أيضا .

١ - مارسيل اسرائيل - تقرير مكتوب بخط اليد باللغة العربية يروى فيه الكاتب ذكرياته بناء على طلب المؤلف .

٢ - المرجع السابق ص ٢٧٥ .

وليس أدل على عدم صدق هذه الرواية من أن « التطور » قد توقفت عن الصدور بمجرد أن « جورج حنين » سحب الضمان المالى منها . ولو كانت « التطور » على علاقة بهنرى كورييل في ذلك الحين أو حتى على علاقة مباشرة بمارسيل اسراييل لامكن لاي منهما تدبير ضمان مالى آخر .



بقيت بعض « الشبهات » التى أحاطت « بالتطور » .

فقد قال مارسيل اسراييل في تقريره المشار اليه سابقا أن أعضاء « تحرير الشعب » قد حولوا التطور « من مجلة فوضوية وديريالية الى مجلة عمالية » (١) .

واقيهما كثيرون بأنها كانت منبرا تروتسكيا .

لكن استقراء الاعداد الخمسة التى صدرت من مجلة « التطور » يوضح لنا انه لم تظهر فيها أية مواقف فوضوية اللهم الا بعض ملامح نوحى بالاعترا ب من الفكر الفوضوى ، برزت خلال عرض جورج حنين للكتاب « مباع النيران » لنقولا كالاس (٢) .

وبعض كتابات كندروفيتش وبعض الشعارات التى يمكن أن تندرج تحت نفس النمط الذى سارت عليه هذه المجموعة منذ نشأتها عندما اصدرت الكتاب « المنبؤ » وبيان « يحيى الفن المخطط » وشعارات مثل تلك التى ظهرت على الغلاف الاخير للعدد الاول « هل تريد ان تنقل كل الادب والفن البحرى في مصر وأن تنقضى على كل اصلاح وتجديد يتطلبه المجتمع . . اذن فلا تشتر هذا العدد ، فستقتصد قرشين » .

وكانت مثل هذه الرموز تفسر في المحيط الثقافى المصرى في ذلك الحين على انها انتماءات فوضوية . . لكنه يصعب علينا أن نحسم التجربة كلها بالفوضوية أو حتى نصل الى حد القول بأن بصمات الفكر الفوضوى كانت واضحة المعالم في مجلة « التطور » .

كذلك فأننا نود أن نؤكد أنه باستقراء كافة أعداد التطور الخمس لم نجد بها أية دعاوى تروتسكية . . لكن ذلك لا ينفى مطلقا أن بعض مؤسسيها « جورج حنين مثلا » كان تروتسكيا .

١ - المرجع السابق ص ٢٦٨ .

٢ - التطور ، العدد الاول - يناير ١٩٤٠ .

لكنه قد استألفت نظارنا - وهذه مسألة ذات أهمية خاصة - أن اسم الاتحاد السوفييتي لم يرد مطلقا . في كل أعداد التطور لا بالسلب ولا بالاجاب . مما يوضح أن الموقف منه كان محل خلاف . وذلك برغم أن كل صحف هذه الفترة كانت بحكم تطورات الاوضاع الدولية في ذلك الحين زاخرة بالحديث عن الاتحاد السوفييتي .

كذلك فانه مما يلفت النظر أن « التطور » لم تشر من قريب أو بعيد الى الخطر الفاشيستي او الى الحرب العالمية الثانية ، او الى الدعاوى الهتلرية . مما يوحي أيضا بأن هذه المسألة كانت موضع خلاف (واضعين في الاعتبار أن التروتسكيين كانت لهم مواقف متناقضة مع مواقف الحركة الشيوعية حول هذه المسألة . في ذلك الحين) .

على أنه يمكننا ان نقول ان استقراء اعداد التطور يوضح لنا انها كانت مسرحا لصراعات بين قوى مختلفة .

جورج حنين وأنور كامل كونا معا اتجاعا « يسارى معتدل » لم تبرز فيه على صفحات التطور - على الأقل - أية لمحات تروتسكيا ، وإن كانا قد اتخذتا في مسارهما العام بعد ذلك موقفا تروتسكيا ، وقد انفصل الاثنان ابتداء من العدد الخامس والآخر وذلك أثر انفصال أنور كامل عن « جماعة الفن والحرية » مؤسسا « الخبز والحرية » داعيا الى الابتعاد عن الاجانب وذوى الثقافة الاجنبية والالتحام بالمصريين (وسوف نرى ان جورج حنين ظل لصيغا بالاجانب . كان يكتب اشعاره بالفرنسية . ثم هاجر من مصر واقام في فرنسا حتى مات في اغسطس ١٩٧٣) .

وكان هناك موقف اصلاحى بحت عبر عنه عبد الغنى سعيد .

وهناك أيضا موقف راديكالى يعبر في عنفه عن رفضه للنظام الرأسمالى ويدعو الى الاشتراكية ويتزعم هذا التيار عصام الدين حنفى ناصف ، على كامل رمسيس يونان وفيصل شهبندر ويفترض أن يكون ضمن هاذ التيار عبد العزيز ميكل (عضو تحرير الشعب) لكن اسمه لم يظهر الا في العديدين الاخيرين وكانت كل مساهمته نشر مسرحية من فصل واحد في كل منهما .

وهناك موقف يسارى ركز كل حديثه عن الفن وعن دور الفنان في معركة التطوير وكان محور هذا التيار كامل التلمسانى .

وتيار كان يعتقد أن محور التقدم في مصر هو حل قضية المرأة وتحريرها ومناقشة موضوع الجنس مناقشة صريحة . عبد الحميد الحديدي . رمسيس يونان .

وعلى وجه الإجمال يمكن القول بأن مجلة « التطور » كانت نقطة تجمع يسارية للمثقفين التقدميين المقبلين من مصر الثلاثينيات نحو مصر الأربعينيات .

كانت المجلة تدور بهم يسارا ، وظروف مصر والعالم تقضدهم نحو اليسار لكنهم كانوا على العتبات الاولى للطريق . . فقد كانوا - حتى ذلك الحين - مجرد مثقفين منعزلين كل ما يميزهم هو رفض المجتمع القائم رفضا قاطعا أما تطلّعهم الى المستقبل فانه متفاوت الدرجات متعدد الالوان .

وباستثناء شخص واحد هو عصام ناصف فانهم لم تكن لهم - حتى ذلك الحين - أية علاقات بالحركة المخضومة لليمار المصرى والتي امتدت متأججة أحيانا وخابية فى أحيان أخرى عبر العشرينيات والثلاثينيات .

بقيت علامة استفهام وحيدة . . أنور كامل فى كل محاولاته لتذكّر هذا الماضى يؤكد أن كل بواعثه كانت تمصير الحركة . . وكانت رفضا لفكرة أن يلعب الاجانب أو المتصرين أى دور فى تأسيس الخبر الشيوعى المرتقب . . فلماذا فتح صفحات كل أعداد التطور بغير استثناء امام أجنبى هو سام كندرفتس وأمام أجنبى آخر هو البير قصيرى الذى كان يكتب قصصا بالفرنسية ليترجمها محررو التطور الى العربية ؟ . ذلك سؤال لم أجده جوابا ، ولعله يلقي ظلالا من الشك حول دعاوى التمصير التى ينسب بها أنور كامل الآن مبررا كل مواقف السابقة . أو - على الأقل - يقلل من قيمة هذه الدعاوى .

بعد هذه المقدمة . . نعود الى قصة مجلة « التطور » .

« جماعة الفن والحرية » التى تأسست فى ٩ يناير ١٩٣٩ والتى اتخذت مقرا لها بشارع المدايح رقم ٢٨ بالقاهرة والتى حدد قانونهم الأساسى أغراض الجماعة بما يلى :

« أ - الدفاع عن حرية الفن والثقافة .

ب - نشر المؤلفات الحديثة والقاء محاضرات وكتابة خلاصات عن كبار المفكرين فى العصر الحديث .

ج - إيقاف الشباب المصرى على الحركات الادبية والفنية والاجتماعية فى العالم » (١) .

١ - التطور ، يناير ١٩٤٠ .

هذه الجماعة قررت إصدار مجلة . رأس تحريرها أنور كامل وقدم
ضمامها المالي جورج حنين .

وصدر من المجلة ثلاثة أعداد . ثم نلاحظ آثار الازمة ابتداء من العدد
الرابع عندما قرر أنور كامل الانسحاب عن « الفن والحرية » وتأسيس « الخبز
والحرية » فقرر « جورج حنين » كف تمويله عن العدد الرابع ، فظهر على
الغلاف الداخلي لهذا العدد الاعتذار التالي « لظروف ذوق اردتنا تأخر
صدور هذا العدد كما ظهر في نصف حجمه المعتاد » ، ونلاحظ أن الثمن قد
خفض أيضا الى النصف فاصبح عشرة مليمات « (١) » .

لكن جورج حنين يكتب في هذا العدد . أما العدد الخامس فيظهر في
نصف الحجم المعتاد أيضا والثمن أيضا عشرة مليمات وهو العدد الوحيد
الذي لا يشارك في تحريره جورج حنين .

ثم توقفت « التطور » عن الصدور .

بقول مارسيل اسراييل في تقريره « ان الرقابة قد منعت « التطور »
من الصدور (٢) وثمة دليل قد يشجعنا على قبول هذا الرأي وهو افتتاحية
العدد الخامس والآخر التي كتبها أنور كامل بعنوان « نحن ودعاة الرجعية »
والتي قال فيها « قامت بعض الجمعيات بحملات متعددة ضد مجلة «التطور»
ولقد رفعت إحدى هذه الجمعيات الى رئيس مجلس الوزراء كتابا تشير فيه
الى خطورة الدعوى التي تنادى بها هذه المجلة والى انها تعمل على نشر
الاباحية وهدم الفضيلة والدين وتقويض اركان النظامين الاجتماعى
والدستورى اللذين تسير بمقتضاهما البلاد . . » .

ويحاول أنور كامل أن يشرح باعذار شديد أفكار ومواقف مجلته
لكنه يختتم دفاعه قائلا « ان كان في تحرير العقول من الخرافات والاساطير
الرجعية افساد ، وان كان في تحرير الناس من الرق والعبودية افساد ، فنحن
نعلن من هنا بأن لنا رسالة في هذه الحياة : هي افساد عقول الناس » (٣) .

وهذا يوضح أن « التطور » كانت تتعرض لهجمات ومؤامرات شديدة ،
ويزيد من مظنة أنها قد توقفت عن الصدور بقرار من الرقابة .

١ - التطور ، أبريل ١٩٤٠ .

٢ - د رفعت السعيد - المرجع السابق ص ٢٦٩ .

٣ - التطور - مايو ١٩٤٠ .

لكننا بفحص الصحف اليومية والمجلات الاسبوعية السادرة خلال شهرى مايو ويونيو سنة ١٩٤٠ لم نعثر على أية اشارة لصدور مثل هذا القرار ، وكانت العادة أن تنشر الصحف مثل هذه القرارات وتعلق عليها - تبيدا أو معارضة .

ويقوى الاعتقاد بأن رواية مارسيل اسرائيل ليست صحيحة ما يؤكد - صاحب الشأن أنور كامل من أن المجلة قد توقفت عن الصدور لان جورج حنين - وكان الضامن المالى للمجلة « سحب الضمان فمسح الترخيص فتوقفت المجلة عن الصدور » (١) .

يقوى هذا الرأى أن جورج حنين قد امتنع بالعمل عن المشاركة فى تحرير العدد الاخير .

وقبل ان ندخل فى دراسة متأنية لاعداد مجلة « التطور » الخمس نرد أن نشير الى بعض الموضوعات التى تميزت بها « التطور » عن غيرها من مجلات اليسار السابقة والتى اعتبرت « التطور » بسببها نقطة تحول فى الصحافة اليسارية المصرية ..

هناك أولا . . الشعارات التى نشرت فى كل اعداد « التطور » . . مثل الفراغات فى نهاية المقالات . . مثل « مجلة التطور تحارب الرجعية وتشور على القديم ، تدافع عن حقوق الافراد ، وتنادى بحق المرأة فى الحرية والحياة » - وخلقت العراقيل لتكتسح « - فلتأخذ المرأة حريتها بنفسها ولا تنتظر من أحد أن يمنحها هذه الحرية » - المرأة التى تخدم الرجل ، والرجل الذى يخدم الرئيس كلامهما من طبقة واحدة طبقة العبيد « - « سيكون أقوى فى الغد . . وأنت ؟ » (٢) .

« نحن لا نريد منك أن تدبنا وانما نريد أن نشق معنا الطريق » (٣) الدولة التى لا عدالة فيها خير لها ألا تكون « - لكل فرد فى الدولة الحق فى أن يعيش حرا ٢٤ ساعة فى اليوم » (٤) .

« نحن نريد ونعرف ما نريد » - « أيها الزميل تذكر دائما أن كل قرش تدفعه لهذه المجلة معول هدم فى صرح الاستغلال » - « ويجب وضع حد

١ - د . رفعت السعيد - المرجع السابق ص ٢٥٤ .

٢ - التطور - يناير ١٩٤٠ .

٣ - التطور - فبراير ١٩٤٠ .

٤ - التطور - أبريل ١٩٤٠ .

أدنى الاجور وحده أنصى لساعات العمل « - كل قرش في غير موضعه اهدار لحقوق الفقير « - الموت خير من الحياة في عالم لا يفتقر فيه الحلم بالعمل « - لسنا أحرارا ما دامت هناك سجون « - أينما الزميل لا تنس أن تتترك هذه المجلة في مكان ما حتى يقرأها غيرك « - انى اتهم الخونة والصوص «(١) .

كذلك كانت « التطور » اول مجلة يسارية تركّز تركيزا خاصا وفي كل عدد من أعدادها على مشكلة تحرير المرأة وعلى ضرورة تناول قضايا الجنس تناولا عصريا متحررا .

ويذيع ذلك الاهتمام من ايمان بعض محرريها بأن تحرير المرأة وتناول قضية الجنس تناولا حرا هما عنصران أساسيان في تقدم الامم .

ولنلق نظرة سريعة على أعداد المجلة لنجد أن الشعارات تتناول في كثير من الاحيان مسألة تحرير المرأة . أما المقالات فهي عديدة وفي كل عدد « بين ابليس والمرأة » - أنور كامل - « حول الغاء البغاء » - مشكلة تستوجب الصراحة «(٢) - « كيف تكون لنا ثقافة جنسية - عبد الحميد الحديدى » - « البغاء مشكلة لها جذور - رمسيس يونان » (٣) ، « حرية المرأة - أنور كامل - « ذكور وإناث - عبد الحميد الحديدى »(٤) - « دولة الاجرام الأبيض - زاهر غالى » - « الحب والجنس - عبد الحميد الحديدى » « المرأة المحاربة من أجل حقها في الانتخاب - كريستابل بانكهرست »(٥) .

وفي البرنامج السياسى الهام الذى قدمه زاهر غالى على صفحات « التطور » بعنوان « ثورة على التقاليد » نجد أن البند الاول في هذا البرنامج بعنوان المرأة وينص على أن « للمرأة الحق في الحياة والحرية والمساواة في كافة الحقوق والالتزامات قبل الرجل وقبل المجتمع » - لها الحق في كافة الحقوق السياسية العامة كالانتخاب والوظائف - لها الحق في تشريع مدنى يتلاءم مع نظم المدنية الحديثة - يمنع تعدد الزوجات ويقيد الطلاق تقييدا يتفق مع كرامة المرأة الانسانية «(٦) .

- ١ - التطور - مايو ١٩٤٠ .
- ٢ - التطور - يناير ١٩٤٠ .
- ٣ - التطور - فبراير ١٩٤٠ .
- ٤ - التطور - مارس ١٩٤٠ .
- ٥ - التطور - أبريل ١٩٤٠ .
- ٦ - التطور - مارس ١٩٤٠ .

وهكذا لفتت « التطور » أنظار اليسار وأنظار كل دعاة التقدم في مصر إلى ضرورة معالجة قضايا تحرير المرأة معالجة حاسمة وصريحة كمنطلق أولى لتحرير المجتمع ككل .

كذلك فقد كانت « التطور » أول مجلة يسارية تركز تركيزا كبيرا على دور الفن والفنان في تطوير المجتمع ، وعلى واجبات الفنان تجاه قضايا مجتمعه . وهذه مسألة طبيعية ذلك ان « التطور » كانت أولا وأخيرا منبرا لجماعة « الفن والحرية » .

وفي العدد الاول ترجمه « التطور » الكلمة التالية « الى أصحاب الابراج العاجية » فتقول « ولن نجد كلمة نوجهها الى الفنانين والادباء الذين يعيشون على هامش المجتمع خيرا من الكلمة التي ألقاها بول الوار في لندن في ٢٤ يونيو ١٩٣٦ بمناسبة المعرض الدولي لحركة السيرباليزم ونحن نقطف منها هنا بعض فقرات لعلها تجد لديهم آذانا صاغية » (١) .

وتحت عنوان « نحو فن حر » يكتب كامل التلمساني مقالا يضع في مقدمته عبارة اقتبسها من برنارد هولاندر تقول « كل راحة ونعمة في الحياة الجديدة ولدت في اذعان رجال شذوا عن العرف والمألوف المصطلح عليه ، واوجدوا بالرغم من الاضطهاد والمعارضة نرتيا جديدا اصلح للاشياء ، ينسى العالم عبيد الذقالييد المتوارثة . . لكنه يشيد ديكل الخلود لهادمي التاليد الناجحين » (٢) .

وفي العدد الاول ايضا قصيدة « عايده » كتبها بالفرنسية الشاعرة ماري كفاديا . ودراسة عن « شاعر العيون الخصبه بول الوار » وقصيدة اخرى « العبقرى » كتبها بالفرنسية ايضا جورج حنين

« غابة شقوقها من المرجان

مفتوح للعابزين المتخفين

الواصلين من نهاية السماء

الحب الذي يلعب

فوق سفوح الضوء المجهولة

وفوق عزلة جبينك التي يمكن التعبير عنها

يتردد في الاختيار

بين مذاهب الغواية المختلفة

١ - التطور - يناير ١٩٤٠ .

٢ - المرجع السابق .

التي يتقدمها له مع ابتسامه من رصاص

شباب متهور

حياته لا تقوم الا على صلابه هذه الابتسامه

ونوق ذلك قصة رائعة بعنوان « قتل الحلاق امراته » كذبتها بالفرنسية

أيضا اللير قصيرى وترجمها الى العربية على كامل . . .

وتقدم « التطور » القصة الاولى للير قصيرى بالعباره التاليه « اللير

قصيرى » كاتب مصرى ، يكتب بالفرنسية . وهو يعبر فى كتاباته عن روح الشعب والطبقات الفقيره ، ونحن ننقل له هنا هذه القصة كمثال للاتجاه الحديث فى القصة المصريه .

وحصة اللير قصيرى تستحق الاعجاب بالفعل ، فانت تشعر انه بلمسات

رقيقه غاية فى الرقة يضع يدك على الحقيقه المباشرة . .

« . . كان الطفل قدرا ، ولكنه كان جميلا ، كان عاريا تحت رداءه الملون

بلون الارض ، كان يحمل حزنه فى كل جوانب جسمه » .

ويجرى الحوار بين الحداد وابنه :

« ان العيد ليس لنا يا ولدى فذبح فقراء .

— ولم نحن فقراء ؟

— اسمع يا ولدى اذهب واجلس فى ركن ودعنى أشتغل ، اذا كنا

فقراء نذبح لان الله قد نسينا .

— ولكن متى سيذكرنا الله يا أبى ؟

— عندما ينسى الله انفسنا ، ينساه الى الابد يا ولدى » .

ويصف حى الاغنياء فى القاهره قائلا « كانت المدينه الاوروبيه تبدو

فريسه ملل حزين لا ينتهى ، هو وليد الشك وتفاهة اللذات . . . كان

المرء يحس أن المدينه تريد أن تفعل شيئا من أجل أن تحيا . ولكن نوعا

من الهم الباطنى الذى لا يشفق كان يشل حركتها بأضوائها القويه . . .

أما الفقراء فقد . . . « كانوا لا عدد لهم حول المطاعم وكل الاماكن التى يمكن

أن يأكل فيها المرء . كان تناول الطعام بالنسبة لهم هو كل شئ . كانوا

لا يرغبون فى أى شئ آخر . منذ أجيال لم تكن لهم لذات أخرى . كانوا

أجساما بغيصه لا حياة فيها . كانت المدينه تتعذب برويقتهم ، كانوا أشبه

ما يكونون بوخزات الضمير . وخزات ضمير متأصلة فى أعماق الارض . ورغم

كل ذلك لم يكونوا يريدون الموت . كان استجداء قطعه من الخبز من الغني

انقزعوا منهم كل شئ هو بالنسبة لهم فرصة للحياة » .

كل هذا في عدد واحد هو العدد الاول ..

وبإمكاننا بدون افاضة أن نلمح الجديد والثورى في كل أشكال التفاوت الأدبى والدرامى التى قدمتها التطور بل وأعطاها مكانا مبالغا فيه على صفحاتها ..

وفى الأعداد التالية نلمح نفس الشئ .. ونفس الكم .

على كامل يكتب فى العدد الثانى « الثقافة والرجل المثقف » يدعو فيه الى ثقافة جديدة « .. أساس هذه الثقافة الجديدة هو ان تكون شسعييه بالنسبة للوطن ، انسانية بالنسبة للواطن الاخرى . ذلك أن الثقافة الحققة هى تلك التى تنظر الى أبناء الوطن جميعا ككتلة واحدة دون تمييز ، هى تلك التى لا تسمح لطبقة خاصة من الامة بأن تفوز بامتياز حق التثقيف فتأخذ بيدها زمام الامور لتفرض أهوائها ومصالحها على الشعب ..

الثقافة الحققة هى تلك التى تسعى لتكوين الفرد وتجعل منه انسانا واعيا يعرف ماهيته ، يدرك علاقته بالمجتمع وعلاقة المجتمع به « (١) .

وفى نفس العدد يكتب النامسانى « الانسانية والغن والحديث » فيقول « الشعور بالانسانية وما تعانيه فى وقتنا الحاضر من أزمات هو أحد المشاكل التى يتناولها الفن الحديث وفى اعتقادى انه أهمها جميعا وأحفها بالدرس والمعالجة » .

والشعر أخذ مكانا كبيرا - هو أيضا - على صفحات « التطور » لكن معظم القصائد كانت مكتوبة بالفرنسية اما لجورج حنين أو كذترونتش او ماريا كفاديا . لكن ثمة أشعار مصرية صميمة كتبها أحمد رشدى .. وهى أشعار تعبّر عن التمرد ورفض الاستعباد .. لعلها كانت ارهاصات مدرسة جديدة فى الشعر تطورت بعد ذلك على صفحات النجر الجديد وأم درمان والجماهير .. بأقلام كمال عبد الحليم ومحمد خليل قاسم ومحمود توفيق وغيرهم .

وتصيدة « استعباد » لأحمد رشدى هى نموذج لهذه الارهاصات الجديدة للشعر الثورى .

« فى الحروب يستعبد القوى الضعيف

فى السلم يستعبد الغنى الفقير

نحن نعمل لنعيش

١ - التطور - فبراير ١٩٤٠

والكذهم بمنحرفنا أجرا هر العدم
 اننا فى طرقةنا الى الفناء
 نحن نكدح من أجلهم طيلة اليوم
 وهم يكدمون الذهب فى خزائنهم
 دبل الاوان يذوى اطفالنا
 وتتصلب وجوه من نحب
 ويعطوها التجميم والمعبوس
 نحن نغرس الكروم ونسهر عليها
 وغيرنا يشرب الخمر
 نحن نزرع القمح
 لتخلو منه منازلنا
 اننا مقيدون بالاغلال
 وان كانت مخفية عن الانظار
 نحن العبيد
 وان كان الناس يلقبوننا بالاحرار
 اركلنى بعيدا
 خذ كل ما املك
 اسلبنى دنياى
 فى هذا الاهمال
 فى الحرية المجردة
 دعنا نصبح فى الاخاء شخصا واحدا
 اسفا على هدى الذى ضاع
 أين الامل فى المساواة »

وفى العدد الثانى أيضا قصة رائعة لالبير قصيرى بعنوان « اضطرابات
 فى مدرسة الشحاذين » • وهكذا تمضى « التطور » لتؤكد - فى مبالغة أحيانا
 - على دور الفنان والفن • وفى العدد الثالث يصرح كامل التلمسانى « الفن
 كالخبز والجنس ضرورة يجب أن تكفلها الدولة لكل فرد فيها » (١) •

وفى العدد الاخير يكتب التلمسانى مقالا غنيا بعنوان « الفن المصرى
 والمجتمع الحاضر » يبدؤه بعبارة غريبة « على الدولة أن تحقق لكل فرد نصيبه
 من الشعر ، ونصيبه من الخبز » ويقول « ••• ان السينما المصرية والمسرح
 والغناء والموسيقى المصرية عبارة عن تجارة يقوم بها بضعة بقالين لسرقة
 أموال الشعب المسكين لانه أكثر الطبقات ترددا على الاعلام المصرية » •

ثم يركز بعد ذلك على محمد عبد الوهاب قائلا « ان رجلا مثل محمد عبد الوهاب ينقل كل قطعه الموسيقية عن الموسيقي الاوربية بمثل هذه الجزاء والوقاحة .. ينتلها كما هي دون تحريف او تبديل هو رجل لص .. انى اتحد لنا بكلمة لص ما يراد بها تماما » (١) .

والفن التشكيلي لقي هو أيضا اعتماما كبيرا من مجلة « التطور » .. وكانت رائدة في هذا المجال أيضا ..

وقد ابتدعت « التطور » لأول مرة في الصحافة المصرية فكرة بأصورة القصيدة في لوحة تشكيلية .. وبدأت بأوحة لبخمسو لاحد قصائد بسول أبواوار (٢) ثم امتدت بعد ذلك الى لوحات عديدة مبدعة بريشة كامل القلمسانى وانور كامل ، انجلو دى ريز ، فؤاد كامل ، فتحي البكرى .

ويمكن القول بأنه بالنسبة للفن التشكيلي كانت « التطور » منبرا يدافع عن السيريالية ويدعو لها ..

يقول رمسيس يونان « وبازاء الفرويدزم في علم النفس الحديث ، ظهرت حركة السيرياليزم في الفن والشعر تلك تحلل التناقض بين العقل الباطن والعقل الواعى او بين الحلم والحقيقة او بين الشهوة والواقع .. وهذه تبرز أسرارها الشديدة وتقابل بين أطرافه المتباعدة في صورة واحدة ، داخل إطار واحد أى سلبية واحدة . وفلسفة جامعة متكاملة في الحياة » (٢) .

.. وهكذا كانت « التطور » منبرا لعب فيه الفن والاعادة اليه والتركيب على موقف الفنان من قضية تطوير مجتمعه دورا أساسيا ... ولعل ذلك كان أمرا مقبولا من مجلة تصدرها جماعة « الفن والحرية » ...

ولسنا نريد ان ننقل من هذه النقطة دون ان نشير الى أهمية هذا الدور الذى لعبته « التطور » تجاه مستقبل الحركة الفنية في مصر .. وتجاه اهتمام الحركة اليسارية المصرية بالفنان ودوره ...

بعد هذه الملاحظات العامة ، يمكننا أن نستقرئ أعداد مجلة « التطور » ،

نقول افتتاحية العدد الاول « نحن نعتقد أن المجتمع المصرى بحالته الراهنة مجتمع فاقم للتأثر : فمقاييسه الخلقية وأوضاعه الاجتماعية

١ - التطور - مايو ١٩٤٠ .

٢ - التطور - يناير ١٩٤٠ .

٣ - التطور - مارس ١٩٤٠ .

والاقتصادية مختلة • وأثر هذا الاختلال نراء واضحا في أعراض الانحلال
النفسية في عناصر القوة فيه : فالشباب المتعلم من جهة يقضى وقته في
الأحلام المريضة نتيجة لما يعانیه من كبت لميوله ونزعاته ، وسواد الشعب
من جهة أخرى يعيش في أبشع حالات الفقر والبؤس والمرض نتيجة لانعدام
روح العدالة في النظم التي يخضع لها ...

ونحن بإصدار هذه المجلة نمهد للحوافز الكائنة في نفسية هذا الجيل
طريقا يخلق في جو المجتمع الذي نعيش فيه جديدا من أطوار الصراع الفكري
وحركة حرة تتجاوز الخرافات والاساطير وتكافح التقييد المتوارثة التي وضعت
لاستغلال قوى الافراد في حياتهم المادية والروحية • لقد كان لابد لهذا المجتمع
أن تنفث في حركة فكرية جديدة كالحركة التي ندعو اليها ونحن وان كنا
لم نقدم للناس برنامجا معيناً لحل مشاكله المختلفة فقد مهدنا للطليعة
التوثية من أبناء هذا الجيل مكانا صالحا لتلقى ذيه أفكارهم الحرة
ونزعاتهم الإصلاحية لتنمو وتنضج وتتهين أسباب التطور لهذه البلاد (١) •

ولقد تعمدت أن أورد الافتتاحية كاملة فهي بالفعل تعبر بشكل
دقيق عن مهمة مجلة « التطور » كما فهمها أصحابها •

لكنني أود أن ألاحظ أولا كلمه « نزعاتهم الإصلاحية » فلقد كانت
« التطور » بالفعل مجلة إصلاحية تبذل أن يقتحمها كذاب من أمثال عصام ناصف
وفيصل شهبندر وغيرهما •

كذلك ألاحظ أن التوجه إلى « الشباب » و « الجيل الجديد » كان اللبس
المستند في العدد الاول حتى جاء عصام ناصف وغيره في العدد الثاني ومما
بعده ليتحدثوا عن « الشعب » و « العمال والفلاحين » •

ويمكن القول أن « التطور » كانت مرحلة من جانب مؤسسيها « جورج
حسين - أنور كامل - التلمساني » لأن تقف على الهامش الدقيق الشديد الدقة
الذي يمكن أن يقف عليه الوطنى الرافض للاحتلال ، والماركسى الراغب في
اقامة الاشتراكية ، والتروتسكى المعادى للنموذج السوفييتى ، والمتحير
الرافض لقيود وأغلال التقاليد القديمة • الفنان الحر • والمطالب بحرية
المرأة • والمطالب بحرية العقيدة وحرية رفض العقيدة ••

•• هذا الهامش الدقيق كان محل صراع مستمر •• فظهرت تيارات
إصلاحية وتيارات ماركسية وتروتسكية •• وأخرى متحررة •• ولناحاول أن
نتبع ذلك كله •

وكان عبد المغنى سعيد أستاذ « الإصلاحية » فى مجلة « المنظور » وكان يرفع « ع. سعيد » وقد كتب موضوعا من حلقتين بعنوان « ذلك الفجر الأزلى » وقال فى الحلقة الأولى « .. لا يكفى فى نظرى أن يقول بعض كتابنا الاغاضل أن خمسة وسبعون فى المائة من أبناء هذا البلد يعيشون فى فقر مدقع ليقنعوا أنفسهم ، وليحاولوا اقناع الناس بأنهم أتوا بالجديد وهبوا لأداء رسالة إنسانية سامية .. لا يكفى أن يصبح صائح وهو وانف على تساطع المشكلة لاثارة العواطف الانسانية وإيقاظ الضمائر الخائفة » .

« ... نعم لم تعد مسألة اصلاح محدود منعزل ولم يعد من الممكن انتقاذ اليمين المصريين من هوة الفقر الاسود الشائن بملاجئ لا تقسع للمئات ، أو بصناديق احسان لن تعرف على سعتها رقم الالوف مهما حشدنا لها من ندائات حارة ومقالات قوية صاخبة . فما هذه الاساليب المسكنة وأمثالها الا حلول مرتجلة وعلاجات مؤقتة لا يمكن أن تاتى بنتيجة الا فى علاج الفقر العرضى .. أما الفقر الأزلى فلا يجدى معه اصلاح ولا بد لسلاجه من ثورة شاملة جارفة » .

لكن كيف نقيم « أستاذ » الإصلاحية « الثورة الشاملة الجارفة » . « ولست أعنى بالثورة معناها السطحي كتظاهر وعياج فى الميادين والطرق فما كان الهياج ليحل المشاكل الاجتماعية العويصة الممتدة فهو ان قضى على حكومة مستبدة فانما يأتى مكانها بحكومة أخرى مهيمنة ! وانما أعنى بالثورة معناها البعيد .. اعنى بها التنظيم الجرى والاصلاح المتطرف الشامل ذلك الاصلاح الذى لا يتقطع الداء وانما يجتثه من جذوره » .

وهكذا أذان الاصلاح .. ليطالب بالاصلاح الشامل ، وفى طريقة بين « الاصلاح » و « الاصلاح الشامل » أذان الثورة وعرض بنا ملخصا الى انفسنا نتفحص حكومات مهيمنة ..

وكل شئ فى نظر « ع. سعيد » يجب أن يتم بالرضا التام من جانب الطبقات الاستغلالية .

« .. فمتى أدرك أصحاب المصانع انه لا سبيل لنفهم صناعاتهم وزرايع منتجاتهم الا برفع مستوى معيشة العمال عن طريق زيادة اجورهم ، ومتى أدرك أصحاب المؤسسات التجارية والصناعية أن ما يدفعونه الى الدولة من ضرائب مباشرة وغير مباشرة ينفق منهما على رفع مستوى معيشة الفلاحين والعمال ومن ثم يعود اليهم بانتفاع سوترهم ! ومتى أدرك رجال الحكم أن لا سبيل لتدعيم مركزها السياسى والحربى الا برفع مستوى المعيشة والقضاء على الجهل كان طريق الاصلاح أمامهم مهيدا » .

ثم ماذا بعد أن يصبح طريق الإصلاح ممهدا ؟

يقول « ع. سعيد » : « . . . واستطاعوا بشيء من الروتين الحكومي القيام بذلك الإصلاح المتطرف الشامل أو الثورة المنظمة » (١) .

وإذا كانت « الإصلاحية » أحد ملامح مجلة « التطور » فقد كان « الرفض المجرد » و « السخط غير المثمر » علامة أخرى من علاماتها . . . ولعل هذا ما حدا بمارسيل اسراييل الى اتهامها بالفوضوية . . . ولعل كلمات مثل « الفن معمل بارود » والتي قدم بها جورج حنين دراسته لكتاب « نقولا كالاس » « مبعث النيران » كانت أحد أدلة مارسيل اسراييل على اتهامه هذا . . .

يقول جورج حنين نقلا عن نقولا كالاس « أخطر موقف يمكن أن يقف فيه الإنسان في حياته أو في تفكيره هو موقف الرضى سواء أكان هذا الرضى بنفسه أو بالعالم » .

« ونقولا كالاس ينادى بإيقاظ صفات الفرد الهجرمية ، ويرضع قوائمه الباطنية في خدمة ديوليه المضطربة ، وذلك بلغة تاسسية جافة تزيد كلامه ودلائله « اقناعا » . ونحن نعتقد أن تلك النيران التي يبعثها ظلمه سوف تغير طريق المستقبل الانساني » (٢) .

وعلى نفس النسق يعلو صوت « ن. ل. ح » (وقال أنور كسامل أنه د. نظمي لوقا) صائحا « انى أتهم » .

« أن لهذه الامة ان تكف عن غطيظها وأن تستيقظ على الصوت الداوى . . . انى أتهم » .

« انى أتهم . . . فليس في هذا البلد المسكين انسان في مكانه الطبيعي ، ولا شيء في وضعه الطبيعي ولا نهم طبيعي للانسان والاشياء » .

انى أتهم . . . فقد آن للحق في هذا البلاد الذى يعيش في سراد العمالية ، وحلقة الضلال والرياء أن يظهر بعد طول غياب ، وأن يسيطر على كل شيء . وعلى كل انسان ، كما ينبغى له أن يسيطر حتى لا يظلم أحد ولا يستغل أحد ولا يشعر في ظله أحد بعنت ولا ارهاق .

أيها الأيقاظ كالنيام

أيها الأحياء كالموتى

١ - التطور - يناير ١٩٤٠ .

٢ - التطور - يناير ١٩٤٠ .

انى أتمكم ! انى أصرخ فيكم وأبدد عنكم عمايتكم وأبعث أرواحكم
من محابسها بصرخة الحق الصريحة المخلصة السامية التى تشق كل أذن ولا
يغلق دونها قلب ولا يصمد أمامها رتاج .

أيها الحق انا نريد لك أن تنقصر .

أيها الخير انا نريد لك أن تسقط عن كل عنق وأن تتلاشى عن كل
نفس .

أيها القوي انا نريدك أن تفرج عن كل عنق وأن تتلاشى عن كل جسم .

أيها القوي انا نريدك أن تفرج عن كل روح وأن تطلق كل جسم .
أيها الشعب .

انا نريدك أن تحيا .

انى اتهم ولصحيفة الاتهام قانون واحد : الحق .
ولها غاية واحدة : الحياة .

ووسيلة واحدة : الحرية وشجاعة الايمان « (١) » .

وهكذا رنين عال للكلمات الصاخبة دون هضمون طبقي . . صراخ واتهامات
دون أن يكون هناك تحديد إن الجانى ومن المجنى عليه . . الوعى الطبقي
غائب تماما ، فقط هناك « سخط » و « رفض » .

بل أن أحد كتّاب « التطور » وهو توفيق حنا الله طالب بإنشاء « مدرسة
للسخط » « أولى بنا أن ننشئ مدرسة لكى نعلم فيها هذا الشعب كيف
يسخط وعلام يسخط . . على هذه القيود . . على هذه القيم الجامدة ،
فالسخط هو الناحية السلبية للمطالبة بالحرية . . والحياة » (٢) .

غير أن بعض هؤلاء الرافضين يتلمس الطريق نحو شحن « سخط »
بالوعى الطبقي .

« لقد آن لحقوق الافراد أن تتحدد في دولة الاجرام الابيض ، ولقد
آن لهذه الامة أن تخلع نقاب التقاليد الاسود ، ثم لقد آن للسبب السجى
والفكر الحر ان يعاو منصة الحكم في البلاد » .

هكذا يقول زاهر غالى في محاورته « دولة الاجرام الابيض » وهو يقول
على لسان الزعيم في هذه المحاوره « تقوم العلاقة بين الفرد والدولة على أساس

١ - التطور - مايو ١٩٤٠ .

٢ - التطور - مارس ١٩٤٠ .

خضوع الفرد لسيادة الدولة التشريعية والقضائية • فعلى الدولة أن تكفل للفرد العمل والحرية وتحسين ظروف الحياة بتخفيف الفوارق الاجتماعية وتحقيق الانسجام الاقتصادي • ان المشكلة التي يعانيتها العالم الان ليست مشكلة وجود الانتاج وليس وجود الثروة وانما حسن توزيع الثروة » •

وربما كان كنتروفيتش اكثر وضوحا من غيره من هؤلاء « الساخطين » فتحت عنوان « دنيا بلا عيب » يكتب « يقدمون كماليات الاغنياء على ضروريات الفقراء الاولى ويسموننها مدنية • • جزائر تتألق في الفترينات ثم تغطي جاد امرأة اصطناعية لا انسانية فيها • ملذات غاية في الدقة وفي التفاصيل تخدع من أجل النشة الغليلة المحترمة •

اذا كان مصير العالم ان تحول جميع منتجانه في سبيل ارضاء النفوس التي لا تعرف الا الاستغلال فالأفضل ألا يكون العلم والأفضل السوداء إلى كعوف ما قبل التاريخ •

من جيل آخر يتنازلون عن ذرة من سلطانهم يسمون عفا انسانية ونظورا اجتماعيا « (١) •

وهو يقول تحت عنوان « الحلول المباشرة » « ان استمرار المساوى والمظالم مائة عام لا يبرر استمرارها مائة سنة اخرى ، ولا يبرر تقنين المنحمة في التقدم نحو المراحل الجديدة » لكننا نلمح بالفعل اتجاها فوضويا في عبارة لعليا افلنت من كنتروفيتش « كثيرا ما تكون الدراسات الفلسفية والاقتصادية العريضة للمشاكل وسيلة للتهرب من الاصلاح اللازم اتخاذه في الحال » (٢) •

واذا كانت الكلمات السابقة جميعا تنف « بالتطور » عند حدود « السخط » غير الواعي ، و « الرفض » الخالي من أى مضمون طبقى • فان كلمات اخرى كانت أكثر وعيا وأكثر التصاقا بحقائق الواقع • •

وفي محاولة لتلمس الواقع ومشاكله ، وربما في محاولة لاستثارة المثقفين ودفعهم الى التفكير في مشاكل المجتمع توجه « التطور » « دعوة للتذكير في حالة المجتمع المصرى » تقول « • • ونحن نقوجه الى كل من يعينهم من هذا المجتمع بيذين السؤالين :

١ - تعيش الايدى العاملة وهى سواد الشعب ومصدر الثروة في البلاد في أشنع حالات الفقر والبيؤس والمرض • والوزارات الاقتصادية تعلن

١ - التطور - مايو ١٩٤٠ •

٢ - التطور - مارس ١٩٤٠ •

أنها مهتمة بتحسين حياة هذه الاغلبية المهضومة الحق . فما هي الوسائل التي تراها لحل هذه المشكلة الاجتماعية التي قد تؤدي الى أشد الأخطار ؟

ما رأيك في التوزيع الحالي للثروة في المجتمع المصري وفي وسائل تنمية هذه الثروة ؟ ما رأيك في طرق مكافحة الفقر والمرص والبطالة ؟ ما رأيك في نظام العمل وأجور العمال ؟ ما رأيك في نظام الضرائب ؟ .

٢ - تشيع روح الضعف والتشاؤم وفقدان الثقة والحرافز الشخصية في نفسية هذا الجيل وهي ظاهرة من ظواهر الانحلال ونحوها بالبحث والتحليل أكثر من كاتب ، الا أن أغلب ما كتب في هذا الموضوع لم يخرج عن نطاق البحوث السطحية التي لا تستند على حقائق علم النفس الحديث .

فما هي الأسباب التي تعتقد أنها أدت الى هذه الحالة ؟ وما السلاح الذي تقترحه لتلافي أضرارها في المستقبل . . . » (١) .

وكان استمرار نشر هذين السؤالين في ثلاث أعداد متتالية تأكيداً من المجلة على اهتمامها بتلقى آراء القراء حولها أو دعوتهم للتفكير فيها . . وهو موقف متقدم يتجاوز السخط غير الواعي والرفض غير المتزن بموقف طبعي ، فالسؤال الاول واضح ومحدد الهدف وهو في ذاته يوحي بأن بعض أصحاب التطور كانت تؤوقهم مسألة البحث في نظام العمل . . وأجور العمال . . وتوزيع الثروة . . الخ .

ويسير على نفس النمط مقال لعلي كامل بعنوان « الفكر في خدمة المجتمع » يقول فيه « . . فالمفروض أن الفكر يجب أن يتطور بتطور المجتمع الانساني » ، يعبر عن آماله وأحلامه ، يفصح عيوبه ونقائصه ، يكون صدق لطالبه ورغباته ، يحمل العلم ليسير في الطليعة وينشق الطريق الذي لا مناص منه دون تردد أو خوف . . . لقد تحطمت الآن الفكرة الرجعية القديمة القائلة بأن الجماهير لا تعي وانها عبارة عن قطيع ينساق وراء الأبطال ، ان الأبطال لا يبنون التاريخ بل التاريخ هو الذي يبنى الأبطال . . الأبطال لا يغيرون التاريخ ، بل ان تغير التاريخ وتطور الامم اجتماعيا واقتصاديا تطورا لا يمكن أن يقف سيره المتواصل مهما حاولت جهود الجامدين هو الذي يغير مبادئ الأبطال » .

هل كان « علي كامل » يتصدى بكلامه هذا للنزعات الفوضوية ؟ ربما . . ويهضى على كامل قائل « . . ان الفكر الذي لا يكون صدق للاغلبية العظمى من الشعب فيه منعكس أحلامه وآماله وأوجاعه في وقت واحد ، هو فكر خائن غريب عن الوطن الذي نشأ فيه .

•• ان ثمانين في المائة من شعبنا المصرى تعيش في الجوع أو ما يشبهه الجوع فأين هو الفكر الذى يبحث في مشاكلهم ويجد لها علاجا حاسما مشرفا ••• تدل الاحصاءات الرسمية على ان الفقر يذشر تعاسته في مصر بشكل افزع مما كانت عليه البلاد منذ عشر سنوات أو أكثر ، وان الثروات تزداد تركزا في ايدي عدد محدود جدا من الأفراد •

« ••• ان لتطور المجتمع الانساني قانونا علميا لا يستطيع ايقاف سيره انسان ولقد اصطدم هذا القانون في كل مصر وفي كل أمة بمقاومة فيالقي الرجعية والجهود •• ولقد كان دور رجال الفكر حاسما في فترات لتطور الاجتماعى للانسانية ، وكل أملنا الا يكون مفكرون أقل نصلا من نظرائهم في الامم الاخرى في تطوير المجتمع المصرى والسير به نحو تحقيق العدالة الاجتماعية » (١) ويواصل على كامل ادانته للمجتمع الراسمالي •• فيكتب في مقال بعنوان « الثقافة والرجل المثقف » « أدرك المفكرون الأحرار بعد الحرب الماضية انبا حرب على الشعوب وليست لصالحها أو لخيرها • أدركوا انها كانت حربا أشعل نارها رجال البنوك وتجار المدافع وأصحاب المصانع الكبرى رغبة في تقسيم العالم من جديد • بعد ان تطورت حال الصناعة في الامم الاوربية بشكل جعل اصحاب رؤوس الأموال فيها يفكرون في الخروج من المأزق الذى أوجددهم فيه التناقض العجيب في تركيب المجتمع الذى يعيشون فيه ونظم انتاجه • ذلك ان تطور الصناعة والاندفاع جعلهم لا يجنون علاجا

لتوزيع منتجاتهم والحصول على المواد الخام لمصانعهم الا بالغزو والفتح على حساب الشعوب البريئة المسالمة » (٢) •

هنا تبدو الكلمات واضحة •• والموقف الطبقي يشع بين السطور •• ان الفارق بين • ل • ج أو كنترونتش ، وبين على كامل هو الفارق بين البقاء على هامش السخط والرفض الخالى من الوعي وبين الفهم الماركسى لحقائق المجتمع الراسمالي ••

ويكتب جورج حنين بعنوان « اختراق المراحل » •• ان مسائل الحرية والسلام والخبز مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا وثيقا فلا قيمة للحرية عند الرجل الذى ينقصه العيش والسلام ، ولا قيمة للخبز اذا اختلط بالاستعباد ، ولا قيمة للسلام لرجل فقد الخبز والحرية • وعلى الشباب أن يوفق بين هذه العناصر الثلاثة الثمينة ، عليه أن يجعلها اساسا قويا لبناء المجتمع في المستقبل

١ - التطور - يناير ١٩٤٠ •

٢ - التطور - فبراير ١٩٤٠ •

ولئن تعذر عليه بعد المسافة فله أن يخرق المراحل بالحماسة وبسرعة
اندفاعه « (١) » .

ولئن كان جورج حنين قد ركز دعوته على « الشباب » متجاهلا الاساس
الطبيقي للصراع الاجتماعي فان ثمة كتاب آخرين أدركوا ان اداة أى تغيير هي
« العمال والفلادين » . « هكذا أكد في مقالاته عصام الدين حفني ناصف . »

« . . . وقد جرى الاغنياء على مطالبة الفقراء بالتضحية كما ظنوا ان
الأمر في حاجة الى تضحية ، فاذا رابط جيش أجنبي على الحدود كان على كل
عامل أو فلاح مصرى أن يتقدم للقاء الموت دون أن تلغمز عينيه أو يخلطج صدره
أو تهجس نفسه بالسؤال عما قدمه له الوطن من المتع والخيرات . . . وما
قدمه للوطن أولئك الذين قدم لهم الوطن كل شيء . أما اذا كان الأمر ضارفاً
زهيدة ولا تبلغ ربع نظائرها في البلدان الاجنبية فهنا يثور السخط
الاغنياء . . » (٢) .

وتحت عنوان « صحافتهم » يكتب عصام ناصف « كنا نحسب ان
ثورة البرجوازيين الرجعيين (نلاحظ انها المرة الوحيدة التي استخدم فيها لفظ
برجوازية في مجلة التطور) ضد التعليم الالتزامى قد خدمت الى الابد .
ولكن قاضيا رقيق الشعور هو الاستاذ يوسف يعقوب رأى في بعض القضايا
التي نظرها ان هناك آباء يبلغ بهم الفقر حدا لا يستغنون فيه عن استغلال
اطفالهم . . . وهناك برق آخر من أبواق الرجعية هو الاستاذ محمد زكى عبد
القادر أعجبه هذا الراى الخطير فكتب في « الأهرام » يقول « ان المسألة التي
يتعين بحثها فيما يختص بقانون التعليم الالتزامى هي : هل التعليم مقدم
على الخبز أو الخبز مقدم على التعليم ؟ هل يجب ان يعطى الطفل لقمة لياكل
أو قلما ليكتب ؟ ان هذا التساؤل في حاجة الى تعديل كبير بل لعله في حاجة
الى الالفاء . ولا بد من بحث المسألة كلها بشيء من الجراءة والفهم الصحيح .
ولسنا ندري ما هي الحاجة الى « الجراءة هنا ، فان الدواعى من وجهة النظر
الرجعية ليس الان ولم يكن في أى عهد من عهودنا محتاجا الى الجراءة . . . ان
الخبز والتعليم كليهما ضرورى ، ولكن هذا لا يسوغ للاستاذ ان يضع سؤاليه
في هذه الصيغة المضللة فان في وسع الدولة ان تعطى كل طفل لقمة لياكل
وقلما ليكتب وعن واجب الدولة ان تقدم الخبز والتعليم معا الى هذا الشعب
الجائع البطن والراس . . . اما محاربة الفقر بالجهل فلا يؤدي الا الى نتيجة
عكسية » .

١ - المرجع السابق .

٢ - المرجع السابق .

ثم يختتم عصام مقالته العنيف قائلا « ٠٠ ونحن نطمئن حضرتته ٠٠ فسيجد الفلاحون والعمال والصماليك دائما ما يقرأونه ونحن سنزودهم بما يتراءون » (١) وفي مقال آخر يقول عصام ناصف « قررت أن أنشر التعاليم الاشتراكية وأدعو اليها » (ونلاحظ انها المرة الأولى والأخيرة التي ترد فيها كلمة الاشتراكية في مجلة « التطور » وكانت كلمة الاشتراكية في ذلك الحين تثير الدهشة المقرونة بالاستخفاف عندما يدور الحديث عنها باعتبارها مسألة ذات علاقة بمصر) .

٠٠ « وقد نصحنى بعضهم بعد محاكمتى على كتابى « الاشتراكية الجديدة » و « التجديد الاجتماعى » أن اتحاشى التعرض للخطر بتحاشى ذكر كلمة « الاشتراكية » والاكتفاء فى كتاباتى بعرض ما لا يتعذر الان من المطالب الخاصة بتدسين حال الطبقة العاملة فى مصر . ولكنى رفضت الاصاخة الى هذه النصيحة وأجبت محدثى انى اعنى بغرس كلمة الاشتراكية فى أذهان المصريين ونشرها وجعلها مانوفة فى مصر أكثر مما أعنى ببعض اصلاحات معينة ، وقد عقببت القول بالعمل فأخرجت كتاب « حركة العمال والاشتراكية الديمقراطية » و « مبادئ الاشتراكية » و « المسألة الاشتراكية » وقد بلغت مصر فى النهاية بعض ما رجواها لها فكثر فيها الدعوات الى الاصلاح الاجتماعى وظهر الاتجاه الاشتراكى فى أبحاث الباحثين ودعوات المصلحين » .

ثم يوجه عصام كعادته لكمة عنيفة لشركائه فى المجلة من الساخطين والاصلاحيين قائلا « ٠٠ ومع أن هذه الدعوات ليست فى الصميم ، ومع أن معظمها ليس جديا ، ومع أن الكثير منها لا يعبو النذب والعويل ، ومع أن الكثير منها يدعو الى انقاذ كبار المزارعين وأصحاب المصانع فى طيات الدعوة الى انقاذ الفلاحين والعمال ، فاننا نسجل مع الاغترباط أن جهودنا قد أصابت بعض النجاح فهى على الاقل قد نجحت الى حد أن الكثيرين من المرتزقة والمهرجين قد أصبحوا يتطفلون عليها » (٢) .

وهكذا يمضى عصام ناصف مهاجما « المخرفين » بكل العنف الممكن ، ومهاجما أيضا الرجعيين من كبار الملاك العقاريين والبرجوازيين ٠٠ وعندما تثور ثائرة أعضاء مجلس النواب على « مشروع قانون يمنع الحجز على بعض حاجيات الفلاحين » ويصيح أحمد بك عبد الغفار فى البرلمان قائلا : « أنا أعترض على هذه القوانين التى تقدمها لنا الحكومة لانها قائمة على مبادئ ثورية بلشفية ٠٠ » يواجه عصام ناصف مجلس النواب بمقال عنيف يقول

١ - التطور - مارس ١٩٤٠ .

٢ - التطور - أبريل ١٩٤٠ .

فيه « ان النواب ليسوا سوى جماعة من أصحاب الاملاك أر من يطعمون ن يصبحوا كذلك ذات يوم ، وان الأغلبية الساحقة من الشعب المصرى أى الفلاحين ليس لهم من يمثلهم فى هذا المجلس ، وان رجال الاحزاب السياسية المختلفة وان اختلفوا فى المسائل الثانوية وتنازعوا على الحكم . فانهم يفتنون صما واحدا عندما يتعلق الامر بطبقتهم » .

ثم يرمى عصام فى هجومه على النواب متهما اياهم بالكذب والتزوير والخداع . . ويتول « والواقع ان اتهام المصلحين بالتزوير البلشفية (نلاحظ انها المرة الاولى التى ترد فيها كلمة البلشفية على صفحات « التطور » ، ليس الا الطراز الحديث من سلاح الرجعيين الابدى ، فقد كان السادة فى العهد القديم يتهمون المصلحين بالاباحية وبهذه التهمة أرغم سقراط العظيم على تناول السم ، ولكن هذه التهمة لم تعد صالحة للاستعمال لان السادة انفسهم اباحيون ، وكانوا فى القرون الوسطى يتهمون المصلحين بالالحاد ولكن هذه التهمة لم تعد صالحة للاستعمال لان الدول المتمدنة تحمى الالحاد ولان الالحاد لا يغضب حدا غير الطائفة التى لا يهم غضبها احدا ! انن فالبلشفية ! » .

ثم يوجه حديثه الى الأغنياء قائلا « ولعل السادة الاغنياء والنواب المحترمين يفهمون قبل فوات الوقت ان الترويج للمبادئ البلشفية وتحديدها الى قلوب الشعب لا يكون بالمطالبة بهذه الاصلاحات الطفيفة التى اذا نحن رحبنا بها فليس ذلك على اننا اصلاحات حقيقية بل على انها دلالة على اتجاه التفكير نحو الاصلاح ليس الا ، وانما يكون هذا الترويج بمحاربة هذه الاصلاحات وافهام البائسين الذين يحسون مسيس الحاجة الى الاصلاح . ان الاصلاح قرين البلشفية ، وان فرض الابلولة على تركبات الاغنياء بلشفية ، وان نشر التعليم الالزامى بلشفية ، وان تعليم البنات بلشفية ، وان محاربة البذخ والتبذير بلشفية ، وان المطالبة بترقية أحوال العمال والفلاحين والجنود بلشفية ، وان الدعوة الى تخفيض رواتب كبار الموظفين وزيادة رواتب صغار الموظفين بلشفية وان المطالبة بتسريع يحمى الفلاحين من استبداد الملاك بهم بلشفية . . وعلى ذلك فان حضرات النواب المحترمين لا يخدمون انفسهم ولا طبقتهم حين يكثرون من تردد الاتهام بالبلشفية » (١) .

ويكتب عصام مقالا عنيفا آخر بعنوان « نحو أمة عديمة الطبقات » يشن فيه هجوما شديدا على الرأسماليين فيقول « تمتاز الرأسمالية فى مصر بأننا حديثة العهد ، ولذلك نرى فى بعض أصحاب رؤوس الاموال عندنا

صافات « المحدثين » في الثراء ، فهم يلتمسون الكلام على عواهنه دون أن يحاولوا التضييل والتعويه ، وهم يفترضون - مبدئيا - أن الله هو الذى وضع نظام الطبقات ، فمن كان يكسب ويكدح فقد سخره الله للكسب والكسح ومن كان يستمتع ويتأمر فقد خلقه الله للامارة والاستمتاع ، وهم يزعمون أن الثراء - في حد نفسه - دليل على الكفاية وعنوان للاستحقاق ، فمن كان ثريا فنجدير بالدولة أن تمد له في أسباب الثراء ، ومن كان فقيرا فحقيق به أن يزداد فقرا ومسغبة . وهم يعتقدون أن الديمقراطية هي نظام سيادة أصحاب رؤوس الأموال ، وليس البرلمان الا نقابة لهم يبدشون فيها شئون طبقتهم « (١) » .

• • • وضمن نفس التيار يمكن وضع بعض مقالات رمسيس يونان • • • وقد كتب رمسيس يونان عددا من المقالات لعل أهمها تعليقه المبدع على كتاب « مستقبل الثقافة في مصر » للدكتور طه حسين • • • وفي البداية يقول رمسيس « يزعم قوم أن الدكتور طه حسين مجدد مقترف ، وأنه ثورى التفكير ، بل ويزعمون أنه ملحد ، ونبحث عن هذه الصفات الخلابة في طه حسين وعما يشابهها مما يكال له بغير حساب ، فنعجب ولا نعرف أى المقاييس يصطنع هؤلاء القوم فيما يزعمون » •

ويضى رمسيس مفندا آراء طه حسين فيقول « ليس يكتفى ان يكفل الدستور حرية الافراد ليصبحوا احرارا حقا ، فلا بد من أن نمارس الحرية لنتعلم الحرية ، ولا بد أن يعتمد الفكر الحر على خبرة وتجربة حرة ليتقوم وينضج ويثمر • • » •

ثم يقول « خلاصة هذا أن تسعة أعشار فتيان وفتيات مصر لا يسمح لهم الآن بنصيب من التعليم ، اذا استثنينا هذا الهزل الذى يعلم في المكاتب الالزامية ولا يصيب مع ذلك الا اقلية من أبناء الفقراء • هذا بينما تفتح أبواب التعليم على مصراعيها أمام أبناء الطبقتين الغنية والمتوسطة - سواء منهم الأذكىاء أو الأغنياء - ما داموا يدفعون مصروفات هذا التعليم • ونحن نخذع أنفسنا عندما نقول ان الاغنياء يدفعون مصروفات تعليم أبنائهم ، فمن المعلوم أولا أن هذه المصروفات لا تصل الى نصف ما يتكلفه الطالب فعلا ، أما النصف الآخر فان الأمة هي التى تدفعه • واذا ذكرنا الامة فقد ذكرنا ذلك الرجل البائس الذى هو مصدر كل ثروة في مصر - نعى الفلاح • ومن المعلوم ثانيا أن ثروة الاغنياء في مصر ليست نتيجة مجهودهم المستقل وانما هي في نهاية الأمر نتيجة مجموع مكس من التصحيات يبذلها الفلاح المصرى في كل دقيقة من حياته وبكل قطرة من دمه • فلماذا لا نعلن الحق ونقول ان الفقراء هم الذين ينفقون على تعليم أبناء الاغنياء » •

ثم يمضى روسيس يونان ليطالب ليس فقط بحق أبناء الفقراء في التعليم المجاني وإنما « لا بد - فوق التعليم المجاني - من امانة أبناء الفقراء على نفقات معيشتهم من ملابس وغذاء » .

ويطالب بنرض ضريبة على الاغنياء « تسمى ضريبة التعليم يعفى منها من لا يزيد دخله عن ١٠٠ جنيه في العام على أن تكون ضريبة تصاعدية . . . ومثل هذه الضريبة لن تهيت الاغنياء جوعا ولن تسيرهم حماة الاقدام ولن تضطروهم الى اكل المش وشرب الماء الملوث والنوم في حظائر البهائم . . بل ستتركهم كما «م في نعيم مقيم » (١) .

ويجدد بنا قبل ان ننقل الى موضوع آخر ان نشير الى أن « التطور » قد دافعت عن طه حسين بتسدر ما هاجمته . . فعندما يتقدم خمسة من اعضاء مجلس النواب باستجواب الى وزير المعارف « بشأن الاسباب التي حدثت بالوزارة الى اسناد وظيفة مراقب الثقافة العامة الى رجل كطه حسين عرف بنزعات وآراء ضد تقاليد البلاد وأخلاقيها ودينها » .

تعلن « التطور » « نحن مع طه حسين » ونقول « لقد انتقدنا طه حسين على صفحات هذه المجلة . . لا لهذه التهم التي يلصقونها به وإنما لروح المحافظة الظاهرة في علاجه لمستقبل الثقافة في مصر وفي طريقة توجيهه لهذه الثقافة بما لا يلائم اتجاهات العصر . . ولكن اذا كانت عراجل الرجعية قد شاعت أن ترفع رأسها من جديد لتتضى على الخطوة التي اجتازتها البلاد على يد مفكرين كطه حسين وغيره ممن لا نؤمن نحن بهم تمام الايمان كمعبر صادق عن حقيقة النزعات المتوثبة في نفسية هذا الجيل . . فنحن نصرح في وجه دعاة الرجعية هؤلاء ، نحن مع طه حسين الى أن نفرض على كل القوى التي تحاول ان تخلق لنا في القرن العشرين « عصور وسطى جديدة » (١) .

أما رابع الأربعة أصحاب التيار الراديكالي في « التطور » فهو « فيصل عبد الرحمن شهبندر » وهو يكتب تحت عنوان « الحدود والقيود » مناقشا طبيعة النظام المصري . . والحدود التي يقوم الدستور المصري على أساسها ثم يقول « . . جاء الدستور ناطقا بأن الامة مصدر السلطات ولكن الدستور فيما نص عليه قد أقر الاسس النظرية لسلطات الامة فحسب ، بينما الامر الواقع من ناحية أخرى يدلنا دلالة لا ريب فيها على أن الشعب عنصر لا شأن له في تسيير دفة الدولة . . . شيد الدستور الاركان النظرية لحكم الشعب ، ولكن فاتته أن ثمة عوامل اقتصادية واجتماعية تقلب الاوضاع رأسا على عقب

١ - التطور - يناير ١٩٤٠ .

٢ - التطور - مارس ١٩٤٠ .

فتقتل مقاليد السلطة من يند الى أخرى . . . وتجعل من السيد مسودا ومن الرئيس مرؤوسا فكيف لامة ينهش في أضلاعها الجوع وتطبق على أبنائها الجهل أن تقيم من نفسها رقبيا على أناس تتردوا بالمال والعلم والسلطة وأمتلكروا ما على الارض وما في باطنها وأقاموا الانظمة القانونية التي تجعل قوائم السلطة وقفا عليهم وعلى ذريتهم من بعدهم « (١) .



والدين . . . كان واحدة من المارك الديامة التي تصدت لهذا « التطور » ، وإذا كان « زكى سلامة » قد وجد الجزأ لكى يكتب مقالة « نشوء فكرة الله وتطورها » (٢) فان الآخرين قد اکتفوا بمناقشة الدور الذى يلعبه رجال الدين تجاه عملية تطوير المجتمع . . .

وفي مقال عاصف بعنوان « تيارات رجعية » يعلن أنور كامل « نحن نرفض هذه السجون التي تصنعها على عقولنا فئة ضئيلة جاءت بها القوة عفوا . ان كان المجتمع الحاضر لا يكفل الحرية لارواحنا وأجسادنا فلا أقل من ان نحبا أحرارا بتفكيرنا وخيالنا » . ثم يبدأ المقال بهجوم مباشر وعنيف « لرجال الدين في التاريخ صفحة سوداء . وليس يجهل أحد أطوار الصراع الذى نشأ بينهم وبين رجال الفكر الحر من قديم الزمن حتى بلغ أشده في القرون الوسطى وحتى انتهى بانتهاء سلطتهم المباشرة بانتشار الافكار الجديدة » . . . ثم يتجه بهجومه ضد « جماعة الاخوان المسلمين » دون أن يذكر اسمها صراحة صراحة وإنما يكتفى بالقول « جمعیات نشأت في مصر في السنوات الاخيرة وعملت على مزج الدين بالسياسة من جديد مستغلة في هذا اسم الدين في الخصومات السياسية والمنازعات الحزبية الرخيصة . . . وإذا كانت هذه الحركات الرجعية قد اتخذت لنفسها هذا الشكل الهستيري الحاد فقد كان طبيعيا أن تضع في مقدمة أهدافها العمل على خنق حرية الفكر » .

ثم يندد بلجوء أعضاء هذه الجماعة الى استخدام القوة ضد خصومهم « لو كان القائلون بهذه الحركات مخلصون في عقيدتهم لما رفعوا السيف في وجه القلم ، فالدين القوى يستطيع أن يحمي للنقد دون أن يتطرق الشك اليه . ان استعمال القوة المادية ضد الفكر وهو قوة مغنوية دلالة على العجز والقصور » (٣) .

١ - التطور - فبراير ١٩٤٠ .

٢ - التطور - فبراير ١٩٤٠ .

٣ - التطور - مارس ١٩٤٠ .

ويلتقط الكرة عصام ناصف - كمادته - ليشن هجوما عنيفا على الشيخ
المرأى قائلا « لا شك أن جماعة رجال الدين في مصر من أنشط الجماعات ،
والمسائل الدينية تعتبر في مصر - دون مسوغ - من المسائل الشائكة ولذلك
يتحاشاها الكثيرون ، ولكن هذا الاعتبار يجعلها في نظري أجدر بوضعها على
منضدة التشريح . » ثم يقول « يسرنا لو خفف رجال الدين من نشاطهم
فان البلاد مرتبكة ومشغولة بمسائل أهم من مسألتهم » (١) .

وفي مقال بعنوان « بين الجامعة والازهر » يطالب أنور كامل بإدماجها
في معهد واحد حتى لا يبقى الجيل الجديد نهبا للانقسام مرين « الجامعة التي
تمثل العقلية الجديدة والازهر الذي يمثل العقلية المحافظة » (٢) .

وإذا كانت « التطور » قد أعلنت في افتتاحية عددها الاول انها « لا تقدم
للناس برنامجا معيناً لحل المشاكل المختلفة » .

وإذا كانت قد حاولت أن تستطلع الراى وأن تتحسس الطريق نحو
فهم المشاكل المحددة . بتوجيهها الى قرائها « دعوة للتفكير في حالة المجتمع
المصرى » .

وإذا كان أنور كامل قد نعى على الاحزاب الاخرى تسرعها في اعداد
البرامج « التي لا تستغرق من كاتب مواضيع الانشاء أكثر من ساعة أو نصف
ساعة » والتي تكتفى « بالدجل والتهريج والشعوذة حتى اصبح من العادى جدا
أن نقرأ في الصحف السياسية والاجتماعية نفس الكلمات التي تكتب
للدعاية عن بعض العقاقير التي تشفى جميع الامراض » (٣) .

فان « التطور » قد وجدت الجرأة بعد ذلك لتقدم برنامجا . بل
برنامجين . الاول تقدم به زاهر غالى تحت عنوان « ثورة على التقاليد » أشرنا
فيما سبق الى فقرته الاولى الخاصة بالمرأة . اما الفقرة الثانية فعنوانها
« التضامن الاجتماعى » وتقول « يجب الاخذ بمبادئ النظام والتضامن
الاجتماعى والتي بمقتضاها على كل فرد شبه التزام طبيعى قبل الغير هو
الواجب الاجتماعى - ان ابسط مبادئ الانسانية تملى بتحسين حالة الطبقات
الفقيرة من الامة وبتخفيف ألامهم ، وذلك باصلاح نظام توزيع الثروة بين
الأفراد . على الحكومة أولا تنمية الثروة الاهلية - قوة الانتاج - وذلك بادخال

١ - التطور - مارس ١٩٤٠ .

٢ - التطور - فبراير ١٩٤٠ .

٣ - التطور - مارس ١٩٤٠ .

الات والنظم الحديثة في الزراعة وانهاض الصناعة الوطنية واكتشاف موارد الثروة الطبيعية في البلاد . . . ثم لا قيمة لزيادة كفاية الانتاج ان لم تقتزن بتوزيع عادل للثروة وبارتفاع مستوى المعيشة حتى يقرن الانتاج بالاستهلاك - يجب على المشرع اذن ان يتدخل ، عملا بنظام توزيع اصلاح ، مطبقا مبدأ تصاعد الضريبة بنسبة اعلى من النسبة الحالية ، و برفع فئة ضريبة التركات ، وبتحديد المكايات العقارية الكبيرة - ويجب على المشرع ايضا ، اخذا بسياسة انتاج اصلاح ، ان يتدخل بالاستيلاء على بعض فروع الانتاج الكبير لتخفف مظالم المنافسة ولاستغلالها . بوجه اقدر ماليا . ثم اخيرا : على المشرع ان يتدخل لحماية العامل الضعيف امام صاحب العمل بتعيين حد أدنى وحد أعلى لساعات العمل . .

ثالثا - الدين والدولة : يجب فصل الدين عن الحياة المدنية تشريعا - كمال يجب ايجاد تشريع وضعى لمسائل الاحوال الشخصية وغيرها حتى يتكيف مع ملبسات الحياة الجديدة .

رابعا - الرتب : يجب الغاء الرتب الفخرية تحقيقا للمساواة الاجتماعية .

خامسا - الوقف : يجب الغاء الوقف حتى لا يستولى بعض الافراد على دخل دون ان يؤدوا عملا . . « (١) » .

ويكفى لابرار اهمية هذا البرنامج انه كان يطالب بتحديد المكايات العقارية الكبيرة وباستيلاء الدولة على بعض فروع الانتاج الكبير . .

ويقدم أنور كامل برنامجا آخر ، لكننا يتعين علينا ان ندرك انه كان يقدمه وهو يتراجع امام ضغط شديد من بعض الجمعيات التي طالبت رئيس الوزراء بايقاف مجلة « التطور » على اساس انها « تعمل على نشر الاباحية وهدم الفضيلة والدين وتقويض أركان النظامين الاجتماعى والدستورى » . وفى مواجهة ذلك يحاول أنور كامل ان يعلن برنامجا معتدلا .

١ - تدافع مجلة « التطور » عن حقوق الافراد وتطالب بتحسين حالة الطبقات العاملة التى هى مصدر الثروة فى هذه البلاد وهى لا ترى فى هذا هداما للنظام القائم وانما ترى فيه تحقيقا لابطسط مبادئ العدالة الاجتماعية .

٢ - تدافع مجلة « التطور » عن حرية المرأة وتنادى بحتمها فى المساواة فى كافة الحقوق والالتزامات قبل الرجل وقبل المجتمع .

٣ - تدافع مجلة « التطور » عن حرية الفكر بصفة عامة . وهو أصغر
 بعضهم مبدأ حق الفرد في حرية الاعتقاد الدينى وفي حرية التصريح بهذا
 الاعتقاد وعلى تحارب في نفس الوقت التعصب وقرى فيه عامل من عوامل
 التفرقة يمس الحرية الشخصية ويضر بمبدأ التضامن الاجتماعى . كما
 انها تعارض بشدة كل تدخل من الهيئات الدينية فى الشؤون المدنية ، ولا توافق
 على استغلال الشعور الدينى الذى تقوم به بعض الاحزاب لتحقيق اغراضها
 الحزبية « (١) » .

والحقيقة ان « التطور » قد حاولت فى كثير من الاحيان ان تتلمس مواقف
 محددة ازاء المشاكل الاساسية فى المجتمع . . يمكن ان نستخلص منها محاولة
 « لبرمجة » مواقف متناثرة تبحث لنفسها عن طريق اكثر تحديدا واكثر
 وضوحا . .

وتحت عنوان « فى سبيل سياسة انشائية » يعلق جورج حنين على
 تقرير مكتب العمل عن عام ١٩٣٩ ويطلب « بأسبوع الساعات الأربعين »
 ويقول انه « بمثابة كابوس للرأسمالية » ويطلب « بالحد الأدنى للاجر »
 وكذلك « لابد من القيام بعمل اساسى مباشر . لابد من ازالة مركز ثقل
 الثروة الاحدية . . ويتحتم ايجاد تنظيم جديد للاجور ينتهى برفع المرتبات
 الشهرية التى تتراوح بين ٢ جنيه و ٢٥ جنيه رفعا تنازليا وانقاص المرتبات
 الشهرية التى تتعدى ٥٠ جنيه انقاصا تصاعديا » ويطلب ايضا « بتكوين
 خزنة دائمة للتعمير الوطنى عن طريق فرض ضريبة تصاعدية على التركات
 وكذلك بالاستيلاء على ارباح الشركات التى تقوم باعمال عامة متى تعدت هذه
 الارباح ١٠ بالمائة من رأس المال » (٢) .

ويقيم محمد صادق دراج دراسة جيدة « عن أجور العمال » يستخلص
 خلالها من الاحصاءات الرسمية « ان متوسط الاجر الذى يتناوله العامل
 ليعول اسرة مكونة من ثلاثة اشخاص هو سبعة قروش . . وان حوالى ٧٠
 بالمائة على الاقل من العمال يعيشون دون الكفاف » (٣) .

وتحتفل « التطور » بعيد اول مايو - عيد العمال الدولى وتطالب العمال
 المصريين بالاحتفال به . . وتقول « وقد احتفل بعيد اول مايو فى مصر لأول
 مرة فى مدينة المحلة الكبرى فى أواخر سنة الحرب الفائتة ، ثم احتفل به

(١) التطور - ابريل ١٩٤٠ .

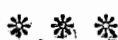
(٢) التطور - مارس ١٩٤٠ .

(٣) التطور - مايو ١٩٤٠ .

بعد ذلك في مدينة بورسعيد ، ولا يزال عمال البحر الأحمر يحتفلون به كل عام « (١) » .

ويقدم أنور شتا صورة نثرية درامية لعمال الفحم في ميناء بورسعيد بعنوان « حاضر يا رئيس » يوضح فيها مدى الاستغلال الذي يتعرضون له . . (٢) .

وتحت عنوان « فوضى النظام الاجتماعي » يقول « التطور » في إحدى الشركات الكبيرة يعمل ما يزيد على عشرين ألف عامل وعاملة بأجور يومية تتراوح بين ثلاثة قروش وخمسة ليوم عمل يبلغ إحدى عشرة ساعة يوميا « (٣) » .



وهكذا كانت « التطور » معبرا ضروريا لجماعات المثقفين كي يتحولوا من السخط المجرد والرغص اللاواعي إلى الفهم الطبقي والماركسي لحقائق العصر . .

البعض وعى التجربة فاستقام أمامه الطريق وخلص غمار الحركة . . والبعض اكتفى بالسخط والرغص الفوضوي . . فغاب من ذكرته التاريخ سريعا . .

وبين المحاولات العنيفة لتخطي الهامش الحيدري الذي يرفض الانتماء والذي رسمه جورج حنين بدقة ، والرغبة الجامحة لدى البعض في الخلاص من أسرار المثقفين التمييزيين والالتقاء مع حركة الجماهير المصرية العارمة . .

انقسمت « الفن والحرية » . . وقامت جماعة « الخبز والحرية » . . وكانت هناك تنظيمات ماركسية سريعة تتكون سريعا لتلبي حاجات التطور وتعتبر عن مرحلة جديدة تمر بها مصر . . « تخريب الشعب » « الحركة المصرية للتحرير الوطني » وتواكب المثقفون اليساريون نحوها .

ولم يعد « الهامش المشترك » مقبولا من أي من أطرافه ، وصار التمايز أساس كل فهم سليم . .

وسحب جورج حنين الضمان المالي . . وتوقفت « التطور » عن الصدور . .

(١) المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق .

(٣) التطور - أبريل ١٩٤٠ .

الفجر الجديد

كنت أتصور ان الرجل يرلوغنى .. فقد اشتهر دوما بالتحفظ والحذر
السعيد الذى يصل الى حد الانغلاق والحظية ..

روى لى قصة اهتمامه بالشعب المصرى ، وبالفكر الماركسى ، وكيف
أسس اتحاد أنصار السلام فرع فى القاهرة وآخر فى الاسكندرية ، كيف
ساعدوا الجمهوريين الاسبان ، كيف رتب لقاء بين نهزو ومصطفى النحاس ،
كيف تجمع حوله عديد من الشخصيات التقدمية فى اتحاد انصار السلام ،
وكيف حاول هذا البعض (جورج حنين - راؤول كوربييل وغيرهما) ان
ينشطوا نشاطا واسعا « وأنا خشيت ان يهدد نشاطهم كيان الجمعية وان
يكسفننا للبوليس السرى » (١) .

وروى كيف أنه « فى عام ١٩٣٩ وبعد نشوب الحرب العالمية الثانية لم
يكن من الممكن استمرار جمعية السلام فى العمل فتحولت الى جماعة باسم
« مجموعة الدراسات » وبدأنا فى اعداد دراسات عن الواقع المصرى
والفلاحين .. » .

لكننى كنت أحاول دائما وخلال جلستين امتدتا الى ما يزيد عن عشر
ساعات احداهما فى القاهرة والاخرى فى باريس .. كنت أحاول ان اتجه
بالحديث نحو عملية تأسيس التنظيم الشيوعى الذى عرف بعد ذلك بأسماء
عديدة « طليعة العمال » « الفجر الجديد » « د . ش » « العمال والفلاحين »
الخ .. ويتهرب بول جاكو دى كومب متبرما .. « أنا مصمم على اننى لم
أؤسس تنظيما ، أنا وصعت البذور ثم تركتها لتنمو .. انا كذت من الذاحية
المبدئية ضد ان يقوم اجنبى بتأسيس تنظيم .. اننى أقرر بوضوح ان تاريخ
الحركة الشيوعية قد بدأ بعد ان تنحيت انا عن العمل .. لقد عملت فى مصر
عشر سنوات من النضال الديمقراطى والماركسى بهدف نقل الفكر الماركسى
الى عدد من المصريين وهذا هو كل دورى .. وبعد ذلك تركتهم يفعلون
ما يشاءون » (٢) .

(١) راجع النص الكامل لمحضرى النقاش مع بول جاكو دى كومب ،
د . رفعت السعيد - اليسار المصرى ١٩٢٥ - ١٩٤٠ - دار الطليعة بيروت .
ص ٢٤٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٠ .

وعندما الححت بالسؤال تبرم الرجل من جديد قائلا « أولا أود أن أؤكد اننى منذ ١٩٤٠ قد شعرت شعورا قويا بأن دورنا قد انتهى . كنا قد وضعنا البذور ويكفى هذا بالنسبة لاجانب . وكان رأينا أن نترك الأمر للمصريين وحدهم وإذا احتاجوا الى بعض المعلومات أو المساعدات مثل الترجمة وما الى ذلك فاننا نقدمها لهم . لكن قيامنا نحن الاجانب بتأسيس منظمة شيوعية مصرية كان أمرا مرفوضا » .

وعندما سألته فى ختام حديثى معه « هل تريد ان تضيف شيئا حول النشاط فى الاربعينيات ؟ أجاب بشكل قاطع « اسأل أصحاب هذا النشاط ، أما أنا فكان دورى قد انتهى تماما » (١) .

* * *

واتجهت الى أصحاب هذا النشاط . . وأجريت مناقشات ممتدة مع اثنين منهم يوسف درويش وصادق سعد وأدركت ساعتها أن بول جاكوب دى كومب لم يكن يراوغنى وانما كان يقول الحقيقة ، ومن مناقشاتي معهما أمكننى أن أصل الى الحقائق التالية :

بعد حل اتحاد أنصار السلام تكونت « مجموعة الدراسات » . . وفى داخل مجموعة الدراسات كمنبر علنى كانت هناك مجموعة ضيقة جدا تدرس الماركسية وتعتنقها ، ويمكن التأكيد بأن تواجد هذه المجموعة الماركسية يمتد حتى ايام اتحاد انصار السلام .

وهذه المجموعة الضيقة كانت تتكون اساسا من الاجانب ، ولكن بول جاكوب حاول ان يصل بأفكاره ونشاطه الى المصريين باعتبار ان ذلك هو الواجب الاساسى . .

ومن الاجانب الذين كان معظمهم من اصل يهودى الى مصريين ذوى اصل يهودى وذوى ثقافة اجنبية .

فالمجتمع الاجنبى كان فى ذلك الحين مجتمعا معزولا له ثقافته وتقاليده ولغته ، بل وصحافته وأشعاره وفنونه واحتماماته الخاصة المميزة عن ثقافة وتقاليده ولغة الشعب المصرى . .

كان الاجانب مجموعة كبيرة العدد متعددة الجنسيات لكنها متقاربة التفكير والثقافة والمستوى الاجتماعى ، وكانت فى مجموعها متعالية على الشعب المصرى ترفضه وترفض أفكاره وتقاليده وتراثه ولغته ولا تربطها بمصر سوى رابطة الإقامة ، التى لا تنظر الى مصر الا كبلد يسهل استغلاله واستغلال ابنائه والاستمتاع فى رحابه بالامتيازات الاجنبية .

(١) المرجع السابق ، ص ٢٥٠ .

كانوا يحثقرون الشعب المصرى واللغة العربية ويرفضون استخدامها
أو التحدث بها .

وكان البعض منهم يتحدث عن الحريات والديمقراطية ويحلمون بمجتمعات
أفضل ولكن ليس للمصريين وإنما لشعوبهم الأصلية . .

ولكن الأجانب الماركسيين كانوا يمثلون مرحلة جديدة حاولت جاهدة أن
تربط عقيدتها بكفاح يومى من أجل الشعب . . غير أن الوصول الى الشعب
المصرى كان بعيدا ، النال فثمة حواجز حقيقية . . اللغة ، التقاليد ، كراهية
الأجانب الخ . . وهكذا كانت الحلقات الماركسية الأجنبية تبقى حبيسة
التجمعات الأجنبية عاجزة عن اقتحام حواجز العزلة . .

. . وبرل جاكو دى كومب رجل حريص ، لا يعرف القفز ولا السرعة ،
انه يخشى أى خطوة متسرفة ، أو حتى معتدلة ، أنه يتلفت عشر مرات
قبل أن يخطو خطوة واحدة . . وظل يعمل حوالى ست سنوات كاملة فى نشأة
علمى وسرى متصل ليكون مجموعة صغيرة جدا معظمها من الأجانب وليس فيها من
يمكن القول بأنهم مصريون سوى ثلاثة من أصل يهودى وذوى ثقافة أجنبية
هم ريمون دويك - يوسف درويش - صادق سعد .

وكان هذا الكسب المتواضع كافيا لبول جاكو فدفع هؤلاء الثلاثة
الى الابتعاد عن المجموعة الأجنبية . . كان يصدهم عنها ليعملوا مستقلين . .
كان - كما قال لى صادق سعد فى نقاش معه - يصرخ فيهم « لستم أطفالا . .
لقد بلغتم سن الفطام » .

وفى ١٩٤١ وجد الثلاثة (صادق سعد - ريمون دويك - يوسف
درويش) سبيله للعمل المستقل .

* * *

واتفق الثلاثة على العمل فى شعبتين منفصلتين .
ريمون دويك وصديق سعد ليعملا وسط المثقفين .

ويوسف درويش باعتباره محاميا عاماليا للعمل وسط العمال . . على
أن يكون صادق سعد مسئولا للاتصال بين الشعبتين .

ولنميك الآن بالخيال الأول . . مرجئين نشاط يوسف درويش الى فصل
قادم نتحدث فيه عن مجلة « الضمير » .

. . ريمون دويك وصديق سعد اتصلا بسعيد خيال ومصطفى كامل
منيب واشتركا معا فى تأسيس « جماعة نشر الثقافة الحديثة » لكنهما
كعادتهما ووفقا لتعليمات الحذر الشديد التى أحاطت بكل تصرفاتهما لم يفاتحا

الاثنين في أى شيء ، وحاولا مجرد استخدام « جماعة نشر الثقافة الحديثة » كمعبر
عننى لهما دون أن يشعرا أحدا من شركائهما بذلك .

وقد أدى ذلك الى تردى الوضع وطردهما من هذه الجماعة . . . ويروى
سعيد خيال القصة في مناقشة أجريتها معه فيقول « حضر شخص من الحزب
الشيوعي الفلسطيني اسمه « الحسينى » ولا اذكر بقية اسمه ، وقابل مصطفى
كامل منيب وخلال الحديث معه قال له ان لديهم معلومات ان مؤسس « جماعة
نشر الثقافة الحديثة » هو بول جاكو دى كومب فلما نفى مصطفى كامل
منيب ذلك ، اكد له « الحسينى » ان جاكو كان في فلسطين وأبلغ الحزب
الفلسطينى بذلك . . . ولم يبلغنى مصطفى كامل منيب بذلك لانه كان يعلم اننى
عنيف في تصرفاتى في مثل هذه الحالات ، واكتفى بان اقترح على ابعاد صادق
سعد وريمون دويك من الجماعة على اساس انهم من صل شبه اجنبى وانهم
ليسيوا مصريين تماما . . . ووافقت على ذلك وتم ابعادهما . . . وبعدها شرعا
في تأسيس « الفجر الجديد » .

* * *

ويروى صادق سعد انه خلال تواجده مع ريمون في « جماعة نشر الثقافة
الحديثة » كانا قد تعرفا « الى عدد من المثقفين المصريين منهم أحمد رشدى
صالح ، عبد الرحمن الشرنقاوى ، نعمان عاشور ، سعد مكاوى ، محمد
اسماعيل محمد . . .

وتعرفنا بابو سيف يوسف عن طريق محمد اسماعيل وبعلى الراعى عن
طريق أحمد رشدى صالح » .

وهكذا فان الماركسيين الاجانب توصلوا الى انصاف المصريين وانصاف
المصريين تلاحموا مع عدد من المثقفين المصريين . . . وأصبح من الممكن بالرغم
من ابعادهم عن « جماعة نشر الثقافة الحديثة » ان يلعبوا دورا مستقلا . . .
وتأسست مجلة « الفجر الجديد » .

* * *

.. ويكمل صادق سعد روايته . . .

.. « كان أحمد رشدى صالح اكثرنا قدرة على الحصول على ترخيص
لاصدار مجلة ، فقد كان والد زوجته على علاقة ما بوزارة الداخلية وسهل
له الحصول على ترخيص باصدار مجلة « الفجر الجديد » باسمه . . .

لكن الحصول على ترخيص كان مجرد تخطى للعتبة الاولى وظلت عتبة
اساسية اخرى هي التمويل . . .

ويمضى صادق سعد « وفي جلسة لمناقشة كيفية اصدار المجلة لشار: أحمد
رشدى صالح مسألة التمويل ، وأبلغناه اننا سنحاول حل هذه المشكلة ، وأصر

رشدی صالح على معرفة مصدر التمويل ، واضطررنا الى ان نشرح له الامر . وعلاقتنا بالمجموعة الاجنبية السرية التي تعمل خلف « مجموعة الدراسات » وكيف ان هذه المجموعة هي التي ستمول اصدار المجلة . . ووافق رشدی صالح على الانضمام الى مجموعتنا الضيقة » .

وهكذا وتحت الضغط . . تحول الثلاثة الى اربعة . . فقد أجبروا على مفاتحة رشدی صالح . . لكنهم ظلوا كما هم اربعة . . دون اية زيادة . .

وظلت العلاقات مع العناصر الاخرى على اساس انها مجرد عناصر صديقة ولم تجر مفاتحة أى منها . . ويقول صادق سعد « انا كنت مسئول المجموعة التي تعمل وسط المثقفين وفي نفس الوقت كنت حلقة الاتصال مع يوسف درويش ونشاطه وسط العمال » .

وظللنا كذلك حتى اواخر ١٩٤٦ ، ولم نفكر في مفاتحة الاصدقاء والتحول الى العمل التنظيمي الا بعد ان أغلق صدقي الخايز العلنية بقراره الشهير في ١١ يوليو ١٩٤٦ . . » .

* * *

وفي ١٦ مايو ١٩٤٥ صدر العدد الاول من مجلة « الفجر الجديد » . وكانت في البداية نصف شهرية واستمرت كذلك حتى العدد الثاني عشر الصادر في ١ نوفمبر ١٩٤٥ عندما أعلنت « الفجر الجديد » انها سوف تصدر بعد ذلك اسبوعية وتعلن في رسالة حماسية توجهها لقرائها « تعمل لجنة التحرير الان لاعداد « الفجر الجديد » لان تصدر اسبوعية اجتماعية ثقافية . . وهي اذ تقدم على هذه المسؤولية الضخمة تثق بكم وتتوجه اليكم . . ايها الاصدقاء اننا نكافح لنخلص حياتنا جميعا من كل ما يسيء الانسان ويحد من حريته . . ونحن موقنون باننا سننجح في مهمتنا لاننا نؤمن بعملنا وأعدافنا ونؤمن بشعبنا وبالشعوب الاخرى » .

والغريب ان العدد التالي لهذا الاعلان وهو العدد رقم ١٣ قد صدر بدون تاريخ . . وبعده يصدر العدد الرابع عشر وتاريخه ٦ ديسمبر ١٩٤٥ . . وهكذا كانت هناك فجوة لا نعرف لها سببا ونلاحظ بعد ذلك ان العدد الخامس عشر يصدر يوم ١٦ ديسمبر أى بعد عشرة ايام من العدد السابق عليه وفي هذا العدد نجد الاعلان التالي « تصدر « الفجر الجديد » مجلة التحرر القومي والفكرى اسبوعية ابتداء من ٤ يناير ١٩٤٦ . . ثم تنتظم المجلة بعد ذلك اسبوعية كل اربعة . . وتستمر في الصدور حتى يلغى ترخيصها في ١١ يوليو ١٩٤٦ في تلك المذبحة الجماعية التي نظمها الطاغية صدقي لكل الصحف التقدمية في ذلك الحين .

* * *

والشعار الذى اتخذته « الفجر الجديد » لنفسها ابتداء من العدد الاول كان « مجلة الثقافة الحرة » ، وفى العدد السابع الصادر فى ١١ أغسطس ١٩٤٥ ، يبقى الغلاف الخارجى كما هو مع اضافة غلاف داخلى يحمل نفس الشعار « الفجر الجديد - مجلة الثقافة الحرة » لكنها تضيف شعارا جديدا « نحن نجاهد لكى لا يندم احد على الحياة » .

وفى العدد ١٣ يتغير شكل الغلاف فتظهر عليه لوحة تشكيلية بعنوان « الثورة المصرية - بريشة جورج دموس » كذلك يتغير شعار المجلة الى « الفجر الجديد - مجلة التحرر القومى والفكرى » .

ويشهد العدد ١٤ وهو فى اعتقادنا اول الاعداد الاسبوعية تطورا جديدا نلون الغلاف ثابت وكان يتغير فى الاعداد السابقة ، واللون الثابت هو اللون الاحمر ويضم الغلاف لوحة تشكيلية بتوقيع نصر ، وكذلك العدد ١٥ ، وابتداء من العدد ١٦ يتغير رسام الغلاف ليصبح « الزميل عمر » .

وابتداء من العدد ٢٤ الصادر فى ٦ مارس ١٩٤٦ تطبع أحرف الصفحة الاخيرة بالحبر الاحمر وتخصص لباب ثابت بعنوان « الى زميل » وفى العدد ٢٤ ايضا برواز فى الصفحة الثالثة بعنوان « الى اصدقاء « الفجر الجديد » تعلن فيه المجلة ان الزميل ابو سيف يوسف قد انضم الى اسرة التحرير » . وابتداء من العدد ٢٦ يرد اسم ابو سيف كسكرتير لتحرير المجلة .

وكان مقر ادارة المجلة ٣٢ شارع ابراهيم باشا وابتداء من العدد الثالث يتغير المقر الى ٣٥ شارع شريف باشا ، وفى العدد ٢٤ يتغير العنوان من جديد الى شارع البنك الوطنى لكن « الفجر الجديد » تطلب الى قرائها مراسلتها على صندوق بريد ١٩٢٤ القاهرة . ونلاحظ ان هناك بروازا فى العدد ٢٩ يقول « عنوان المجلة الوحيد ص . ب ١٩٢٤ » .

ورويدا رويدا بدأت « الفجر الجديد » ترفع شعارات عنيفة وتتحول من مجرد مجلة ثقافية الى مجلة سياسية وبرزت فيها المعالم الماركسية بشكل واضح تماما ، ومع تفجر الحركة الوطنية فى مطلع عام ١٩٤٦ تزداد جرعة الحماس فى « الفجر الجديد » « نحن نقول الحقيقة ولكننا لا نستطيع ان نقولها كاملة (١) » « أيدوا » « الفجر الجديد » مجلة النضال الوطنى الديمقراطى

(١) الفجر الجديد ، ٢٧-٢-١٩٤٦ .

« اكتبوا لها وزعوها - اتصلوا بها فهم لسانكم الناطق بآلکم وأهدافکم » (١)
 « ليكن اتحاد الطلبة والعمال بداية اتحاد المثقفين بالطبقات الشعبية » (٢)
 « الفجر الجديد مجلة التحرر الوطني والنضال الديمقراطية » . « مع العاملين
 المخلصين من اجل مصر حرة مستقلة ديمقراطية » (٣) « يا اصدقاء » الفجر
 الجديد » . اكتبوا لنا . ابعثوا بكمياتكم وانقادا لكم وتوجيهاتكم - انكم
 بهذا تساهمون في حركة للتحرر الوطني القومي والفكري وتنطلقون معنا الى
 تحقيق غايات شعبنا الحر المناضل » (٤) .



وكانت « الفجر الجديد » ككل المجلات اليسارية والتقدمية تعاني من
 نقص مواردها المالية وقد توجهت الى قرائها بنداء تقول فيه « الى اصدقاء
 » الفجر الجديد « ان مجلتكم تعاني ازمة مالية حادة ، فقد اصبحت الان امام
 امرين اما ان نتغلب عليها فنظل نصح في نفس الحجم ، وب نفس العدد ، واما ان
 تعجز فينخفض الحجم وعدد المطبوع . وانتم ايها الزملاء ايدتم « الفجر الجديد »
 وما تزالون فأصبح لسبوعيا بعد ان كان نصف شهري وتضاعف عدد الموزع منه
 واليوم نواجه معكم هذه الازمة ولا بد لنا من ان نجوزها ظافرين . . . ابعثوا
 الى الادارة بتبرعاتكم ، خفضوا مصروفاتكم الكمالية ولبنوا بقروشكم
 وجنيهاتكم صحيفتكم التي تؤمنون بنضالها . . . ادعوا اصدقائكم الى التبرع ،
 سيروا معنا صفا نتغلب على هذه الازمة المالية الحادة » (٥) .

وفي العدد التالي نداء آخر يقول « كان للنداء الذي وجهته « الفجر
 الجديد » الى قرائها اثر كبير ، نشط له الكثيرون من الاصدقاء يساهمون في
 تدعيم الفجر الجديد وايصاله الى زملائهم » .

على ان ارتفاع اثمان الورق وعدم تمكننا من الحصول على الكميات
 الكافية من التموين قد اضطرنا الى تخفيض عدد المطبوع من « الفجر الجديد » .
 ولذلك أصبح من الامة بمكان ان يتعاون جميع الاصدقاء على توزيعه
 بأيديهم لان المعروض في السوق سيقل حتما . . . » (٦) .

(١) الفجر الجديد ، ٦-٣-١٩٤٦ .

(٢) للفجر الجديد ، ١٣-٣-١٩٤٦ .

(٣) للفجر الجديد ، ٢٧-٣-١٩٤٦ .

(٤) الفجر الجديد ، ٢٧-٣-١٩٤٦ .

(٥) الفجر الجديد ، ٢٠-٣-١٩٤٦ .

(٦) الفجر الجديد ، ٢٧-٣-١٩٤٦ .

وفي عدد تال توجه « الفجر الجديد » الى أصدقاء « الفجر الجديد » بالجامعة والمعاهد تقصيرا على مساهمة الزملاء موزعي « الفجر الجديد » الذين واضبوا وما زالوا على توسيع انتشاره ، وترجو بمناسبة قرب افتتاح الموسم الدراسي أن يبذل أصدقاء وموزعو « الفجر الجديد » بالجامعة والمعاهد أقصى جهدهم حتى يبلغ « الفجر » قراءة الطلبة أثناء العطلة الصيفية ٠٠٠ » (١)

وكان من الطبيعي أن تحاول « الفجر الجديد » الاعتماد على توزيع أصدقائها . ليس فقط لان ذلك يوفر عمولة التوزيع المالية المجلة ولا لان ذلك كان وسيلة لتجميع الاصدقاء والانصار وربطهم بمعمل شبه منتظم وانما أيضا لان السلطة كانت تطارد عملية توزيعها ٠٠ وتحت عنوان « يحاربون « الفجر الجديد » بوسائل دنيئة » تكتب « الفجر » « يشاء البوليس السياسي أن يوالى « الفجر الجديد » بهضائقاته - وأن يعطيها في كل يوم دليلا على أنه آلة في يد الاستعمار - فبالأمس أوحى الى حرس الجامعة بأن يطردوا بائع الصحف لانه ينادى على « الفجر الجديد » وأجبروه على ألا يعرضه أمام باب الجامعة ضمن ما يعرضه من صحف ٠٠٠ » (٢)

وعلى أية حال فان التبرعات التي جمعت لم تكن كافية الامر الذي يوحي بأنها كانت مثليا مثل قيام القراء بالتوزيع مجرد خطة لربط القراء بجلتهم لأهداف سياسية ففى عدد لاحق نلاحظ برواز بعنوان « تدعيم الفجر الجديد » يقول « بلغت التبرعات لتدعيم « الفجر الجديد » حتى الان خمسة جنيهات . . أيها الاصدقاء نحن نريد أن يكون « الفجر الجديد » - لسانكم القوى - وأنتم لستم أفرادا لستم عشرات أو مئات ، وانما أنتم ملايين ، أنتم يا من تؤمنون بحق شعبنا في الحياة الحرة الكريمة . قفوا صفا واحدا ٠٠ أيدوا « الفجر الجديد » (٣) »

والذى يؤكد أن حملة التبرعات كانت سياسية فى جوهرها برواز آخر فى عدد آخر « ما يزال تأييد أصدقاء « الفجر الجديد » والمؤمنين بكفاحه يتوالى - حتى بلغت التبرعات داخل القطر أكثر من ثلاثين جنيها - ونحن نعلم أن هذه الجنيهاات جمعت بالقرش من قراء « الفجر الجديد » ففى تمثّل تأييد جماهير لا تأييد أفراد - وهى عنوان لنفصال الطبقات الشعبية التى تنق بخططنا السياسية . فقد أرسل اليينا عشرون عاملا مثلا عشرين قرشا ٠٠ وأرسل اليينا أصدقاء « الفجر الجديد » بمئيات خمسين قرشا ٠٠٠ ودفع الزملاء بالنيابا خمسين قرشا ٠٠ » .

- ١ - الفجر الجديد ، ١٠ - ٤ - ١٩٤٦ .
- ٢ - الفجر الجديد ، ١٧ - ٤ - ١٩٤٦ .
- ٣ - الفجر الجديد ، ٦ - ٢ - ١٩٤٦ .

وامتدت الحملة الى الاقطار العربية « فارسل لنا زميل بالعراق ستة شلنات وساهمت أسرة مجلة « الغد » بـفلسطين بخمسة جنيهات وجمع العمال وطلاب الحقوق بالكاظمية بالعراق ستة جنيهات ونصف » (١) *

•• ويبدو أن هذه الحملة السياسية سواء في جمع التبرعات أو التوزيع قد حققت نجاحا هاما « فالفجر الجديد » توجه تحية الى أصدقائها تقول فيها « ها نحن نعود فننشر « الفجر الجديد » في ٢٤ صفحة والفضل في ذلك لكم أنتم أيها الزملاء فقد شجعتم « الفجر » واضطررتم بنشاطكم في التوزيع وزارة التموين أن تزيد الكمية التي كانت تصرفها لنا - وقد برهنتم بنضالكم ومضاعفة جهودكم لنشر « الفجر الجديد » • ان شعبنا مجيد التقدير دافق الحيوية فما قد قفز توزيع « الفجر » عن طريق شركة التوزيع الى ستة أضعاف ما ابتدأ به ، وسيسير نضاله معكم قدما ، وسيبلغ كل وطني مخلص والى غد سعيد قريب » (٢) •

لكن هذا الانتشار كان يواجه عقبات واضطهادات مستمرة •• فلقد أشرنا من قبل الى محاربة موزعي المجلة - ونلاحظ أن « الفجر الجديد » تعود لتشكو مرة أخرى من الحملة الموجهة ضدها •• وثمة باب ثابت بعنوان « يحاربون « الفجر الجديد » بوسائل دنيئة » يرد فيها بعض مما واجهته المجلة من اضطهاد « علمنا أن موظفا كبيرا في شركة مصر للغزل والنسيج بالمحلة الكبرى كلف من قبل الشركة بجمع كل ما يصل الى المحلة من نسخ « الفجر الجديد » وتشتري الشركة النسخة بخمسة قروش أى بما يعادل ٢٥٠ في المائة من ثمن النسخة الاساسى ثم علمنا أن الشركة تدعم هذه النسخ • وواضح أن أولى الامر في الشركة يريدون ألا تصل توجيهات « الفجر » الى العمال • ولكن هذا لن يحول أبدا بين العمال وبين المفكرين الديمقراطيين الاحرار فهم جميعا طليعة شعبنا الباسل المناضل في سبيل حرياته » •

« •• علمنا أن بعض أصدقاء « الفجر الجدد » القائمين بتوزيعه قد اكتشفوا أن عناصر فاشية تسرق نسخ « الفجر الجديد » وتدمرها تماما » (٣) •

لكن الامر لم يقف عند هذا الحد •• فقد بدأت المطاردة الفعلية

- ١ - الفجر الجديد ، ١٧ - ٤ - ١٩٤٦ •
- ٢ - الفجر الجديد ، ١ - ٥ - ١٩٤٦ •
- ٣ - الفجر الجديد ، ٧ - ٥ - ١٩٤٦ •

بالقبض على ثلاثة من محررى « الفجر الجديد » هم أحمد رشدى صالح -
صادق سعد - نعمان عاشور .

لكن النيابة « أفرجت عنهم بكفالة عشرة جنيفات لكل منهم ٠٠ ولكن
لم ينته التحقيق الى الآن » ٠٠

وعقب الافراج توجه « الفجر الجديد » « تحية » ٠٠ « الفجر الجديد
يشكر الزملاء الذين كتبوا اليه مهنيين باطلاق سراح الاساتذة أحمد رشدى
صالح وصادق سعد ونعمان عاشور ، ويكرر عهده لهم بأنه سيواصل نضاله
التحررى بعزيمة لا تكل ويحيى الاقلام المخلصة التى هزتها موجة الارهاب
فكتبت مدافعة عن الحرية ومؤيدة نظامنا الديمقراطى ٠٠ » (١)

وتحية أخرى الى أحمد رشدى صالح يوقعها « صديق » بعنوان « أخى
رشدى » لعلها توضح جو الارهاب الذى أحاط بالناخ الثقافى فى ذلك
الحين فهى تقول « عندما ألقى القبض عليك لم تساورنى الدهشة ولكننى
تأملت كل الالم . لم تساورنى الدهشة لانى اعلم - كما تعلم - ان ديمقراطيتنا
لم تنزل بعد ناقصة عرجاء ولكننى تأملت حين تذكرت أن الملايين الذين أرهقوا
أرواحهم وأسألوا دماءهم لم يستطيعوا رغم هذه التضحية أن يلحقوا بذور الحرية
فى كل بلاد الارض ٠٠ وعندما طالعتنا صف الصباح بخطها وجهلها
وبأنبيائها واتهاماتها الهوجاء صدمت صدمات مذهلة ٠٠ وعندما لقيت
« بعض » من كانوا يسمون أنفسهم أصدقاء انتابنى فزع شديد فقد علت
وجوههم ابتسامات دنيئة شواء » (٢) .

لكن الأمر لم يقف عند هذا الحد ٠٠ فان محررى « الفجر الجديد »
يروون وقائع أخرى تحت عنوان « اذن فهذه هى الديمقراطية ؟ » ٠٠٠ لم
يكتف البوليس السياسى ، هذه الالة الغاشمة الخارجة على كل مبادئ
الديمقراطية بتعقب بعض محررى « الفجر الجديد » شهورا كاملة ، ولم يكتف
بتقديمهم للمحاكمة وارسالهم الى السجن بل راح يطاردتهم حتى فى السجن
نفسه وفى التحقيق ذاته ! بل ما كاد يفرج عن محرر « الفجر الجديد »
وزميليه حتى راح البوليس السياسى يضغط على المطبعة كي ترفض طبع
« الفجر الجديد » وأرسل من زعانفه نفرا يتلصصون ويسرقون بروفات
المقالات ، فهل هذه هى حرية النشر يا وزير الداخلية ؟ » (٣) .

١ - الفجر الجديد ، ١١ - ١ - ١٩٤٦ .

٢ - المرجع السابق .

٣ - المرجع السابق .

وكانت « الفجر الجديد » قد أسست داراً للنشر باسم « دار القرن العشرين للنشر » كانت تتخذ لنفسها عنواناً هو نفس مقر المجلة بشارع البنك الوطنى ونفس صندوق البريد ١٩٢٤ القاهرة . .

وقد أصدرت هذه الدار عدداً من الكتب « الاستعمار البريطانى في مصر » تأليف الينور بيرنز ترجمة أحمد رشدى صالح ، الفلسفة المادية الجدلية تأليف دافيد جست ترجمة محمد اسماعيل ، حول الفلسفة الماركسية (رد على العقائد) تأليف أبو سيف يوسف ، كرومر في مصر تأليف أحمد رشدى صالح ، مأساة التعمين صادق سعد . . الخ « (١) » .

ولم تسلم « دار القرن العشرين » من هجمات البوليس هي الاخرى . . وعندما وقعت حادثة اغتيال أمين عثمان كانت فرصة متاحة أمام البوليس لهجومه منازل العديدين بحثاً عن « قنابل » .

وتنشر « الفجر الجديد » نص عديد من البرقيات أرسلت الى رئيس الوزراء . .

« هاجم البوليس منزلى بحجة البحث عن قنابل وانى واثق أنه ليس لدى الحكومة أدنى شك في براءتى من هذه التهمة واعتقد ان ذلك عن تدبير بسبب عملى فى منشأة وطنية ديمقراطية هي دار القرن العشرين للنشر . احتج على هذا الأسلوب الارهابى - ابراهيم دويك « (١) » .

وبرقية أخرى :

« فتش البوليس منزلى أمس بحجة البحث عن قنابل برغم وثوقه من براءتى من تلك التهمة الجائرة التى يبرأ منها كل مواطن ديمقراطى . . احتج على هذا التدبير الارهابى من جانب البوليس السياسى وأطلب وقفه - نعمان عاشور » .

وبرقية ثالثة . .

« الى وزير الداخلية . . فتش بوليس بولاق منزلى اليوم الساعة ٢ صباحاً دون أمر من النيابة احتج بشدة على هذا الاجراء الخارج عن القانون وأطالب بالتحقيق - صادق سعد » .

١ - الفجر الجديد ، ١ - ٥ - ١٩٤٦ .

٢ - الارجح أن صحة التوقيع هو ريمون ابراهيم دويك فهو الوحيد الذى كان يعمل في دار القرن العشرين بهذا الاسم .

كذلك أرسل أحمد رشدي صالح برقية تقول « السانة الثانية صباح الثلاثاء غدش البوليس منزلي بأمر نيابة جنوب القاهرة بدعوى البحث عن قنابل احتج على هذا الخلط المقصود الذي يراد به تشويه كفاحي الوطني باظهارى وزملائي الديمقراطيين بمظهر مرتكبي وسائل الارهاب من الفاشيين خدم الاستعمار » (١) .

وقد أثارت هذه المطاردة المستمرة حملات استنكار انعكست على صفحات بعض الصحف اليومية والاسبوعية الصادرة في مصر في هذه الفترة . . وانعكست أيضا - وهذا أمر له دلالة - على صفحات المجلات التقدمية العربية ، وتنشر « الفجر الجديد » مقتبسات من حملات التأييد نقلا عن جريدة « النضال » الليروتية و « الغد » الفلسطينية و « صوت الشعب » السورية . . و « الشعب » العراقية . . الخ (٢) .

لكن الاضطهاد لا يتوقف . . ويتواصل متصاعدا حتى تأتي المذبحة الجماعية التي نظمها الطاغية صدقي في ١١ يوليو ١٩٤٧ لكل الصحف والمجلات التقدمية والوطنية .

ويساق معظم محرري « الفجر الجديد » الى السجن . .

ولان عدد محرري « الفجر الجديد » كان في بداية الامر محدودا جدا فتعد اضطروا الى أن يكتب الواحد منهم أكثر من مقال في العدد الواحد ، واضطروهم ذلك الى التوقيع في أحيان كثيرة بأسماء مستعارة . . وكان لا بد من البحث عن أصحاب هذه الاسماء حتى يهكن للدارس أن يعرف الكاتب الحقيقي لكل مقال . .

وبعد جهد . . أمكن أن حدد اصحاب هذه الاسماء المستعارة ، نوردها هنا حتى يسهل علينا فيما بعد المضي في نسبة المقالات الى كتابها وحتى يسهل على الدارسين متابعة أية دراسة مستقبلية لاعداد « الفجر الجديد » . .

أحمد رشدي صالح .

جهاد

أحمد سعيد

صادق سعد .

نهاد

حسن زاهر

على الكاتب

على الراعي .

رأفت . .

١ - الفجر الجديد ، ٧ - ٥ - ١٩٤٦

٢ - الفجر الجديد ، ١١ - ١ - ١٩٤٦ ، ٣٠ - ١ - ١٩٤٦ .

أبو سيف يوسف

رأفت يوسف

أ. يوسف

ريمون دويك

ابراهيم الكاشف

محمد أمين

يوسف درويش

حسن زكي

اسماعيل محمد

اسماعيل يحيى

وكان يحرق من الاسكندرية ثلاثة هم لطفى عزوز ومحمد صبحي وشخص اسمه شعلان وكثيرا ما كان كل منهم يوقع باسم « اسكندرائي » او « من الاسكندرية » .

وبالتدريج تكتسب « الفجر الجديد » كتابا جددا بحيث لم تعد بحاجة الى الاكثار من استخدام هذه الاسماء المستعارة الا لاسباب سياسية . ولقد كسبت « الفجر الجديد » بعد صدور أعداد قليلة منها أقبالا تقديمية وديمقراطية عديدة منها نور الشريف ، أنور شتا ، سعد مكاوي ، نعمان عاشور ، عبد القادر التلمساني ، لطفى عزوز ، محمد اسماعيل محمد ، أنور المشري ، عبد القادر القط . الخ .

كما أنها فتحت صفحاتها أمام كتاب من مختلف المجموعات الماركسية . فنلاحظ أن كتابا كثيرين من ايسكرا ومن الحركة المصرية للتحرك الوطني قد شاركوا في تحريرها أمثال محمد خليل قاسم ، كمال عبد الحليم ، أنور عبد الملك ، لطيفة الزيات ، محمد الجندي ، محمود توفيق ، زكي هاشم ، سعيد خيال ، ابراهيم سعد الدين . الخ .

كذلك فقد فتحت « الفجر الجديد » صفحاتها للعديد من الشعراء والكتاب التقدميين العرب أمثال عبد المعين الملوحي ، رثيف خوري ، مخلص عمرو ، عدنان البني ، وصفي البني . الخ .

واستعراض كل ما قدمته « الفجر الجديد » مسألة صعبة بقدر ما هي بعيدة عن هدفنا ، فلقد تواجدت طوال ١٤ شهرا صدر خلالها اثنان وأربعون عددا لكننا سنحاول قدر طاقتنا أن نقدم نماذج أساسية للفكر والمواقف التي نسجت منها « الفجر الجديد » مقالاتها باعتبارها الاساس الفكرى الذى نهج عليه محرروها فيما بعد عند تأسيسهم للتنظيم الشيوعى « طليعة العمال » .

والخيوط عديدة . فلنحاول الامساك بأكثرها أهمية .

ولنبداً بالفرن الذى كان سلاحاً هاماً فى نشر الوعي الثورى ، والذى بدأ يلعب دوراً هاماً فى تشكيل الوجدان المصرى باتجاهات متقدمة منذ تأسيس جماعة الفن والحرية وصدر نشرتها المطبوعة بالرونير « الفن والحرية » عام ١٩٣٩ ، ثم صدر مجلتها العننية « التطور » .

لكن الفجر الجديد تأتى فى مرحلة النضج . . نضج الوعي والفن معا . فنلاحظ ان الاتجاهات السيرىالية تختفى وتحل محلها محاولات جادة وذكىة لشعب الاتجاهات والادوات الادبية والفنية على أساس النهج الماركسى . .

والشعر الذى كان يبدو على صفحات « التطور » بدائياً فى مضمونه وشكله يثمر على صفحات « الفجر الجديد » قصائد رائعة كانت الهاماً لجيوش الشباب المتدفق حماساً فى ذلك الحين . .

والنماذج عديدة لا يمكن حصرها ، وهكذا نضطر اضطراراً الى الإجتزاء . .

فمنذ العدد الاول يلعب عبد الرحمن الشرقاوى ، بقصيدة عنوانها « الفجر الجديد » .

« يا رفائق المجد قد عشنا الى الان حيارى
فهلما . . وضح النهج . . الى المجد . . البدارا
انها الحرية الكبرى . . جعلناها المنارا
... »

والثما فى رحلة المجد أقانيم العذارى
ودعوهن يغنين أناشيد السلام
يا عذارى . . هذه جلوة جد وغرام
ذتعالين لكى نرقص للعهد السعيد
نذكر الموتى . . ونشدو شدة الفجر الجديد « (١) .

والشعراء العرب يجدون هم أيضاً مجالا على صفحات « الفجر الجديد »
فبعد المعين الموحى ينشر قصيدته الشهيرة « ثورة الشام » :

« بكر العالم بالنصر وغنى وسكرنا
وسعى للفجر يطوى الليل طيباً وسعينا
... »

نحن فى معركة الحرية الكبرى اشتكرها

فهزمننا وهزمننا وقتلنا وقتلنا
وعلى الظلم ، على النازية الحمقى انتصرنا

••••

أفحتم أن نخاف السجن أن نورا رأينا
أفحتم أن نخاف القيد أن حقا نطقنا
أفحتم أن نخاف السم أن ماء شربنا
أنحتم أن نخاف السبل أن ريحا نشقنا

••••

قد شربنا الماء سما وشممنا الورد نتنا
ونشقنا الريح سلا وسمعنا السوط لحنا
ورأينا النور سجنا فكفانا ما حملنا « (١)

ثم يقتحم الميدان رائدا الشعر الثورى الحديث ••• محمد خليل قاسم
وكمال عبد الحليم ، وفي قصيدة « الريف • دموع فلاح » يقول محمد
خليل قاسم :

« أواه قد حملوا حصيدى للقصور العالية
ومضيت أرقبهم وروحي كالذبيحة دامية
وذرفت دمعى كالأصم وقد علقت لسانيه
وقفزت أنمعهم نعاقونى بريح عاتية
بالوعد ، بالقانون طورا بالامانى الواعيه
بالنطق المأفون ، كلا بالدموع الحانيه
بالعلم بالاكبال تهوى بالعقول الواعيه
ووهبتهم قوتى وسرت الى ظلام الهاوية » (٢)

أما كمال عبد الحليم فينشر قصيدته الشهيرة « صراع ودموع » :

كل يوم يمر ليس من العمر	إذا لم تقضه في كفاح
وحرام عليك أن تبصر الشعب	دماء تجمدت في جراح
وحرام عليك أن تبصر القوم	عرايا في عاصفات الرياح
ينتساكون بالدموع فتبكى	لبكاهم وتكتفى بالنواح

••••

١ - الفجر الجديد ، ١٦ - ٦ - ١٩٤٥ •

٢ - الفجر الجديد ، ١٦ - ٨ - ١٩٤٥ •

أطلق الثورة التي تسكن الصدر وجفف ذهوعك الماضيات
 انما نخسر القيود وما القييد جميلا على أكف الأبياء
 لن ينال الحقوق الا أباء يتحدون معجزات الثقاء
 هي حرب الحياة اما حياة أو ممات يكن معنى الحياة (١)

وقصيدة أخرى لكمال عبد الحليم بعنوان « هذه الثورة » :

« كتل تحمل رايات الدماء القانية
 لم تعد ترهب أنغام الرصاص الداوية
 لم تجد في كفها الا سلاح التضحية
 فمضت تسقط صرعى فوق أرض دامية
 غير أن الراية الحمراء تبدو عالية » (٢)
 ومحمود توفيق يكتب قصيدة عنوانها « غدا » :
 « نضح الجرح وعاف العبد سوط السيد
 في غد نحيا فيا شوقي الى ذلك الغد » (٣)

ولم تكتف « الفجر الجديد » بأن تصبح منبرا للمدرسة الثورية الجديدة
 للشعر في مصر والبلدان العربية الاخرى ، لكنها حرصت على أن تقدم
 لقرائها نماذج من الشعر الثوري الاجنبي .

ففي دراسة ممتعة يقدمها « على الكاتب » (على الراعي) عن الشاعر
 الزنجي الأمريكي « لانجستون هيوز » يورد أمثلة رائعة من شعره منها قصيدة
 يتوجه فيها الى « لينين » قائلا :

« أيها الرفيق . . لينين روسيا
 في علاقتك الرخامي
 اعطني يا رفيق لينين
 مكانا الى جوارك
 أنا ايفان الفلاح
 لقد حاربت معك يا رفيق لينين
 وها قد انتهت أعمالي

....

افسح لي يا رفيق لينين

-
- ١ - الفجر الجديد ، ١٩ - ١ - ١٩٤٦ .
 - ٢ - الفجر الجديد ، ٢٧ - ٢ - ١٩٤٦ .
 - ٣ - الفجر الجديد ، ١٣ - ٣ - ١٩٤٦ .

وأنترك لى مكانا بجوارك
أنا شانج من معامل الصهر
أضربت فى شوارع شنغهاى
ولأجل الثورة
أحارب ، وأجوع وأموت « (١)

ودراسة أخرى « لعلى الكاتب » أيضا عن شاعر افريتييا « بانكل اووور
.. ربنز » يقدم فيها نماذج عديدة من أشعاره منها « الصديق الوحيد » :

« روسيا موطن العمال والاحرار
انى أنحنى أمامك أشد الانحناء
نانك تبشرين بقرب طلوع النهار
يوم تصبح الحرية ملكا لى
انى أنحنى أمامك - لا كعبد
مكلانا يعمقت هذا ويزدريه
انما أنا جزء من الجنس البشرى
الذى أقسمت ان تذهبي بأحزانه » (٢)

ودراسة ثالثة ٠٠ لنفس الكاتب عن « شاعر الثورة الاشتراكية فلاديمير
ماياكوفسكى » ويحرص على أن يقدم من بين نماذج عديدة لماياكوفسكى
معميدة بعنوان « اخوانى الكتاب » :

« ماذا عندكم اليوم تكتبون عنه ؟
ان وكيل أى محام يجد الحياة
أشوق ألف مرة مما تجدون
أيها السادة الشعراء
الم تملوا الأوراق
والقصور
والحب
وأزهار الليلاك ؟
ان كان مثلكم الخالقون
فانى أبصق على كل فن » (٣)

-
- ١ - الفجر الجديد ، ١ - ٨ - ١٩٤٥ .
 - ٢ - النجر الجديد ، ١ - ١١ - ١٩٤٥ .
 - ٣ - الفجر الجديد ، العدد ١٣ (بدون تاريخ) .

ولعله هو نفس الدرس . . الذى حاولت « الفجر الجديد » ان تلقنه للكتاب والادباء المصريين فى هذه الفترة . . أن يلتفتوا الى مشكلات شعبهم ويتركوا الحديث عن القصور وازهار الليلاك . . ولقد كانت هذه واحدة من اهم الواجبات التى شعرت « الفجر الجديد » انه يتعين عليها القيام بها . .

فافتتاحت العدد الاول عنوانها « مهمة الكاتب » فى مقدمتها برواز صغير يحاول « أحمد رشدى صالح » ان يقدم به « الفجر الجديد » فيقول « كما تتولد أشباح الفجر ، مهمة حبيبة باهتة . . كذلك « الفجر الجديد » أقلام طريفة الوجود وان كانت فتية الحياة يشرعها أصحابها وقد جد بهم السعى ولا يزال يجد الى الافق الموعود » . . ثم يقول المقال « مهمة الكاتب فى ان يجعل من قلمه ذروة الآلام العامة والرجاء العام واللفتة الموجهة للنضال المشرّد فى دروب الحياة . ونثمة المناضل المخلص لتتحرر الحياة . . ان يجعله تعبيرا عن ذاته غير المنفصلة عن ذات المجتمع . عن كفاحه غير المنعزل عن كفاح المجتمع عن الانسان فيه ، غير المقطوع عن الانسان اينما كان وكيفما استوى فى الحياة » (١) .

وفى نفس العدد الاول ينشر ا . ي . أبو سيف مقالا عن « الفن والطبيعة والمجتمع » * يقول فيه « لا ينبغي ان تعارض المثال بالحقيقة لان المثال هو التعبير الاسمى عن الحقيقة » .

واذا جئنا الى العدد الثانى فاننا نجد « أحمد رشدى صالح » يلح من جديد على دور الكاتب والفنان « اننا نحمل مشعلا قد يكون خافت الضوء ، ولكنه قبل بزوغ شمس الغد سيصبح سراجا وهاجا . . غدا ، عندما تفيق الحضارة من الجشع والانانية وعندما تكف عن الدمار ، سيكون لنا فن جديد ، فن مجيد » .

وهو يؤكد ان « غاية « الفجر الجديد » ان يفتح للمفكرين والكتاب الاحرار فى مصر منبرا جديدا يواصلون من قوته جهادهم ليصلوا بثقافتنا الى مستواها الأعلى . واصلوا بينها وبين نضال الشعب المصرى المجيد فى سبيل حريته وطمأنينته الداخلية والخارجية وليصلوا بين ثقافتنا وثقافات الشعوب الاخرى

١ - الفجر الجديد ، ١٦-٥-١٩٤٥ .
(*) المقال موقع أ . ي . أبو سيف ، وقد أشار أبو سيف يوسف فى مناقشة معه أنه صاحب المقال وأنه مترجم وان كان قد غابت على (الفجر الجديد) أن تشير الى ذلك عند نشرها للمقال .

•• وهم بهذا يوجهون ثقافتنا وثقافات الشعوب الاخرى •• وهم بهذا يوجهون ثقافتنا الحاضرة الى طريق عالمي ، لم يستطع متزعموا الفكر قبلهم ان ييسروه « (١) » .

ومقال آخر في نفس العدد « بين الفن الصحيح والفن الزائف ، لعلى لراعى وفيه يؤكد أن الفن » •• لا يمكن ان يعيش في الابرار العاجية أو في غيرها من حصون تقام ضد الحياة •• وهو ايضا لا يمكن ان يكون متاعا او ميزة لفريق من الناس دون فريق بل هو متاع الانسانية كلها ، ومتاع كل فرد من بنيانها •• والنصل بينه وبين الحياة او تمكين بعض الناس منه دون بعض عمليه لا انسانية منافية للحياة •• وهي بعد هذا لا يمكن ان تدوم « (٢) » .

وفي نفس العدد مقال ثالث بقلم جهاد (أحمد رشدي صالح) عن حافظ ابراهيم « حافظ ابراهيم في شعره السياسي » .

وهكذا تمضى « الفجر الجديد » لتركز في اعدادها الاولى على الدراسات الفنية وعلى تحديد مهام الاديب ودوره من وجهة نظر شعبية وتقدمية ، لكنها لا تلبث ان تزداد جرأة لتقدم دراسات ماركسية عن الفن •• بداعا على الكاتب « (على الراعى) بمقال بالغ الاهمية بعنوان « الجدلية والفن الحديث » استعرض فيه مواقف عديد من المفكرين الماركسيين وخاصة ماركس وانجز من عملية الابداع الفنى وينقل عن ماركس عبارته الشهيرة « ان الوعى لا يشكل الحياة ، ولكن الحياة تشكل الوعى •• وعلى هذا اذا اردنا ان نفهم الوعى او أى مظهر من مظاهره كالفن مثلا ، فقد وجب ان نبدأ بالافراد الاحياء الحقيقين انفسهم ، كما يضاربون في الحياة » ونعتبر « الوعى وعيهم عم فقط » .

ثم تمضى الدراسة لتقدم رأى لينين في تحديد معايير يمكن استخدامها لتقييم الفن « تطبق الماركسية مقياسا ذا وجهين عندما تقيم الفن ، فهى أولا تقييم العمل الفنى بالمقياس النسبى الذى يتأثر بالحقبة التى تم فيها العمل وبالطبعة التى يعبر عنها ، وتطبق ايضا مقياسا مطلقا على هذا العمل لترى ان كانت قيمته النسبية تحوى لها من الحقيقة الموضوعية ام لا •• » .

ثم يختتم « على الكاتب » مقاله بعبارة وجهها لينين الى « كلارا زيتكين » بقول فيها « لا يهم مطلقا ما يعنيه الفن لنا نحن ، ولا ما يعنيه لبضع مئات أو حتى آلاف من الناس في أمة كأمنا تعد بالملايين •• الفن ينتمى الى الشعب ، وجنوره يجب ان تترد الى قلب الجموع نفسها ، فهذهى الجموع يجب ان تفهم

الفن وإن تحبه ، وعلى الفن أن يوحد بين عواطفها وأفكارها وأرائها ، وإن يرتفع بها الى مستوى اعلى . . وعليه ايضا ان يوقظ الفنانين بين هاته الجموع وأن يرفعهم ويقوم على تقدمهم » (١) .

ومعكذا كانت « الفجر الجديد » مدرسة رائدة للفن الثورى الذى لا يجابه فقط جمود وتعالى وانعزالية فنانى الافطاع والراسمالية وانما يجابه ايضا - وهذا هو الاساس - جموح عناصر « الفن والحرية » التى استخدمت رفضها لاساليب ومناهج الفن الرجعى سبيلا للسريالية والفوضوية التى كانت تستمد جذورها ومشروعيتها من الاتجاهات الذروتسكية التى كانت سبباً فى صغوفها . .

ولا تقتفى « الفجر الجديد » بتقديم نماذج من الفن التقدمى المحلى والعالمى ولا بتقديم الدراسات النظرية الماركسية حول الفن وانما هى تحاول ايضا ان تستخدم المنهج الماركسى فى دراسة تاريخ الفن فى مصر . . فنعلمان عاشور يكتب دراسة ممتعة عن « القوى النهارية والقوى النامية فى الادب المصرى » (٢) ثم يكتب دراسة مفصلة عن « معالم القصة فى الادب العربى » تنشر فى عدد من مقالين يتناول فيهما بالدراسة قصص توفيق الحكيم والعقاد وتطور كل منهما والفكر الذى يمثلها والطبقة التى ينتمى اليها . . (٢) .

وثمة دراسة هامة اخرى « عن الشعر العربى فى مصر » اعدها حسن زاهر (على الراعى) وهى دراسة ممتازة امتدت عبر اعداد ثلاثة تناولت بالدراسة تطور الشعر المصرى وأثر ثورة ١٩١٩ كثورة وطنية برجوازية على تطور الشعر واتجاهاته ، وتتناول بالتحليل النزعات الرومانتيكية فى الشعر وعلاقاتها بالتطور السياسى فى مصر . . وهو يلج فى دراسته هذه على ربط تطور اساليب التعبير الفنى بتطوير الاساس الاقتصادى للمجتمع فهذه الاساس « ينتج مظاهر اجتماعية معينة ، الادب واحد منها » (٤) .



... « عندما قررنا الاستقلال عن المجرعة الاجنبية . وسعيانا للارتباط بالواقع المصرى تمهيدا لتأسيس تنظيم شيوعى كان ههنا الاول هو دراسة

(١) الفجر الجديد ١-٧-١٩٤٥ .

(٢) الفجر الجديد ١٦-٨-١٩٤٥ .

(٣) الفجر الجديد ، ٦-٢ ، ١٣-٢-١٩٤٦ .

(٤) الفجر الجديد . ١٧-٤ ، ٢٤-٤ ، ١-٥-١٩٤٦ .

الواقع المصرى وتفهمه كمحاولة أولية لتحديد الخط السياسى لهذا التنظيم . .
وكان على « الفجر الجديد » ان تقوم بهذه المهمة .

عكذا قال لى صادق سعد ، وهو يحكى ذكرياته عن هذه الفترة . .

والحقيقة ان « الفجر الجديد » قد بذلت جهدا ناجحا فى هذا الصدد
فقد وجهت كتابها وفتحت صفحاتها امام دراسات جادة وعامة فى مختلف
المجالات كانت تتلمس ان تقول كلمة الماركسية فى مختلف المسائل التى
تواجهها مصر . .

واذا القينا نظرة على العدد الاول فاننا نجد عدة مقالات تحاول كل منها
ان توضح يدها على مشكلة هامة . .

« مصر والسياسة الصناعية » وفيه ينادى سعد مكاوى بضرورة تدخل
الدولة فى رسم سياسة التصنيع « . . ولما كانت المسألة غير قاصرة على
الصناعيين انفسهم أو العمال وحدهم ، بل المسألة تهمس الشعب كله من قريب
اذ هى تتعلق بحياته ورفاهيته . . كل هذا يوجب على الدولة ان تنحى فكرة
الاقتصاد الحر جانبا ، وتولى هى رسم سياسة انتاجية اجتماعية معينة تقرضها
على الافراد . هذا مع بقاء الملكية الفردية لوسائل الانتاج محترمة مرعية .
ثم يضى مؤكدا « النتيجة التى نصل اليها اذن هى واجب الدولة الحتمى فى ان
ترسم سياسة صناعية عامة على اساس مقدرتنا الانتاجية ، وغرضها مصلحة
الشعب ومصلحة الشعب فقط . . ثم ان عليها واجبا آخر اكثر من الاول اهمية
الا وهو فرض هذه السياسة على الجميع وتنفيذها بلا عوادة مهما كانت
الاعتراضات » .

وفى نفس العدد دراسة اقتصادية بعنوان « فى التموين » وهى تيسر
توقيص .

ونعتقد ان كاتبها هو صادق سعد الذى كتب بعد غزوة وجيزة كتيب عن
« مأساة التموين » يتضمن نفس الافكار الواردة بالمقال . . . ويبدأ المقال
« عندى ان اسباب مشكلة التموين تتلخص فى أربعة عناصر هى المضاربة
بالاسعار - والاحتكار - وتأخر اقتصادنا الزراعى والصناعى - وبيروقراطية
الادارة الحكومية اى انفصال هذه الادارة عن الجماهير الشعبية » .

وختام المقال « ومما لا شك فيه ان الحلول الحاسمة الناجعة لمشكلة
التموين لن تأتى من القرارات « الفنية » لتلك اللجان « الفنية » بل ستأتى

بتوسيع الديمقراطية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في بلادنا ، ستأتى باستيلاء الدولة على انتاج كبار المنتجين استيلاء كاملا وبتخفيف هذا الاستيلاء على متوسطى المنتجين ثم باعفاء صغارهم من الاستيلاء اعفاء كاملا حتى نحمى هؤلاء من الشركات الاحتكارية . . . وستأتى حلول المشكلة من اشتراك الجماهير الشعبية المستهلكة فى لجان مراقبة التموين ، وبتوسيع الديمقراطية السياسية ، وبإلغاء الاحكام العرفية والرقابة خصوصا ، حتى ينسنى لتلك الجماهير الشعبية المستهلكة ان تعبر عن مطالبها تعبيرا واضحا صريحا « (١) » .

وتناقش « الفجر الجديد » أيضا قضايا التعليم وديمقراطيته باستفاضة . وبتوقيع « مدرس » تنشر مقالا عن التعليم الالزامى تناقش فيه أسباب فشل هذا النمط من التعليم وتقول « ان كل محاولة ترمى الى نجاح هذا التعليم فى مصر يجب أن تكون مقرونة باصلاح شامل يتضمن النواحي المتعددة للمجتمع المصرى وأعمها رفع المستوى الاقتصادى ورفع مستوى المعيشة بين جماهير الشعب المختلفة أى اتخاذ الاساليب الصناعية فى الزراعة والاتجاه نحو الصناعة ، وتعديل الملكية الزراعية بحيث يعمل هذا التعديل على زيادة ملكية صغار الفلاحين وبث الروح التعاونية بينهم . . . ان الاصلاح الذى ينفق مع الديمقراطية والتطور الصناعى يتطلب تحويل التعليم الاولى فى المدن الى تعليم ابتدائى مجانى مع تقديم المساعدات اللازمة للفقراء من التلاميذ » (٢) .

وفى العدد التالى مقال آخر بعنوان « مجانية التعليم الابتدائى حق اكتسبه الشعب المصرى » هو فى الأساس تلخيص لمقال نشره د . طه حسين فى جريدة « البلاغ » مدافعا عن مجانية التعليم وديمقراطيته (٣) .

وتواصل « الفجر الجديد » حملتها « التعليم والديمقراطية فى مصر » بظلم أمين تكلا . . . وهو مقال ممتاز يربط بين الديمقراطية والحقائق الاجتماعية مبينا انه لا ديمقراطية بغير الحد من الفوارق الطبقيّة . . . « ومما سبق نرى ان الديمقراطية فى دورها الحالى تتجه نحو الحد من الفوارق الطبقيّة بحيث يكون التعليم فى مدرسة واحدة لأبناء الشعب جميعا . . . ان وجود نوعين من المدارس : مدارس لأبناء عامة الشعب ومدارس خاصة لغيرهم من أبناء المثقفين والطبقات الوسطى والغنية أمر يتنافى مع الديمقراطية ورجعة الى الوراء لا تقدما تطورات العصر ولا تستند الى أساس قومى » .

(١) المرجع السابق .

(٢) الفجر الجديد ، ١-٦-١٩٤٥ .

(٣) الفجر الجديد ، ١٦-٦-١٩٤٦ .

ويطالب المقال في نهايته بتحويل التعليم الإلزامى في الريف إلى تعليم ابتدائي مجاني حتى يفتح أمامه طلابه قنوات التعليم الأخرى ويطالب كذلك بمجانية التعليم الثانوى (١) .

ولم تكن هذه سوى محاولة لتقديم نموذج متكامل لاسلوب معالجة « الفجر الجديد » للقضايا الاجتماعية . ولنحاول ان نقدم نموذجا آخر . . وموقف « الفجر الجديد » من قضايا الريف المصرى . .

فقد حاولت « الفجر الجديد » ان تتابع النزعات الإصلاحية التي فكشفت في ذلك الحين وان تقول فيها رأيا متميزا . .

وتعليقا على مشروع خطاب بك المقدم لمجلس النسيوخ يكتب أحمد سعد (صادق سعد) « ملاحظات على تحديد الملكية » وصادق سعد يسارع بإعلان ان « البرجوازية » « ترى في التفاوت في الملكية ضررا مزدوجا لمصالحها المباشرة لان تركز الارض الزراعية تركزا احتكاريًا يسبب غلاء ما وارتفاع الأيجر ومن ثم يسبب غلاء المنتجات الزراعية ، ونتيجة هذا الغلاء ان الراسماليين يضطرون ان يدفعوا أجورا أعلى لعمالهم . . . ومن جهة أخرى فتفاوت توزيع الملكية يسبب فقر الفلاحين ، أى عجز غالبية الأمة عن استهلاك البضائع المصنوعة » .

والمشروع اذن « برجوازي » في أساسه . وهو أيضا « غير جدى » لكنه رغم عدم جديته يمثل خطوة الى الامام ، لانه يبرهن للطبقات الشعبية المضرومة ان الوضع الاحتكارى الحالى ليس وضعًا منزلا من السماء . . بل على البقيض من ذلك فان في استطاعة ممثلى الشعب ان يحددوا بن حقوق الملكية القديمة قحديدا يتفق واحتياجات الشعب نفسه « (٢) .

وعندما يقدم مريت غالى مشروعا آخر في كتيب بعنوان « الإصلاح الزراعى » يتصدى « أحمد سعيد » أيضا للرد عليه . . واصفا الكتيب بأنه « يعبر تعبيرا صادقا عن بعض المثقفين من أبناء الطبقة الوسطى بيننا ازاء المآزق الظاهر الذى وصلنا اليه فى شئوننا العامة » وينتقد صادق سعد الكتيب انتقادا مرا موضحا المآزق الذى وضع الكاتب نفسه فيه عندما تجاهل الجوع الطبقي للمشكلة وذلك لانه « نظر الى الحالة الحاضرة لتوزيع الارض على انها توزيع سىء للملكية وليس احتكارا لوسيلة من وسائل الانتاج » . ولانه صمم

(١) الفجر الجديد ، ١٦-٧-١٩٤٥ .

(٢) المرجع السابق .

على « عدم التحيز لمذهب اجتماعي بذاته » . . . وهكذا « جاء الكتيب هزيلا نحيفا بنقصه حب الشعب العميق وقد دفعه عدم التحيز لمذهب اجتماعي بذاته الى عدم التحيز للديمقراطية نفسها فقد بحث القارىء عن هذه الكلمة طوال الصفحات المئة للكتاب . ولكن عبثا ودون جدوى » (١) .

وحول مشكلة فلاحية أخرى هي مشكلة العمدة تكتب « الفجر الجديد » « نظام العهد لا يساير نهضتنا الوطنية ويعوق تقدمنا الديمقراطي » وهي دراسة جيدة كتبها أحمد رشدي صالح وقد أوضح فيها أن « الاسس التي يقوم عليها نظام العهد غير ديمقراطية فالاساس الاول فيه انه نظام طبقي . . . الاساس الثاني هو اساس استبداد الاقلية ، والثالث انه نظام شبه اقطاعي . . . » .

ثم يقدم الكاتب مشروعا متكاملا يطالب فيه « ١ - العمل على الغاء الاساس الطبقي الحالي بالغاء شرط الاحتياز - ٢ - العمل على الغاء استبداد الاقلية في القرية بالاكثرية - ٣ - انتخاب العمدة انتخابا مباشرا - ٤ - ان يقام الى جانب العمدة مجلس قرية منتخب » (٢) .

وثمة دراسات جادة للمشكلات الاساسية في الاقتصاد المصري منها دراسة عن « البنوك في مصر » وفي هذه الدراسة يلاحظ « أحمد سعيد » (صادق سعد) الطابع الاحتكاري للنظام البنكي في مصر « ويلاحظ أيضا بالاضافة الى الصفة الاحتكارية صفة أخرى اسمها « الاتحاد الشخصي » . . . وأعني بالاتحاد الشخصي وجود شخصيات قليلة تدير مؤسسات صناعية وتجارية ومالية مختلفة في آن واحد فتفرض عليها جميعا خطة واحدة واتجاها واحدا . فهناك مثلا حافظ عذيفي باشا وهو عضو مجلس ادارة ٣٣ شركة منها بنك مصر ، وهناك أيضا عبد المقصود احمد بك وهو عضو مجلس ادارة ٢٧ شركة منها شركات بنك مصر والبنك الاهلي . وهكذا يرتبط بنك مصر بالبنك الاهلي ارتباطا يمكننا ان نسميه شخصيا لانه ينشط خلال الشخصيات الكبرى المتقاربة » .

وبعد هذه اللمحة الذكية ، لا يفوت الكاتب ان يذكر في ختام مقاله بأن هذا التركيز القوى « يوسع امام الدولة فرصة فرض اشرافها - اشراف الشعب المصري - على تلك المجموعة الصغيرة من الاحتكارات المالية » (٣) .

(١) الفجر الجديد ، ١٦-٨-١٩٤٥ .

(٢) الفجر الجديد ، ١-٨-١٩٤٥ .

(٣) الفجر الجديد ، ١٦-٦-١٩٤٥ .

وثمة دراسات أخرى عن الواقع المصرى ذات أهمية لا بأس بها مثل « الآلات البشرية والصناعة المصرية » بقلم « ا . ش - الاسكندرية » و « التشريعات العمالية فى مصر » بقلم حسن زكى (يوسف درويش) ، « مشككة التغذية فى مصر » « لطفى عزوز » النهضة الصناعية والضرائب الثقيلة « احمد رشدى صالح » ، « ملاحظات عابرة على التقرير السنوى لاتحاد الصناعات » م . ص وعو فى الغالب محمد صبحى من الاسكندرية وكلها دراسات هامة توحى بجدية الجماعة فى دراسة الواقع المصرى ، وان كان يتعين علينا ان نتوقف عند بعضها للإشارة الى ملاحظات سريعة .

فصادق سعد يكتب مقالا بعنوان « يجب أن نقبل الرأس مال الاجنبى بشروط » (١)

ثم يعود فيصحح نفسه فى عدد تال قائلا انه « قد اتضح من المناقشة التى جرت مع بعض الزملاء ان العنوان لم يكن يحمل المعنى المقصود ، وقد اتفق على ان العنوان الذى يؤدى الفكرة المقصودة : يجب ان نفرض شروطا على الراسمالى الاجنبى » (٢) .

ويتعين علينا ان نشير كذلك الى ان صادق سعد قد قدم لقراء « النجر الجديد » دراسة ممتازة بعنوان « تطور مصر الراسمالى ١٩١٦ - ١٩٤٥ » (٣) نعلنا لا نغالى اذا قلنا انها تمثل وصول الماركسيين المصريين الى مرحلة متقدمة فى فهم التطور الاقتصادى والاجتماعى لبلادهم .

وثمة مقال آخر بالغ الاهمية نشرته « الفجر الجديد » بدون توقيع وعنوانه « يجب ان نصلح الجيش على اساس وطنى ديمقراطى » وفيه يتقدم الكاتب ببرنامج من ست نقاط :

- ١ - جعل الخدمة العسكرية اجبارية .
- ٢ - تخفيض مدة الخدمة .
- ٣ - رفع مستوى المعيشة للجنود وضباط الصف .
- ٤ - تسهيل الترقية من الجندية الى رتب الضباط مع تحسين احوال صغار الضباط .

(١) الفجر الجديد ، ١-١١-١٩٤٥ .

(٢) الفجر الجديد ، ٦-١٢-١٩٤٥ .

(٣) الفجر الجديد ، العدد ١٣ - بدون تاريخ .

٥ - إلغاء البعثة العسكرية البريطانية ، وإذا اقتضت الضرورة فيجب الاستعانة ببعثة عسكرية تنتمي الى منظمة الامم المتحدة .

٦ - تطهير هيئة أركان الحرب وكتبار الضباط من العناصر الفاشية « (١) » .

٠٠ . ومع تصاعد المد الثوري ، تتحول الدراسات الأكاديمية الى حملات إثارة ، وبدلاً من العناوين الهادئة نجد عناوين مثل « شعب يموت وحكومة عاجزة » (٢) .

« ماذا تصنع بنا السينما - يصنع الأغنياء الإعلام ليراها الفقراء » (٣) .
« افتتح الراديو تجدد الرأسماليين » (٤) . . « الاستعمار الذي يقول : هنا الفاعرة ، الاستعمار البريطاني + الرجعية - الشعب المصري = محطة الإذاعة » (٥) .



وحول الديمقراطية السياسية وحرية الفكر وحرية الصحافة وضرورة إلغاء الأحكام العرفية . . كتبت « الفجر الجديد » عدداً من المقالات . . كذلك سلطت كثيراً من الضوء على نشاطات الأحزاب السياسية الأخرى . . وقد شددت الهجوم على جماعة مصر الفتاة وال الإخوان المسلمين بالذات . . ولسنا نعتقد أن في ذلك شيئاً ملفتاً للنظر فهو مسألة طبيعية ، لكن الأمر الذي اهتمت بالتدقيق فيه هو موقف جماعة « الفجر الجديد » من حزب الوفد .

ذلك ان كثيراً من الكلام قد قيل حول علاقة ما . . بين هذه الجماعة وبعض ساسة الوفد أو بعض أجنحته ، وقيل ان هدف هذه الجماعة قد تركّز في وقت ما ، ليس من أجل تأسيس تنظيم شيوعي وإنما من أجل خلق تيار يساري في صفوف حزب الوفد . .

غير ان الاقاويل ليست غداء صالحاً لكتب التاريخ ، ولهذا كان من الضروري البحث عن الحقيقة من خلال مقالات ودراسات قادة هذه المجموعة . . ونعتقد

(١) الفجر الجديد ، ٣٠-١-١٩٤٦ .

(٢) الفجر الجديد ، ١٣-٢-١٩٤٦ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) الفجر الجديد ، ٢٧-٢-١٩٤٦ .

(٥) الفجر الجديد ، ١٢-٣-١٩٤٦ .

انه من المفيد القاء حزمة مكثفة من الضوء حول هذه المسألة ذلك انها تمس صميم التفكير الفكرى والنضالى لجماعة « الفجر الجديد » وهى تمثل حقيقة اساسية وضرورية لكل باحث فى تاريخ التنظيمات الشيوعية المصرية .

ماذا قالت الفجر الجديد عن الوفد ؟ وماذا كان موقفها الحقيقى منه ؟

لنداول البحث عن اجابة متكاملة لهذا السؤال .

ثمة مقال بالغ الاهمية كاتبه هو « محمد امين » (ربهون دويك) والعنوان « الديمقراطية المصرية بين انصارها واعدائها » . ويتطرق الكاتب كثيرا لحزب الوفد وللدور الذى لعبه فى الحياة السياسية فى مصر . « كان الوفد منذ نشأته التائب للكفاح الوطنى الديمقراطى . فالوفد هو الذى تزعم - تحت قيادة سعد زغلول - النهضة الوطنية الديمقراطية عام ١٩١٩ وهو الذى انطلق بعد ذلك يقود الحركة الوطنية ويدعم الديمقراطية فى الستة والعشرين سنة الاخيرة . وقد استهدف الوفد طوال هذه امداء لحملات الاستعمار الاجنبى تارة ، ولحملات اعداء الديمقراطية من الاجانب والمصريين تارة اخرى . » .

ثم هناك « جماعات وهيئات رجعية كان عمادها الشباب المضلل الغرير تحت قيادة العناصر الفاشية السافرة وغير السافرة . . . ولم يكن هم هذه الجماعات والهيئات غير محاربة الوفد لحساب خصومه من الاجانب والرجعيين » .

ثم يبدأ الكاتب فى تمجيد مواقف الوفد الوطنية والديمقراطية . « ويبدو عمل الوفد فى الكفاح الوطنى الديمقراطى ممثلا فى جانبين . اولهما الحرص على الدستور والنظام البرلمانى ومحاولة تدعيم قواعدهما ، وايضا فى سلسلة المشروعات الديمقراطية الاصلاحية التى حققها الوفد فى فترات حكم مصر . ولعل الاصلاحات التى قام بها فى فترة حكمه الاخير هى اهم الاعمال الديمقراطية التى حاول القيام بها فى الميدان الاقتصادى والاجتماعى منذ ايام نهضته الاولى » .

ويعد ان يعدد الكاتب هذه الاعمال فانه يجد ضرورة لعودة التركيز على ديمقراطية الوفد « ولئن كانت هذه الاعمال جميعها يرجع حدوثها - الى حد ما - لظفر الديمقراطية وتصادق قواها واشتداد ساعدها فى فترة انجازها الا انه يتحتم الا يغيب عن ذهننا ان ديمقراطية الوفد هى صاحبة الدور الاول فى وجودها » .

وبرغم ما نلححه من مبالغة فى تركيز الكاتب على « ديمقراطية الوفد » فاننا نلاحظ انه يعود ليوضح انه « اذا أمعنا النظر فى ديمقراطية الوفد بوجه

عام نجد أنها تتقف عند حدود معينة ليست هي الحدود التي تتطلبها الديمقراطية في الوقت الراهن . ويعزى ذلك الى سببين أولهما تحديد طبيعة ديمقراطية الوفد : طبيعة تكوين الحزب نفسه . فعلى الرغم من ان الوفد تؤيده غالبية الشعب الا ان قيادته لا تمثل تمثيلا حقيقيا صادقا بين الطبقات والطوائف ونخص بالذكر طبقة العمال والفلاحين الاجراء وطائفة طليعة الديمقراطيين من المثقفين المصريين . والسبب الثانى هو وجود عناصر بصفوف الوفد يتل قدر اقتناعها بالديمقراطية عن قدر اقتناع الاغلبية وتنعكس قلة ديمقراطيتها من حين لآخر على بعض اعمال الوفد » .

• . ويؤكد الكاتب ايضا ان اثر هذه الحقيقة قد ظهر مؤخرا « في موقف غالبية الطبقة العاملة وطليعة الديمقراطيين من المثقفين فهم على الرغم من تأييدهم - غير المعلق على شرط - للوفد في كفاحه الديمقراطي ضد خصوم الديمقراطية ، وعلى الرغم من تقديرهم العظيم للاعمال الديمقراطية التي ينجزمها الوفد ، وهو في مضممار كفاحه الديمقراطي الا انهم يشعرون مع ذلك ان مصلحة وطنهم تتطلب ديمقراطية اكثر من التي يقدمها الوفد » (١) .

• وعندما شكل الطاغية صدقى حكومته عام ١٩٤٦ ، وحاول ان يكسب الوفد الى صفة داعيا النحاس الى المشاركة في المفاوضة ممتدحا وطنيته فوجىء الجميع برد ضعيف من الوفد يفتح باب المساومة .

ويعلق على ذلك رأيت يوسف (أبو سيف يوسف) في مقال بالغ الاهمية لانه يحدد موقف جماعة « الفجر الجديد » من الوفد • . « ومع ان الوفد كان يمثل الطبقة البرجوازية المتقدمة الا ان امكانيات هذه الطبقة قد أخذت تضعف بانعزالها شيئا فشيئا عن الشعب ، وبظهور طبقة شعبية اخرى هي الطبقة للعاملية • . وكان ان تغلبت العناصر اليمينية على سياسة الوفد ووجهتها . وكانت النتيجة ان اصبح اميل من ذى قبل الى التفاهم مع المستعمر • ومذ أقبلت الوزارة الوفدية الاخيرة وسياسة الوفد مطبوعة بطابع التردد ازاء المستعمر وازاء المشاكل الداخلية على السواء . فهو في كفاحه للمستعمر يقف عند حد ارسال مذكرة ضعيفة للسفارة البريطانية ثم تعلن صفحة بعد هذا أن الوفد قد أدى واجبه كاملا غير منقوص • ثم يصدر بيانا اقوى يوجهه الى الامة المصرية وتعلن صحيفة مودة اخرى ان الوفد قد أبرأ ذمته وأدى واجبه اما في الداخل فهو لا يعرف كيف يدافع دفاعا سليما عن حقوق الشعب وحياته الاساسية » .

ويمضى أبو سيف يوسف لينتقد حتى من كانوا يسمونهم بالجناح

(١) الفجر الجديد ، ١٦-٧-١٩٤٥ .

اليسار في الوفد فيقول « وقد اعترف الدكتور مندور بشذوذ سياسة الوفد وتكذيبها عن الطريق السليم بوصفها بأنها حل نصفي ، ثم عاد فوصفها بأنها تفسدية للوفد في سبيل وحدة الأمة . . ولكننا من ناحيتنا نرى أنه حل انتهازى لأنه ضحى بمصلحة الطبقات الشعبية في سبيل مصلحة حزبية » (١)

ولعل في ذلك ما يكفي لأى باحث عن الحقيقة حول موقف جماعة « الفجر الجديد » من الوفد . . وان كنا استكمالا للحقيقة - ذاتها - يتعين علينا أن نشير الى أن هذه المجموعة قد بالغت بالفعل في الامكانيات الثورية والديمقراطية لحزب الوفد أو بالدقة للبعض جماعته وأجنحته وقد ألقت كثيرا من ثقلها وجبرودها في نشاط تركز أساسا في صفوف وندية . . الى حد أن الكثيرين قد تصوروا في البداية أنها مجرد « نتوء » يسارى في حزب الوفد .



ولقد اهتمت « الفجر الجديد » اهتماما كبيرا بالوحدة العربية ، وكانت تشعر على الدوام ان مجال حركتها ومحط اهتماماتها ليس قاصرا على مصر وحدها . .

ومنذ البداية اكدت « الفجر الجديد » أن تأسيس جامعة الدول العربية كان خطوة ايجابية ، بل انها كانت في نظرهم أحد منجزات الوفد « الديمقراطية » . . بل انها اعتبرت تأسيس الجامعة « حدث دولي له مغزاه وله آثاره ، فبهذه الخطوة تعبر الأمم العربية عن ارادتها في أن تتخذ مكانها الحق الى جانب سائر أعضاء الاسرة الدولية . وبهذه الخطوة تتجمع الدول العربية وتتكامل في تعاهد وثيق تصوغه وحدة شعوبها في مصالحها الأساسية ومثلها العليا » . ويمضى كاتب المقال زكى هاشم قائلا « والأثر البارز لجامعة الامم العربية هو أنها ستجرد القضايا الوطنية للشعوب العربية من الصبغة التي غلبت عليها الى الآن . . صبغة التفكك والتجزؤ والانحلال » .

ويحدد زكى هاشم أن أول واجبات الجامعة العربية هو حل القضية الفلسطينية . . « وفلسطين هي التي ستسجل دون ريب أول انتصار للجامعة العربية بتحريرها من الصهيونية الاستعمارية التي ترمى الى استغلال شعبها العربى واستعباده . . وحينذاك سيخلد للعرب في تاريخ التقدم الانسانى فضل القضاء على ركن قوى من أركان الاستغلال الاستعماري في العالم » .

اكن الكاتب يطالب الميمنين على الجامعة بأن « يشبعوا الشعوب العربية بأن سياسة الجامعة العربية انما تجرى لصالح المجموع . . لصالح الشعوب لا لمنفعة فئات ضئيلة منها لا يعينها الا الاستغلال والاثراء » (١)

لكن الهجوم لا يلبث ان يبدأ ضد مسلك الجامعة العربية تجاه قضايا متعددة .

ويكتب صادق سعد بعنوان « جامعة الدول العربية على ضوء موقفها من مسألة سوريا ولبنان » ينعى فيه على الجامعة أنه « اتحاد دول . . أى اتحاد طبقات حاكمة وليست اتحاد شعوب » (٢) .

وتعود الفجر الجديد لتسأل مرة أخرى « هل نسينا مسألة الشام ؟ » وتذكر الجامعة العربية بأن زمنا طويلا قد انقضى منذ اجتماعها الاخير وقد اعتبرت الجلسة ممتمة . . « ومع ذلك لم تصف مسألة الشام تصفية نهائية » (٣) .

وفي مقال بعنوان « مستقبل العلاقات الاقتصادية في الجامعة العربية » يكتب أحمد سعيد (صادق سعد) . . « ولكن الجامعة العربية - جامعة الدول العربية . . كما سميت بحق - تغاضت عن مطالب الشعوب العربية الاقتصادية وأغلقت تغلغل الرأسمال الاجنبى في حياتها الاقتصادية ولم تبال بان الاستعمار يخفق الان الطبقات الشعبية العربية ، لماذا ، لان هذه الجامعة جامعة دول وليست جامعة شعوب ، فهى تمثل الطبقات الحاكمة دون غيرها . ولان الحياة السياسية للشعوب العربية لا تزال متأخرة ، وتشكو ضغط الاستعمار الثقيل . وبهذا يتضح أن حل المسائل الاقتصادية للشعوب العربية معقود بتحضر هذه الشعوب من الاستعمار تحررا لا يأتى عن طريق الزعماء والمساسة الرسميين ، بل عن طريق الكفاح الشعبى نفسه » (٤)

وفي باب « حركة العالم في أسبوعين » وهو باب ثابت كانت تعرض فيه « الفجر الجديد » أهم الاحداث العالمية وكان دائما بغير توقيع لكن محرره كان فى أغلب الاحيان «أنور عبد الملك» نجد هجوما شديدا على جامعة الدول العربية واتهام صريح لها بأنها « أداة بريطانية » وادانة لتجاهلها لقضية فلسطين ولتباعدها عن مشكلة السودان ثم تحذ صريح « فالجامعة

١ - الفجر الجديد ، ١٦ - ٥ - ١٩٤٥ .

٢ - الفجر الجديد ، ١ - ٧ - ١٩٤٥ .

٣ - الفجر الجديد ، ١٦ - ٨ - ١٩٤٥ .

٤ - الفجر الجديد ، ١٦ - ٩ - ١٩٤٥ .

تفسير في طريقها الخاص بها ، أما شعوب الشرق الطامحة الى الحرية فساد
تنتظر منها شيئا الا اذا أصبحت جامعة للشعوب العربية تمثل فيها شعوب
الشرق العربي تمثيلا صحيحا فتعمل على توثيق العلاقات بينها والتضامن
ضد الاستعمار « (١) » .

وفي تعاليق حاد بعنوان « الجامعة العربية في دورها الحاضرة » بقلم
« على الكاتب » (على الراعي) نجد تركيزا شديدا على تراخي وتساكن
الجامعة العربية تجاه القضية الفلسطينية ، ثم « ان المجلس بتكوينه الحالي
يتف حائلا بين الشعوب العربية وبين التحرر ، وتستعمل في ذلك أساليب
وغفون من الكتب والاضطهاد تقربها كثيرا من الفاشية التي تراها في
الصهيونية ولا تراها في نفسها . ان مجلس جامعة الدول العربية غير جاد
في محاربة الاستعمار كله ومتراح في محاربة عميلة وصنيعة الاستعمار الا
وهي الصهيونية . هذه حقيقة بالغة تصدنا صدمنا في تصرفاته » (٢) .

ونقلا عن جريدة « الاتحاد » الفلسطينية تنشر « النجر الجديد » مقالا
عنوانه « الأحرار العرب لا يؤيدون سياسة عزام باشا ولا خطة الجامعة العربية
ازاء الاستعمار » (٣) .

ومن الهجوم على الجامعة العربية الى الهجوم على أمينها العام ، وتعلينا
على مرقف عبد الرحمن عزام باشا امام لجنة التحقيق البريطانية الامريكية
في مسألة فلسطين يكتب « د. سعد لبيب » « الطريف حقا ان سعادة الامين العام
نسى أن هناك شيئا اسمه الاستعمار البريطاني في فلسطين . وان هذا
الاستعمار هو الذي مكن للصهيونية في فلسطين وانه هو الذي يسند الصهيونية
دائما في موقفهما . ما كان أغناك يا سعادة الامين العام عن هذه
التصريحات والبيانات الواضحة جدا ، وما كان أغنى الانجليز عن أن تكون
هكذا واضحا صريحا . أما الشرق ؟ ولكن مالك أنت وللشرق ! ان شعوبه
تعمل وستنصر دون حاجة اليك » (٤) .

واذا كان جوهر الهجوم الذي شنته « الفجر الجديد » على جامعة الدول
العربية هو أنها جامعة دول - أي طبقات حاكمة . وأنه يتعين عليها لكي

-
- ١ - النجر الجديد ، ١ - ١٠ - ١٩٤٥ .
 - ٢ - الفجر الجديد ، ١٦ - ١٢ - ١٩٤٥ .
 - ٣ - الفجر الجديد ، ٣٠ - ١ - ١٩٤٦ .
 - ٤ - الفجر الجديد ، ١٢ - ٣ - ١٩٤٦ .

تنتجح أن تكون جامعة شعوب ٠٠ كان من حق « الفجر الجديد » علينا أن نذكر لها أنها حاولت قدر طاقتها أن تقيم أوسع الروابط مع الشعوب العربية ومع طلائعها التقدمية ، وعلى صفحاتها كتب كثير من المفكرين التقدميين العرب ٠٠ ونوقشت مختلف القضايا العربية سوريا ولبنان ، السودان الأقليات القومية ، فلسطين ٠٠ مناقشة مستليضة ومن وجهة نظر متقدمة .

وإذا كانت قضية فلسطين واحدة من أهم قضايا الوطن العربي ٠٠ وإذا كانت بعض الأوضاع الخاصة « بالفجر الجديد » والمتعلقة بمنشأ مؤسسيها تجعل للتعرف على موقف هذا المنبر من القضية الفلسطينية أهمية خاصة ، فإننا سنحاول أن نستعرض بإيجاز بعضا من الجهد الدائب الذي بذلته « الفجر الجديد » دفاعا عن عروبة فلسطين وإدانة للصهيونية .

ولقد لاحظنا أن كثيرا من هجمات « الفجر الجديد » ضد الجامعة العربية كانت بسبب تماونها أو تفريطها في الدفاع عن حقوق عرب فلسطين ، لكن هذا لم يكن سوى بداية ، فإن « الفجر الجديد » قد ركزت في كثير من الأحيان مدعيتها الثقيلة في هجوم عنيف مركز ضد الصهيونية ٠٠

وتحت عنوان « كفاح فلسطين الوطنى والديمقراطى » يكتب « وطنى » الصهيونية حركة استعمارية ليست في الواقع سوى شكل قديم جديد لتصدير الرأسمال والاستيلاء على الأسواق واحتكار أكثر ما يمكن من منابع المواد الأولية لحساب الشركات الاستعمارية الضخمة » والصهيونية تجد سندا قانونيا في تصريح بلفور وغيره من الرسميين البريطانيين ، ويربطها هذا بالانتداب ، ويكون سببا من الأسباب التي تجعلها ضد الحركة الوطنية في فلسطين . ولذا يقاومها العرب ٠٠ غير أن كفاحهم المجيد ضد الصهيونية ، لا يعنى كفاح اليهود اطلاقا » (١) .

وعلى صفحات « الفجر الجديد » يكتب « مخلص عهرو » أحد القادة النقابيين الفلسطينيين مقالا يدعو فيه العمال العرب الى التوحيد « لمحاربة الصهيونية بين صفوف العمال وفضحها كحركة استعمارية رأسمالية » (٢) وفي نفس العدد تشير « الفجر الجديد » في بابها الثابت « حركة العالم في

١ - الفجر الجديد ، ١٦ - ٦ - ١٩٤٥

٢ - الفجر الجديد ، ١ - ١١ - ١٩٤٥

أسبوعين » الى أن « الولايات المتحدة تعمل كل ما في وسعها لتأييد الصهيونية • أى لتأييد دخول راسمالين مستغلين الى فلسطين العربية » (١)

واذا كان هذا العدد يصدر في ذكرى وعد بلفور فان « الفجر الجديد » تنشر نداء بتوقيع فلسطينى عنوانه « ليستقط الاستعمار والصهيونية » جاء فيه ان « الشعب العربى يعلم ان قضية حريته تفرض عليه مقاومة الصهيونية والاستعمار معا • فالصهيونية راسمالية استعمارية وليست حركة عنصرية أو دينية » •

ويمضى النداء « نناديكم أيها المصريون الوطنيون أن تقفوا معنا صاموا واحدا ، وناضلوا معنا ضد الاستعمار وقاوموا الصهيونية » (٢) •

وتدين « الفجر الجديد » الصهيونية بأقوال أقطابها وصحافتها وتنش عن جريدة « دافار » الصهيونية العبارة التالية « اننا نعتبر بأن مصيرنا مرتبط بمصير الاستعمار البريطانى ونعترف بهذه الشراكة » (٣) •

ويبدو أن خلافا ما قد برز في صفوف بعض « الأحرار » في مصر حول الموقف من الهجرة اليهودية الى فلسطين مع اتفاق الجميع على ادانة الصهيونية ولهذا تنشر « الفجر الجديد » مقالا تنقله عن « الاتحاد » الفلسطينى بعنوان « يقاومون الهجرة الى فلسطين » وتقحمه الى قرائها بالمقدمة التالية « نشر المقال التالى بجريدة « الاتحاد » الغراء ، وقد رأت لجنة التحرير أن تنقل فقرات منه لقراء « الفجر الجديد » دحضا لما قد يكون شائعا بين بعض الأحرار في مصر والبلاد العربية من أن موقف الأحرار من الهجرة يجب أن يكون مختلصا عن موقفهم من الصهيونية ذاتها • ويجدر بنا أن نتذكر قرار الحزب الشيوعى (يقصد الحزب الشيوعى الفلسطينى) الأخير بمعارضة انشاء وطن قومى لليهود في فلسطين ذلك القرار الذى ووفق عليه بالاجماع » (٤) •

لكن حملة « الفجر الجديد » ضد الصهيونية لم تمنعها من استنكار الدعاوى والتحركات العنصرية ضد اليهود المصريين و القبطيين بمصر ، وعندما قامت المظاهرات المتعصبة التى قادها الاخوان المسلمون وأعضاء

١ - المرجع السابق •

٢ - المرجع السابق •

٣ - الفجر الجديد ، ٣٠ - ١ - ١٨٤٦

٤ - الفجر الجديد ، ٢٠ - ٢ - ١٩٤٥

مصر الفتاة ضد محلات ومساكن بعض اليهود كُتب « جهاد » (أحمد رشدي صالح) « نؤمن بأن مكافحة الصهيونية عمل وطني مجيد يجب أن نقوم به في حزم وقوة . فالصهيونية حركة استعمارية رأسمالية يستهدفها الاستعماران الأمريكى والبريطانى الان لتثبيت دعائمهما في البلاد العربية » لكن ثمة تيارات رجعية « التقت عند هدف مشترك في تحويل حركتنا الوطنية عن مجراها الحالى ضد الاستعمار البريطانى - والاستبداد الرجعى الى حركة عنصرية . » ولقد كانت قيادات اضرابات ٢ نوفمبر في يد هذه الفئات الرجعية ولذا فهي لم تفقد الطبقات الشعبية شيئا - وأفادت الاستعمار كثيرا - وثبتت أقدام الحكومة أكثر من ذي قبل . »

ويمضى « جهاد » قائلا : ولقد استفادت الصهيونية من توجيه حركتنا في ٢ نوفمبر وجهة خاطئة . اذ حصلت على دليل قوى ضد الشعوب العربية ، أنها لا تحترم الاقلية اليهودية وانه لا منجى لليهود الا اذا تجمعوا في بلد واحد « (١) » .

« . » « وقد فتحت « الفجر الجديد » صفحاتها لنشر النصوص الكاملة لبيانات « عصبة مكافحة الصهيونية في العراق » ومنها بيان بمناسبة « يوم وعد بلفور » يقول « ونحن بصفتنا يهودا وعربا بنفس الوقت نعلن استنكارنا لوعد بلفور واحتجاجنا عليه ، وندعو كل مواطن الى النضال من أجل استقلال فلسطين استقلالا تاما ، وتأليف حكومة ديمقراطية عربية فيها ، ومنع الهجرة الصهيونية الى فلسطين ، واييقاف انتقال الاراضى الى الصهاينة » (٢) .

وبيان آخر من نفس العصبة « الى الراى العام العربى والديمراطيين جميعا » يحمل العناوين الفرعية التالية « يهود العراق ضد الصهيونية - الاستعمار البريطانى يؤيد الصهيونية - الارهاب الصهيونى سقار لمؤامرة الاستعمار - يجب عرض قضية فلسطين على مجلس الأمن » .

كذلك تنشر « الفجر الجديد » عددا من وثائق وبيانات « عصبة التحرر الوطنى الفلسطينى » (٣) .

واذا كنا ننظر الى « الفجر الجديد » كمذبر سياسى وليس كمجرد مجلة فانا نلفت النظر الى دراستين هامتين قدمتا باسم « الفجر

١ - الفجر الجديد ، ٦ - ١٢ - تاريخ .

٢ - الفجر الجديد ، العدد ١٣ - بدون تاريخ .

٣ - الفجر الجديد ، ٢٣ - ١ ، ٦ - ٣ - ١٩٤٦ .

الجديد » الى ندوة أعدتها « دار الابحاث العلمية حول القضية الفلسطينية وقد نشرتا ضمن الدراسات المختلفة التي قدمت للندوة في النشرة غير الدورية التي كانت تصدرها « دار الابحاث العلمية » * والدراستان مقدمتان « عن أسرة تحرير الفجر الجديد » أولاها بعنوان « فلسطين ومناورات الاستعمار » بقلم صادق سعد . والثانية بعنوان « الحركة الوطنية في فلسطين » بقلم أحمد رشدي صالح .

ويقول صادق سعد في دراسته « . . فتشريد اليهود في أوروبا وبقايا الاضطهاد العنصري الذي تؤلمهم انما تعالج باستتباب الديمقراطية في أوروبا ، وأن يكن بد من ايواء اليهود المشردين في بلاد غير أوروبا نفسها . فلم لا تقبلهم انجلترا أو الولايات المتحدة وأرضها واسعة شاسعة ، إلا أن الاستعمارين البريطانيين والاهريكي لا يريدان في الحقيقة أن يقوموا بعمل انساني - بمساعدة اليهود المشردين - وانما يريدان أن يدخل مهاجرون في فلسطين ، أو على الأقل أن يهودا فلسطين والبلاد العربية بمهاجرين يهود حتى تثار مسألة الهجرة لا مسألة الحكم الديمقراطي المستقل في فلسطين »

أما رشدي صالح فيقول في دراسته « ان الاستعمار ، والرأسماليين الصهيونيين والاقطاعيين العرب ، هم المسئولون عن المذابح المتكررة التي قامت بها بعض الجماعات العربية ضد اليهود . وأما الرابع من هذه المذابح والكراهية الدينية ، فهو الاستعمار الذي نجح في تحويل الانظار بعيد عنه ، هو والرأسماليين الصهيونيين الذين نجحوا في اجتذاب عطف وحماس جماعات اليهود وزجهم في المعركة لتثبيت اقدام الاستعمار الصهيوني في فلسطين ، وهم الاقطاعيون العرب الذين ألقوا بالجماعات العربية في المعركة . في حين أنهم كانوا يتفاهمون مع الاستعمار ، ويبيعون ارض فلسطين للاستعمار الصهيوني » .

ولست أعتقد أننى بحاجة الى أية اضافة او أى تعليق . . ففقدت كان موقف « الفجر الجديد » من القضية الفلسطينية واضحاً . . وكافياً .

* النسخة التي بين أيدينا منزوعة الغلاف ومن ثم غانها مجهولة التاريخ وتبتدىء بصفحة « ٣ » وبها دراسة بعنوان كلمة تاريخية عن مشكلة فلسطين - عبد الرحمن الناصر - عن دار الابحاث العامة ، وتتضمن دراسات مختلفة يمثل أصحابها مختلف المنابر والتنظيمات الماركسية ومن بينها دراستان باسم « الفجر الجديد » وأخرى باسم أسرة تحرير « أم درمان » . . الخ .

لكنه يتعين علينا أن نضع في الاعتبار أن جزءاً من هذا الموضوع والحماس يجب أن ينسب الى طبيعة منشأ « مؤسسى » الفجر الجديد » وحاجتهم - أكثر من غيرهم - الى ابداء هذا القدر من الوضوح » .

ورويدا رويدا بدأت الملامح الماركسية تنضج على صفحات « الفجر الجديد » فالمد الثورى العارم والحركة الجماهيرية الضخمة التى لم تشهد لها مصر مثيلاً منذ ١٩١٩ وتفاقم الصراع الطبقي ، كل ذلك جعل من الضرورى أن يصبح الفكر الماركسى وجبة دائمة على مائدة « الفجر الجديد »

وابتداء من العدد الرابع بدأت المحاولات الحذرة تتلمس بعض جوانب الفكر الماركسى وكان صاحب هذه المحاولة « أبو سيف يوسف » فى مقاله « فلسفة أم أسطورة » والمقال مجرد استعراض فلسفى لأفكار متعددة عن فلسفة الحركة .. ولم ترد فيه مطلقاً كلمة الماركسية ، لكنه كان محاولة جيدة لطرح قضايا الديالكتيك بصورة مبسطة .. ويختتم أبو سيف مقاله « فالمذهب الحركى يمكن أن يفهم فهماً عقلياً سليماً ، وقد وجدت الفلسفة التى قدمته فى صورة قبلها العتل وأقرها العلم ونعنى بها « المادية الجدلية » التى استعانت بمنهجها الديالكتيكى على دراسة الطبيعة والإنسان فى تطورهما وخرجت من ذلك بمذهب انساني متناسق » (١) .

وفى نفس العدد نقد لكتاب ألفه الدكتور مصطفى كمال غايد بعنوان « الثورات الثلاث » وكتب النقد وهو اسماعيل محمد يبدأ بهجوم صاعق « كتاب له رأس دجاجة وجسم فيل ، ورأس الدجاجة فارغ لا خير فيه ، وجسم الفيل يصلح لأن يعرض فى حدائق الحيوان ومدن الملاهى .. » والكتاب هجوم على ثورة أكتوبر الاشتراكية والنقد دفاع حار عنها (٢) .

.. ويبدو أن عبارة الماركسية قد ظلت لفترة لا ترد على صفحات « الفجر الجديد » الا رداً لهجوم او تصدياً لادعاءات الخصوم .

فأسعد حليم يرد على كتاب أصدره محمد صبيح عن روسيا « لغمه بالمغالطات وحشاه بحملته الرجعية المغرضة » ويقول أسعد حليم فى معرض رده « وقع الاستاذ صبيح فى كتابه عن « روسيا » فى عدد كبير من الأخطاء التاريخية والاحصائية ، فكفى بأن نشير الى بعضها فان احصاءاً شاملاً لها يحتاج الى جهود مصلحة الإحصاء والتعداد » .

لكن أسعد حليم اكتفى بنقد الاخطاء التاريخية والاحصائية والجغرافية . . ولم يتعرض للسياسة في قليل أو كثير . .

ونحتاج بعد ذلك الى تقليب صفحات عديدة من اعداد المجلة . . حتى نعثر على برواز صغير بعنوان مختارة « فلسفة ماركس المادية هي الوحيدة التي اوضحت للبروليتاريا طريق الخلاص من العبودية الروحية الذي كانت الطبقات المضطربة جميعا تترجح تحت اعبائها ، ونظرية ماركس الاقتصادية على الوحيدة التي بينت موضع البروليتاريا الحقيقي من النظام العنصرى للرأسمالية » (١) .

وعنا نلمح بداية جادة لمنعطف طريق حقيقى . . انها المرة الاولى التى يرد فيها ذكر الماركسية كنظرية قادرة على تحرير الانسان . . ويبدو ان الامر كان صعبا في بدايته وخاصة بالنسبة لاناس كان الحذر الشديد شعارهم الاساسى ومنهجهم فى العمل . . فقد القيت هذه « المختارة » في زاوية من روايا احدى الصفحات . . دون مقدمات ودون تعليق . .

ولكن ابو سيف يواصل - فيما بعد - تقديم دراساته الفلسفية « الانسان والطبيعة فى الفلسفة الجدلية » وهى دراسة جادة لكنها تظل فى اطارها الفلسفى الجاف . .

ونحتاج لجهد كبير فى تفهمها وخاصة بالنسبة لقارىء عا الزمان . .

وكما عودنا « اسماعيل محمد » فانه يكون أشد الكتاب جرأة فى النضرى لمهاجمى الماركسية وتفنيد هجومهم . . وردا على كتاب العقاد « فى بيتى » كتب اسماعيل محمد مقالا كان نقطة تحول خطيرة فى تاريخ « الفجر الجديد » فمن خلال مواصلة انتقاد كتاب العقاد والرد عليه . . دخلت « الفجر الجديد » بمسارحة معمعة الدفاع الصريح والجاد عن الماركسية .

وفى برواز يقدم به « اسماعيل محمد » رده على العقاد يقول « ينتهز الاستاذ العقاد كل فرصة تعرض له ، بل انه يخلق الفرص ليهاجم الآراء الحرة ويكيل للإشتراكية والشيوعية الشتائم بنفس اللهجة ونفس المستوى الذين يهاجم بهما الوفد وغيره من العناصر الديمقراطية فى مصر . . ولقد أسف الاستاذ كثيرا فى مهاجمته للإشتراكيين والاشيوعيين وتفضل على الفيلسوف العالمى

الكبير ماركس ، وعلى زميله فريدريك إنجلز ولينين بألقاب وأوصاف غير علمية تغلب عليها أساليب السوق التي اشتهر بها الاستاذ العقاد مما يبعدها كثيرا عن دائرة البحث العلمى » .

ويمضى « اسماعيل محمد منفذا آراء العقاد . » وهذه نهاية الطاف التي كان حتما عليه ان يبلغها فهو قد هاجم الاشتراكيين الشيوعيين ما انفسح القرطاس امامه . وما خلا الميدان من اقلام تنصفه أباطيله - وهو قد عرض بالمذاهب العلمية الاجتماعية لينتهى الى هذا الحدس الرخيص والتخمين الميئس لكرامة الانسان .

ويختتم المقال هجومه بادانة أفكار العقاد الميتافيزيقية « فلست أريد أن أغالط العقاد في معتقداته الميتافيزيقية ، وانى مستريح بالا لأن العقاد انصرف بعقريته اخيرا - الى عالم لا قيود فيه ولا حدود وأن عقريته تضيق بالبحث العملى المحدود ، وتزج به فى غيوم من التيه وشتات من الايمان بالاشباح والكفر بالقيم الحقة فكفاء من التراث العلمى هذا التيه ، وكفانى من هذيلة آرائه هذا القدر » (١) .

ولم تكن مقالة اسماعيل محمد هذه سوى بداية . . لهجوم عارم ، بالدقة دفاع عارم عن الماركسية وتزخر صفحات « الفجر الجديد » بردود على العقاد ، وصاحب الرد الذى سنعرض له الآن هو أبو سيف يوسف . . « ونحن نستطيع أن ندحض اتهام الماركسية بانها عقيدة جامدة وتبشير . . بالنظر فى طبيعة هذه الفلسفة نفسها . . على أننا قد قلنا فيما تقدم ان الماركسية تتفق مع العلم فى انها تنظر الى الحقيقة نظرة نسبية ونرى أن الوصول اليها عمل تحققه الانسانية والاجيال المتعاقبة لأفرد واحد . ومعنى هذا ان الماركسية أسلوب لدراسة الاشياء وليست عقيدة تظهر فى فترة فاعليتها ثم تخبر عندما نحاول تطبيقها فى عصور مختلفة . . لقد بدأ اختبار الفلسفة الماركسية وقد دل الاختبار على نجاحها البين المموس . . ان الفلسفة الماركسية فلسفة حركة ، بل لعله من الافضل أن يقال انها الفلسفة الاولى والوحيد للحركة العامة ، حركة العقل البشرى فى محاولته أن يواءم الحقيقة موافقة وثيقة ومدللا باستمرار على هذا التوافق بنجاحه العملى » (٢)

ويكون الرد على العقاد مناسبة للحديث فى كل شئ حتى عن « صور انسانية من كارل ماركس » وفى مقدمة لهذه الدراسة المترجمة من كتاب « الماركسية والفرد » لاسقف كنزبرى تكتب « الفجر الجديد » « يتهم العقاد الماركسية بالباطل فى كل شئ . . ولقد زعم أن ماركس لم يحيا

١ - المرجع السابق .

٢ - الفجر الجديد ، ١ - ١٠ - ١٩٤٥ .

حياة انسان وحقا أن ماركس لم يكن يتصف بالصفات الأساسية التي تجعله انسانا في نظر العقاد وأشباعه فهو لم يكن أنانيا ولا يوقا للرأسمالين ولا دعيًا يفسد كل القيم ليعيش في لين ويسر بينما الملايين من البشر مستعبدون ومضطهدون ، لقد كانت حياة ماركس وحدة كاملة من العواطف والآراء . وكانت حياته الشعورية فياضة زاخرة لان مادتها المجتمع الانساني كله ، وكانت غنية دافقة لان معينها العقل وكانت أرقى ما تكون الحياة الانسانية لاسها جمعت الى فيض الشعور ، سيطرة الفكر والجهاد الحر الكامل لتتجسّر الانسانية « (١) »

ويكون الرد على العقاد . . مناسبة أيضا لتقدم دراسة عن « نور الفرد في التاريخ » وموقف الماركسية منه . وفي مقدمة لهذه الدراسة تكتب « الفجر الجديد » قائلة « يعمد بعض أعداء الفلسفة الماركسية من الكتاب المأجورين الى محاولة نقدها وتفنيدها متظاهرين في الوقت نفسه انهم نما يدافعون عن العلم والعقل والكرامة الانسانية - ولما كانت الماركسية لا تعارض العلم ، بل وتحترم مناهج البحث العلمي . . ولما كانت في صميمها فلسفة انسانية بكل معاني الكلمة فان هؤلاء الكتاب قد عمدوا عن قصد الى تشويه آراء ماركس بحيث تبدو على غير حقيقتها ، والى تخريج بعض أقواله تخريجا يبتغى مع مضمون الفلسفة الماركسية ومنطقها الداخلي » (٢)

ولم يقتصر الامر على مقالات عديدة أخرى لدحض هجمات العقاد وانما أعدت « الفجر الجديد » كتيباً ترد فيه على العقاد بعنوان « من حقائق الماركسية . . رد على العقاد » وتنشر « الفجر الجديد » اعلاناً عن هذا الكتيب تقول فيه « أعدت لجنة التحرير بحثاً وافياً في الرد على الآراء المنغرضة التي تذاق هذه الايام بقصد تشويه التيار المتقدم في مصر وغيرها من البلاد العربية - هذه الآراء التي يفرد العقاد وأمثاله بالصدارة في اذاعتها بين الناس وأن لجنة التحرير بينهما أن يبلغ هذا البحث كل قارى، وصديق يؤمن بجهاد شعبنا ويرغب في الاستهداء بالحقائق العلمية التي لا يستقيم كفاحنا التحريري بغيرها » (٣) .

ثم يصبح الحديث عن الماركسية مسألة معتادة . . بعد ذلك ، بل انه يجتاح حواجز الحذر ليقدم - على سبيل المثال - مقالاً لأحمد سعيد

١ - الفجر الجديد ، ١٦ - ٩ - ١٩٤٥

٢ - الفجر الجديد ، ١ - ١١ - ١٩٤٥

٣ - الفجر الجديد ، ٦ - ١٢ - ١٩٤٥

(صادق سعد) بعنوان « ثورة أكتوبر ١٩١٠ مرحلة تحول في تاريخ البشرية » ومن البداية يقول صادق سعد « بثورة أكتوبر ١٩١٠ مرحلة تحول في تاريخ البشرية » ومن البداية يقول صادق سعد « بثورة أكتوبر استولت البروليتاريا - طبقة العمال وطليعة الكادحين - على الحكم السياسى فى روسيا ، وكان هذا هو المرة الاولى التى تتولى فيها الغالبية الشعبية الحكم السياسى .

ففى المجتمع الاشتراكى الذى أسسته ثورة أكتوبر لا تستولى طبقة طفيلية على نتيجة جهود الكادحين بل ينتج الشعب لنفسه ، ويراقب الانتاج الاجتماعى ويشرف عليه ، حيث أن وسائل الانتاج ملكا له » .

ويضى المقال « ١٠٠ » وإذا كانت الشعوب توجه أنظارها نحو الاقتصاد السوفيتى فليس ذلك لأنها تنتظر منه أن « يدبر » لها الثورة بل أن هذه الشعوب جميعا تعلم علم اليقين أن الحرية لن تأتى لها من الخارج بل عليها أن تبنيها بأيديها وبكفاحها هي « (١) .

وهناك أيضا عرض لكتابات ستالين عن « الثورة الاشتراكية » يقدمه نعمان عاشور وفى نفس العدد « صور من حياة لينين بمناسبة يوم ٧ نوفمبر » بقلم عبد العزيز فهمى ثم تتوالى الدراسات « بين الماركسية وعلم النفس » بقلم على الكاتب (على الراعى) حقوق الافراد وواجباتهم فى الاقتصاد السوفيتى « بقلم أبو سيف » (٢) . ثم رسالة من عامل ميكانيكى ببغداد بعنوان « اميل لودفيج والماركسية » (٣) ودراسات أخرى عديدة من أهمها دراسة من ثلاثة فصول بعنوان « بماذا نفس التغيرات الاجتماعية ؟ » بقلم اسماعيل يحيى (اسماعيل محمد) وهى تقديم جيد لفكرة الماركسية حول تطور المجتمعات والقوى الفاعلة فى عملية التطور هذه (٤) .

ثم تبدأ « الفجر الجديد » فى تقديم أفكار ماركسية عن الاقتصاد السياسى فى باب بعنوان « قاموس الاقتصاد السياسى » وفيه تقدم تعريفا لعلاقات الانتاج - السلع - التبادل النوعى (٥) .

١ - الفجر الجديد ، العدد ١٣ - بدون تاريخ - .

٢ - الفجر الجديد ، ٦ - ١٢ - ١٩٤٥ .

٣ - الفجر الجديد ، ٦ - ١٢ - ١٩٤٥ .

٤ - الفجر الجديد ، ١٩ - ١ - ٣٣ - ١ - ٦ - ١٩٤٦ .

٥ - الفجر الجديد ، ١١ - ١ - ١٩٤٦ .

ثم هي تنقل عن جريدة « المصري » عدد ١ - ٢ - ٤٦ فصل هاماً بعنوان « لينين والمسألة القومية » (١) .

ثم تخطو « الفجر الجديد » خطوة أخرى هامة وهي تعزيز علاقاتها مع الأحزاب الشيوعية العربية فهي توالى نشر العديد من المقالات عن « الاتحاد » و « الغد » الفلسطينيتين و « الطريق » اللبنانية . بل وتوالى نشر اعلانات لهذه المجلات « تصل القاعرة المجلات التقدمية العربية التالية . » الطريق - لبنان ، الغد - فلسطين ، الاتحاد - فلسطين ، الرابطة - العراق » (٢) .

وعندما تنفجر الحركة الثورية في مصر في مطلع عام ٤٦ ويتعرض التقدميون والشيوعيون المصريون للاضطهاد تحرص « الفجر الجديد » على أن تنقل لقراءها تضامن الشيوعيين العرب مع الشيوعيين والتقدميين المصريين . « نشرت جريدة « الاتحاد » الفلسطينية الغراء في عدد ٣٠ ديسمبر ١٩٤٥ مقالا للناضل الحر الاستاذ فؤاد نصار يقول فيه « تحتاح مصر اليوم موجة من الارعاب الاسود . لقد أفزع النشاط التحرري العناصر الرجعية مهادنة الابهتعمار فراحت تضرب يميننا وشمالا تنقذ نفسها من المصير المحتوم »

ومقال آخر من مجلة « الغد » الفلسطينية بعنوان « الاشتراكية جريئة في مصر » ودفاع حار من جريدة « الشعب » العراقية ٠٠٠ الخ (٢) ٠٠٠ نم تنقل لقراءها كلمات من خالد بكداش « ان حوادث مصر الدامية هي اليوم على مثل شفة ولسان ، بل هي في أعماق كل قلب وكل نفس في سوريا ولبنان وجميع الاقطار العربية - فكل عربي مهما كان مولده يشعر أن لمصر في عنقه ديناً عليه أن يفي به ، وأحسن أشكال هذا الوفاء هو رفع الصوت عالياً بالتضامن مع الشعب المصري في نضاله لاجل الاستقلال والجلء ..

ان الشعوب العربية التي تناضل في كل قطر لاجل الاستقلال والجلء تلتهفت اليوم بأنظارها الى وادي النيل وقلوبها ترخر بعاطفة التضامن والاخاء نحو الشعب العربي الكبير الذي يرفع اليوم في الشوارع والساحات لواء النضال الشعبي في سبيل الحرية والحياة فلتحيا مصر مستقلة ديمقراطية حرة - عاش التضامن بين الشعوب العربية في سبيل الجلاء والاستقلال في سبيل الحرية والديمقراطية » (٤) .

١ - الفجر الجديد ، ٣٠ - ١ - ١٩٤٦ .

٢ - المرجع السابق .

٣ - الفجر الجديد ، ١٩ - ١ - ١٩٤٦ .

٤ - الفجر الجديد ، ٢٧ - ٢ - ١٩٤٦ .

الضمير

•• عندما استقل الثلاثي صادق سعد - يوسف درويش - ريمون دويك عن الحلقة السرية الماركسية (لم يكن لها اسم) التي كانت تعمل خلف واجهة « مجموعة الدراسات » العلنية كان يستهدف كما أشرنا في فصل سابق الى العمل في شعبتين ، العمل وسط المثقفين وقد تولاه كما رأينا صادق سعد وريمون دويك وانضم اليهما أحمد رشدي صالح ، والعمل بين العمال وقد تولاه يوسف درويش وذلك باعتباره محاميا عماليا .

وإذا كانت الجماعة الاولى قد انغمست في العمل وسط المثقفين وارتبطت اسمها باسم مجلتها « الفجر الجديد » ••

فان يوسف درويش قد حاول قدر طاقته الانغماس في العمل النقابي العمالي ويمكن القول انه قد حقق - الى حد كبير - نتائج مهمة . ••

* * *

والبداية مجموعة من الطلاب المتحمسين ينشطون في حى السبئية لتأسيس فصل لحو الامية ، ويلتقى بهم يوسف درويش الذى يسكن بجوارهم فى حى بولاق ويلتقط المحامى الماركسى الشاب الذى يحاول جاهدا أن يجد لنفسه ركيزة يستند اليها فى سعيه نحو كسب كوادر عمالية •• يلتقط هذا الخيط ••

ويتحول منزله (رقم ٧ سكة جلال الملك أمام حوش فايد) الى مقر لجماعة جديدة « جماعة الثقافة الشعبية » وتؤسس هذه الجماعة مركزين لحو الامية الاول فى شارع وابور النور بالسبئية والثانى فى ميت عقبة (١)

« ومن خلال فصول محو الامية التقى يوسف درويش بمحمود العسكرى أما يوسف المدرك فقد كان يعمل عند بعض اقارب ريمون دويك وتعرف به ريمون ثم قدمه الى يوسف درويش » (٢) وكان هناك أيضا طه سعد

١ - من محضر نقاش أجرى مع يوسف درويش .

٢ - من محضر نقاش أجرى مع صادق سعد .

عثمان وكان هو أيضا شخصية نقابية هامة فقد ظل رئيسا للنقابة العامة لعمال النسيج الميكانيكي ولحقاته بالثائرة وضواحيها من ١٩٣٨ الى ١٩٤٢ ثم أمينا لصندوق هذه النقابة من ٤٣ الى ١٩٤٤ ثم مراقبا عاما لنفس النقابة عام ١٩٤٥ (١) والمرجح ان العسكرى هو الذى قدم طه سعد عثمان الى يوسف درويش فقد كانا ينشطان معا فى نفس النقابة .

وبهذا الثالث « المدرك - العسكرى - طه عثمان » يكون يوسف درويش قد وضع يده على أحد المفاتيح الهامة للنشاط وسط قطاع عمالى أساسى .

ويكون قد حقق خطوة هامة بالالتقاء مع كوادر عمالية صرفة ومصرية صرفة واضعا بذلك أساسا هاما لمستقبل المجموعة المصرية التى ينتمى إليها . ويمكننا الآن ان نترك الحديث ليزولاه واحد من هذا الثالث هو طه سعد عثمان .

« كنت فى ذلك الوقت مع نفر من العمال والنقابيين نقرأ بعض لكتيب والكتابات الاشتراكية ، وكان المثقفون الاشتراكيون الذين اتصلوا بنا منذ فترة دائبى النقاش معنا ، وخاصة بعد اسقاط فضالى عبد الجيد فى الانتخابات حول قضية السلطة والطبقة العاملة ، وانه لا وصول الى السلطة الا بتنظيم سياسى . ومجلة تنطق باسمه وتقوم بعملية الربط بين أعضائه . وبعد نقاش استمر مدة طويلة ، اتفقنا على ان نكون تنظيما سياسيا علنيا للطبقة العاملة . وأن تصدر مجلة تنطق باسمه » .

« وفى اجتماعات طويلة تم الاتفاق على ما يبنى :

١ - ضرورة عمل برنامج للتنظيم السياسى يحدد مطالب كافة لفئات الشعبية ووطنيا واقتصاديا واجتماعيا ، على ان تناقش بنود ذلك البرنامج من اللجنة التأسيسية مجتمعة بعد ان كلف ثلاثة بوضع مشروع البرنامج وكذلك مشروع بيان يوزع مع البرنامج .

٢ - أن يكون اسم التنظيم هو « لجنة العمال للتحرير القومى - الهيئة السياسية للطبقة العاملة » باعتبار أن هذه اللجنة فى حقيقة الامر ، ان هى الا لجنة تحضيرية لحزب الطبقة العاملة المصرية السياسى . وعلى أن

١ - طه سعد عثمان ، مذكرات ووثائق من تاريخ الطبقة العاملة - مقال مجلة « الكاتب » ، يوليو ١٩٧١ .

يعن اسم الحزب بعد أن تتمكن اللجنة عن طريق العمل السياسى والجهادى من استكمال مقومات الحزب فعلا ويعد أن ترتبط فعلا بقتل العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين والفئات الشعبية الأخرى التى لها مصلحة فى تحقيق البرنامج .

٣ - اتفق على أن تستأجر اللجنة مجلة أسبوعية تنطق باسمها ، وكلف الزميل محمود محود العسكرى لسابق خبرته فى هذا المجال باتمام ذلك .

٤ - اتفق على أن يكون أول يوم لالغاء الاحكام العرفية فى مصر هو يوم اعلان اللجنة « (١) » .

وهكذا صدرت مجلة « الضمير » . كمجلة عمالية تمثل منبرا علميا هو « لجنة العمال للتحرير القومى - الهيئة السياسية للطبقة العاملة » . وهو منبر تأسس بإشراف مباشر من حلقة ماركسية (بغير اسم) تستهدف التحول من خلال نشاط جهادى واستقطاب أعداد من المثقفين والعمال المصريين الى تأسيس تنظيم شعبى .

ولسنا نعتقد انه يمكننا هنا ان نتابع تطور الجهود التى بذلها يوسف دروبش ومعه هذا الثلاث تأسيسا للجنة العمال للتحرير القومى ، أو اعدادا لتأسيس منبر شعبى فان ما نريده هو متابعة مجلة « الضمير » كواحدة من الصحف اليسارية المصرية .



وصاحب المجلة الاصلى هو الدكتور عبد الكريم أحمد السكرى ، وهو معروف كواحد من الشخصيات التقدمية . ومن هنا فان المسألة لم تكن مجرد استئجار رخصة جريدة بقدر ما كانت مشاركة سياسية تلتقى عند حدود مبادئ متفق عليها .

ويمكن التعرف على مواقف د. السكرى من مقالاته فى « الضمير » ذاتها فقد استمر فى الكتابة فيها حتى بعد أن أسلم ادارتها لمحمود العسكرى .

وفى مقال بعنوان « العمال للانتاج القومى كالعمود للجسم الانسانى » كتب الدكتور السكرى يقول « قوام الانتاج فى محيط حله الاعمال المختلفة كالزراعة والصناعة والتشييد والبناء والتعمير والتجميل والطباعة وكل ما يحتاج اليه العالم الانسانى من مطالب الحياة هو العامل . ومن هنا

كان له أن يفخر بحق حين يرى نفسه الوسيلة الرحيمة للانتاج القومى . ولكن هل يدرك المجتمع كيف استقطاع هذا العامل أن يخرج هذا الانتاج وهل يستطيع المجتمع أن يتصور كم بذل من جهد وتحمل من عناء وتعرض للمخاطر وواجه الصعاب وكم أثقل كاهله واحترق . ونظن أن الزمن الآن . . يدفع الطبقة العاملة الى أن تسعى وراء حقها المهدوم ومطالبها العادلة في أن يكون لها نصيب من الحياة الرغدة يتناسب مع جهدها وتضحياتها . ولا تستطيع هيئة منصفة أن تقف أمام جهاد العمال في سبيل حقوقهم المشروعة العادلة » (١) .

وقد كتب د . السكرى سلسلة من المقالات بعنوان « أيها العامل . . دعنى أحدثك » قال في واحد منها « أنت عامل . . ومعنى ذلك أنك مواطن منتج . . وعلى هذا الاساس الصحيح أرجو أن تحيى في نفسك شعور الثقة بالنفس والاعتزاز بالكرامة . .

واذا كان حقك الكريم في الحياة قيد البحث . . وإذا كان مجالك الحيوى ما زال ضيقا محدودا مما أصابك بهذا العسر المادى فإن جهادك المشروع في المطالبة بما تراه حقا لك . . يخفف ما تشعر به من ألم في نفسك ويسرى عنك ولو على الأقل لأنك مجتهد مجاهد في سبيل مطالبك المشروعة ، وما ضاع حق وراء مطالب » (١) .

وحتى بعد أن قبض على الثالوث (المدرك - العسكرى - طه سعد) في الفترة من يناير حتى مايو ١٩٤٦ صمم الدكتور السكرى على معاودة اصدار المجلة وانتقل بها الى مسقط رأسه بنى سويف وأصدرها من هناك وان كان قد حرص على أن يبرز في رأس صفحتها الاولى أنها « لسان حال لجنة العمال للتحرير القومى - الهيئة السياسية للطبقة العاملة » (٢) .

ويبقى اسم السكرى هو التوقيع الوحيد في هذه الاعداد بما يوحي أن محرريها الاصليين لم يريدوا ذكر أسمائهم لأسباب متعلقة بالامن ، وان الدكتور السكرى هو الذى تصدى لتحمل المسئولية كاملة .

وكان لا بد له أن يشارك زملاءه في مصيرهم . . فقبض عليه وتنتشر « الضمير » « قبض البوليس السياسى في الاسبوع الماضى على أكثر من ثلاثين

١ - الضمير ، ٧ - ١١ - ١٩٤٥ .

٢ - الضمير ، ٢٤ - ٦ - ١٩٤٦ .

٣ - المرجع السابق .

شخصاً - في جهات مختلفة .. من الزملاء ، ومنهم رئيس تحرير هذه
المجلة الدكتور عبد الكريم السكري ، واستمر حجزهم في قسم الأزيكية ليلة
٢٥ ، وليلة ٢٦ الماضي وقد تولت النيابة التحقيق فقررت الافراج عن ٢١
بالضمان الشخصي .. ومنهم الدكتور السكري « (١) » .

ويخرج السكري من السجن ليكتب في « الضمير » « أيها العامل دعني
أحدثك عن ليلتين على الاسفلت » فيحدث العامل قائلا « انت عامل .. وللعمال
قضية هي قضية الكادحين والمرهقين وهذه القضية ليست وليدة أحداث هذا
العام بل ولا أحداث هذا القرن . فقضية العمال مشكلة اجتماعية خطيرة
تناولها بالدرس والبحث والتصوير منذ أكثر من ألفى عام أى منذ أن تحدث
الفلاسفة الأقدمون أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو عن الطبقات وتوزيع
الأعمال على الطبقات ونصيب كل طبقة من الاشتراك والمساهمة في
الانتاج .. » .

ثم يروي الدكتور السكري في نفس المقال قصة القبض عليه « وكان
من الطبيعى أن يجمع العمال شملهم وأن يتكثروا في نقاباتهم المشروعة
وأن يعتمدوا على جهود المخلصين منهم في مطالبة أولى الامر بالحد من هذه
السيطرة (سيطرة أصحاب المصانع) ، وبينما نحن في نقابة من هذه
النقابات نطالب أصول عدد الضمير لاصداره في موعده أول يوليوز اذ فوجئنا
بحصار عسكري من البوليس السياسى وزج بنا في حجز بقسم الأزيكية » .

وهكذا يتضح لنا أن نفس المجموعة (المدرك - العسكري - طه سعد
عثمان » كانت تعد أصول المجلة ثم يتسلمها الدكتور السكري ليعود بها
الى بنى سويف حتى تطبع هناك في مطبعة العميرى ..

والقبض على الدكتور السكري تم في مكان تسليم الاصول .. وهو
مقر أحد النقابات بدائرة قسم الأزيكية .. ونعتقد انه كان مقر « لجنة
العمال للتحرير القومى » وعنوانها ١ شارع الباب الشرقى بالأزيكية ..



ومجلة « الضمير » مجلة قديمة اصدرها الدكتور السكري قبل سبع
سنوات من اتفائه مع محمود العسكري على اصدارها كلسان حال « للجنة
العمال للتحرير القومى » ويبدو ان الدكتور السكري كان قد تخلى عن المجلة
قبل ذلك لعدد من طلاب الجامعة ليصدها باسمهم .

يقول طه سعد عثمان في مذكراته « كان العدد الاول من مجلة « الضمير » قد طبع في مطبعة المكتب الدولي للطبع والنشر بالجيزة وهى المطبعة التى كانت تطبع فيها عندما كان يصدرها بعض طلبة الجامعة » (١) .

وقد صدر من « الضمير » قبل ان يتولى ادارتها محمود العسكرى حوالى ٢٧٢ عددا نقول حوالى لاننا لا نعرف بالضبط موعد صدور أول عدد تحت اشراف العسكرى .

ومذكرات طه سعد عثمان تمدنا بالتواريخ التالية .

✽ ٢٩ سبتمبر ١٩٤٥ موعد انعقاد المؤتمر العالمى للانتخابات ببائريس

✽ حوالى ١٩ سبتمبر ١٩٤٥ عقد اجتماع فى منزل يوسف درويش استمر ثلاثة ايام وفيه . . « أقر ما اتخذته الزميل محمود محمد العسكرى من استئجار مجلة « الضمير » الاسبوعية من صاحبها ورئيس تحريرها الدكتور عبد الكريم احمد العسكرى ، وتقرر ان يصدر العدد الاول منها بعد سفر المدرك الى باريس مباشرة وفيه افتتاحية منه » .

✽ ٨ أكتوبر ١٩٤٥ تاريخ صدور برنامج لجنة العمال للتحرير القومى . .

✽ وتشير المذكرات ايضا الى انه فى اثناء طبع العدد الثانى من مجلة « الضمير » تم طبع برنامج لجنة العمال للتحرير القومى وبيانها فى نفس المطبعة .

✽ وتقول المذكرات ايضا وفى « الساعة الخامسة من مساء الخميس ٥ أكتوبر ١٩٤٥ غادر الزميل محمود العسكرى مطبعة المكتب الدولي للطبع والنشر حاملا معه العدد الثانى لمجلة « الضمير » (٢) .

✽ وفى حديث صحفى أجرته مجلة « الضمير » مع محمد يوسف المدرك بعد عودته من باريس قال « تعلمون انى وصلت باريس فى مساء ٢٧ سبتمبر » (٢) .

ويشير طه سعد عثمان فى مذكراته الى ان المدرك قد غادر الى باريس بالطائرة .

١ - الكاتب ، يوليو ١٩٧١ . ص ١٨٦ .

٢ - الكاتب ، يوليو ١٩٧١ .

٣ - الضمير ، ٧-١١-١٩٤٥ .

وتحت أيدينا عدد من « الضمير » نعتقد أنه العدد الرابع من المجموعة التي صدرت بإشراف العسكري وتاريخه « الأربعاء ١٧ أكتوبر ١٩٤٥ » ولا مجال للشك في أي خطأ في تاريخ العدد فالاعداد بعده مسلسلة بتاريخ صحيح فالعدد التالي تاريخه الأربعاء ٢٤ أكتوبر ١٩٤٥ ٠٠ وهكذا ٠

والأربعاء السابق هو ١٠ أكتوبر وهو ما نعتقد أنه تاريخ صدور العدد الثالث والأربعاء الذي يسبقه تاريخه ٣ أكتوبر وهو ما نعتقد أنه موعد صدور العدد الثاني ولا بأس من أن يكون قد تم طبعه مساء الخميس فهذه مسألة طبيعية في إطار مجلة « كالضمير » ٠٠

نصحح إذن التواريخ التي أوردها طه سعد عثمان بفارق يوم واحد ٠٠ وهو فارق محتمل ٠٠ فالعدد الثاني تسلمه محمود العسكري من المطبعة مساء الخميس ٤ أكتوبر وليس ٥ أكتوبر ٠٠

وبهذا يكون موعد صدور أول عدد من « الضمير » كمجلة يسارية بإشراف مجموعة تستهدف بناء حركة عمالية يتودها تنظيم ماركسي هو الأربعاء ٢٦ سبتمبر ٠ وهو ما تؤكد مجلة « الضمير » ذاتها عندما قالت في عددها الصادر في ٢٤ يونيو ١٩٤٦ قائلة « يعرف قراء « الضمير » أنها ظهرت في ثوبها الجديد في الأسبوع الأخير من سبتمبر ١٩٤٥ معبرة عن آمال وأهداف الطبقة العاملة المصرية » ٠

ويكاد ذلك يتفق مع ما أشار إليه طه سعد عثمان في مذكراته عندما قال « وتقرر أن يصدر العدد الأول منها بعد سفر المدرك إلى باريس مباشرة » ولا بأس أن يكون العدد قد تأخر يوماً ٠٠ انتظارا لسفر المدرك وحتى لا يعنوق صدوره سماح السلطات له بالسفر ٠

والمجموعة التي بين أيدينا لنجرى عليها الدراسة يمكن القول بأنّها ناقصة لكنها نادرة ٠٠

فالغريب في الأمر أن فهارس الدوريات في دار الكتب والوثائق المصرية لا تتضمن مجموعة أعداد « الضمير » ٠٠ ولمسنا فنصور أي مبرر مقبول لذلك ٠

لكننا أمكننا العثور على مجموعة تضم ثمانية أعداد من مجلة « الضمير » ٠

تبيدئ بالعدد ٢٧٤ الصادر في الاربعاء ١٧ أكتوبر ١٩٤٥ وهو العدد الذى قلنا اننا نعتقد انه العدد الرابع وتنتهى بالعدد الاخير الصادر في ٨ يوليو ١٩٤٦ . ومن المتيقن انه العدد الاخير لانه في ١١ يوليو ١٩٤٦ الغى ترخيص هذه المجلة ضمن حملة صدقى الراهبية الشهيرة .

ونلاحظ ان العدد ٢٧٤ قد طبع في مطبعة المكتب الثقافي الدولي بالجيزة ، لكن الاعداد اللاحقة كانت تطبع تقريبا كل عدد في مطبعة مختلفة وربما كان ذلك بسبب ضعف الامكانيات المادية ، حيث اعتاد اصحاب المطابع تأجيل بعض تكاليف الطبع لما بعد اصدار العدد ، ويحل موعد السداد بطبيعة الحال قبل طبع العدد التالى ومن هنا يكون اللجوء الى مطبعة اخرى تخلصا من دين يتعين سداه فورا ، وربما كان السبب مطاردة البوليس للمطابع وتحذيرها من طبع امثال هذه المجلات ، المهم ان العدد ٢٧٥ مطبوع في مطبعة دار اللواء ، و ٢٧٦ في مطبعة الواجب وهكذا .

وعندما قبض في أول يناير ١٩٤٦ على المدرك والعسكري وطه سمعد عثمان ثم أفرج عنهم في مايو من نفس العام نلاحظ ان المجلة تعاود الصدور ولكنها تصدر هذه المرة من بنى سويف وكانت تطبع في مطبعة العميرى ، اتى تعرض اصحابها هم ايضا للقبض عليهم كما تشير مجلة « الضمير » « هاجم البوليس في بنى سويف تحت رئاسة رجال المباحث منزل رئيس تحرير هذه المجلة في الساعة الثانية بعد منتصف ليل الثلاثاء ٢٥ الماضى واجرى تفتيشا دقيقا ولم يعثر على شيء » . كما أجرى تفتيش منازل اصحاب مطبعة العميرى ببنى سويف في نفس الوقت ، وبالرغم من انه لم يعثر في المنازل على شيء مطلقا فقد سبق اصحابها الى بنى سويف حيث ظلوا حتى مطلع الشمس » (١) .

كذلك نلاحظ ان العدد ٢٧٥ الصادر في ٢٤ أكتوبر ١٩٤٥ وبرغم ان تاريخه لا يتضمن أى ايماء بتأخر صدوره يتضمن في صفحته السابعة اعتذرا يقول « تأسف مجلة « الضمير » عن تأخير ظهور هذا العدد في موعده وذلك لاسباب خارجة اطلاقا عن ارادتها . وتأمل الا توضع في سبيلها عقبات كالتي وضعت هذا الاسبوع » .

كذلك نلاحظ ان العدد التالى ورقمه ٢٧٦ قد صدر متأخرا اسبوعا كاملا فنى حين ان موعد صدوره كان الاربعاء ٣١ أكتوبر ١٩٤٥ فانه قد صدر في الاربعاء التالى أى في ٧ نوفمبر دون اية اشارة الى تأخر صدوره .

اما العدد ٢٧٧ الصادر في ١٤ نوفمبر ١٩٤٥ فيتضمن خطأ مطبعياً في رقم العدد ٠٠ اذ يبقى ٢٧٦ وهو خطأ واضح .

والمجموعة التي بين أيدينا ينقصها العدد ٢٨٠ وموعد صدوره ١٢ ديسمبر ١٩٤٥ وثمة دلائل تؤكد صدور هذا العدد في موعدة اهمها ما يشير اليه طه سعد عثمان في مذكراته من ان محمود امين قد كتب « أول مقال نشر له في مجلة « الضمير » بعنوان سلطان الضمير اجدى على المجتمع من سلطان القانون ونشرت بالعدد ٢٨٠ الصادر في ١٢ ديسمبر سنة ١٩٤٥ » (١) .

وعندما قبض على محرري المجلة في الفترة من ٢ يناير ١٩٤٦ وحتى ٣٠ مايو ١٩٤٦ (٢) توقفت عن الصدور لفترة طويلة ولم تعاود الصدور الا في ٢٤ يونيو .

وقد صدر من المجلة بهذه الكيفية ثلاثة اعداد اولها اشير اليه على انسه « العدد التاسع من السنة الثامنة يوم الاثنين ٢٤ رجب - ٢٤ يونيو » .

ونلاحظ ان الترقيم القديم المسلسل قد اختفى ، وان الاسم الوحيد الذي ظهر في هذه المجلة كان اسم الدكتور عبر الكريم السكري .

وفي رأس الصفحة الاولى اختفى اسم محمود العسكري كمدير الادارة . وان كان قد ابرز في نفس المكان ان الضمير هي « لسان حال لجنة العمال للتحرير القومي - الهيئة السياسية للطبقة العاملة - القاهرة - شارع الباب الشرقي - الازبكية وفي الصفحة الاخيرة من نفس العدد اشارة الى ان جميع المراسلات والمقالات ترسل باسم محمود العسكري ، مكتب الطبقة العاملة للبحث والنشر - ١ - شارع الباب الشرقي » .

ونلاحظ انه لم يشر الى محمود العسكري كمدير للادارة - كذلك لم يذكر اسم طه سعد عثمان كمسكترير للتحرير . واستمر الامر ذلك حتى العدد الاخير .

وهكذا فان مجلة « الضمير » كهمبر يسارى قد صدرت في الاسبوع الاخير من سبتمبر ١٩٤٥ واستمرت حتى ١٩ ديسمبر ١٩٤٥ (وفقا للمجموعة التي بين أيدينا) صدر خلالها ثمانية أعداد ٠٠ ومن المؤكد ان المجلة قد توقفت عقب القبض على محرريها في ٢ يناير ١٩٤٦ واستمرت متوقفة حتى عاودت الصدور يوم ٢٤ يونيو ١٩٤٦ لتصدر كل اثنين بدلا من كل اربعة .

١ - الكاتب ، يناير ١٩٧٢ ص ١٣٩ .

٢ - الكاتب ، فبراير ١٩٧٢ ص ٣٩ .

والذى يقوى لدينا الاعتقاد بان المجلة قد توقفت فى ١٩ ديسمبر وان مجموع ما صدر منها فى هذه المرحلة هو ثمانية أعداد فقط . ان المجلة عنجم عاودت الصدور وألغت الترقيم المسلسل أشارت الى ترقيم جديد هو « العدد التاسع من السنة الثامنة » .

وعلى أية حال فلم يصدر من المجلة بعد ذلك الا ثلاثة اعداد آخرها هو العدد « الحادى عشر من السنة الثامنة بتاريخ الاثنين ٨ يوليو ١٩٤٦ » .
ولدينا فى المجموعة التى تحت أيدينا عددان من الاعداد الثلاثة هم العدد التاسع والعدد الحادى عشر .

وهكذا فان دراستنا لمجلة « الضمير » كلسان حال للجنة العمال للتحرير القومى - الهيئة السياسية للطبقة العاملة سوف تتناول كل الاعداد التى صدرت منها بهذه الصفة باستثناء عديدين مفقودين من المجموعة هما : العدد ٢٨٠ والصادر فى ١٢ ديسمبر ١٩٤٥ والعدد العاشر من السنة الثامنة ويفترض ان تاريخه أول يوليو ١٩٤٦ . وباستثناء الاعداد الثلاثة الاولى .

* * *

ثمة ملاحظة أخرى وهى أن الاعداد الثلاثة الاخيرة التى طبعت بمطبعة العميرى بنى سويف كانت تختلف من حيث الشكل والتوضيب والاكلاشيهات من الاعداد السابقة . . كذلك فانها اكثر بدائية فتاريخ العدد التاسع يذكر اليوم والشهر دون ذكر السنة . . كذلك كانت صفحات العدد الاخير غير مرقمة .

وثمة تغير آخر لم يطرأ الا فى آخر عدد . . وهو اضافة شعار فى رأس الصفحة الاولى يقول « الحق لا يقهر . والحرية لا تقهر » . وثمة اضافة اخرى هى بدء المجلة فى نشر شعارات حماسية . . ففى الصفحة السادسة (وهى غير مرقمة) برواز يقول « الضمير مجلة الجهاد الشريف لتدعيم وسائل العدالة الاجتماعية والتحرير القومى . مجلة النضال المشروع المنظم لتأييد حقوق الطبقة العاملة وحب العمل » .

• . ثم ألغى ترخيص مجلة . . وتوقفت عن الصدور .

* * *

وقد كان القبض على محررى « الضمير » فى يناير ١٩٤٦ مثارا لموجة استياء وسط صفوف العمال . . وتشير وثائق عديدة الى ذلك .

ففى الخطاب الدورى رقم ٣ لمؤتمر نقابات عمال القطر المصرى تدعو اللجنة التحضيرية الانتخابات الى الاحتمال بعيد أول مايو وتدعوهم ايضا الى أن

يبتدئوا. » ان زملاءكم محمد يوسف المدرك ومحمود محمد العسكري . . وطه عثمان مودعون. منذ أكثر من ثلاثة اشهر تحت كلمة الحبس الاحتياطي لانهم دافعوا عن القضية الحركة النقابية والعمالية . . « (١) » .

كذلك لجأت اللجنة التحضيرية الى تنظيم حملة عالمية وطالبت الاتحاد العالمي للنقابات بالتدخل للمطالبة بالافراج عن العمال الثلاثة المعتقلين . وبالفعل أرسل مصطفى العريس ممثل عمال الشرقيين الأدنى والايوسط في اللجنة التنفيذية لاتحاد النقابات العالمي برقية الى اسماعيل صدقي رئيس الوزراء يقول فيها :

« منذ أكثر من ثلاثة اشهر ألتقت السلطات المصرية القبض على بعض المناضلين النقابيين منهم محمد يوسف المدرك ومحمود محمد العسكري وطه سعد عثمان بسبب نشاطهم النقابي ودفاعهم عن مصالح العمال والشغلة المصريين - وبالرغم من عدم وجود أى مسئولية عليهم تستدعى توقيفهم أو محاكمتهم فانهم ما زالوا في السجن يسامون انواع العذاب والشقاء . . احتج اشد الاحتجاج على المعاملة السيئة التى يعامل بها الموقوفين في السجن . واطلب الافراج عنهم واعادة الحرية اليهم ليعودوا الى ميدان النضال الى جانب الشعب المصرى العزيز في سبيل حرية مصر وكرامتها . وفي سبيل استقلالها وجلاء الجيوش الاجنبية عنها » (٢) .

كذلك أرسل ابراهيم بكرى باسم عمال سوريا برقية احتجاج مماثلة . واضرب المعتقلون عن الطعام في ٥ مايو ١٩٤٦ . وأشار اضرابهم موجة استياء في صفوف العمال . . وانتهى الامر بالافراج عنهم في ٣٠ مايو ١٩٤٦ .

والذى يهمنا من ذلك كله ان هذه القضية كانت متعلقة بمجلة « الضمير » . فقد اسميت « قضية مجلة الضمير » وقد حكم فيها ببراءة المدرك والعسكري وحبس طه سعد عثمان ثلاثة اشهر مع الشغل وتغريم الدكتور عبد الكريم العسكري عشرين جنيها (٣) وكانت التهمة كتابة مقالات في مجلة « الضمير » تحض على كراعية النظام القائم وطبقة الرأسماليين .

ولم تكن هذه هى عملية الارهاب الوحيدة التى تعرض لها محررو مجلة « الضمير » .

-
- ١ - نص خطاب مؤرخ ٢٨ أبريل ١٩٤٦ - ورد بهذكريات طه سعد عثمان - مجلة الكاتب - فبراير ١٩٧٢ . ص ٤١ .
 - ٢ - المرجع السابق ، ص ٥١ .
 - ٣ - الكاتب ، يوليو ١٩٧٢ . ص ١٤٥ .

مقد شاهدنا كيف اعيد القبض عليهم في ٢٥ يونيو ١٩٤٦ ومعهم هذه المرة الدكتور السكري : كذلك قبض في نفس الوقت على أصحاب مطبعة العمري بنى سويف التي كانت تطبع المجلة .

ويشير العدد الاخير من « الضمير » الى مطاردة أخرى « استدعى حضرة الاستاذ محمد أمين حماد وكيل نيابة الصحافة والنشر الدكتور السكري وحقق معه في نشرة (قرار مؤتمر العمال) ، وبعد التحقيق كلف أن يدفع كفالة قدرها عشرة جنيهات دفعها وأخل سبيله » (١) .

وفي ذلك الحين كان محمود العسكري وطه سعد عثمان مودعين في السجن هما وعدد آخر من النقاد منهم حسين كاظم ومراد القليوبى وغيرهما ونشير (الضمير) الى انهم قد قدموا معارضة في حبسهم في ٢٩ يونيو ونقرز رفض المعارضة واستمرار حبسهم اربعة عشر يوما (٢) .

* * *

كذلك نود أن نشير الى ان مجلة « الضمير » كانت تعتمد الى حد كبير في توزيعها على العمال والنقابات .

وقد اكد ذلك كثيرون من معاصريها الذين اتاحت لى فرصة الحديث اليهم . ويؤكدده ايضا ان معظم اعداد المجلة تتضمن الرءاء التالى فى بروز فى الصفحة الاولى « ترجو ادارة المجلة من جميع الزملاء الذين وصلت اليهم الاعداد السابقة سواء اكانت لهم للتوزيع أو لنقاباتهم أن يبادروا بإرسال ثمنها للإدارة مع الشكر » .

* * *

وأخيرا نود أن نشير الى ملاحظتين هامتين : الأولى ان « الضمير » بالرغم من انها تأسست مثلها مثل « النجر الجديد » نتيجة لجهود مجموعة ماركسية (مكونة من ثلاثة اشخاص : صادق

سعد - ريمى دويك - يوسف درويش وانضم اليهم رابع هو أحمد رشدى صالح) الا أن المساهمين فيها ظلوا بعيدين تماما عن أية معلومات متعلقة بالنشاط السرى أو عن النظرية الماركسية . فان أسلوب الامن الصارم والطقى الشديد الحلقية قد أغلق الخلقه الرباعية على نفسها تماما ، وظلت رغم صلاتها

١ - المرجع السابق .

٢ - الضمير ، ٨-٧-١٩٤٦ م .

عن طريق « الضمير » و « لجنة العمال للتحرير القومي » . تخشى تماما الإشارة من قريب أو بعيد الى امكانيات توسيع الحلقة الرباعية وتحويلها الى تنظيم .

ولم يصبح متاحا أمام المدرك وطه سعد عثمان والعسكري أن يعرفوا شيئا عن التنظيم السرى الماركسى وان ينضموا اليه الا بعد ضربة صدقتى فى ١١ يوليو ١٩٤٦ التى أغلقت كل المنافذ العلنية والقانونية ، ولعل هذه الهزة كانت ضرورية لإيقاظ المجموعة الرباعية . وإجبارها على الانفتاح على رجالها ومفاتيحتهم وضمهم الى الحلقة للتحويل الى تنظيم .

ويؤكد ذلك كل من صادق سعد ويوسف درويش فى مناقشات أجريتها معهما ويؤكد طه سعد عثمان فى مذكراته التى نشرت فى مجلة « الكاتب » .
« التى قال فيها » ولعله من المستغرب (رغم انه حقيقة) - اننى حتى خروجى من السجن فى آخر مايو ١٩٤٦ لم تكن لى صلة تنظيمية « (١) .

وكان لابد لهذا الموقف المتسم بالحرص والامان المبالغ فيهما والذي يصل الى حد الحلقة (اربعة اشخاص ظالوا كما هم اربعة اشخاص دون اية زيادة ولعدة سنوات اتسمت بالتفجر الثورى والمد الوطنى والديمقراطى والماركسى العارم) كان لابد لهذا الموقف من أن ينعكس بالضرورة على اسلوب تناول « الضمير » للمشكلات والقضايا فهى برغم كونها صحيفة يسارية - ما فى ذلك شك - الا انها كانت تكتمى بمسحة ديمقراطية ونقابية ذات طابع يسارى . فى هذه الحدود فقط دون أى تطرق لقضايا تتعلق بالصراع الطبقي او بالعمل الماركسى .

والملاحظة الثانية هى انه فى وقت سابق على صدور « الضمير » .
وعلى تأسيس « لجنة العمال للتحرير القومي » كانت الحركة المصرية للتحرير الوطنى وايسكرا تمارستان كلاهما نشاطا واسعا وسط الطبقة العاملة سواء فى منطقة شبرا الخيمة (حيث تركز نفوذ « لجنة العمال للتحرير القومي » ومجلة « الضمير » اساسا) او فى التجمعات العمالية الاخرى .

وتأسست مؤتمر عمال الشركات والمؤسسات الاهلية الذى اصدر نشرته غير دورية باسم « المؤتمر » والذي اوفد هو ايضا مندوبين الى مؤتمر الاتحاد العالمى للانتخابات بباريس ثم سارع اعضاؤه بالعمل على تأسيس مؤتمر نقابات عمال القطر المصرى .

ومن هنا فان متابعة آراء ومواقف مجلة « الضمير » تعنى متابعة احادية للجانب ولجماعة محددة بذاتها ، هي بالضرورة جزء صغير من نشاط كان عارما ومحتما في ذلك الوقت .

وفي هذا الصدد فاننا يجب ان نضع كثيرا من تقيييمات طه سعد عثمان التي اورودها في مذكراته ، وكذلك نشاط مجلة « الضمير » واتجاهاتها وآرائها في الاطار الموضوعي الصحيح وهو انها كانت مجرد تقيييمات وآراء واتجاهات لحظية صغيرة ، مجرد موجة واحدة من تيار جارف محتدم .

* * *

والآن . . نستطيع ان نبدأ في تقليب صفحات مجلة « الضمير » محاولين تتبع مواقفها وآرائها واتجاهاتها العامة . .

ويمكن القول بأن مجلة « الضمير » قد ركزت جهودها حول نقاط اربع اساسية :

* نشر الوعي السياسي بين العمال . وحثهم على ضرورة تكوين منبر عمالي مستقل وعننى يمثلهم . .

* الدفاع عن الحريات النقابية والحريات الديمقراطية عامة .

* التوعية بضرورة التضامن العمالي العالمى .

* التوعية بضرورة التضامن العربى . . والاهتمام بالمشكلة الفلسطينية بشكل خاص .

وسوف نحاول ان نستعرض مواقفها تجاه هذه القضايا الاربعة . .

ولعل النقطة الاولى كانت حجر الزاوية في سياسة « الضمير » ذلك ان المنطلق الاساسى لتأسيس لجنة العمال للتحريض القومى ، التي لم تكن « الضمير » سوى لسان حال لها هو كما قال طه سعد عثمان « فقدان الطبقة العاملة المصرية ثققتها في التنظيمات السياسية القائمة وفي امكانية ان تعبر تلك التنظيمات عن مصالح العمال » . ويمضى طه عثمان قائلا « ان المد الثورى الوطنى كان يحتم وقتئذ من أجل تكوين تنظيم سياسى للطبقة العاملة المصرية لتخليص العمال والطبقات الشعبية الاخرى من سيطرة الاحزاب » (١) .

وعلى نفس النغمة تعزف « الضمير » في مقال بعنوان « الى الامام . . طبقة العمال في ميدان السياسة » واذا كانت مجلة « الضمير » قد استخدمت

أسلوبها يقدم بالمبالغة والتحويل بادئة المقال « قد ظهر في افق السياسة المصرية برنامج « لجنة العمال للتحرير القومي » ، ذلك البرنامج الرائع الفذ الذى لم يترك صغيرة ولا كبيرة في هذا البلد الا أحصاها وهذبها وأصلح من شأنها بما يتفق ومصالح الشعب الحقيقية ، ذلك البرنامج الذى اهتزت له قلوب الشعب المصرى الكادح فرحا وابتهاجا وتأييدا وارتعدت منه فرائض المستعمرين المستغلين خوفا وهلعا ، وكيف لا يخافون ولا يهلعون وقد وثبت العمال من رفقته ، وتيقظت من غفلتها وخرجت عن صمتها وازاحت النقاب عن وجهها ونظرت بعيني رأسها الثاقبة فعرفت ما لها وما عليها كطبقة لها كيانها وقوتها الهائلة في ترجيح كفة العدالة الاجتماعية العالمية » . اذا كانت « الضمير » قد استخدمت هذا التحويل الساذج فان كاتب المقال وهو العامل « شاكر شلبي » قد حاول ان يصنع برنامجا اجتماعيا مبسطا معلنًا « اننا لا نريد فقرا ولا جهلا ، ولا نريد عطلا ولا مرضا . ولا نريد استعمارا ولا استغلالا ، ولا نريد فرقة و تناجر ، ولا نريد حرية واستقلال ، نريد اخاء واتحادا ، نريد نزاهة وعدلا ، نريد خبزا وكساء نريد جيشا قويا عدة وعقادا ، نريد امنا وسلامة واطمئنانا » (١) .

والعمال هم كتيبة طليعية في المعركة الوطنية . . هكذا يؤكد محمود العسكري في مقال بعنوان « وطنية العمال » « العمال وطنيون قبل كل شيء لانهم يفهمون معنى الوطنية الحقيقية ولذلك تجدهم دائما في طليعة الحركات التحريرية ، يبذلون جهودا جبارة في سبيل حرية بلادهم واستقلالها من نير الاستعمار الاجنبى » .

ويمضى محمود العسكري قائلا « ان العمال اصدق من غيرهم في وطنيتهم ، لان الخطر المباشر والغير مباشر من ناحية الاستعمار واقع عليهم وحدهم ، فالاستعمار هو الذى يجوعهم ، والاستعمار هو الذى يسد في وجوههم ابواب العلم والعرفان . . ان العمال اكثر من غيرهم استعدادا للتضحية لانهم يفهمون تماما ان الاستعمار وضعهم في سجن الوطن وجردهم من جميع الخيرات الانسانية وحرس عليهم جلاديهم لكى يضعفوا شوكة النضال في الطبقة العاملة طليعة الشعب الكادح » .

لكن هذه الفكرة تنقود صاحبها الى خطأ سياسى فادح لست ادري ان كان قد فات على عامل مستجد - في ذلك الحين - في ميدان السياسة كمحمود العسكري ، كيف فات على سياسى مخضرم مثل يوسف درويش وقد كان المسؤول الاول والاخير عن المجلة - فالنقل يمضى قائلا . .

« ان الطبقة العاملة دائما في طليعة الحركة التحريرية . بل عليها وحدها تقع مسئولية تحرير ارض الوطن من المستعمر المستبد . ولذلك تجدها في ثورة ١٩١٩ كانت وحدها وبمؤازرة الطلبة الاحرار في طليعة النضال الوطني .. »

ولست اعتقد انه كان صحيحا . لا في عام ١٩١٩ ولا في عام ١٩٤٥ ان الطبقة العاملة كان يقع عليها وحدها مسئولية تحرير الوطن .

وانصافا للرجل فاننا نلاحظ انه يخذتم مقاله داعيا اصحاب الاعمال الوطنيين « ان يضعوا ايديهم في يد العمال ليحاربوا عدو الوطن .. الاستعمار » (١)

واذا كان العمال هم العدو رقم ١ للاستعمار فان « الاستعمار - عدو العمال رقم ١ » هكذا يكتب « اسكندراني » وهو توقيع مستعار نعتقد ان صاحبه « لطفي عزوز » لانه كان هو واخيه المحور الاساسي لنشاط هذه المجموعة في الاسكندرية وكانا يكتبان ايضا وفي نفس الوقت في « الفجر الجديد » احيانا باسم حقيقي وأحيانا بتوقيع « اسكندراني » أيضا .

يقول « اسكندراني » أن الاستعمار يسرق الشعب المصري مرتين : الأولى عند شرائه القطن وغيره من المحصولات بثمن بخس ، والثانية عندما يبيع للمصريين منتجاته بسعر مرتفع ، والاستعمار يرتكب السرقة مرة ثالثة أيضا حين يتآمر مع الرأسماليين وأصحاب الاطيان المصريين ضد الشعب المصري . ولهذا أصبح لا مفر للشعب المصري من مكافحة الاستعمار البريطاني والاستغلال الرأسمالي والطبقي معا اذ اراد ان ينهض ويتحرر من الولايات التي يعانيها .

وخاتمة المقال تقول « ان قضية العمال تتلخص في كفاحهم ضد الاستعمار والاستغلال وويلاتهم ، أي كفاحهم من أجل الحياة الحقة ، بل هي قضية الشعب المصري كله مركزة في برنامج لجنة العمال للتحرير القومي » (٢) .

ولعلنا نعود مرة أخرى لنلمح بصيصا من المبالغة في هذه الجملة الأخيرة .

وحول نفس القضية يكتب محمد يوسف المدرك مقالا في ذكرى ١٣ نوفمبر بعنوان « ١٣ نوفمبر .. يوم الشعب .. ذكرى الثورة .. عيد الجهاد » يقول فيه « لم يلبث الانجليز ان فطنوا لوجود طبقة المستغلين فحالفوهم

١ - الضمير ، ٧-١١-١٩٤٥ .

٢ - الضمير ، ٢٤-١٠-١٩٤٥ .

على الشعب وما لاؤهم على حساب العمال والفلاحين ليتقاسموا المغانم فيبقى الاستعمار ليحتمي المستغلين ويبيطش بالعاملين من وراء استثمارهم . ويسمح لهم بكل شيء في مقابل أن ينال كل شيء وهكذا يضيع على العمال كل شيء » .

ثم يختم المدرك قائلا « فها أيها الزملاء .. أيدوا برنامج لجنة العمال للتحرير القومي لنحقق لمصر استقلالها الكامل » (١) .

وثمة مقال آخر يركز على ضرورة أن ينشط العمال من أجل مصالحهم الطبقية وأن يخلصوا أنفسهم وطبقتهم من براثن الأحزاب والطبقات الاستغلالية ..

والمقال بتوقيع محمد السيد يوسف الذي يدعو الشعب في عنف وصراحة إلى الانفضاض حتى عن الوغد دون أن يذكر ذلك صراحة « أيها الشعب انكبه وفق من غفلتك ، وتطلع لمن وكلتهم على قضيتك ، اظهر بعضهم بعضا باشنع صورة يأبأها الضمير الانساني . ظهروا لنا بمظهر نهاشين سياسيين ، شاكركم اليوم . ذمامين في الغد . كفى ! ان الشعب اليوم غيره في سنة ١٨٨٢ . كفى ! كفى ان الشعب اليوم رشيد نفسه وقد سحب توكيله ممن فضلتوا الشهوات على المصلحة العامة » (٢) .

وتنشر « الضمير » رسالة وجهها يوسف المدرك باعتباره سكرتيرا عاما للجنة العمال للتحرير القومي إلى أعضاء مجلس الأمن الدولي وتقول الرسالة « ان شعب مصر الذي حارب الاستعمار وقام بثورة ١٩١٩ يطلب من الامم المتحدة وهو واثق بعزمها على توطيد السلام بتأكيد استقلال الشعوب ، أن تتضع حدا للاستهتار بكرامته والانتفاض من سيادته ... ان شعب مصر يرى أن معاهدة ١٩٣٦ متناقضة تمام التناقض مع ميثاق الامم المتحدة ، بل انها مهدمة لمبادئه .. ان ميثاق الامم المتحدة ، يجبر انجترا على جلاء جيوشها حالا عن مصر » (٣) .

والهام في هذه الرسالة هو ان « لجنة العمال للتحرير القومي » قد بدأت بذلك ممارسة دورها كتنظيم سياسي علني بالفعل .. مشاركة كل الاحزاب السياسية الاخرى التي بادرت في ذلك الحين بالتوجه الى مجلس الأمن الدولي بعرائض وبيانات ورسائل ..

١ - الضمير ، ١٤-١١-١٩٤٥ :

٢ - الضمير ، ١٤-١١-١٩٤٥ .

٣ - المرجع السابق .

وعلى أية حال فإن المدرك يُلخص وجهة نظر المجموعة كلها تجاه الدور الذى كان يتعين على العمال كطبقة ان يلعبوه فى ميدان السياسة قائلا « لقد تقدم الوعي فى عمال مصر باطراد حتى بلغوا درجة تؤهلهم لقيادة الشعب الكادح ، وهم يسرون قدما نحو تحقيق أهدافهم بخطوات ثابتة أكسبتهم تقديرا فى الخارج والداخل وأصبح من المسلم به أن عمال مصر لا يقلون فى الفهم والادراك عن عمال العالم الناضجين ، ولو اذكر هذا ذوو الاغراض الهدامة من الرجعيين » (١) .

وعندما القى القبض على محررى « الضمير » . . وتوقفت المجلة عن الصدور ثم عادت من جديد بعد فترة من الافراج عنهم نشرت افتتاحية أكثر عنفا وصراحة بعنوان « عدنا الى ميدان النضال الحر الشريف » لنناهض الاستعمار أيا كان نوعه وفى أى بقعة من بقاع العالم ، لنحقق آمال الوطن ، لنتحيا الانسانية فى أمن وسلام وسعادة » .

وفى هذه الافتتاحية تفتتح « الضمير » النيران بعنف . . فالاستعمار « هو الذى يؤثر بطريق مباشر وغير مباشر على نظامنا الديموقراطى فى الداخل نيقيف حجر عثرة فى سبيل نمو الاحزاب والهيئات والجماعات الديموقراطية والشعبية ويؤيد دائما دكتاتورية الرأسمالية لكى لا يصل الشعب الى حكم نفسه بنفسه لمصلحته ، بل يعمل الاستعمار دائما على تأييد العناصر السياسية التى تربطه بها مصلحة » .

« واليوم وقد عادت وظهرت « الضمير » الى ميدان النضال حاملة مشعل النور الى الطبقة العاملة والشعب المصرى ، رافعة علم الجهاد المشروع مناضفة الاستعمار والاستغلال أيا كان نوعه وبأية صورة يظهر حتى تتحرر الانسانية من الظلم والاستعباد ، ومن الجوع والحرمان لا تعرف لنا ولا مهادنة لان أقلام محرريها تكتب للحق والعدل ومن أجل العدل والحق ظهرت » (٢) .

ويحسم الامر بشكل واضح فى افتتاحية بعنوان « الشعب يرسم أهدافه وينظم صفوفه » وقعها « خيرى محمود » وهو اسم مستعار لـ يوسف درويش * نلاحظ فيها تركيزا شديدا على الدور السياسى للعمال كطبقة ذات مصالح متميزة . . « لما أجريت الانتخابات النيابية فى السنة الماضية كان العمال هم وحدهم الذين شرحوا أهداف الشعب وبدأوا فى تنظيم الصفوف لهذا الغرض . فنقدم مرشحو العمال فى الاسكندرية وشبرا الخيمة مستعدين

١ - الضمير ، ١٢-٥-١٩٤٥ .

٢ - الضمير ، ٢٤-٦-١٩٤٦ .

* أكد لى يوسف درويش ذلك فى مناقشة أجريتها معه فى ١-١١-١٩٧٣

على الكتل العمالية ولجانها الانتخابية ومستنيتين على برنامج أعدته تلك
اللجان يربط قضية الاستقلال بقضية التحرر من الجوع والحرمان - غطالوا
بالجلاء وباستقلال وادى النيل الكامل وطالبوه برفع مستوى العمال والفلاحين
وصغار المنتجين وصغار الموظفين » .

ويركز خيرى محمود (يوسف درويش) على أهمية المنبر السياسى
المستقل للطبقة العاملة « ان العمال لم يقبلوا تدخل السلطات والتمسحين
في نشاطهم النقابى فحاربوا كل محاولة لوضعهم تحت لواء هيئة من الهيئات
السياسية التى لا تكون منهم وتحت مراقبتهم المتواصلة .. » والطبقة العاملة
ترفض أن يقودها غيرها في معركة التحرير القومى ولا تثق الا في نفسها لقيادة
تلك المعركة . وهى اذا تقدم لتحمل تلك المسئولية تعرف قدرتها وقاوتها .
تعرف انها هى وحدها التى يمكن بصراحتها وشجاعتها أن تنفذ أهل للزيف
من البؤس والمرض والفاقة . وتعرف كيف تربط العمال بالطبقة والاشقيين
الاحرار » :

ويخلص الكاتب الوضع في ايجاز دقيق التعبير « حركتان تتقابلان ،
حركة العمال غير واثقة الا في قيادتها .. وحركة الطبقة غير واثقة في القيادة
القديمية » (١) .

فلذا انتقلنا الى القضية الاخرى التى التزمتم « الضمير » بالدفاع عنها .
وهى الحقوق والحريات الديمقراطية للعمال وللشعب عموما ، نجد أن « الضمير »
قد كتبت عديدا من المقالات .. وتحت عنوان « الغاء الاحكام العرفية المؤقتة ،
لوضع احكام عرفية دائمة » كتب طه سعد عثمان يقول « أخيرا ، تمخضت
الحكومة فأعلنت ، الغاء الاحكام العرفية من اليوم السابع من شهر أكتوبر
١٩٤٥ ، وبإلحاح الحكومة لم تعلن ! وبإلحاح الاحكام العرفية ما ألغيت على هذا
النحو الشاذ المؤلم ! فقد الغت الحكومة أوامر عسكرية مؤقتة وضعت في ظروف
استثنائية واستبدلتها بقوانين دائمة ، فأصبحنا في عرف الحقيقة في احكام
عرفية مستمرة » .

وختام المقال عنيف « أيها الشعب .. لقد سلبت حريتك ، وأصبحت
في احكام عرقية دائمة وعليك وحده أن تستخلص تلك الحرية التى ضحيت
من أجلها بقوتك وبدماء ابنائك أبررة الشهداء ! ان هذا بدلية عهد جديد قد
لقى على الشعب تبعات جديدة توجب عليه أن يتحمل عبء التحرير من
الاستعمار والتخلص من الاستغلال والحصول على الحرية الكاملة التى تكفل

للاّتيان المعيشة الهائلة ، فهلهم ايها الشعب ولا تهن : فلابد ان ياتى اليوم
الذى تصبح فيه مصدر السلطات « (١) » .

ولقد سعت « الضمير » الى ترسيخ مفهوم جديد للديمقراطية . فان
تمثيل العمال تمثيلا صحيحا في مختلف الهيئات هو السبيل لذلك وتحت عنوان
« الآن يرتفع الصوت وتتجلى معانى الديمقراطية الصحيحة » تنشر « الضمير »
النشور رقم ١ للاتحاد النقابى بدمياط والذى يعلن فيه ترشيح مرشحين عمالين
في انتخابات المجلس البلدى « (٢) » .

لكن « الضمير » تبالغ في امكانيات الحريات السياسية في ظل المجتمع
البرجوازي ، وتركز بصورة غير صحيحة على ما يمكن ان يحققه دخول عامل
او عمال في البرلمان البرجوازي .

وفي مقال بعنوان « السياسة حق للشعب » لا وقف على افراد « كتب
طه سعد عثمان » ولاول مرة نزل العمال ومعلمو الالزامى الى الانتخابات في
الدورة الماضية ، ورغم ان اعداء الديمقراطية استطاعوا بمالهم وسلطانهم
واحتيالهم ان يحولوا دون دخول واحد من مرشحي الشعب جميعهم الى
البرلمان . فان ذلك كان كسبا ديمقراطيا عظيما اذ علم الشعب ان في استطاعته
دخول البرلمان للاشراف على شئون الامة وتوجيه سياستها بعد ان اذاع
المفروضون ومستغلوا الشعب ان الاغنياء وحدهم المستحقون للنسيابة عن
الامة « (٣) » .

وتحت « الضمير » العمال عى قيد اسمائهم في جدول الناخبين قائلا :
« ان المنتخب الذى يصوت لثائب هو الذى يعطى لهذا النائب الحق في
ان يكون وزيرا او رقيبا على الوزير الذى يسيّر أمور البلاد . . لكى تكون شيئا
في هذه الامة سارع بقيد اسمك في جدول الانتخاب » « (٤) » .

والحديث عن الديمقراطية يرتبط ايضا بالمشكلات الاجتماعية ، فهو
يرتبط بالتعليم « تهدف سياسة التعليم في مصر اليوم الى البعد كل البعد عن
الديمقراطية الحقيقية فهي ترمى وتعمل قبل كل شيء الى ابعاد ومنع الطبقات
الشعبية من ان تنل من مغارف العلم والعرفان . . هي تريد وتعمل دائما

١ - الضمير ، ١٧-١٠-١٩٤٥ .

٢ - الضمير ، ٢٤-١٠-١٩٤٥ .

٣ - الضمير ، ٢٨-١١-١٩٤٥ .

٤ - الضمير ، ٥-١٢-١٩٤٥ .

على فصل برنامج التعليم ليجلس اولاد السادة في مكان لا يجلس فيه عبيدهم
ابناء العمال وابناء الفلاحين ، » .

ويختم محمد ابراهيم مقاله عن « سياسة التعليم والطبقات الشعبية »
قائلا « ان الشعب محروم من التعليم . ويرفض كل سياسة يضعها مستغلوه
وقاهروه الغرض منها ابقاءه في مجاهل الظلم والهوان ، هو يريد سياسة
ديمقراطية تعليمية يضعها بنفسه تكون اقرب اليه . . هذا هو ما يطلبه الشعب
ويلج في المطالبة به » (١) .

والديمقراطية ترتبط ايضا بالاصلاح الزراعي ، فتنتقل « الضمير » عن
مجلة « الغد » الفلسطينية مقالا بعنوان « الاصلاح الزراعي وديمقراطية الحياة
الاجتماعية » ويأتى في ختام هذا المقال « . . وهذا الاصلاح الزراعي في بعض
البلاد الاوربية هو احد نتائج الحرب العالمية الثانية ، التي بها سحقتم الشعوب
المحبة للحرية الفاشيست المستعبدين . وهو شرط ضروري لنمو وتوطيد
الديمقراطية في هذه البلدان وهو عامل رئيسي لضمان حرية الشعوب والسلام
بين الشعوب » (٢) .

اما في مجال التوعية بضرورة الوحدة . . التوحد في نقابات وتوحد النقابات
في اتحاد عام . . والتركيز دائم على اهمية هذه الخطوة باعتبارها سلاحا
عماليا ماضيا . . وكان ذلك شيئا طبيعيا ومتوقعا من مجلة عمالية . . لكن
الجديد في « الضمير » كان تركيزها على أهمية الوحدة العمالية العالمية . .
ومن هنا كان الاهتمام - البالغ فيه احيانا - برحلة المدرك الى باريس لحضور
مؤتمر النقابات العالمي وعودته .

فالرحيل والعودة وحفلات استقباله عند عودته والوفود التي ذهبت
لاستقباله بالاسكندرية استغرقت كثيرا من صفحات معظم اعداد
« الضمير » .

وكان الاهتمام بالانتماء الى الحركة العالمية مهما الى درجة أن محمود
العسكري كتب مقالا بعنوان « ألفوا الاتحاد العام لنقابات العمال لتفسير جنبا
الى جنب مع عمال العالم » وفي هذا المقال قال العسكري أن مؤتمر اتحاد
النقابات العالمي « هو أكبر مؤتمر شعبي عقد في العالم يجمع ممثلي شعوب
العالم القوية والضعيفة ، الحرة والمستعمرة ، على قدم المساواة فوجدوا في
مؤتمرهم هذا حلفا قويا متينا بين شعوب العالم الكادحة البائسة الذين

١ - الضمير ، ٢٤-١٠-١٩٤٥ .

٢ - الضمير ، ١٩-١٢-١٩٤٥ .

على يديهم وحدهم سيقدر مصر العمال ، وعلى يديهم وحدهم ستعرف
رأية السلام في أنحاء المعمورة » .

وفي ختام مقاله يبحث النقبائين المصريين على قيام الاتحاد العام
قائلا « ألفوا الاتحاد العام يا قادة النقابات المخلصين ... أبعادوا الدخلاء ،
وسجروا الثغرة لكي لا يتسللوا منها . . وحدوا النضال الاقتصادي والسياسي
لكي نتحرر من الاستعمار والاستغلال ، من الحرمان والجوع » (١) .

وفي مقال بعنوان « توحيد الصفوف » يكتب محمد يوسف المدرك
مبجها للعناصر المناهضة لوحدة العمال . . والرجعيين والانتهازيين الذين
يحاولون تسليق هذه الوحدة ثم يصيح في ختم مقاله « أفسحوا الطريق . .
فقد أصبحت الطبقة العاملة المصرية جزءا من الطبقة العاملة العالمية ، والطبقة
العامة العالمية ترى من حقها أن تدير العالم الذي انقذته من براثن القاتلة
الكامنة في أي مظهر ومهما تلونت حتى ولو تلونت بالاصلاحية مدعية أنها
(اشتراكية) » (٢) .

وبالمناسبة فقد كانت المرة الاولى والوحيدة التي ورد فيها ذكر
الاشتراكية في مجلة « الضمير » .

ويمكن القول أن « الضمير » قد لعبت دورا طليعيا هاما في ابراز وحدة
الظليعة العمالية العربية والاهتمام بابرار مظاهر التضامن بين العمال
والنقبائين العرب . . وكثيرا ما فتحت صفحاتها لنقابيين عرب مثل مخلص
عمرو وبولس فرح وهما من قادة النقابات الفلسطينية (٣) ومصطفى العريس
من قادة العمال اللبنانيين . . كذلك فقد فتحت « الضمير » صفحاتها لنشر
العديد من بيانات ونداءات عصابة التحرر الوطني في فلسطين (٤) .

ولعل « الضمير » كانت أول منير عمالي يساري طالب بتأسيس اتحاد
للعمال العرب ففي وصفها لحفل الاستقبال الذي أقامه عمال الاسكندرية
للووفود العربية في مؤتمر باريس أكدت « الضمير » أن العمال للذين

١ - الضمير ، ٢٤ - ١٠ - ١٩٤٠ .

٢ - الضمير ، ١٩ - ١٢ - ١٩٤٥ .

٣ - الضمير ، ٢٤ - ١٠ - ١٩٤٥ .

٤ - الضمير ، ٢٤ - ١٠ - ١٩٤٥ ، ٢٨ - ١١ - ١٩٤٥ .

حضرُوا الاحتفال قد طالبوا « بوجود تأليف اتحاد عام لعمال الشرق العربي » (١)

وفي وصفها لحفل نقابات القاهرة لاستقبال التمثيل المذكور عادت الى ابراز أن « الخطباء يطالبون تأليف الاتحاد المصري للنقابات والاتحاد العربي للعمال العرب » (٢) .

لكن أبرز ما اعتمدت به « الضمير » هو القضية الفلسطينية وقد استهل هذا الاهتمام خيرى محمود (يوسف درويش) في مقال بعنوان « لن تمرأوا » جاء فيه :

« لن تمرأوا .. هي الكلمة التي صاح بها الجمهوريون الاسبانينيون عام ١٩٣٦ .. يوم أن هجمت عليهم الفاشية العالمية بدباباتها واسلحتها وأموالها النازية والفاشية .. وهي الكلمة التي تصيح بها اليوم شعوب البلاد العربية في وجه الصهيونية » .

ويمضى المقال قائلا « ان الفاشية والصهيونية من طينة واحدة . الاستعمار والاستغلال الجشع . الفاشية أداة الرأسمالية المتعففة لجأت للتدخل والازهاق لتستمر في استغلال الشعب الكادح ، والصهيونية أداة الاستعمارية العالمية لجأت للشعوب العربية ، ان الصهيونية تجد تربة صالحة لانتشار مبادئها بين اليهود في البلاد التي ساد فيها حكم الارهاب فهي والفاشية مرتبطتين ارتباطا وثيقا لا يحله الا الانفصال ضد اسباب الاضطهاد والتعسف والدفاع عن الحريات الديمقراطية » .

« ان الصهيونية لا تحل بالمرّة مشكلة ستة عشر مليونا من اليهود ، بل ان المشكلة اليهودية ليست سوى جزء لا يتجزأ من نضال الشعوب كافة على اختلاف أديانها في سبيل حريتها وديمقراطيتها » .

ويمضى المقال قائلا « ان الشعوب العربية وعلى رأسها شعب فلسطين عازمة باتحادها وتنظيم صفوفها واستنادها على الشعوب الديمقراطية الاخرى أن توقف خطر الصهيونية الداعم » .

بل ان المقال يلوم جامعة الدول العربية على تهاونها في مواجهة الخطر الصهيوني قائلا « واذا كانت جامعة الدول العربية لم تتخذ الموقف الحازم القاطع الذى كان يتطلب منها في هذا الامر فان الشعوب العربية ممثلة في وفود العمال العرب في مؤتمر نقابات العمال العالمى بباريس أمكنها باتفاقها

أن تشغل عمال العالم بخطر الصهيونية على الإنسانية .. وأمكنها أن تمنع دخول مندوب العمال الصهيونيين في لجنة الاتحاد التنفيذية « (١) » .

ولم يكن هذا المقال سوى مجرد بداية ، فان معظم أعداد « الضمير » زاخرة بالهجوم على الصهيونية والدفاع عن حقوق الشعب العربي الفلسطيني .

وفي حديث مع ممثلي النقابات الفلسطينية في مؤتمر باريس مخصص عمرو وبولس فرح أكد المندوبان « أن أبرز شيء ظهر في هذا المؤتمر هو ما أحرزته البلاد العربية والانسانية جمعاء ، بانتصار العمال العرب على الصهيونية » (٢) .

وفي مقال كتبه محمود العسكري بعنوان « لا عنصرية بين العمال » نجد هجوما شديدا على الصهيونية باعتبارها « الخطر المباشر الذي يهدد الشعب الكادح في شقيقتنا فلسطين » . بل وتهدد حياة الشعوب الكادحة في الشرق الاوسط بصفة خاصة وشعوب العالم بصفة عامة ، بل وتهدد قضية السلام العالمي . لان الصهيونية هي الرأسمالية اليهودية الاستعمارية المتعفنة ، التي تضلل الشعب الاسرائيلي الكادح من عمال صناعيين وزراعيين لتستغلهم استغلالا بشعا في جوهره مزركشا في مظهره .. تضع لهم السم في العسل باثارة النعرة العنصرية المضطهدة ، لتستغلهم هذا الاستغلال القذر ، وتعمى ابصارهم عن الحقيقة لمصلحة حفنة من الرأسماليين الصهيونيين المستبدين » (٣) .

وعديد من المقالات الاخرى ، بالاضافة الى عديد من بيانات عصبية التحرير الوطني في فلسطين والى حشد العديد من الاخبار عن النضال العربي ضد الصهيونية .. ففي صفحة اخبارية واحدة من أحد أعداد « الضمير » يمكننا أن نحصى ثمانية اخبار تشير الى نضالات مصرية وعربية ضد الحركة الصهيونية مثل « قرر زعماء سوريا ولبنان القضاء على الحركة الصهيونية السرية » و « أصدرت لجنة مكافحة الصهيونية في اتحاد للشباب العربي نشرة كشفت بها عن الاساليب التي يأتيها اليهود لجعل فلسطين وطننا لهم ومزاحمة العرب فيها والطول التي يجب اتباعها لمحاربة هذه الاساليب حفظا لحقوق العرب في وطنهم الشرعي » (٤) .

١ - الضمير ، ١٧ - ١٠ - ١٩٤٥

٢ - الضمير ، ٢٤ - ١٠ - ١٩٤٥

٣ - الضمير ، ١٤ - ١١ - ١٩٤٥

٤ - الضمير ، ١٤ - ١١ - ١٩٤٥

فإذا أضفنا إلى أن هذا العدد ذاته يتضمن الحديث الذي أجري مع ممثلي عمال فلسطين مخلص عمرو وبولس فرح وأيضا نص « بيان عصبية التحرير الوطني إلى الشعب العربي الفلسطيني » أمكننا أن ندرك إلى أي مدى كانت « الضمير » تولى هذه القضية اهتمامها .

والحقيقة أن اليسار المصري عامة كان مبادرا بالكفاح ضد الخطر الصهيوني بمبادرة مكنت يوسف درويش من أن يستحث - في مقال سبقته الإشارة إليه - جامعة الدول العربية كي تبذل جهدا حقيقيا في مكافحة الخطر الصهيوني .



وواصلت « الضمير » مسيرتها . . ومع تصاعد الارهاب أصبحت المصادرة - والحبس والتخريم نغمة مألوفة في التعامل معها - ثم توقفت مع غيرها من الصحف التي ألغى الطاغية صدقي تراخيصها في ١١ يوليو ١٩٤٦ .

الجمهورية

كانت حملة الارهاب العنيف التي شنها الطاغية صدقي في ١١ يوليو ١٩٤٦ قد فشلت برغم أنها كانت أعنف حملة شنتها الرجعية المصرية الحاكمة ضد القوى الوطنية واليسارية . فقد أغلقت كل النوادي التقدمية وأغلقت كل الصحف المعارضة ، الوفد المصري - البعث - الطليعة - أم درمان - الضمير - الفجر الجديد - الجبهة - اليراع . . . وغلف ذلك كله في حمله دعاوية عن القبض على اكبر قضية شيوعية . .

لكن مصر ما لبثت أن استعادت أنفاسها سريعا ، وعادت تنشئ هجومها المضاد . . وافرغ القضاء عن المتهمين .

وخرجت « صوت الأمة » لسان حال الوفد المصري بموضوع استغرى كل صفحاتها الأولى كان عنوانه « خفايا قضية الشيوعية الكبرى . . قصص لم يسبق لها مثيل في التاريخ » اتهمت فيه صدقي بالتلفيق والتضليل والاجرام في معاملة المقبوض عليهم . . بل انها اتهمت حملته بأنها « حملة صليبية عنصرية » . . « ولم يفت صدقي باشا أيضا أن يضيق عمليا ما تعلمه من أستاذه هتلر فكما كان هتلر يحارب خصومه الوطنيين الديمقراطيين تحت ستار محاربة الشيوعية والشيوعيين فقد فعل كذلك صدقي باشا بتجريد « حملة صليبية » على الكثيرين من الذين يعاديهم لوطنيتهم وديمقراطيتهم فاتهمتهم بالتآمر على قلب نظام الهيئة الاجتماعية ، وتغيير المبادئ الدستورية الأساسية بالعنف ، وجند رجال الحكومة وكبار المسؤولين فيها للقيام بالحملة الصليبية الهتلرية » (١) .

كانت مصر تستعيد أنفاسها سريعا وتحركت الطبقة العاملة في اضرابات واسعة ، أضرب عمال شركة نسيج الفيوم بشبرا الخيمة واعتصموا بالمصنع واصطدم بهم البوليس واقتحم المصنع وطردهم عنوة . . وأضرب عمال شركة باتا . . وأضرب عمال شركة سباعي للنسيج . . وتضاعفت حركة الاضرابات العمالية « تصاعدا غير مسبوق » (٢) .

١ - صوت الأمة ، ١٢ - ١ - ١٩٤٧

٢ - طارق البشرى - مقال - مصر والثورة الاجتماعية ١٩٤٧ - ١٩٤٨ -

مجلة الكاتب - يناير سنة ١٩٦٨ .

وكان أهم هذه الاضرابات اضراب عمال شركة المحطة الكهربائية (٢٦٠٠٠ عامل) واصطدمت جموع العمال المضربين بالبوليس وقوات الجيش التي اجتلبت المدينة (١) .

... كانت مصر تستعيد أنفاسها ، وتشن هجومها المضاد بأعنف وأشد مما تصور الرجعيون ، وفي هذا الخضم من الاحداث ، بل وتقويجها لها قرر تنظيم « الشراة » (ايسكرا) أن يصدر « الجماهير » سلاحا في المعركة ، وتحديا لحملة ارهاب الشيوعيين ، وبدلا عن الاندية والخابر العلنية ومختلف أوجه النشاط الطغى التي صادرها صدقى ...

وقد تطلبت العلاقة بين « الجماهير » كمجلة علمية أسبوعية تصدر بشكل مباشر عن قيادة تنظيم « ايسكرا » وبين التنظيم نفسه نوعا من الترتيب الخاص ، حرصت قيادة « ايسكرا » على رسم خطوطه بشكل يمكن سيطرة كاملة من جانب التنظيم على المجلة وسياستها ويكفل في نفس الوقت أمن التنظيم ، بحيث لا تصبح « الجماهير » مصيدة لأعضائه ..

وقد تكونت قيادة سياسية للجماهير مكونة من خمسة من كوادر ايسكرا شهدي عطية الشافعى - عبد المعبود الجبيلى - سيدى سالمون - محمد سمير أحمد - ايلي ميزان .

وكان شهدي مسئولاً سياسياً للمجلة ، وفي نفس الوقت استدعى عدد من كوادر « ايسكرا » للمشاركة في التحرير والتوزيع والاعمال الادارية الأخرى ..

فقولى « نقولا ورد » سكرتارية التحرير ، بينما تولت مختلف مكاتب التنظيم الاشراف من خلال ممثلين لها على تحرير صفحات كل اختصاصه .

فعاشرة الطلبة كانت تشرف على تحرير صفحة الطلبة والموضوعات الخاصة بالطلالـب وتتقوم بتحريرها من خلال ثلاثة مندوبين أساسيين (عبد المنعم الغزالي - جمال شلبي - سعد زهران) وكذلك دائرة العمال ودائرة النساء ..

كذلك كانت خلايا التنظيم تقسم بتوزيع الجزء الأكبر من أعداد المجلة بينما يطرح جانب قليل من النسخ لدى بائعى الصحف .. وهكذا فان « ايسكرا » قد أتمت شبكة اتصال خاصة تقوم بتوصيل « الجماهير » الى القواعد ومنها الى القارئ .

١ - المصرى - الفترة من ٤ الى ٢٤-٢٩-١٩٥٧

وكان يشرف على عملية التوزيع في القاهرة ابراهيم الخاسترلى وفي بحرى
عبد المنعم الغزالى .

وتغطية لأبواب المجلة المختلفة تكونت مكاتب خاصة ، فقد تكون مثلا
مكتب للشئون الخارجية يتولى دراسة قضايا السياسة الخارجية والاشراف
على تحرير المواد الخاصة بها في المجلة وضم هذا المكتب : محمد سيد أحمد
- أنور عبد الملك - روبري نكتون - ابراهيم الخاسترلى - نقولا ورد .

وهكذا تكونت داخل « الجماهير » كمدير على شبكة من الاجهزة التنظيمية
ذات الاختصاصات المختلفة . . وكان لا بد من ايجاد شكل للربط بينها ومنع
أى تداخل فى اختصاصاتها ، وكذلك منع أية علاقة غير تنظيمية غير سليمة .
وهكذا تكونت لجنة خاصة للتنسيق بين عمل هذه المجموعات المختلفة ومنع
التداخل بينها ومنع العلاقات والاتصال الجانبية وقد أسميت « لجنة تنظيم
اللجان » وكان مسئولها سيدنى سلامون .



ومن أبريل حتى مايو ظلت « الجماهير » مجلة لايسكرا ، وفي يونيو -
يوليو ٤٧ تمت الوحدة بين الحركة المصرية للتحرر الوطنى (ح . م) وبين
تنظيم الشرارة (ايسكرا) وتأسست منظمة « الحركة الديمقراطية للتحرر
الوطنى » (حدتو) وأصبحت « الجماهير » منبرا سياسيا لهذا التنظيم
الجديد .

وبطبيعة الحال تغير المكتب السياسى المسئول عن المجلة بأن أبعد عنه
اثنان أحدهما محمد سيد أحمد وأضيف اليه اثنان من ح . م هما كمال شعبان
وعبد هب .

ويروى عبده ذهب قصة انضمامه « للجماهير » فيقول « الجماهير كانت
أصلا مجلة لايسكرا قبل أن نتحد معهم ، وعندما اتحدنا فى الحركة الديمقراطية
كان الاتفاق أن يكون المسئول السياسى والتنظيمى فى جميع المستويات من
ح . م ومسئول الدعاية ومسئول العمل الجماهيرى من لايسكرا .

ونتيجة للوحدة صار ضمى الى « الجماهير » كمسئول سياسى لكن
شهدى عطية المسئول السياسى للمجلة أيام لايسكرا لم يقبل هذا الوضع . وبعد
صراع اتفق على أن تشرف ل . م مباشرة على المجلة » (١) .

١ - راجع النص الكامل لمحضر النقاش مع عبده ذهب فى - د . رفعت
السعيد . اليسار المصرى ١٩٢٥ - ١٩٤٠ ، المرجع السابق ص ٢٩٧ .

وثمة رواية أخرى مكملّة لهذه الواقعة وهي انه في أعقاب هذا الخلاف
واسناد الاشراف السياسى الى اللجنة المركزية . . تولى كمال شعبان المسئولية
التنظيمية في المجلة وتولى عبده دهب مسئولية التوزيع * .

وسرعان ما تغير شكل المجلة واسلوب تحريرها ، وكان أهم تغير هو
حرص « الجماهير » على ابراز نفسها كمنبر علنى لتنظيم شيوعى هو حديثه .

ولم يمر ذلك التغير بسهولة ، فقد كان تعبيراً عن صراع مرير داخل
القيادة الموحدة .

مجموعة « ح . م » ترى انه يتعين فرض علنية العمل السياسى الحزبى
من خلال تأكيد مشروعيته رويدا رويدا ، وفرض هذه المشروعية خطوة
خطوة .

بينما مجموعة « ايسكرا » ترى أن تستمر « الجماهير » منبر سياسى
عام وأن يظل النشاط الديمقراطى مستقلاً تماماً ومتباعداً عن العمل الحزبى
واذا كان لا بد من اقامة خيوط بين العمل الحزبى السرى والعمل الديمقراطى
العلنى فانه يتعين أن تكون خيوطاً غير مرئية وأن تقيم العلاقة في سرية
مطلقة . .

وانتصر تيار « ح . م » ، وبعد أن كانت « الجماهير » كمنبر لاييسكرا
لا يظهر فيها أى اسم علنى سوى اسم محمود النبوى رئيس التحرير
أما بقية الاسماء فكلها مستعارة لاحظنا أن العدد ١٦ الصادر في ٢١ يوليو
١٩٤٧ يتضمن نص بيان صادر باسم « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى »
وقد قالت « الجماهير » تبريراً لنشرها لبيان صادر عن تنظيم شيوعى سرى
« جاءنا البيان التالى نقتطف منه ما يلى » وفي العدد التالى يظهر أول
توقيع علنى للمسئول السياسى عن المجلة « شهدى عطية الشافعى » حيث كتب
افتتاحية العدد بعنوان « اننا لا نريد أى استعمار انجليزى كان أم
أمريكى » (١) .

ثم يوالى « شهدى » توقيع افتتاحية عديدين تالين العدد ١٨ وعنوان
افتتاحيته « الشعب يئن من الغلاء وأقلية تتمتع بالنايلون والباكار » (٢)
وافتتاحية العدد ١٩ « أيها الشعب عبر عن سخطك على الاستعمار » (٢) .

* ابراهيم المناسقرلى :

١ - الجماهير ، ٢٨ - ٧ - ١٩٤٧

٢ - الجماهير ، ٤ - ٨ - ١٩٤٧

٣ - الجماهير ، ١١ - ٨ - ١٩٤٧

ونلاحظ أن نفس العدد يتضمن بياناً صادراً عن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني بعنوان « بيا عمال الشحن بمينائى بور سعيد والسويس كانوا فى سبيل أندونيسيا » .

وبعد ذلك أخذ « محمود التبوى » يوقع الافتتاحية من جديد حتى وقعت تغييرات أساسية فى « الجماهير » نتجت عن مشاكل تنظيمية داخل حذوة وذلك عندما تزعم « شهدى » وهو المسئول السياسى للمجلة ما أسمى « بالتكتل الثورى » وانضم إليه أنور عبد الملك وسعد زهران وحسين الغمرى وآخرون وتطلب الأمر شل يد « التكتل » عن المنبر العلنى . . وهكذا كانت آخر افتتاحية كتيبية: شهدى بعنوان « كوليرا سياسية » (١)، وقد وقعها بالاسم الذى اعتاد التوقيع به فى الأعداد الأولى للجماهير وهو « حمدى » وتولى المسئولية السياسية عن « الجماهير » من بعده شخص آخر سنرمز له بالأحرف « ع ١٠ » (فقد أعرب عن رغبته فى ألا يذكر اسمه) .

على أية حال فقد وقع هذا المسئول الجديد ما كتبه من افتتاحيات باسم « محمد عباس » وهو على وجه اليقين اسم مستعار ، وذلك حتى لا يظن بعض الباحثين أن كاتب هذه الافتتاحيات هو محمد عباس سيد احمد الذى كان فى البداية أحد مسئولى الجماهير ، ثم ترك العمل فيها بعد الوحدة مع « ح . م » لكن المهم هو أن « ع ١٠ » هذا لم يكن جديداً عن الجماهير بل انه شارك فيها، منذ بدايتها مسئولاً لمكتبه العمال بيتاً . *

وفى العدد الأول أعلنت « الجماهير » ... أن عنوان مقرها هو ١٦ شارع الملكة فريدة لكنها فى العدد الثانى تبشيرة تعلن أن عنوان مقرها ٣٣ شارع الملكة نازلى وهى شقة قديمها أحد أعضاء التنظيم . . واستمرت « الجماهير » بهذا المقر حتى لاحظنا فى العدد ١٢ بعنوان يقول « مطلوب شقة للإيجار فى حدود خمسة جنيهات » (٢) .

وبإتداء من العدد ١٥ استقرت « الجماهير » فى مقرها الجديد ٢٢

١ - الجماهير ، ٢٨ - ٩ - ١٩٤٧

* يمكن القول بأن معظم المعلومات السابقة مستقاة من مناقشات متعددة مع محمد سيد احمد - ابراهيم الناسترلى - عبده ذهب - عبد المنعم الغزالى . وقد توانت رواياتهم للأحداث وكملت بعضها البعض . . وقد استقلت من هذه الروايات ما لم تجمع عليه الروايات المختلفة .

٢ - الجماهير ، ٢٣ - ٦ - ١٩٤٧

شارج للجامع الاسماعيلي : لكن الجديد ، والملفت للنظر هنا هو أن « الجماهير » بدأت تتخذ لنفسها مقارا ومكاتب في الاقاليم .

فبعد الوحدة مع ح . م قدمت منطقة ح . م في الاسكندرية ممتزا قابضا « للجماهير » يعلن عنه في العدد ١٨ « مكتب الجماهير بالاسكندرية » . افتتحت مجلة « الجماهير » مكتبها بالاسكندرية ذاعية اهالي الاسكندرية الى ارسال شكاواهم ومقترحاتهم اليه » .

ثم ما لبثت « الجماهير » ان أعلنت عن افتتاح مقر جديد لها في مدينة بورسعيد وذلك في العدد ٢٢ « الى اهالي بورسعيد - ارسلوا طلباتكم ومقالاتكم الى وكيل مكتب « الجماهير » الأستاذ حسن محمد الغضيان - ادارة « الجماهير » ببورسعيد » (١) .

وفي عدد تال تذكر « الجماهير » قراءها في بورسعيد بأن « مكتب ادارة مجلة « الجماهير » - الأستاذ محمد حسن الغضيان بشارعي الحميدى والقرافى قسم ثان ٢٢٢٦ » (٢) .

وفي مدن أخرى أيضا . « الجماهير في بسيون - تباع مجلة الجماهير بمحل الأستاذ جندى فهمى للتاجر بجوار محطة بسيون » (٣) .

وفي محاولة لمزيد من الالتصاق بالعمال تعلن « الجماهير » عن تكوين مكتب قانونى ، يقدم استشارات قانونية مجانية للعمال . . . لا تلبث « الجماهير » أن نمد نشاط هذا المكتب ليقدم مختلف الفئات مجانا .

وتنشر « جانا من الريف خطابات نتهمنا بالتحيز للعمال وحدهم واننا قد قصرنا المكتب القانونى عليهم دون بقية الطوائف . . . وها نحن نعين ان مكتبنا القانونى مستعد ان يقدم خدماته لزملائنا من جميع الطوائف والامتنشارات كل يوم بين الساعة الخامسة والسابعة مساء ما عدا يوم الجمعة » (٤) .

وفي عدد آخر . « مكتب الجماهير » القانونى في خدمة الشعب . الى العامل في مصنعه . الى الفلاح في حقله . الى الطالب في مدرسته . الى جميع المواطنين الذين في حاجة الى مساعدة قانونية ان مكتب الجماهير القانونى في خدمتكم . . » (٥) .

-
- ١ - الجماهير ، ٦ - ٩ - ١٩٤٧
 - ٢ - الجماهير ، ١٤ - ٩ - ١٩٤٧
 - ٣ - الجماهير ، ٦ - ٩ - ١٩٤٧
 - ٤ - الجماهير ، ٢٨ - ٩ - ١٩٤٧
 - ٥ - الجماهير ، ٥ - ١٠ - ١٩٤٧

ولم يكن ذلك كله الا تعبيراً عن تحول سياسى طرأ على موقف « الجماهير » وهو تعبير عن نجاح تيار ح.م في فرض فكرته حول ضرورة التحول « بالجماهير » الى وجه علنى للتنظيم السرى في محاولة لفرض علنية او بالحققة مشروعية العمل الحزبى . وقد تجلّى هذا التحول في عديد من المظاهر ابتداء من نشر بيانات حذتو . الى افتتاح مقار « للجماهير » في عدد من المدن تحولت نتيجة لاسلوب ح.م في العمل الى مقار للتنظيم نفسه . ثم تجلّى أيضاً في بدء ظهور الاسماء الحقيقية للكتاب .

وبعد أن كانت « الجماهير » لا تحمل الا اسما علنيا واحدا هو محمود النبوى رئيس التحرير بينما توقع باقى المقالات بأسماء مستعارة فاننا نلاحظ أن كثيرا من الاسماء بدأت تبرز وخصوصا أسماء كوادى ح.م .

وإذا أخذنا أحد الاعداد كمثال نجد أن العدد ٢٥ يتضمن عديدا من الاسماء العلنية فنجد المقالات التالية « النوبيون يشردهم الاستعمار - فيكسافحون لتحسين أحوالهم - زكى مراد » « شاعر مداح يهاجم الشعب - أبو الحسن الغنيمى » « مأساة خلقية - حسن محمد الغضبان » وذلك بالإضافة الى عدد من الاخبار والمقالات ، والشكاوى العمالية بتوقيع ابراهيم نصير - محمود الفجار - محمود الصاوى - محمد محرات وكلها أسماء حقيقية لكوادى نقابية . (١)

وهكذا نلمح تحولا حقيقيا في مسلك « الجماهير » قد يختلف البعض في تقييمه وفي تقييم نتائجه ، لكننا نشبته هنا كواقعة تاريخية . وهى أن وحدة « ح.م » مع « ايسكرا » قد أدت الى فرض مزيد من العلنية على منهج « الجماهير » . كذلك فانها قد حولت « الجماهير » لتصبح بالفعل منبرا يعلن عن نفسه كلسان حال لتنظيم شيوعى هو « حذتو » .

بل أن « الجماهير » قد بدأت تتصرف في بعض الاحيان وكأنها منبر حزبى بالفعل . ولعل خير مثال على ذلك هو محاولتها المشاركة في الحملة الدعائية التى نظمت للقضية المصرية في نيويورك والتى شارك فيها ممثلون لأحزاب عديدة .

وقد حاولت « الجماهير » ايفاد رئيس تحريرها محمود النبوى . لكنه منع من السفر بعد أن سمح له بالصعود الى المركب . وتنتشر « الجماهير » الخبر بعنوان « الحكومة تحول بين « الجماهير » وعرضها القضية في النطاق الدولى فتمنع بالقوة رئيس التحرير من السفر الى الخارج » .

وتشير في هذا الخبر الى أن البوليس قد منع النبوى من السفر بالقوة بالرغم من استيفائه كل الاوراق والوثائق اللازمة وأن البوليس أبلغه « ان أوامر وزارة الداخلية وادارة الامن العام بأن يمنعه من السفر بالقوة » .

وقدم محمود النبوى شكوى الى النيابة ورفع دعوى مستعجلة ضد وزارة الداخلية وأبرق بشكواه الى نقابة المحامين ونقابة الصحفيين ولجنة حقوق الانسان العالمية ورابطة المحامين في العالم والى الاتحاد العالمى للصحفيين « (١) » .

لكن « الجماهير » لم تياس وقررت أن توفد مندوبا مدعوما بحملة جماهيرية فنشرت « مانشيت » . « الجماهير تقرر ايفاد مندوب الى مجلس الأمن » وعنوان الخبر « الجماهير تخرج للكفاح في النطاق الدولى » ثم نقول « ظهر العدد الاول من « الجماهير » وعلى صفحته الاولى كتبتنا انها ليست مجرد اسم يوضع في صدر صحيفة انما هي أعرق من هذا بكثير ، فهي صوت الملايين من العمال والفلاحين والطلبة والمثقفين الوطنيين تناضل استعمارا بغضبا وتنشد استقلالاً كريماً . وصدر بعد العدد الاول خمسة عشر عدداً تنبئ كلها بصدق كفاحنا وصلابة نضالنا واننا وان قصرنا دعايتنا وكفاحنا الوطنى على النطاق الداخلى جذلى الآن الا أن الظروف التاريخية التى تمر بها قضية الوادى تحتم كذلك القيام بواجبنا نحو التحرر الوطنى لسكان وادى النيل فى النطاق الدولى ، اننا نذهب الى مجلس الامن لنقوم بواجبنا المقدس نحو القضية واضعين نصب أعيننا أن مصالح الوطن وأهدافه فوق كل اعتبار . لذلك قررت أسرة « الجماهير » رغم ما تعانيه من عسر مالى ايفاد الزميل محمد عبد المعبود الجبيلى مندوباً عنها الى نيويورك للقيام بالدعاية للقضية الوطنية أثناء عرضها على مجلس الامن ، وليسمع العالم صوت « الجماهير » مدوياً عالياً ، مطالباً بالجلء الفاجز الشامل عن وادى النيل دون قيد أو شرط ، دون معاهدة أو تحالف ، . . . ونحن اذ نقرر هذا نتجه الى الشعب المصرى فاتحين اكتبنا شعبياً عاماً نسد به جزءاً من تكاليف هذه المهمة الوطنية » (٢) .

وفي نفس العدد تنشر « الجماهير » نص خطاب وجهه محمد عبد المعبود الجبيلى الى « حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية » جاء فيه « لقد شرفتنى مجلة « الجماهير » الوطنية المناضلة ضد الاستعمار بانتدابى للقيام بالدعاية للقضية الوطنية فى النطاق الدولى أثناء عرض

١ - الجماهير ، ٧ - ٧ - ١٩٤٧ .

٢ - الجماهير ، ٢١ - ٧ - ١٩٤٧ .

القضية على مجلس الامن . لذا فاننى اطلب من دولتكم بوصفكم رئيسا للوزراء ان تسهلوا لى اجراءات السفير الرسمية وأن تتدخلوا لدى وزارة المالية لتسهيل حصولى على الصلوات اللازمة نظير نفود مصرية حتى استطيع أداء واجبى الوطنى فى هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ كفاحنا الوطنى . ونظرا لأن ادارة الامن العام قد ارسلت كشفا بأسماء عدد كبير من المعارضين الوطنيين الى بوليس الموانئ والمطارات ليمنعهم من السفر الى الخارج . . ونظرا لأنه بلغنى أن اسمى من بين هؤلاء المنوعين من السفر فاننى اطلب من دولتكم بصفتكم وزيرا للداخلية التدخل لوقف هذا العدوان على القساون والدستور . نحرمانى من السفر الى أمريكا فى الظروف الحاضرة فضلا عن أنه اعتداء على الحريات التى يكفلها لى الدستور ، فانه اعتداء على حتى وواجبى المقدس فى الدعاية لأفضية بلادى والدفاع عنها أمام الرأى العام العالمى » .

لكن الامر لم يكن بهذه السهولة ، فاذا كانت « الجماهير » قد نجحت فى اجراج للوزارة ووضعها فى مركز يشل يدها عن منع مندوبها من السفر . . فان هناك السفارة الامريكية التى رفضت منح مندوب « الجماهير » تأشيرة دخول الى الولايات المتحدة . . وتشن « الجماهير » حملة عنيفة على السفارة الامريكية قائلة « لم يكن الزميل عبد المعبود ليريد السفر الى أمريكا حبا فيها ولما لان مجلس الامن - لسوء الحظ - موجود فى أمريكا ، والسفارة الامريكية ليس من حقها مطلقا أن تمنع واثنا مصريا من الدعاية للقضية الوطنية بالنسبة التى تستخدم مصر . . ان حرمان السفارة لمواطن مصرى فى الوقت الذى تمنح فيه الآخرين أمثال أحمد حسين ومصطفى مؤمن لدليل قاطع على أن أمريكا تريد أن تكون الدعاية للقضية المصرية بالطريقة التى لا تفصح نابعها الاستعمار البريطانى . . نحن نقول لأمريكا اليوم ، انظرى ما مصر حقير وتتر - وعكنا سيكونون مصر كل من يفرض على الشعوب استبداده ونحكمه وسيادته ويحاول التدخل فى حرياتنا » (١) .

وما يعيننا هنا هو أن محاولة « الجماهير » ايفاد مندوب لها الى مجلس الامن قد خرجت بها - أمام الجميع - عن أن تكون مجرد مجلة يسارية . واظهرتنا كلسان خال لمنبر سياسى منظم يريد أن يقول كلمته أمام الرأى العنلم العالمى خلال عرض القضية أمام مجلس الامن مثلما حاولت بقبلة الاحزاب السياسية الاخرى أن تفعل .

وقبل أن تصدر « الجماهير » نظمت ايسمكرا حملة اكتساب ناجحة في صفوف أعضاء التنظيم وأصدقائه ويقال أنه قد تم جمع مبلغ أربعة آلاف جنيه * وهو مبلغ كبير بغير شك . وظلت « الجماهير » تدوم على جمع تبرعات من أصدقائها وقرائها . . وكانت في دعوتها هذه تسلك منهجا سياسيا وتمويليا معا بمعنى أنها كانت تحقق هدفين الاول سياسى يتحقق من خلال حشد أكبر تأييد شعبى للجماهير . . والثانى ويتمثل فى جمع أموال كانت ضرورية بالفعل لاصدار الاعداد التالية .

وتزخر صفحات « الجماهير » بقوائم عديدة للمتعبرين أهم ما يلفت النظر فيها هو الاشكال التنظيمية الواسعة ذات الطابع الجبهوى تكونت حول « الجماهير » مثل « لجنة أنصار الجماهير بالظاهر » وقد جمعت تبرعات قيمتها جنيها واحدا (١) .

« لفيف من عمال المحلة » و « طلبة كلية العلوم بالاسكندرية » (٢) و « من أهالى قرية ميت يعيش » (٣) .

ولم يكن تكوين هذه الاشكال التنظيمية الواسعة « لمساعدة » « الجماهير » عملا تلقائيا ، بل كان نتيجة دعوة وجهت على صفحات « الجماهير » تحت عنوان « نداء . . للملايين أينما العمال والفلاحون والطلبة والمثقفون . . » جاء فيه « أنتم الذين بعثتم « الجماهير » من صفوفكم ونضالكم فى سبيل الخبز والحرية والاستقلال . وللجماهير أعداء وأعداء ، الاستعمار بأمواله وجنوده والرجعية بصفحاتها المأجورة ، وهى تتحالف اليوم على مجلتكم ، وتضع العراقيل فى طريق نضالها . . نضالكم . . ونحن نهيب بكم أن تتبرعوا بقرؤسكم للجماهير ، فكل قرش تدفعونه هو مسهم تدفعونه فى نعش الاستعمار والطغيان والاستبداد . فلتنشئوا أسرا « للجماهير » أينما وجدت الجماهير فى المصنع والقرية والمعهد والمدرسة ولتقم الاسرة بحملة التبرعات . ان « الجماهير » تنادىكم وهى واثقة من تلبية النداء . والنصر للجماهير » (٤) . ورغم حملة التبرعات الناجحة فان « الجماهير » توجه نداء الى « الزملاء قراء هذه المجلة - لئلا أيدتمونا ، ولكن مجلتكم غدت موضع اضطهاد وهى تتحمل أعباء مالية فوق طاقتها - لا يجب أن تدعوا المال ليكون عقبة فى سبيل اخراج

* عبد المنعم الغزالي .

١ - الجماهير ، ١٩ - ٥ - ١٩٤٧ .

٢ - الجماهير ، ١٩ - ٦ - ١٩٤٧ .

٣ - الجماهير ، ٢٣ - ٨ - ١٩٤٧ .

٤ - الجماهير ، ١٤ - ٧ - ١٩٤٧ .

هذه المجلة فهي مجلتكم وليس لها من مورد غير اشتراكاتكم وتبرعاتكم . .
ان كل قرش تتبرعون به هو عون للجماهير للدفاع عن حقوقكم عن حرياتكم العامة
للكناح ضد الاستعمار « (١) » .

وتتوالى قوائم التبرعات من جديد لكن يبدو أنها لم تكن كافية وتوجه
« الجماهير » من جديد نداء حار يكتبه محمود النبوي بعنوان « لن يستطيعوا
اخماد صوت « الجماهير » فهو يرتفع مدويا « جاء فيه « لقد ارتفع صوت
مجلتكم عاليا منذ اللحظة الاولى يناصر الاستعمار العداء ولا مورد مالي لها
الا اشتراكاتكم وتبرعاتكم . وهاهو البوليس السياسى يحاربها ، وها هم
الاخوان المسلمون يعاكسونها . وها هم أصحاب كثير من الاعلانات يقاضونها
فهل تختفى مجلتكم تحت العبء المالى ؟ أو هل تقلل من صفحاتها . . كلا . .
كلا . . ان كل صفحة تنقص من « الجماهير » كسب للمستعمرين والمستغلين ،
ان اختفاء « الجماهير » ضربة للحركة الوطنية وطعنة للديمقراطية واضرار شديد
بالحركة العمالية . . اننا واثقون بكم . . معتمدون عليكم مطمئنون الى
تأييدكم . ان بقاء « الجماهير » سلاحا ماضيا يدافع عن مصالحكم قد
أصبح معركة . . فليكن شعاركم فى كفاحكم من أجل « الجماهير » .

اشتركوا « الجماهير » . .

اقرأوا « الجماهير » . .

اشتركوا فى « الجماهير » . .

تبرعوا « للجماهير » .

« فالجماهير » مجلتنا نحن العمال والفلاحين والطلبة والموظفين « (٢) » .
وتنهال التبرعات من جديد . . لكن الازمة المالية تبقى ملازمة دوما
« للجماهير » .



واذا كانت قوائم التبرعات المتتالية تعبر عن شعبية المجلة وارتباطها
بقرائها فان أرقام التوزيع تقدم لنا أيضا صورة واضحة تشير الى أن
« الجماهير » كانت بغير شك أوسع صحف اليسار انتشارا وانها حققت أرقاما
فى التوزيع تفوق بمقاييس ذلك العصر كل التوقعات .

يقول عبده دهب : كانت « الجماهير » توزع ١٢٠٠٠ نسخة أسبوعيا «

١ - الجماهير ، ٢١ - ٤ - ١٩٤٧

٢ - الجماهير ، ٢٣ - ٨ - ١٩٤٧

ويقول الغزالي كانت توزع عشرة آلاف نسخة . .

لكننا نستطيع أن نحصل على أرقام أكثر دقة .

« ولقد طبعنا من العدد الاول ٢٠٠٠ نسخة وزعت جميعا ، ثم زاد الطبع بحيث تراوح بين ٧٠٠٠ و ٥٠٠٠ ، وقبل الوحدة مع ح . م كنا نطبع ١٠٠٠٠ ارتفعت بعد الوحدة عن ذلك » * *

وهكذا تتقارب التقديرات لترتفع الى ما هو أكثر من عشرة آلاف نسخة وهو بمقاييس ذلك العصر توزيع ضخم بالنسبة لمجلة أسبوعية . .

ونود أن نشير هنا الى أن « الجماهير » كانت تعتمد في توزيعها أساسا على شبكة من الموزعين الحزبيين الذين لم يكتفوا بتطوعهم بعملية التوزيع كواجب سياسى يقتضى مداومة الاحتكاك بالشعب وانما كانوا - وفقا لتقليد ثابت - يسدون ثمن الاعداد مقدما فيحلون بذلك كثيرا من المشاكل المالية والادارية للمجلة .

ان أرقام توزيع « الجماهير » يجب أن تؤخذ ليس فقط كدليل لنجاح مجلة . . وانما - وفي الأساس - كدليل على جماهيرية منظمة .

وكانت « الجماهير » تصدر أسبوعية كل يوم اثنين وظلت منتظمة في الصدور حتى العدد ١٨ الذى صدر في يوم الاثنين ٤ أغسطس ١٩٤٧ . ثم يصدر العدد ١٩ في ١٩ أغسطس دون اشارة الى اليوم . أما العدد ٢٠ فيصدر بعد اثني عشر يوما أى يوم ٢٣ أغسطس ١٩٤٧ وهو يوم سبت . ويستمر صدور « الجماهير » يوم السبت لمدة ثلاثة أعداد فقط هى الاعداد ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ .

وهذا العدد الاخير صدر يوم السبت ٦ سبتمبر ١٩٤٧ لكن العدد الذى يليه أى العدد ٢٣ يصدر يوم الاحد ١٤ سبتمبر وتستمر « الجماهير » بعد ذلك في الصدور كل يوم أحد .

ويفسر الذين ناقشتهم من الذين عملوا في « الجماهير » ذلك تفسيراً فنياً بحثاً وهو أن « الجماهير » كانت تبحث عن يوم من أيام الاسبوع ليس فيه منافسة شديدة من مجلات أسبوعية أخرى تصدر في نفس اليوم .

* ابراهيم المناسطلى

ولنا ملاحظة أيضا على العدد الاول من « الجماهير » فقد صدر خاليا من تاريخ صدوره وثمن العدد وعنوان ادارة المجلة .

ولقد تصورت في بادى الامر أنه مجرد خطأ فني ينم عن قلة خبرة أصحاب المجلة بالعمل الصحفى .

لكن البعض * أكد لى أن الامر كان متعمدا . وأنه حتى مرحلة طبع العدد الاول لم يكن قد تقرر بعد ما اذا كان سيوزع لدى بائعى الصحف أم يكتفى بتوزيعه بواسطة الاعضاء ومن ثم فان ذكر الثمن لم يكن ضروريا وكذلك التاريخ . أما العنوان فقد تصور البعض ألا يذكر لاعتبارات متعلقة بالامن

لكن القيادة الحزبية تدخلت في آخر لحظة وحسمت الامر مقرر ان « الجماهير » مجلة علنية ويجب أن تصدر كأي مجلة علنية أخرى وأن يكون لها ثمن محدد تباع به عن طريق الاعضاء وعن طريق المتعهدين والموزعين العاديين وأن يكون لها مقر معلن عنه .

وهكذا جمعت نسخ العدد الاول وتنفيذا لقرار القيادة تم ختمها بخاتمين الاول في الصفحة الاولى يحدد أن الثمن عشرة مليمات ، والتالى في صفحة ١١ يحدد ان عنوان مقر المجلة هو ١٦ شارع الملكة فريدة ويلاحظ أن هذا العنوان قد تغير في العدد الثانى مباشرة ليصبح ٣٣ شارع الملكة نازلى .

أما تاريخ صدور العدد الاول فقد لاحظت أنه قد كتب في أكثر من نسخة امكنى الاطلاع عليها بالقلم الحبر ٧ أبريل ١٩٤٧ » .

ولقد اهتمت اهتماما خاصا بالاشارة الى هذه الملاحظات ليس فقط لانها جزء من الحدث التاريخى ، وانما لانها ذات دلالة سياسية فهى تعبر عن تردد قيادة « ايسكرا » تجاه أسلوب وطريقة عمل « الجريدة » كمنبر علنى .

* * *

وكانت « الجماهير » كعادة الصحافة اليسارية المصرية تستخدم أسلوب البراويش والشعارات الاثارية التى تنتشر في مختلف الصفحات .

* ابراهيم الناسترلى *

وإبتداء من العدد السابع بدأت في تخصيص مساحة أسفل الصفحة الأخيرة لشعار « ان كل قرش تدفعونه في الجماهير مسمار تدقونه في نعش الاستعمار » (١) .

وفي نفس المكان في العدد التالي « مجلة الجماهير » مجلة التحرير الوطني . مجلة الكفاح ضد الاستعمار وأذنبه « (٢) » . وفي الاعداد من ٩ الى ١٦ بثبت الشعار التالي في نفس المكان « الجماهير مجلة الملايين . . تعبر عن آلامهم وآمالهم » .

بل ان الأبواب الثابتة في « الجماهير » كانت تتخذ لنفسها عداوين ذات طابع اثارى . فباب العلوم عنوانه « ليست مهمة المفكر تفسير العالم فحسب . . وانما مهمته عمى تغييره الى عالم أفضل » (١) .

والباب المخصص لشكاوى الجماهير بعنوان « الجماهير تتشكو . . الجماهير تفضح » وشعاره « تكلموا فان السكوت معناه الموت » (٢) . أما صفحة العمال فان عنوانها « نحن نبني . . وهم يهدمون » .

وكان الكاريكاتير سلاحا هاما من أسلحة مجلة « الجماهير » ولعله من حق « الجماهير » علينا ان نسجل لها انها كانت أول صحيفة يسمارية تستخدم الكاريكاتير هذا الاستخدام الواسع ، وبمضمون سياسى يسمارى . .

لقد كانت « الجماهير » باكورة للكاريكاتير اليسارى . . ذلك الاتجاه الذى ازدهر فيما بعد خالفا مدرسة متكاملة من فن الكاريكاتير اليسارى . .

وكان أحد رسامى الكاريكاتير في « الجماهير » هو الرسام طوغان وكان في ذلك الحين طالبا في مدرسة التجارة المتوسطة حيث كان يعمل شهيدى الشافعى مدرسا .

وعن طريق شهيدى عرف الطالب الفنان طريقة الى « الجماهير » . .

لكن نفوذ الحركة وسط الفنانين التشكيليين قد انعكس بصورة واسعة على صفحات الجماهير في صورة رسوم تشكيلية وكاريكاتير وتوضيب راقى وقد لعب دورا هاما في ذلك عدد من الفنانين منهم داود عزيز الذى قدم عددا من لوحات الصفحة الاولى دون توقيع .

١ - الجماهير ، ١٢ - ٥ - ١٩٤٧

٢ - الجماهير ، ١٩ - ٥ - ١٩٤٧

٣ - الجماهير ، ٣٠ - ٦ - ١٩٤٧ .

٤ - الجماهير ، ٢٣ - ٦ - ١٩٤٧ .

وابتداء من العدد التاسع عشر الصادر في ١١ أغسطس ١٩٤٧ تخدّم
الرسوم التشكيلية نهائيا ٠٠ وتمتنع « الجماهير » عن تقديم الكاريكاتير على
صفحاتها وتحل محل لوحة الصفحة الاولى ٠٠ صورة فوتوغرافية ٠٠



واذا كان من حق « الجماهير » علينا ان نبرز دورها في استخدام
الكاريكاتير السياسى كعمل رائد في صحافة اليسار ، فانه يتعين علينا ايضا
ان نشير الى انها كانت رائدة ايضا في مجال التحقيق الصحفى « الريبورتاج » .
« والريبورتاج » يظهر لأول مرة - بالنسبة للصحف اليسارية - ر
« الجماهير » .

وهو يظهر فيها عملاقا متمرسا يستحق الاعجاب بالفعل سواء من ناحية
الشكل ٠٠ والفن الصحفى أو المضمون الطبقي .

فالريبورتاج السياسى كان وسيلة أساسية ، وربما كان الوسيلة الاولى
التي استخدمتها « الجماهير » للتعبير عن موقفها الطبقي المتميز من كثير من
المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية ٠٠

والنماذج كثيرة بغير حصر ، وكلها تستحق التأمل ، وتستحق الاعجاب
شكلا ومضمونا .

وقد اعتادت « الجماهير » أن تخصص للريبورتاج صفحتى الوسط
« الدوبل باج » أى صفحتى ٦ ، ٧ .

وابتداء من العدد الاول نجد ريبورتاجا بعنوان « استغلال ونضال في
شبرا الخيمة » وهو ليس مجرد عمل صحفى اثارى وانما هو بالدقة دراسة
تاريخية سياسية اقتصادية تبدأ من البداية ٠٠ « في عام ١٩٣٤ وفي طرف
القاهرة الشمالى كان فلاحو شبرا الخيمة يتطلعون في دهشة الى أول مصنع
للنسيج » ٠٠ وتمضى القصة قصة الاستغلال الرأسمالى للعمال ٠٠ الاضرابات
٠٠ العمل النقابى ٠٠ خيانة الاخوان المسلمين ٠٠ احتفالات أول مايو ٠٠ أحداث
عام ١٩٤٦ ٠٠ واللجنة الوطنية للطلبة والعمال ٠٠ الهجوم الرجعى العنيف على
كوادر شبرا الخيمة ٠٠ وفي الختام ٠٠ « حقا لقد احس عمال شبرا الخيمة
بمرارة الفشل ولكنهم يعرفون ان الصراع فشل ونجاح ، واننا نتعلم من الفشل
كما نجنى ثمرات الانتصار . هذه قصة لم تنتم ٠٠ لان قصة العمال قصة كفاح
دائب لا ينقطع » (١) .

وفي العدد التالي ريبورتاج عن تجمع عمالي آخر « سلسلة من الخيانات والمناورات والمؤامرات .. هذه هي قصة ترام القاهرة » .. والقصة تبدأ ايضا من البداية عام ١٨٩٥ عندما سار أول ترام في شوارع القاهرة .. ويستمر الريبورتاج ليحكى كفاح العمال المستمر والمتصل .. والختام يقول « ان مشكلة الترام وعمال الترام ليست مشكلة قائمة بذاتها ، وليست هي الفريدة في بابها . انما هي مشكلة الشعب المصري .. شعب يضطهده الاستعمار والشركات الاحتكارية وأذناب الاستعمار وكبار المساهمين في هذه الشركات من اجانب ومصريين .. والمعركة دائرة بين الشعب وظالميه ولن تنته المعركة ضد الظلم حتى يزول » (١) .

وتمضى الريبورتاجات الى مجال آخر « مساكن صحية .. مدارس لابنائنا .. أعمال لعاطلين .. ضمانا لحياتنا .. هذا ما يريده سكان عشش الساقية وتلال زينهم » .

وتستخدم الكلمة والكاميرا معا بنجاح تام لابرار التناقض الصارخ بين حى ارستقراطي هو « جاردن سيتى » وحى آخر شعبي يعيش في بؤس ولا يفصلهما غير شارع واحد .

ولا تفوت اصحاب هذا الريبورتاج اللحة الذكية فهم يختتمونه بوصف للحى الارستقراطي جاردن سيتى .. « واستوقف أنظارنا من بين القصور الشاهقة هناك ، قصر لامع ، تتفوح منه رائحة الشواء ، وتغمر أجوائه أزهار وورود واصطفت حوله السيارات .. واذا بأمين يصيح بى .. دى سراية البرنس عباس حليم .. زعيم العمال » (٢) .

وريبورتاج عن عيد أول مايو (٣) ، وآخر من الاسكندرية « شركة غزل سويسرية تستبد بالعمال .. احدى عشر ساعة عمل ونقابة صفراء والعمال ماضون في كفاحهم » (٤) .. ثم ريبورتاج تلعب فيه الكاميرا دورا هاما عن الفلاحين « ٨٠ بالمائة من الشعب المصري فلاحون لا يعرفون غير الفقر والمرض والجهل » وفي هذا الريبورتاج تقدم « الجماهير » برنامجا فلاحيا « اننا نطالب بتوزيع الملكية الزراعية الكبيرة .. وزيادة الاراضى المنزرعة وادخال آلات حديثة بحيث تكون تحت تصرف صغار الفلاحين المتحدين في جمعيات تعاونية » . ثم نداء « يا فلاحى مصر .. اننا نريدكم قوة تكافح الفقر الذى تقاسونه ..

١ - الجماهير ، ١٤-٤-١٩٤٧ .

٢ - الجماهير ، ٢١-٤-١٩٤٧ .

٣ - الجماهير ، ٢٨-٤-١٩٤٧ .

٤ - الجماهير ، ٥-٥-١٩٤٧ .

تكافح من أجل نقابات لكم . من أجل وحدة بينكم وبين العمال لتخلصوا مصر من الاستعمار وأذنا به « (١) .

والأمثلة عديدة بغير حصر « عمال وفلاحون بالحوامدية .. واحتكاريون بعمارة اليموبيليا » وفي عذا الريبورتاج تطالب الجماهير بحلف « من العمال واجراء الملاحين وصغار المزارعين » وتؤكد ان استغلال « هذه الشركة للشعب لن يوقفه الا نضال في سبيل وضع مثل هذه الشركة في يد حكومة تديرها لصالح الشعب .. الشعب صاحب الحق الطبيعي والذي يصنع كل شيء » (٢) .

ثم ريبورتاج عن « قناة السويس .. شعب يبني وعمال يكدون .. واستعمار يتآمر » .

ولعل من حق « الجماهير » علينا ان تذكر لها انها طالبت « بتأميل » أى « تأميم » شركة قناة السويس « فلتؤهل قناة السويس ولتصبح حقاً للشعب الذى بناها ويعمل فيها ، فلن نقبل ان تظل اداة في يد الاستعمار يستخدمها لعداء الشعب المصرى واستغلاله ، كما يستخدمها ضد السلام .. شولى » (٢) .

ولابد ان القارئ قد لاحظ من الهوامش اننى لا أنتفى وانما امضى مع الاعداد مسلسلة من العدد ١ ولابد ان ذلك وحده يكفى دليلا على ان بقاء الاعداد ومعى كثيرة تزخر بريپورتاجات اخرى .. عديدة ، وتستحق الاعجاب .

وتبقى بعد ذلك كلمة عن كتاب هذه الريبورتاجات ، وفى البداية لاحظ ان التوقيع على معظمها واحد هو « حسين حامد » وبدأت البحث عنه ، فذنى لاحظت انه يصعب على أى صحفى أن يتابع كل اسبوع كتابه ريبورتاج بمثل هذا المستوى العالى من الدراسة والتعمق فى فهم أبعاد المشاكل مع التنوع الشديد فى المشاكل المعروضة ..

وقيل لى ايضا ان هذه الريبورتاجات كان تعد بواسطة المكاتب المتخصصة .. فمكتب العمال يعد الريبورتاجات الخاصة بالعمال .. ومكتب الفلاحين كذلك .. الخ كذلك كان هناك مكتب خاص للريبورتاجات بالجماهير يجمع المواد التى ترد من المكاتب المتخصصة ثم يقوم ببحث ميدانى .. ثم

١ - الجماهير ، ١٩-٥-١٩٤٧ .

٢ - الجماهير ، ٢٦-٥-١٩٤٧ .

٣ - الجماهير ، ٥-٥-١٩٤٧ .

يصاغ الريبورتاج . كل ذلك فى عمل جماعى ينبثق فى الاساس من جماعية العمل الحزبى والهيئات الحزبية .

غير ان الكثيرين قد أكدوا لى ان « نقولا ورد » مسئول مكتب الريبورتاجات كان صاحب الجهد الاكبر فى اعدادها للنشر .

« حسين حامد » .. اذن .. ليس شخصا بعينه . لكنه رمز للكرادر الحزبية التى انغمست فى مشاكل الفلاحين والعمال والمثقفين . وفى كل مجال من مجالات الحياة .. تتعايش .. وتتعلم .. وتتفرد .. وعن خلال ذلك كله تستخلص مشكلات الشعب .. وتصوغها ريبورتاجات دافقة الحيوية .. زاخرة بكل معانى الصراع الطبقي ومعاله .

* * *

ومن الابواب الشاذة فى « الجماهير » « صفحة المرأة » وكما قلنا فان التوقعات كلها مستعارة « ناطمة محمد » « سعاد » « احسان » « ليس نهى » وان كان تحرير الصفحة موكلا الى مكتب «نبثق سن» دائرة النساء» فى التنظيم .

وكانت صفحة المرأة فى الجماهير حريصة دوما على ابراز موقف مستقل تجاه قضية المرأة وتحريرها وحقوقها ..

وابتداء من العدد ١٥ خصصت صفحة كاملة بعنوان « المرأة نصف المجتمع » تناولت عددا من الموضوعات الهامة « حياة الاسرة المصرية اساسها الملل » وفيه تناقش مشاكل الزواج كحالة اجتماعية منبثقة من طبيعة المجتمع الرأسمالى . « ان مستوى المعيشة المنخفضة فى مصر وظروف المجتمع الذى نعيش فيه ، وصعوبة الحصول على الرزق تجعل من الزواج عملية بيع وشراء ، ومن الزوجة سلعة . فالزوج يتزوج ليصل الى مركز اجتماعى او كسب مادي ما كان ليصل اليهما الا عن طريق هذه الزوجة او ذلك . فان فشل فى هذا الزواج تزوج ليجد خادمة رخيصة مريحة ترضى مطالبه الجسدية واليومية فى آن واحد . والمرأة تتزوج لتجد موردا مضمونا للحياة لا يهملها من شريكها الا جيبه لان الرجل لا يعييه سوى جيبه كما يقولون .. وزواج كهذا لا ينوفر فيه عادة التناغم العتلى والروحي ... والمجتمع هو المسئول .. المجتمع الذى لا يوفر للرجل حياة مادية لائقة تغنيه عن تهتمط الكسب عن طريق الزواج ، المجتمع الذى يقتل هيادين العمل أمام المرأة فيجعلها تعتمد على الرجل اعتمادا اقتصاديا كليا . المجتمع الذى يجعل من كل علاقة بشرية علاقة مادية تقوم على الكسب ، ومن كل انسان سلعة تباع وتشترى » .

وفي نفس الصفحة موضوع عنوانه « نساء العالم يكفاحن من أجل السلام ٠٠ نداء من الام الروسية الى الام الامريكية » (١) .

وفي عدد آخر مقال بعنوان « الاخوان والمرأة ٠٠ لن تنجح الحركة الوطنية دون نوال المرأة حقوقها السياسية » فيه هجوم على مسلك الاخوان المسلمين تجاه قضية المرأة ٠٠ « والاخوان المسلمون يرجون من وراء ابقاء المرأة جاهلة عاجزة مستعبدة الى خلق جيل جديد من العبيد يرضى بالاستعمار والاستغلال » وموضوع عن كفاح عاملات الجوت ومدى الاستغلال الذي يتعرضن له وموضوع آخر عن المرأة العاملة وما تتعرض له من ارهاق مادي وبدني وعصبي في المنزل أو العمل ٠٠ وعنوان الموضوع « أمهات ٠٠ وبطلات » ٠ وفي نهاية الموضوع تقدم « الجماهير » أو مكتبها النسائي برنامجا يحدد مطالب المرأة العاملة ٠

« الجماهير ٠٠ تطالب برفع المستوى الاقتصادي للامهات العاملات ، تطالب بسن القوانين التي تحمي الامومة والطفولة ، تطالب بانشاء دور للحضانة ومطاعم شعبية رخيصة أو بالمجان ، تطالب بمنح الام الحامل اجازة مدفوعة لمدة شهر الوضع وبعده » ٠

وفي مقابل ابراز الكفاح والعناء الذي تتعرض لهما المرأة العاملة تقدم الجماهير في نفس الصفحة نموذج آخر بعنوان « خواجه » رفضت مونا عبود بنت المليونير الكبير أحمد عبود ان تنطق حرفا واحدا بالعربية حين الح عليها مندوب الاذاعة في لندن ان توجه كلمة بالعربية للمستمعين العرب ، وليس مسلك مونا عبود بمستغرب فهي وليدة الاستعمار الانجليزى وأبوها المليونير عميله « (٢) .

وتمضى « صفحة المرأة » لتواكب كفاح المرأة المصرية وخاصة كفاح العاملات المصريات « مع عاملات التليفون ٠٠ انشئن رابطة للدفاع عن مصالحهن ٠٠ فالاتحاد قوة » (٣) .

وريبورتاج « عن مركز الطفل في بولاق - ارهاق لا مثيل له - ٣١ ساعة عمل متواصلة » (٤) « بطلات أندونيسيا في ميدان الاستعمار ١٢٠ فتاة يعشن في خندق » (٥) .

١ - الجماهير ، ١٤ / ٧ / ١٩٤٧

٢ - الجماهير ، ٢١ / ٧ / ١٩٤٧

٣ - الجماهير ، ٤ / ٨ / ١٩٤٧

٤ - الجماهير ، ١١ / ٨ / ١٩٤٧

٥ - الجماهير ، ٢٣ / ٨ / ١٩٤٧

وعندما انتشر وباء الكوليرا ، كانت « صفحة المرأة » تلعب دورها
كمُنظم لحركة النساء في مكافحة الكوليرا « الكوليرا تشتد ، نحن مع الشعب
اينما كان » (١) .

وفي بعض الاحيان تقدم صفحة المرأة ركنا عن « المرأة في السودان » (٢) .
• وباختصار فإن متابعة « صفحة المرأة نصف المجتمع » في مختلف
اعداد « الجماهير » يمكنه ان يقدم لنا فكرة عن مدى ارتباط « الجماهير »
بمشاكل النساء العاملات .
• كما انها توضح لنا - بصورة أو بأخرى - نوعية النشاط الذي كانت
تمارسه « دائرة النساء » في تنظيم « حدثو » والبرامج والاهداف التي كانت
تتبنها ..

• ثمة أبواب أخرى على نفس النمط . • « ركن الطلبة » « ما وراء
القوانين » وفيه تحاول « الجماهير » ان تقدم لقرائها وبشكل مبسط دراسات
قانونية تساعد على التمسك بحقوقهم أمام النيابة أو البوليس لدى أى قبض
أو تحقيق معهم • فهو يقدم دراسات عن « التحقيق » و « الاتهام »
و « الحرية الشخصية » • الخ .

وبعد الوحدة مع « ح.م » بدأت تبرز أركان ثابتة عن « السودان »
و « النوبة » •

وبالنسبة للشعر الثورى • لم تكن « الجماهير » مجرد منبر فتح
صفحاته أمام الشعراء الثوريين ليصوغوا ألام شعبيهم ملتبة ، وإنما كانت
وبحق المجال الذى تبلورت فيه مدرسة الشعر الثورى المعاصر • وعلى
صفحاتها قدم الشعراء اليساريون قصائد رددتها جماهير الشعب في مظاهرات
صاخبة ، ورددتها الرجعية في رعب قاتل •

وتبدأ « الجماهير » رحلتها مع الشعر الثورى بقصيدة تقول :

« نحن في السجن والسجن ظلام وغيوم »

•••••

١ - الجماهير ، ١٢/١٠/١٩٤٧

٢ - الجماهير ، ١١/٨/١٩٤٧ .

نحن في السجن وتحت الشمس أنصار الظلام
 هم أرادوا أن يظل الشعب عبداً يستتصام
 غاردنا أن يعيش الشعب حراً لا يضام
 ولهذا فلنا السجن جزاء وانتقام
 ولهم تنصب رايات وأعراس تقام

يا رفاقي نحن في السجن جنود في كفاح
 نحن لن يرهبنا السجن ولن نلقى السلاح

ولنا النصر وللنصر مساء أو صباح
 حينما نقذف للسجن بآداء الكفاح (١)

وقد نشرت القصيدة بغير توقيع لكن المعروف أنها لكamal عبد الحليم ..
 وإذا أردنا نموذجاً آخر فهناك قصيدة « العدالة والمواثيق » لمحمود توفيق :

حكموا فلتحكم الأرض لنا
 يوم تروى بالدماء القاذية
 قد أقاموها حصونا وقلاع
 فلتحطمها كفاحاً وصراعاً
 يا شعوب الأرض عذا يومنا
 فانهضى قد مزق الوحش القناعا (٢)

فإذا كنا بحاجة إلى نموذج آخر فهناك القصيدة الشهيرة التي رثى بها
 كمال عبد الحليم الرفيق فهد وغيره من شهداء الحزب الشيوعي العراقي ..

سأقرا الحبال من الأشواك واجتمعوا
 لدى الحبال وعاقبوا من تشبأوا
 وجسعوا الجيش في زاهي الثياب ولا
 تنسوا القضاء فقد كانوا مطيعينا
 فد أبصر الشعب من بين الدموع ومن
 بين الحبال دخيلايات ملعونا

١ - الجماهير ، ١٩٤٧/٤/٢٨

٢ - الجماهير ، ١٩٤٧/٦/٣٠

نأتمسم الشعب ان يلقى بشـانقه

الى الحبال لكى يحى الملايينا (١)

كذلك قدمت « الجماهير » نماذج ناجحة من الشعر العامى بتوقيم « ابن الدعماء »

وقدمت قصصا قصيرة كان معظمها بتوقيع « مخلص ابراهيم » (ابراهيم عبد الحليم) وقصصا مترجمة لاعلام الادب الاشتراكى ومنها « ابن الثورة » نيقولا استروفسكى (٢) البهلوان لانطوان تشيكوف (٣) ضموا الصنفوف للكاتب الامريكى كارل أوفورد (٤) والثائر الصغير للكاتب التشيكي جان ارادا .. وقصص أخرى لمكسيم جوركى وهوارد فاست . الخ .

وهناك دراسات ممتازة للمدرسة الاشتراكية فى الادب . منها محاولة جادة لتلخيص أفكار « ميخائيل كالينين » عن الفن . وفى هذه الدراسة يقول كالينين « على الفنان فى بلادنا أن يتجه نحو الشعب حتى يصبح عظيما » وهو يدعو الفنان الى أن « يكون صادقا لا من الناحية الفنية وحدها ، بل وأن يبحث عن حل للمشاكل الاجتماعية هادفا نحو مثل اجتماعى أعلى ولحياة انسانية أفضل » ويلخص كالينين أفكاره فى عبارة موجزة « الفن هو الحقيقة » وثمة دراسات أخرى عن السينما المصرية ونقد لبعض أفلامها يمثل فى اعتقادنا أول محاولات ماركسية جادة فى هذا الصدد .

وفى هذه اللمسات الاولى تعرضنا لاشياء كثيرة ، وأسـماء عديدة لكن اسما هاما لم يسلط عليه الضوء بعد . رغم أنه الاسم الوحيد الذى لازم كل أعداد « الجماهير » . محمود النبوى المحامى . صاحب الامتياز ورئيس التحرير المسئول . والنبوى لم يكن مجرد شخص حصل على رخصة لاصدار المجلة ، صحيح ان اختياره من قبل « أيسكرا » للحصول على الترخيص قد راعى أنه ابن واحد من كبار حكام مصر فى ذلك الحين ، وأن هذا سوف يكفل له الحصول على الترخيص ويكفل لمحاولته الحماية .

لكن ذلك كله لا ينفى أن « محمود النبوى » كان واحدا من كوادى « أيسكرا » ثم « حدثو » وأنه كان يمارس دورا سياسيا هاما فى المجلة .

١ - الجماهير ، ١٩٤٧/٩/٦

٢ - الجماهير ، ١٩٤٧/٦/٩

٣ - الجماهير ، ١٩٤٧/١٠/١٢

٤ - الجماهير ، ١٩٤٧/٨/١١

كما أنه وبعد فترة من الوقت كان واحدا من اللجنة السياسية
« الحزبية » المشرفة على « الجماهير » .

ولقد تصورت أن هذه الملاحظة ضرورية حتى لا يخطئ البعض
في تصور أن الرجل كان مجرد صاحب رخصة . . . لمجلة . . .

* * *

والآن . . . وبعد كل هذه المقدمات يبقى الامر محيرا . . . ماذا نعرض
وماذا نبرز . . . من كل هذه الاشياء الهامة ، بل والبالغة الاهمية - سواء
من الناحية التاريخية أو من الناحية السياسية - التي تتضمنها مجموعة
أعداد « الجماهير » .

إن الاختيار صعب والمفاضلة أصعب . . . لكننا سنحاول الامساك بعدد
قليل من الخيوط الأساسية . . .

مدركين أن القارئ - لا بد وأنه يشعر - أن أية محاولة للاجتزاء
هي بالضرورة محاولة قاصرة . . . لكن الاستعراض الوافي لاعداد مجلة كهذه
يحتاج وحده الى أكثر من كتاب .

* * *

ونقطة البدء هي افتتاحية العدد الاول التي حاولت فيها « الجماهير »
أن تقدم نفسها كمنبر جديد . . . « ليست الجماهير مجرد اسم يوضع في صدر
صحيفة ، إنما هي أعظم من هذا بكثير ، هي صوت الملايين من العمال والفلاحين
والطلبة والمثقفين الوطنيين ، الملايين التي تموج بها ضفاف النيل ، تناهض
استعمارا بغیضا وتنشد استقلالاً كريماً . . . و « الجماهير » تعلنها حرباً
شعواء لا هوادة فيها ضد كل ألوان الاستعمار سياسياً كان أم اقتصادياً
أم ثقافياً ! ولن ترضى الملايين - و « الجماهير » معها - الا بجلاء ناجز
عاجل ، جلاء عن الوادي من المنبع الى المصب . و « الجماهير » اذ تناهض
المستعمرين لن تغفل عن الخونة والمتهاونين والمترددین والخائفين ، أولئك
الذين يخدعون وراء مصریتهم ليكيدوا لمصر مع الكائدين . سنكشف عن هؤلاء
جميعاً وسنظهرهم على حقیقتهم للجماهير .

و « الجماهير » اذ تخوض معركة الحرية والاستقلال لا تخوضها عبثاً ،
إنما تسعى الى ديمقراطية صريحة ، فكل انتقاص من حرية الرأي والصحافة
والانتخاب إنما هو تعصيد أكيد للمستعمرين . . . و « الجماهير » لا تؤمن
بإستقلال أجوف ، تظل فيه الملايين جائعة عارية جاهلة مريضة ، إنما تريد
استقلالاً يكفل لكل فرد الحق في أن يعمل ، وفي أن يوجد له هذا العمل ،

ويتمتع فيه كل فرد بمسكن وطعام وثقافة تليق بانسان كريم ، ويوفر العلاج لمن مرض ، والطمانينة لمن هرم أو تقدمت به السنون ٠٠ « (١) .

وفي افتتاحية العدد الثانى هجوم شديد على حكومة الاقليات ودفاع عن الحرية والديمقراطية والعنوان يستمد نغمته من لهجة الصحافة المعارضة فى ذلك العصر « طبلوا ٠٠ وزمروا ٠٠ وأقيموا الافراح » وختام الافتتاحية « افعلوا ما تريدون ودعوا مصر ، فأنتم فى واد والشعب فى واد ، قولوا ما تحبون فللشعب لغة لا تفهمونها - لغة لا نفاق فيها ولا رياء ، لغة الكفاح من أجل الحرية الصحيحة والديمقراطية الشاملة والاستقلال الكامل »

فاذا انتقلنا الى العدد الثالث نجد الهجوم أكثر وضوحا ، والاعداء أكثر تحديدا أنهم « محور ترومان - بيفن - النقراشى ٠٠ الوطن فى خطر » . فبينما كان الصراع محتدما ضد الاستعمار الانجليزى ، كان يتعين أيضا لفت الانظار الى استعمار جديد يتسلل ٠٠ « ان الاستعمار الأمريكى يرى نفسه الوريث الوحيد للامبراطورية البريطانية والتقاليد الهنترية فهو يسعى الى السيطرة على العالم وعلى مصر ٠ وهو اليوم يكتفى باستعمار اقتصادى وسياسى وهو اليوم يتوسط لفرض معاهدة تحمى مصالحه ، ولن يستبعد فى الغد أن يبعث هو الآخر بجيوش احتلال » (٢) .

لكن محور ترومان - بيفن - النقراشى يعرف أن ثمة قوى تكشفه وتقاومه ، ويعرف « ان الشعب لا يرضى أن يستبذل استعمارا باستعمار » ولا أن يضيف استعمارا الى استعمار ٠ انما يريد الحرية التامة لمصر والسودان » (٢) .

وهذه هى أول افتتاحية موقعة تنشرها « الجماهير » والتوقيع « حمدى » (شهدى عطية الشافعى) .

ولم يكن ذلك كله غير تمهيد أولى لمعركة تستعد لها « الجماهير » وتفجرها فى الافتتاحية التالية التى كتبها « محمود حمدى » وهو أيضا (شهدى الشافعى) ٠٠ والعنوان صريح صارخ « يريد الشعب حزبا ٠٠ من نوع جديد » هنا نصل الى بيت القصيد ، الى جوهر المعركة التى قامت « الجماهير » لتخوضها ٠٠ حق الطبقة العاملة والجماهير الكادجة فى تأسيس حزب يمثل ارادتها ومصالحها ٠

١ - الجماهير ، ١٩٤٧/٤/٧

٢ - الجماهير ، ١٩٤٧/٤/١٤

٣ - الجماهير ، ١٩٢١/٤/٢١

ولقد حرصت « الجماهير » على أن توجه هذه الدعوة على صفحات العدد الخاص الذى أصدرته بمناسبة أول مايو « أول مايو من كل عام .. يوم خلده التاريخ بحروف من نور ونار .. ليخلدن هذا اليوم .. وليكن يوم العمال .. يوم الشعوب .. يوم الكادحين ، وليكن رمزا خالدا لكفاح العمال ضد الاستعباد والاستغلال والاستعمار ، رمزا لنضالهم من أجل الحرية والسلام » . وبعد هذه المقدمة « ان العمال يدركون ان التاريخ قد عهد اليهم برسالة مقدسة .. أن يحرقوا العالم من عبودية استمرت أجيالا وراء أجيال وأن عليهم أن يشيدوا عالما لا يعرف البطالة والحرمان عالما لا يعرف الخوف والجوع .. وهم يدركون أنه دون ذلك .. عرق ودماء وفى سبيل ذلك .. جهاد ونضال ، ولكنهم لن يخسروا فى النضال شيئا .. نسوى الأغلال » .

ومن هذه المقدمة الثانية .. نصل الى درس ثالث « وقد جرب العالم العمال فى الحرب العالمية الثانية .. فما وجد أصلا منهم عودا ولا أكثر جلدًا ولا أوضح رأيا ، ولا أقوى تنظيمًا ضد الطغاة والمستبدين ، ولهذا التفت حول قيادتهم الفلاحون والطلبة والمثقفون فى خلال الحرب وفى أيام السلام .. ولهذا نجد اليوم فى أكثر بلدان العالم أحزابا عمالية مخلصمة يتجمع حولها الملايين » .

ثم تنتقل الافتتاحية الى .. مصر « وهذا اول مايو فى مصر .. وفى مصر استعمار واستعباد ولكن فى مصر عمالا قد ازدادوا عددا ووعيا .. وقد تجاوزوا المليون عدا .. وهم عارفون ان المسئول الاول عما يقاسونه من جوع وحرمان وارهاق هو الاستعمار واذنابه .. وهم لهذا يدركون ان حريتهم ومستقبلهم وعائلاتهم بل أن كيانهم ذاته مرتبط أشد الارتباط بفضالهم ضد الاستعمار وحلفاء الاستعمار ، فمعركة تحرير مصر والسودان هى معركتهم ، وقيادة الجموع من أجل الجلاء التام هى مهمتهم » .

ثم هو يعلن قيام القيادة الجديدة .. قيادة العمال « وقد تجلى هذا رائعا يوم الجلاء يوم ٢١ فبراير ١٩٤٦ فقد كان هذا اليوم ايزانا بفجر جديد ، ايزانا بأن العمال المصريين سيتولون بأنفسهم قيادة النضال من أجل الحرية والاستقلال ، ولهذا فزع الاستعمار فزعا شديدا .. ولكن الطلبة والفلاحين والمثقفين احرار رحبوا بها ، فهم يحسون بحاجتهم فى هذه الازمة الحرجة الى قيادة صلبة لا تعرف تهادنا ، ولا ترضى بأدنى تحالف مع الاستعمار ، والعمال أعداء ألداء للاستعمار فلا تربطهم به ثمة مصلحة وليس بينه وبينهم سوى بحر من الدماء ، وجموع الفلاحين تنتطلع الى قيادة مخلصمة تعمل للدفاع عن حريتهم وحقوقهم ، وترفع عنهم

القيود والاعلال ولن تجد هذه الجموع سوى قيادة العمال . . وفي يوم أول مايو من كل عام يحدد كافة عمال العالم برنامجهم للعام الجديد فليكن برنامج العمال المصريين هذا العام ضم صفوفهم بعد تطهيرها وتوحيد كلمتهم تحت قيادة حزب من نوع جديد ، حزب يمثلهم أصدق تمثيل ، حزب يلتف حوله ملايين الفلاحين والطبقة والثقفين ، حزب يقود الكفاح كفاحا لا يلين . . ويسير بالملايين سيرا لا هوادة فيه نحو الحرية والديمقراطية والاستقلال « (١) » .

ولم تكن هذه الافتتاحية سوى بداية . . لكن هذه البداية الطموحة قد أثارت كثيرا من الجدل والتحفز ، والغريب - وربما الطبيعي - في الامر هو ان أول حملة نقد أو هجوم على مقال شهدى قد جاءت من يسار حزب الوفد . . على اعتبار أن الوفد هو الحزب المؤهل تاريخيا لقيادة الصراع الوطنى والاجتماعى معا ، وان أى كفاح طبقى يجب أن ينصب من صفوف الوفد الى داخل الوفد نفسه لتحويله وتطويره الى حزب يتبنى مصالح الطبقات الكادحة . . واذا كان بعض اليساريين من جماعة « الفجر الجديد » قد سايروا اليسار الوفدى في موقفه هذا على أساس أنها خطوة تكتيكية ضرورية ، فان شهدى وتنظيمه كان ينظر للوفد نظرة أخرى تماما . . نظرة أساسها التحالف ولكن من أرضيات مختلفة . . تحالف مع النقد والصراع . .

وهكذا يجد شهدى نفسه مضطرا الى أن يعود في العدد التالى الى التأكيد « نعم ! يريد الشعب حزبا من نوع جديد » والبداية نفد للنقد « خرجت علينا زميلة وفدية صديقة بمقال وجه فيه كاتبة اتهامات خطيرة لمجلة « الجماهير » فزعم أنها خاطئة في دعوتها الى تكوين حزب من نوع جديد . »

وقد كان النقد « الوفدى » منصبا على أساس أن مثل هذا الحزب يفتقد الى برنامج . . والى العناصر القيادية التى تمرست في المعارك كل يوم . . وأنه ليس لدعاة هذا الحزب أعمال جماهيرية توصل دائريهم الى مراكز عصبية شتى . . وردا على هذه الدعاوى قالت الجماهير « اننا ندرك الهدف واضحا محددا لا يعتريه ابهام ولا غموض » وتجدها فرصة لتقديم برنامجا مرحليا . . « الكفاح من أجل الجلاء التام عن وادى النيل دون قيد أو شرط ، دون مجلس دفاع مشترك ، أو تحالف عمكرى

٠٠ والتحرر من كافة القيود الاقتصادية والسياسية التي فرضها ويفرضها علينا الاستعمار ٠٠ وانا لنذكر أن المحافظة على المكاسب الدستورية والتوسع فيها ، والكفاح من أجل الحريات العامة : حرية الاضراب والتظاهر والاجتماع وحرية الرأي والعقيدة والصحافة والكلام .. وحرية العمال في اقامة نقابات حرة واقامة اتحاد عام لهذه النقابات ، كفاح لا ينفصل في سبيل الاستقلال . وانا لنذكر أن عزل الخونة من ميدان القيادة هو الشرط الاساسي في سبيل انطلاق الجموع ضد الاستعمار ، وانا لنعرف جيداً أن الاستعمار لن تجدى معه مفاوضات أو مناورات ، أن الأمم لا تتحرر الا بفضل مرير تقوم به الملايين وتقوده الطليعة الواعية من العمال ، وانا لنذكر أن الاستقلال يعنى ويستهدف كذلك تحرر الشعب من الاغلال التي تكبل نهضته الاقتصادية من احتكارات وملكيات كبيرة ، وان التخلص من هذه الاغلال جزء لا يتجزأ من الكفاح ضد الاستعمار » .

وتلخص « الجماهير » برنامجها في عبارة موجزة مركزة « استقلال كامل وديمقراطية اقتصادية وسياسية واجتماعية كشيئين لا يتجزآن » لكن ٠٠ « الجماهير » تحرص فوق ذلك على التأكيد بأن « النهضة الاقتصادية وهذا الاستقلال لن يدعمه سوى قيام حكومة شعبية ديمقراطية على رأس البلاد ، تزداد درجة تمثيلها للكادحين على مر الايام »

أما انكار « الوفد اليسارى » لوجود « عناصر قيادية » تصالح لتأسيس مثل هذا الحزب ٠٠ فان الجماهير ترد عليه « يريد الكاتب أن يقول أنه ليس هناك عناصر قيادية بعد كفاح دام عدة سنوات ؟ ان كان الكاتب لا يعرف فنحن نؤكد له أن هناك عناصر قيادية صالحة تتزايد وتنمو باستمرار واطراد ، ثم اننا لنعجب ونتساءل ٠٠ كيف تتكون العناصر القيادية الا في ميدان الكفاح ، فهو يقول « اعتادوا أن يحتفلوا بسعد كما يحتفل كل الناس بذكرى موتاهم وكيف تقوم لهذا الكفاح قائمة دون تنظيم ؟ وهل هناك ما هو أرقى من الحزب للتنظيم ولتوجيه الكفاح ؟ أيدعو الكاتب الى الانتظار حتى يهبط القادة من السماء ؟ م يدعو الى الصبر والاصطبار حتى تقوم الجماهير دون قيادة واعية وطيعة مدركة فاهمة في حزب جديد » .

الى هنا ونكاد نلمس أن الحوار لا يجرى بين « الجماهير » وزميله وفدية صديقة ولكنه يجرى بالدقة بين « ايسكرا » و « ح . م » من جانب وبين جماعة « الفجر الجديد » من جانب آخر والتي كانت ترفض فكرة اعلان الحزب لنفس الاسباب التي وردت في هذه « الزميلة الوفدية »

وهى نقص الكوادر ، عدم وجود برنامج ، ضعف امكانيات الطبقة العاملة . . وبناء عليه فقد تركزت هذه الجماعة بعد اغلاق « الفجر الجديد » وتصورها لعدم نضوج فكرة اعلان قيام تنظيم شيوعى تركزت - لفترة ما - فى عدد من المجلات والصحف الوفدية . . محاولة النشاط وسط ما أسمى « بيسار الوفد » .

وتختتم « الجماهير » مقالها الصريح . . الغاضب بعقاب « ولنا عتاب على الزميلة الوفدية الصديقة فلتذكر دائما أننا نمد أيدينا فى حرارة وقوة لكفاح مع المجاهدين ولنسير صفا مع المخلصين الراغبين فى حرية بلادهم واستقلالها ، ولتذكر الزميلة أن كل تفرقة وخصام بين الوطنيين انما هو عون للاستعمار وقوى الظلام » (١) .

لكن هذا الرد العنيف لم ينه المسألة ، فقد ظلت العلاقة بين التنظيم الشيوعى وحزب الوفد بحاجة الى مزيد من الدراسة المتأنية ، خاصة وأن البعض كانوا يحاولون الوقية بين الوفد وما يلتف حوله من جماهير فى مختلف المجالات وبين الشيوعيين ، بحجة أن مجرد اعلان قيام تنظيم مستقل للطبقة العاملة هو تحد لقيادة الوفد ، وتكتب « الجماهير » بعنوان « ان التحالف بين العمال والوفد شرط اساسى لزوال النظام الحاضر - لتحقيق الديمقراطية - للقضاء على الفاشية - لتحقيق الجلاء عن وادى النيل » مقالا ضافيا فى وسطه برواز يقول لقد سبق أن أوضحنا فى العديدين الاخيرين أهمية تكوين حزب سياسى مستقل للطبقة العاملة ، وأوضحنا دوره القيادى فى ميدان الكفاح الوطنى والنضال من أجل الحرية والديمقراطية . ولكن مع الاسف قد أساء البعض فهم موقف هذا الحزب من الوفد لذا رأينا أو نوضح هذه المسألة لما فى ذلك من أهمية بالغة لقضيتنا » . . وبعد مقدمة نظرية عن طبيعة التطورات التى طرأت على مصر والبلاد العربية بعد الحرب العالمية الثانية ومنها ابعاد الوفد عن الحكم وفرض حكم الاقلية غير الدستورى . . تقول « الجماهير » « ويدرك الاستعمار ، كما يدرك أنصار النظام الحاضر فى مصر ان اعطاء الفرصة للشعب ليعبر عن أرائته فى انتخابات حرة جديدة معناه اقامة حكومة ديمقراطية وخلق الظروف المناسبة لتقدم الحركة الوطنية والعمالية تقدما سريعا . . ويدركون من ناحية أخرى أن مزاوله الحركة العمالية والطبقات الشعبية لحرياتها السياسية والنقابية تؤدى الى تمهيد السبيل للقضاء العاجل على النظام الحاضر ، لذا نرى أسلحة الاستعمار والنظام الحاضر مسلطة بصفة اساسية ضد الوفد والحركة العمالية . . ان الزوال للنظام الحاضر واجراء

انتخابات حرة هو الهدف المباشر الذى يربط الحركة العمالية والوفد فى حلف جماهيرى .

وهناك ايضا موقع آخر للتحالف وهو الدفاع عن الحقوق والحريات الدستورية ذلك « ان التحالف بين الحركة العمالية وطلبتها الواعية وبين الوفد اساسى لاستعادة حريات الشعب المسلوبة والكفاح المشترك للعمال والجماهير الوفدية فى المدن والقربى ، هو الطريق الوحيد لتحطيم القيود التى تخنق حرياتنا الديمقراطية » .

لكن مثل هذا التحالف يجب ان يقوم على اساس برنامج محدد . . . وتقتصر « الجماهير » البرنامج وتقول « انه برنامج وطنى مشترك يقوم على اساس حكومة ديمقراطية تعمل على تحقيق الجلاء التام فورا عن وادى النيل دون أى تحالف مع الاستعمار . . . التوسع فى الحريات الديمقراطية كجزء لا يتجزأ من الاستقلال - تأهيل (تأميم) الصناعات الكبرى وتوزيع الملكيات الزراعية الكبيرة المتعاونة مع الاستعمار » .

وعلى التحالف المنشود أن يقف بصلافة ضد التجمعات الفاشية (الاخوان المسلمين فى الاساس) « ولذا فان توحيد صفوف الطبقة العاملة المصرية بقيادة حزب سياسى مستقل جديد ودخوله فى جبهة ديمقراطية مع الوفد - مستندة الى كفاح الجماهير - هو الضمان الوحيد للقضاء على الفاشية عدوة الشعب ربيبة الاستعمار » .

وتختتم « الجماهير » مقالها التاريخى « ان تكوين جبهة قوية من حزب الطلبة العمالية والوفد ، انما يعكس ويعبر عن أمانى الملايين من العمال والفلاحين ويقود وحدة الشعب فى الكفاح من أجل الحرية والديمقراطية والاستقلال » (١) .

واذا حاولنا تتبع العلاقة بين « الجماهير » وتنظيمها « حدثو » وبين الوفد ، فاننا نجد تعليقا بعنوان « حول بيان الوفد » فيه تأييد للبيان الذى أصدره الوفد معلنا انه سيقوم بتنظيم حملة دعائية للقضية الوطنية على نطاق العالم . . . وتحبى الجماهير فى الوفد هذا الاتجاه » .

لكن « الجماهير » تقول وهى تؤيد الوفد وتهاجم معارضيه اصحاب حكم الاقلية لانهم يأخذون « على الوفد هذا الاتجاه الجديد فان الوطنيين يرون على العكس انه لابد من زيادته ولا بد من توضيح الخطوات العملية التى ينبغى ان تتخذ . . . لقد جاء بيان الوفد فى اللحظة المناسبة ، وبقي ان يبدأ العمل » (٢) .

١ - الجماهير ، ١٢/٢/١٩٤٧ .

٢ - الجماهير ، ١٦/٦/١٩٤٧ .

وكانت بؤامر التفاهم حول شكل العمل الموحد بين طلاب كل من « ح . م » و « ايسكرا » وبين طلاب الوفد قد بدأت في عام ١٩٤٦ في صفوف « اللجنة الوطنية للطلبة والعمال » .

٠٠ ولكن عام ١٩٤٧ قد شهد تحالفات أخرى بين الشيوعيين والوفد وخاصة في صفوف نقابة المحامين كما حدث مثلا في الجمعية العمومية العادية للنقابة التي انعقدت في ٢٧ يونيو ١٩٤٧ « للنظر فيما يجب اتخاذه من اجراءات سريعة وحاسمة لحفظ الضمانات التي كفلها القانون للمتهمين والمحامين . وكانت جلسة صاخبة تميزت بثورة المحامين لما يلاقونه هم والمتهمون من العسف والارهاب في العهد الحاضر » وقد أبرزت « الجماهير » بشكل خاص دور د . عزيز فهمي ، وامتدحت موقفه في هذا الصدد . وهو كما يعلم الجميع واحد من أقطاب الشباب الوفدي « (١) » .

ومن الواضح ان ثمة علاقة خاصة كانت قد نشأت بين « الجماهير » و « د . عزيز فهمي » وفي حديث أجرته « الجماهير » مع عزيز فهمي حرص على ان يوجه تحية حارة اليها قائلا « قد نختلف في بعض الآراء السياسية ، ولكن لا أخفي اعجابي بحملات الجماهير في مكافحة الاستعمار وأعوانه في مصر ، ودفاعها القوي عن الحريات العامة . كما أعلن اعجابي بدفاعها عن العدالة الاجتماعية أي دعوتها الجارة لرفع مستوى الطبقات الشعبية » .

وفي نفس الحديث يصف « عزيز فهمي » قانون مكافحة الشيوعية بأنه « الاسلوب الثالث من أساليب الاستعمار . فتحت ستار مكافحة الشيوعية يحاولون القضاء على كل معارضة ، وكبت كل صوت حر . واخماد كل حركة وطنية . . واليك الدليل العملي ، عندما طبق هذا التشريع الباطل هل اقتصر على اليساريين وحدهم ام امتد الى الشباب الوفدي وشباب الكتلة ؟ وعندما قام صدقي بحملته في ١١ يوليو سنة ١٩٤٦ هل اقتصر الامر على اليساريين ام امتد الى الوفديين وغيرهم من المعارضين ؟ » (٢) .

وعندما ألقى القبض على عدد من الصحفيين الوفديين حرصت « الجماهير » على تنظيم حملة للدفاع عنهم تحت عنوان « استنكار عام . . لاعتقال الصحفيين - القبض على الصحفيين خدمة للاستعمار . . » .

وتطالب « الجماهير » في حملتها هذه بحل نقابة الصحفيين لانها لم تدافع عن اعضائها المقبوض عليهم . . ويساندها في حملتها هذه . . ايضا عزيز فهمي (٣) .

١ - الجماهير ، ١٩٤٧/٧/٧ ،

٢ - الجماهير ، ١٩٤٧/٧/١٤ ،

٣ - الجماهير ، ١٩٤٧/٩/١٤ ،

بل إن « الجماهير » تحتفل « بذكرى سعد » ولكن على طريقتها الخاصة فهي تقول « اعتادوا أن يحتفلوا بسعد كما يحتفل كل الناس بذكرى موتاهم ويعددون مآثره بشكل بعيد عن واقع كفاحنا ، وحتى خصومه وخصوم الوطن الذين طالما حاربوه حيا أرادوا أن يجعلوا منه صورة مقدسة أليفة ، حتى ينسى طالما حاربوه حيا أرادوا أن يجعلوا منه صورة مقدسة أليفة ، حتى ينسى الناس سعد الثائر الوطنى والكفاح الديمقراطى عدو الاستعمار الاجنبى والاستبداد ، ان سعدا أبعد ما يكون عن هذه الجثة المقدسة ، انه حى بموافقة الاستعمار ، حى بأقواله التى لا يعترف فيها بغير الامة سيدا ، حى بإيمانه بالطبقات الكادحة . . هذا هو سعد كما يجب ان نراه . . لن نتكلم فى ذكراه ولكن فلندعه يتكلم هو . . » (١) . ثم تورد « الجماهير » مجموعة من أقواله يدافع فيها عن حقوق الوطن ويشن حملات عنيفة ضد الاستعمار .

وعندما مات صبرى أبو علم تنعنه « الجماهير » قائلة « مات صبرى أبو علم . . فكان موته خسارة كبيرة للوفد والمعارضة . . مات صبرى أبو علم ولكن قضية الحريات التى دافع عنها فى مجلس الشيوخ ما زالت قائمة . مات صبرى أبو علم ولكن عشرات الطلبة الوطنيين - الذين عودهم الدفاع عنهم - ما زال يلقي بهم فى غياهب السجن . . ان الشعب يذكرك يا صبرى يوم هببت معه فى ثورته الخالدة سنة ١٩١٩ . يوم دافعت عن حريات الصحافة المهددة . ويوم وقفت تطالب فى مجلس الشيوخ بأن يصدر قرار بأن مصر والسودان وحدة لا تتجزأ ، وان مطالب البلاد هى الجلاء الناجز عن مصر والسودان من غير تحالف عسكرى . ان الشعب ينعيك يا صبرى » (٢) .

ومع تطور واقع الكفاح الوطنى تدعو « الجماهير » الى تأسيس جبهة وطنية . . وتحت عنوان « لابد من جبهة وطنية من نوع جديد - تحمل لواء الكفاح فى سبيل الحرية والديمقراطية والاستقلال » يكتب محمود حمدي (شهادى الشافعى) مهاجما الجبهة الرجعية التى تحالفت فى صفوفها احزاب « مصر الفتاة . . والسعديين والدستوريين والشيخ البنا وحافظ رمضان وجبهة مصر » ويؤكد انه من المستحيل « على احزاب الاقلية والفاشية وشبه الفاشية ان تخدم القضية الوطنية . . ان الدستوريين والسعديين تربطهم بالاستعمار مصالح مشتركة فى الشركات والاسهم والسندات . . أما الاحزاب الاخرى الفاشية فهي قد تتحدث فى خطب ملتبهة ضد الاستعمار ، ولكنها لا تتأخر عن الاسفنجاد

١ - الجماهير ، ٢٣/٨/١٩٤٧ .

٢ - الجماهير ، ٢١/٤/١٩٤٧ .

باستعمار أقوى ، لقد كانت بالامس تلجأ الى هتلر وموسليني ، ونراها ترحب اليوم بقرومان ومارشال في الوقت الذي تخطب فيه ود بيفن وآتلى » .

وفي مواجهة التجمع الرجعي تدعو « حدثو » الى جبهة وطنية من نوع جديد . . « لا عبرة بجبهة وطنية الا اذا كانت تضم صفوف الشعب كله . . أن هذه الجبهة يجب أن تضم الوفد الذي رفض مبدأ التحالف العسكري مع الانجليز ويطالب بالجلء بدون قيد أو شرط ، و الساخت على كل خارج على الدستور . . ان هذه الجبهة يجب ان تضم الكتلة ايضا فهو حزب معارض للعهد ويضطر تحت ضغط الجماهير ان يشهر حربا على معاهدة الذل . . انهما حزبان تتبعهما جماهير راغبة في الحرية والديمقراطية والاستقلال . . ولكن جبهة وطنية من هذين الحزبين لا تكفى . نعم ان لهما جذور عميقة في الشعب لا يمكن نكرانها ولكن هناك الطليعة العمالية التي وقفت موقفا صلبا عنيدا امام الاستعمار ايام الجلء و ٢١ فبراير ٠٠٠ ولكن حتى هذا لا يكفي فلابد ان تنضم الى هذه الجبهة كل المنظمات الشعبية من نقابات عمال مخرصة واتحادات للنقابات ، ومن اتحادات وجبهات للطلبة الوطنيين المخلصين ومن رابطات نسائية تجذب جماهير متزايدة من النساء الى الحركة الوطنية ، ومن روابط نقابات ذوي المهن الحرة كالاطباء والمحامين والمهندسين » .

هذه هي قوات الجبهة . . فما هو برنامجها « . . ان جبهة كهذه ستضع في رأس برنامجها التحرر التام من الاستعمار ، والجلء فورا عن وادي النيل دون قيد أو شرط . . وستكافح هذه الجبهة لازالة العهد الحاضر المتحالف مع الاستعمار ، وتثبيت الحقوق الدستورية روحا ونصا والتوسع في الحريات الشعبية ، حرية الرأي والاجتماع وحرية واسعة للنقابات - حريات شعبية هي الشرط الاساسي لتجمع الشعب كله عمال وفلاحين وطلبة ومثقفين - في صفوف مترابطة ضد العدو الاكبر » (١) .

وتحاول « الجماهير » ان تضع شعارها موضع التنفيذ فتتوجه الى فؤاد سراج الدين لتسأله عن رأيه في عريضة النقراشي الى مجلس الامن . . ثم تتوجه الى مكرم عبيد زعيم حزب الكتلة لتسأله رأيه أيضا . . ونلاحظ هنا أن مكرم عبيد يتخوف من مجرد الحديث الى « الجماهير » لانها مجلة يسارية محددا بذلك موقف قيادته حزبه من الدعوة لتأسيس الجبهة » (٢) .

غير ان هذه الدعوة وبرغم معارضة القيادات التقليدية سرعان ما تتخذ طابعا عمليا في صفوف الشباب فتنتشر « الجماهير » نداء بعنوان « اطلاق

١ - الجماهير ، ١٩٤٧/٦/٣٠ .

٢ - الجماهير ، ١٩٤٧/٧/٣١ .

الحريات ٠٠ » يقول « وتعتبر الاحزاب والهيئات الموقعة على هذا ان اطلاق الحريات في هذه المرحلة الحاسمة هو الضمان الوحيد لقطع الطريق على كل شرط » ويوقع النداء عن الشباب الوفدى وحيه راضى - سيف الدين الغزالى ، وعن رابطة الطلبة المصريين * سعد زهران - ميشيل كامل (حدقو) ، و مندوبون عن شباب حزب الكتلة وحزب العمال الاشتراكي ، والجبهة الاشتراكية (فتحي الرملى) ، وممثلى مؤتمر نقابات العمال العالمى (مراد القليوبى وهو عضو حدقو ويوقع النداء عن الشباب الوفدى وحيه راضى - سيف الدين الغزالى (١) .

ومع تطور الاحداث يتطور شعار « الجبهة الوطنية من نوع جديد » الى شعار « الجبهة الشعبية الوطنية » والفارق واضح فقوات الجبهة الشعبية الوطنية هي كما تقول « الجماهير » « العمال والفلاحين والطلبة والموظفين ٠٠ جبهة تضم كل وطنى مخلص مهما كان لونه ومهما كان حزبه » أى ان « الجماهير » وقد اصطدمت برفض القيادات التقليدية لحزبى الوفد والكتلة لاي تحالف مع الشيوعيين أو حتى بعضها البعض تحاول ان تخوض معركة - توحيد الصفوف الوطنية بدعوة القواعد الحزبية المخلصة الى « جبهة شعبية » « وما نحن الديمقراطيين نرفع لواءنا ، لواء الوحدة الوطنية ، لواء الجبهة الشعبية ضد الاستعمار ، وما نحن الديمقراطيين نمد أيدينا فى قوة وحرارة وإخلاص الى كل وطنى ٠٠ الى كل حزب وهيئة وطنية مستعدة ان تعلنها حربا شعواء على المستعمرين . ان برنامجنا هو برنامج كل عدو للاستعمار . ان شعارنا هو شعار كل وطنى مخلص * ألقوا فوراً عن وادى النيل - الغاء معاهدة ١٩٣٦ - لا استئناف للمفاوضات بأى حال من الاحوال - لا معاهدة ولا تحالف مع الاستعمار - اطلقوا الحريات - دعوا الشعب يشعلها لميها ونيرانا على المستعمرين - لتحيا الجبهة الشعبية - لتحيا الوحدة الوطنية (٢)

وفى نفس العدد خبر عن مظاهرة دعت اليها الجبهة الشعبية الوطنية بعد انتهاء صلاة الجمعة بالازهر وتقول الجماهير انه رغم قوات البوليس الضخمة فقد تجمعت الوف من المتظاهرين تهتف « الشعب لا يريد محالفة » « تسقط امريكا » « تحيا روسيا » ٠٠ وقد فرق البوليس المظاهرة بعد ان اطلق الرصاص اربابا للوطنيين وقد أرسلت الجبهة الشعبية الوطنية برقية احتجاج الى نائب رئيس الوزراء « . ولم تكن هذه المظاهرة الا جزءا من موجة اضرابية دعت اليها « الجبهة الشعبية بمناسبة ذكرى توقيع معاهدة

١ - الجماهير ، ١٩٤٧/٩/٦ .

٢ - الجماهير ، ١٩٤٧/٨/٣٠ .

١٩٣٦ . وقد استجابت جماهير غفيرة في الاسكندرية وشبرا الخيمة وفي عديد من مدن القطر . المحلة الكبرى . دمياط . المنصورة لهذا النداء حيث نشرت على صفحات « الجماهير » في اعداد متتالية أخبار مظاهرات الصاخبة وانباء تشكيل لجان وطنية شعبية تضم ممثلى مختلف الاحزاب والقوى السياسية في هذه المدن .

وتنشر « الجماهير » نداء الى مواطنى حى بولاق من الجبهة الوطنية الشعبية ببولاق تدعوهم فيه الى تكوين « لجان وطنية في كل شياخة تكون الذواة التى يركز عليها نضالكم الرائع ضد الاستعمار واعوانه (١) » .

لكن محاولة تتبع ذلك النشاط العارم تقودنا بعيدا عن محاولتنا الاساسية للتعرف على موقف « الجماهير » ومن ثم موقف منظمة حدثو من الاحزاب السياسية المختلفة .

ولقد تابعنا موقفها من الوفد . وحزب الكتلة ، فماذا عن الاحزاب الاخرى ان موقفها من السعديين والدستوريين واضح ومعروف . ومن ثم يبقى أمامنا للتأمل الموقف من أحزاب ثلاثة الاخوان المسلمين ومصر الفتاة والحزب الوطنى .

وعن الاخوان المسلمين فاننا لسنا بحاجة الى تفصيل كثير لتأكيد موقف العداء الذى اتخذته « الجماهير » تجاههم فقد هاجمت منطلقاتهم السياسية باعتبارهم تجار دين ، فاشست ، عملاء للاستعمار .

وقد أكدت « الجماهير » ان ثمة « جبهة موحدة من بين ٠٠ الى حسن البنا » وكان ذلك فى معرض دفاعها عن الوفد عندما شن عليه الاخوان هجوما عنيفا . وكان رد « الجماهير » أكثر عنفا فقد ذكرت « الفاشى القزم » بكل جرائمه . « وحين ألف العمال والطلبة لجنتهم الوطنية ، هرعت أيها الفاشى الى صدقى تتأمر على اللجنة الوطنية لخدمة الاستعمار . والشعب يذكر لك كيف حاولت الوقيعة بين المسلمين والاقباط وما تفريقك لطوائف شعب يناهض استعمارا ، عدا دياسة استعمارية مرسومة

وكان حسن البنا قد حاول الوقيعة بين الفحاس ويمار حزبه ، وبين الوفد والشيوعيين فقال فى بيانه الذى وجهه للنحاس باشا فى ٩ - ٥ - ١٩٤٧ « أن الوفد فى أيامه الاخيرة قد تخللت صفوفه طوائف وأفواج من ذوى الآراء الخطرة والمبادئ الهدامة الذين لا يدينون بغير الشيوعية مذهباً ، ولا يؤمنون بغير موسكو قيادة وتوجيها » وترد « الجماهير » على

البناء ردا عنيفا مذكرة اياه بأنه يردد نفس نغمة الرجعيين والاستعماريين مؤكدة أن البناء قد استعار هجومه من « بيفن وتشرشل » (١) .

ثم تتبعت « الجماهير » نشاط الاخوان المسلمين في كل مجال . . في شبرا الخيمة حيث عملوا علنا لتخريب الاضرابات العمالية ولتكوين نقابة صفراء لم تضم في صفوفها سوى ٢٥٠ عاملا من عشرين ألف عامل في شبرا الخيمة (٢) .

وتستخدم « الجماهير » الكاريكاتير في هجومها على الاخوان . . « اعلان - مطلوب عضو لمكتب الارشاد العام للاخوان المسلمين تكون مؤهلاته كما يأتي : يفرق صفوف العمال - يثير المعارك بين الطلبة - يوقع بين المسلمين والأقباط - يكون صديقا حميما للاستعمار البريطاني » (٣) .

وهي تتعقب قادة الاخوان . . « محمد سالم (عضو الاخوان) يستغل العمال . . وتقول « الجماهير » ان محمد سالم يجبر العمال المشتغلين في شركته على حضور محاضرات اخوانية وان من يتخلف عن حضور أى محاضرة يخصم منه أجر يوم ، وانه يوزع عليهم بالاكراه صحف الاخوان بعد أن يخصم ثمنها من مرتباتهم (٤) .

وتمضى الحملة العنيفة من أول عدد حتى آخر عدد ، فقد كانت « الجماهير » تعتبر أن كشف جماعة « الاخوان المسلمين » واحدا من أعم واجباتها . .

أما « مصر الفتاة » وزعيمها « أحمد حسين » فقد كان نصيبها أيضا هجوما متصلا . . والحققة أن مسلك « مصر الفتاة » في هذه الحقبة كان مليئا بالاطعاء سوءا في مسلكهم ضد القوى الوطنية والتقدمية - ابتداء من الوفاء حتى الشيوعيين - أو في تحالفهم مع الحكومات الرجعية التي كانت تخون القضية الوطنية خيانة سافرة . . أو في محاولتهم تمجيد السيد الجديد « الاستعمار الامريكى » وعلى هذه الاوتار جميعا عزفت حملات الجماهير ضد « مصر الفتاة » .

وفي البداية تكثف الجماهير بتسجيل السقطة التي تردى فيها

١ - الجماهير ، ١٢/٥/١٩٤٧

٢ - الجماهير ، ١٤/٤/١٩٤٧

٣ - الجماهير ، ١٩/٥/١٩٤٧

٤ - الجماهير ، ٩/٦/١٩٤٧

أحمد حسين عندما « أرسل برقية مؤلفة من ألف كلمة الى الرئيس ترومان هناك فيها بالقرار الصادر بمساعدة اليونان وتركيا ورحب باهتمام أمريكا بالشرق الاوسط ثم قال أن السياسة الأمريكية لمقاومة الشيوعية يجب أن تشمل مصر » .

وامعانا في اظهار احتقارها فان « الجماهير » تكتفى بإيراد الخبر دون أى تعليق سوى العنوان « المصرى » ٠٠ « أحمد حسين يمد يده للاستعمار » وهى تنشر تحت الخبر خبرا آخر « من صالح حرب الى أحمد حسين » لقد جاهدت فأبليت وكافحت فأُسديت (١) ولا تعليق من « الجماهير »

وتحت عنوان « أحمد حسين صديق الاستعمار الانجلو أمريكى » تسجل « الجماهير » عليه فى مقال بتوقيع أ. ح أنه كتب أن مصر لا تستطيع أن تأخذ شيئا من عرض قضيتها على الامم المتحدة « لأننا لا نأخذ منها الا ما تسمح به أمريكا وانجلترا ، فاذا شاعت مصر الفائدة الحقيقية فالسبيل الى ذلك أن تبحث الموقف مع أمريكا منذ الآن » (٢) .

ولا تجد « مصر الفتاة » ما ترد به على « الجماهير » الا قولها ان أ. ح اختصار لـ « أنا حمار » وفى العدد التالى ذلتقط « الجماهير » الخيط لتذكر « مصر الفتاة » أن أ. ح هى أيضا اختصار لـ « أحمد حسين » (٣) .

وبعد ذلك تتجراً « الجماهير » فترسل مندوبا ليحصل على حديث من « أحمد حسين » وتجرى مشادات عنيفة وطريفة بين الاثنين ، لكن الجماهير تأخذ على زعيم مصر الفتاة أنه قال « أنا أقر مبدأ التحالف مع بريطانيا بعد الجلاء » (٤) .

أما « الحزب الوطنى » فقد ركزت عليه « الجماهير » نيرانها ٠٠ بن واتهمته - عو أيضا - واتهمت قيادته « بالفاشية » ٠٠ لكن « الجماهير » لا تضع كل الحزب فى كفة واحدة فهى تقول « شباب الحزب الوطنى يكافح لتطهير الحزب من الفاشية » ٠ وبعد مقدمة قصيرة عن دور الحزب فى الكفاح الوطنى تحت قيادة مصطفى كامل ومحمد فريد تقول « ولكن الحزب يبرز الان تحت قيادة جديدة قيادة حافظ رمضان ٠٠ وسياسته منذ أن ولى رئاسة الحزب حرب على الاستقلال ٠٠ وعون

١ - الجماهير ، ١٩٤٧/٤/٢١

٢ - الجماهير ، ١٩٤٧/٦/٢

٣ - الجماهير ، ١٩٤٧/٦/٩

٤ - الجماهير ١٩٤٧/٨/٤

للاستعمار والاحتكار فيها هوذا يؤيد العهد الحاضر ويدافع عن سياسته ، ويشترك معه في الحكم مخالفا مبادئ محمد فريد . . ويتبارى حافظ رمضان فيضم كل العناصر الفاشية التي لا تخدم سوى الاستعمار ، غييعن فتحي رضوان عضو « مصر الفتاة » السابق سكرتيرا للشباب ، ويحاول تأليف لجنة قومية من الاخوان ومصر الفتاة وصالح حرب . . . وتطالب « الجماهير » شباب الحزب الوطنى بالضغط من أجل عقد جمعية عمومية للحزب « تغير سياسة الحزب الى سياسة وطنية حقبة تعترف بكيان الشعب وقية حقوقه » والتوقيع « ديمقراطى من الحزب الوطنى » (١) .

وعندما يوجه سعد الدين كامل عضو اللجنة العليا لشباب الحزب الوطنى نقدا للجماهير يدافع فيه عن فتحي رضوان تنشر الجماهير النقد ولكنها ترد عليه ردا أكثر عنفا « نعم . . ان الحزب الوطنى يقوونه فاشيون » وتشير الى مقالات نشرت في « اللواء الجديد » تمتدح الحكم الفاشى فى أسبانيا وأخرى تمجد جرونر الارهابى الصهيونى « أما عن فتحي رضوان فتقول الجماهير أن ماضيه « فى مصر الفتاة وكتاباتة الكثيرة فى مجلتهم عن تحبيز الهتلرية والموسولونية لشاهد قاطع على ميوله الفاشية» (٢)

. . وهكذا وبعد جولة طويلة . . لكنها - وبالقطع . . ليست كافية ، يمكننا أن نلخص اتجاهات « الجماهير » فى نقاط خمس . .

* التأكيد على ضرورة قيام حزب جديد يمثل طليعة الطبقة العاملة المصرية . . وان قيام هذا الحزب حتمية تاريخيه .

* منهج التحالف والصراع مع الوفد وحزب الكتلة . .

* منهج الادانة للسعديين والدستوريين . .

* تركيز ما يسمى باتجاه الضربة الرئيسية الى أحزاب « البرجوازية الصغيرة » التى وصفها بأنها « فاشية أو شبه فاشية » الاخوان المسلمين - مصر الفتاة - الحزب الوطنى . .

* الدعوة لجبهة وطنية . . فلما تقاعست قيادات الاحزاب الوطنية عن التحالف مع الشيوعيين بدأت الدعوة لتأسيس « جبهة وطنية شعبية »

١ - الجماهير ، ٢٣/٦/١٩٤٦

٢ - الجماهير ، ١٤/٧/١٩٤٧

ولقد نظمت « الجماهير » موجات من الحملات السياسية نجحت ناجدا باهرا لانها كانت تتلقى على الفور مساندة واسعة من قوى التنظيم الحزبي المستعدة فورا للتحرك تلبية لاي نداء . . ومن جماهير غفيرة كانت على استعداد دائم للتحرك في ظل الشعارات التي يرفعها ، وتحت قيادته . .

والحملات عديدة لكننا سنكتفى بنماذج أربع ، أندونيسيا . . العراق . . اضراب المحلة الكبرى . . الكوليرا . .

ولقد تعددت هذا الاختيار لا لان هذه الحملات كانت أكثر الحملات نجاحا وانما لانها تعبير عن اهتمامات « الجماهير » المتعددة الجوانب من مساندة لحركة التحرر الوطني العالمية (أندونيسيا) الى التضامن مع الشيوعيين العرب (العراق) الى مساندة كل تحرك طبقي (اضراب عمال المحلة الكبرى) أو التصدي لحل مشاكل الجماهير والعمل في خدمتها (مقاومة الكوليرا) .

مؤكدنا قبل أن أبدأ أنه ما من سبيل أمامي سوى الاجتزاء فالحديث المفصل يحتاج الى مجلدات . .

وعن أندونيسيا بدأت « الجماهير » حملتها بشرح متواصل لكفاح الشعب الاندونيسي في سبيل استقلاله وحريته . . وتحت عنوان « الشعب الأندونيسي يرفض الرضوخ للاستعمار » تروی « الجماهير » قصة الاستعمار الهولندي لاندونيسيا وتأمّر الاستعماريين الانجليزى والامريكى معه ضد مصالح الشعب الاندونيسى المناضل وتقول « لا يسعنا الا أن نسجل على الحكومات العربية موقفها السلبي من قضية الشعب الاندونيسى » . . « وقد ضرب لنا الشعب الاندونيسى أوقع مثل لكفاح الشعوب وبين لنا أن الطريق الوحيد للحرية والاستقلال هو انتزاعهما انتزاعا ، فعلى الوطنيين المصريين وقد تأكدوا أن قضية أندونيسيا هي قضيتهم أن يرفعوا صوتهم عاليا مؤيدين الشعب الاندونيسى في كفاحه » (١) . وموضوع آخر « ليقف شعب مصر وراء الشعب الاندونيسى المكافح » . . وفي هذا الموضوع تحرص الجماهير على أن تنقل عن البرافدا السوفيتية « ان الجنود الهولنديين يحاربون بملابس وعتاد أمريكيين ، فان أصعب الدولار المسلح تحرك الاستعماريين الهولنديين . . ولكن الشعب الاندونيسى مصمم على صد هذا العدوان . . وهو لا يقف وحده فعمال وشعوب العالم تقف من ورائه . . » وتحريص الجماهير أيضا على أن تبرز « ان الحزب الشيوعى الهولندى وجه نداء الى نقابات العمال وخاصة نقابة عمال الموانى والارصفة بالاضراب عن شحن الجنود والعتاد الى أندونيسيا ، وهكذا أثبتت الطبقة العاملة في كل

مكان أنها طليعة النضال من أجل الحرية والديمقراطية » . وأخيرا تؤكد الجماهير « ان كفاح الشعب الاندونيسى من أجل حريته واستقلاله هو جزء من كفاح الشعوب المستعمرة ضد مستعمراتها . والكفاح ضد الاستعمار الهولندى هو في الواقع كفاح ضد الاستعمارين البريطانى والامريكى » (١) .

ثم تبدأ المعركة الحقيقية عندما يذيع راديو الجمهورية الاندونيسية ليلة ٣١ يوليو ٤٧ نداء موجها الى عمال الشرق الاوسط وشبابه يهيب بهم أن يمنعوا مرور السفينة الهولندية « تولندام » التى تصل الى بور سعيد والسويس خلال سبعة أيام حاملة جنود الاستعمار وذخيرته فى طريقها لحرب الشعب الاندونيسى . وتلتقط « الجماهير » الخيط وتشن أوسع حملة جماهيرية لمنع هذه السفينة من المرور . .

وتبدأ الحملة ببرقية الى رئيس الوزراء (ستمر السفينة الهولندية تولندام عبر قنال السويس حاملة ٢٠٠٠ جندى وعتادا حربيا لتوجيهها الى صدر الشعب الاندونيسى المجاهد فى سبيل حريته واستقلاله . ومجلة « الجماهير » تطالب الحكومة المصرية بمنع مرور هذه السفينة الهولندية الاستعمارية - محمود النبوى .

لكن الجماهير لا توجه نداءها فقط الى الحكومة . . وانما توجهه أساسا الى « عمال وشباب مصر » « يا عمال مصر - يا شباب مصر . . لو مرت هذه السفينة عبر بلادنا . . وكل ما فيها موجه للقضاء على الجمهورية الاندونيسية الحرة لبقى هذا العار عالقا بتاريخ نضالنا وإيماننا بالحرية . . على عمال مصر وشبابها وشعبها . . علينا أن نهب جميعا لنمنع هذه الجريمة . . لنوقف هذه السفينة . . لنعيد لها لأصحابها المستعمرين مشيعة باللغات ، يا عمال مصر وشباب مصر يا عمال بور سعيد والسويس فلتجملوا من موانئ السويس وبور سعيد قلعا للحرية لا يمكن أن تمر منها سفينة تحمل الموت الى شعب شقيق مكافح » .

وبرواز صغير فيه موجز لنداء وجهه الحزب الشيوعى الهولندى الى عمال الموانئ يحثهم على مقاطعة هذه السفينة (٢) .

وتعقد رابطة الطلبة المصريين اجتماعا تقرر فيه تكوين لجنة للدفاع عن أندونيسيا وتطالب :

١ - المرجع السابق .

٢ - الجماهير ، ٤/٨/١٩٤٧

« ١ - منع الطائرات والبواخر الهولندية الذاهبة الى أندونيسيا من الرسو في مطاراتنا وموانينا .

٢ - مطالبة لحكومة المصرية بالاحتجاج على هذا العدوان الغاشم .

٣ - أن تقوم هذه اللجنة بفتح الاكتتابات الواسعة لمساعدة اخواننا الاندونسيين واصدار كتيبات ونشرات وبيانات توضح للشعب المصرى قضية زميله الاندونيسى المناضل « (١) » .

وتطالب رابطة الطلبة المصريين فى بيان لاحق . . بمقاطعة السفينة تولندام (٢) .

ولم يكن كل هذا التحرك غير جزء من حملة عامة خاضت « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى » (حدثو) غمارها وأصدرت خلالها بيانا بعنوان « با عمال الشحن بمينائى بور سعيد والسويس كافحوا فى سبيل اندونيسيا » وتؤكد « حدثو » فى هذا البيان أن هولندا الضعيفة لم تكن لتستطيع محاربة ٧٠ مليون اندونيسى دون تأييد الاستعمار الانجلو أمريكى وتختتم البيان « يا عمال الشحن ببور سعيد والسويس ضموا صوتكم وكفاحكم الى كفاح عمال العالم ضد الاعتداء على الشعب الاندونيسى أوقفوا شحن السفن الهولندية والانجليزية المتجهة لمحاربة الشعب الاندونيسى اثبتوا انكم تؤيدون قضية الحرية » (٣) .

وتنجح الحملة نجاحا منقطع النظير . . وتخرج الالوف من عمال بور سعيد والسويس لثمن السفينة « تولندام » من مجرد الاقتراب من الميناءين . . وتضطر الحكومة الى حشد قوات ضخمة من البوليس تصطدم بالاهالى فى محاولة لافشال المقاطعة . . ان الجماهير تقتصر . . وتعود « تولندام » من حيث أتت . .

وتوجه « الجماهير » تحية « الى زملائنا أهالى بور سعيد . . اليكم يا أهالى السويس والاسماعيلية نحى موقفكم الوطنى . . فى منع الباخرة « تولندام » من الاقتراب من الميناء ، ان تصدى البوليس لكم اعتداء صارخ على شعوركم من قضية حرية الشعب الاندونيسى . ان هذا التصرف هو اعتداء صارخ على قضيتنا الوطنية » (٤) .

١ - المرجع السابق .

٢ - المرجع السابق

٣ - الجماهير ، ١١/٨/١٩٤٧

٤ - المرجع السابق .

وترسل « الجماهير » أحد مندوبيها ليعد تحقيقا صحفيا عن مواجهة جماهير عمال بورسعيد للسفينة تولندام .. ورجال البوليس .

وتنشر صورة عشرات اللنشات والمراكب الصغيرة تملأ الميناء رافعة أعلام الجمهورية الاندونيسية . ألف من العمال والشباب يهتفون « يسقط الاستعمار الهولندي » ، « عاشت اندونيسيا حرة » .

وما أن ظهرت السفينة « تولندام » حتى أحاطت بها اللنشات لتمنعها من التقدم الى الميناء ولتمنع ربطها الى الميناء .. وقامت معركة تمكنت فيها الجماهير من القاء التهمين المخصص للسفينة الى البحر .. ومنع ربطها ، وباتت السفينة تحرسها لنشات البوليس وتسندها خوفا من غرقها لان العمال امتنعوا عن ربطها .. وفي فجر عادت السفينة من حيث أتت تحرسها مدمرة بريطانية (١٠٠)

ويكفى هذا النجاح تعبيرا عن نجاح الحملة التي نظمتها « الجماهير » .. ولنأت بعد ذلك الى الحملة الاخرى .. والتي نظمت دفاعا عن « الشيوعيين في العراق » وتبدأ الحملة بمقال كتبه حمدي (شهادي الشافعي) بعنوان « حملة صليبية .. في العراق » تلحظ فيه عن حملة الارهاب التي شنها النظام الرجعي بالعراق ضد كل القوى الوطنية .. « وكان نصيب الشيوعيين العراقيين من الارهاب كبيرا فقد شنت ضدهم حربا واسعة شاملة وانتهى المطاف بالقبض على يوسف سلمان سكرتير الحزب الشيوعي .. انها حملة صليبية خاسرة - جربها هتلر وموسليني فكان مصيرهما الهزيمة الساحقة .. وكان النصر للشعوب » (٢) .

وعندما يحكم بالاعدام على الرفيق فهد ورفاقه تشن « الجماهير » حملة عنيفة وتخرج بافتتاحية عنوانها « ينصبون المشانق للوطنيين » جاء فيها « حكم رهيب .. لم يسبق قط لحكمة في الشرق العربي أن أصدرته .. حكم بالاعدام على ثلاثة من العراقيين وبالسجن مدى خمسة عشر عاما وباحكام أخرى مختلفة على آخرين .. بتهمة الشيوعية اعدام ؟ سجن خمسة عشر عاما ؟ أى جريمة ارتكبتها القوم .. » .

وتحذر الجماهير القوى الوطنية في العراق فاذا « كانت هذه الضربة المسمومة تصوب اليوم الى أشد المعارضين صلابة بحجة أنهم شيوعيون فلن تلبث الضربة أن توجه في الغد الى كافة أحزاب المعارضة العراقية .. اننا

١ - الجماهير ، ١٩٤٧/٨/٣٠ ،

٢ - الجماهير ، ١٩٤٧/٦/٩ ،

نهيب بالضمير المصرى والمعارضة المصرية والمنظمات الشعبية المصرية والجامعة العربية والحكومة المصرية أن ترفع صوت الاستنكار يصك آذان المستبدين والظغاة .. انها ليست مسألة العراق ، انما هى مسألة الشرق العربى ومكانته أمام الشعوب الاخرى ، مسألة الحريات المقدسة فليدو صوت الشعوب العربية صارخا : الغوا حكم الاعدام .. انقذوا هذه الرقاب . امنعوا اقتراف الجريمة « (١) » .

وفى نفس الصفحة كاريكاتير يصور الرجعية العراقية والاستعمار البريطانى يصبون مشنقة ويقولون « لكل دوره .. ولنبدأ بالشيوعيين »

وفى نفس العدد صفحة كاملة عنوانها « يا أيها الوطنيون فى مصر والشرق العربى . قفوا هجوم الاستعمار . طالبوا بنوال المشانق من العراق أوقفوا الاستبداد عن جماهير شعبنا » . وبداية الموضوع فقرة تقول أن الشرق الاوسط قد تحول كله بفضل سيطرة الحكومات الرجعية الى معسكر اعتقال .. ثم تنتقل « الجماهير » الى دراسة الوضع فى العراق وكيف تسلطت حكومة نورى السعيد على الحكم لتتقود البلاد الى أحضان الاستعمار . ثم تتحدث عن أحكام الاعدام على الشيوعيين فتقول « اننا لنحس فى مصر معنى شنق الوطنيين فلا يزال فى ذاكرة شعبنا حادثة دنشواى . ولا أحسب أن جماهير شعبنا تغمض العين عن دنشواى العراق » (٢) .

وفى نفس العدد أيضا قصيدة « العدالة والمواثيق » لمحمود توفيق .. وفى عدد لاحق قصيدة كمال عبد الحليم « وتعدلون فيأتى عدلكم عجا » (٣) .

وفى أعداد تالية تواصل « الجماهير » حملتها . وعندما يمر الامير عبد الاله الوصى على عرش العراق ونورى السعيد وكانا فى طريقهما لانجلترا ، تستقبلهما « الجماهير » بمقال عنوانه « ماذا يدبرون للعراق ؟ ينصبون المشانق - يعلنون الاحكام العرفية - مفاوضات على غرار صدقى - بيفن » (٤) .

وتشير « الجماهير » بعد ذلك الى نجاح حملة الضغط العالمية والعربية فى اجبار الرجعية العراقية على تخفيف احكام الاعدام .. لكنها تصمم « اغفوا عنهم ! لا يكفى ان تلغوا احكام الاعدام » (٥) .

١ - الجماهير ، ١٩٤٧/٦/٣٠

٢ - المرجع السابق .

٣ - الجماهير ، ١٩٤٧/٧/١٤

٤ - الجماهير ، ١٩٤٧/٧/٢١

٥ - المرجع السابق .

والموضوعات عن العراق كثيرة جدا . . والحملة التي نظمها « الجماهير » كانت قوية بل وعاتية وكانت تعبيراً صادقا عن الاحساس بالتضامن القومي والاممي . . وكانت الاستجابة الجماهيرية للمشاركة في هذه الحملة واسعة بغير حدود .

ولنأت الى الحملات الداخلية . . والنموذج الذي نقدمه حملة التضامن مع الاضراب الكبير لعمال النسيج بالمحلة الكبرى . . ولم تكن « الجماهير » غريبة عن هذا المجال فلقد تحدثت عنه طويلا . . وأفردت لكفاح عمال المحلة صفحات عديدة . . أهمها ذلك التحقيق الصحفي الغنى أعدته بعنوان « ٢٦٠٠٠ من عمال شركة مصر بالمحلة بين استبعاد الاحتكاريين ونقابة من الجلادين » ويتضمن ذلك الريبورتاج دراسة مفصلة - كعادة الجماهير - عن الظروف الاجتماعية والاقتصادية لعمال شركة مصر بالمحلة . . وفي الختام توجه « الجماهير » النداء التالي « عليكم يا عمال المحلة انتم والشعب كله ان تخلصوا انفسكم من سيطرة هذا النفر من الاحتكاريين المغتصبين بأن تعملوا لتأهيل (تأميم) هذه الشركة الاحتكارية كي تدار لصالح الشعب ولصالحكم انتم الذين بنيتموها ، وأنتم الذين تعملون فيها ، لا لصالح حفنة من الاحتكاريين » (١) .

كذلك لم تكن « الجماهير » بعيدة عن تنظيم هذا الاضراب الكبير فكل الدلائل تشير الى ان كوادر « حدثو » بالمحلة هي التي نظمت « لجان الاضراب السرية » وكان رئيس هذه اللجان هو محمد حمزة عضو حدثو . وانفجرت المعركة الاضرابية التي قلبت المدينة كلها الى ميدان قتال تصادم فيه ١٦٠٠٠ عامل مع آلاف من جنود البوليس ثم آلاف أخرى من جنود الجيش المسلحين بالدبابات والسيارات المصفحة . . ومن الملفت للنظر ان مطالب العمال المضربين كانت تتفق الى حد التطابق مع المطالب التي كانت « الجماهير » تحددتها بالنسبة للاوضاع في شركة المحلة . . حل النقابة الصفرأ . . انتخاب نقابة جديدة - الغاء لائحة الجزاءات . . رفع الاجور بنسبة ٢٥ بالمائة . . عدم توفير العمال . . » (٢) .

وكان الصدام داميا واستشهد من العمال اربعة . .

وترسل « الجماهير » برقية الى رئيس الوزراء بالنيابة « نستنكر بشدة الاعتداءات الدامية التي وقعت على عمال المحلة . . كما نستنكر تعسف الشركة بهم . ونطالب فوراً بتدخل الحكومة لانصاف العمال » .

١ - الجماهير ، ١٩٤٧/٦/٢

٢ - الجماهير ، ١٩٤٧/٩/٦

ثم تدعو « الجماهير » كل عمال النسيج للتضامن مع زملائهم . . وتتحرك الكوادر الحزبية العمالية لتضع حملة التضامن موضع التنفيذ على نطاق قومي شامل لم يسبق لمصر ان شهدت له مثيلا . . وتحت شعار « يا عمال النسيج اتحدوا » تنشر « الجماهير » انباء عن تضامن اتحادات عمال النسيج في شبرا الخيمة والمحلة وكفر الدوار والاسكندرية مع العمال المضربين . .

. . وتلجأ « الجماهير » الى شعب المحلة فتنظم له استفتاء يعتبر فيه عن تضامنه مع العمال المضربين (١) .

ويضرب ٢٠.٠٠٠ من عمال النسيج في شبرا الخيمة تضامنا مع عمال المحلة واستجابة لنداء « الجماهير » وتعلق « الجماهير » على هذا الاضراب التضامنى قائلة « لم تكن لتمر معركة عمال المحلة الكبرى دون ان يكون لها صدق قوى بين عمال مصر كافة وعمال النسيج بشبرا الخيمة خاصة . . اذ أعلنوا اضرابا عاما أغلقت بسببه جميع المصانع في شبرا الخيمة . . لقد أحس اليوم عمال النسيج في كافة انحاء القطر بالوحدة القوية التى تربطهم . . ان عمال النسيج ليسجلون بدمائهم وحدثهم المقدسة في الكفاح من أجل الدفاع عن حقوقهم » (٢) .

ثم تفتح « الجماهير » اكتبابا عاما لشهداء المحلة قائلة « لقد سقط اربعة من عمال المحلة وهم يكافحون من اجل قوتهم وقوت اولادهم وعائلاتهم . . لقد تركوا صغارا دون عائل . . فاكتببوا لهم . ان اكتبابكم رمز للتعاون والاخاء بين المظلومين والكادحين جميعا في مصر » (٣) .

وتستمر « الجماهير » في نشر قوائم التبرعات لشهداء عمال المحلة لفتره طويلة . . كذلك فقد نظمت « الجماهير » حملة على النطاق القومى للتضامن مع عمال المحلة وتزخر صفحات الاعداد التالية ببيانات التأييد لعمال المحلة من هيئات ونقابات وتجمعات عمالية عديدة « . . عمال لوهاملات مصانع الغزل والنسيج بالمطرية والزيتون ، نقابة عمال الأمنيبوس المصرية ، اتحاد تجار البحر ببورسعيد ، اللجنة الوطنية بحى القلعة ، عمال مصنع سباهى بالدرب الاحمر . . الخ » .

كذلك تنشر « الجماهير » اقتراحا من جبهة عمال مدينة المنصورة باعتبار يوم ٢ سبتمبر يوم شهداء عمال المحلة . . عيدا لكفاح العمال المصريين » (٤) .

١ - المرجع السابق .

٢ - الجماهير ، ١٩٤٧/٩/٦ ،

٣ - المرجع السابق .

٤ - الجماهير ، ١٩٤٧/٩/٢٨ ،

ويتولى محامو مكتب الاستشارات القانونية بالجماهير وعلى رأسهم على الشلقانى الدفاع عن العمال المقبوض عليهم . . بينما ترسل « الجماهير » مندوبين عنها ليواصلوا تعبئة الجهود في المحلة وفي القرى المحيطة بها حيث تتواجد مصادر الايدى العاملة الاساسية . . ويتجول هؤلاء المندوبون لا ليعكسوا فقط رأى « جماهير العمال وانما ليسهموا في عملية التعبئة والتنظيم . . » (١) .

ثم تتطور حملة التضامن مع عمال المحلة فتحقق نتائج باهرة حيث تنجح في توحيد كل نقابات عمال النسيج في اتحاد عام لعمال الغزل والنسيج . . يتكون من ممثلين لعمال النسيج بشبرا الخيمة والقاهرة والمحلة الكبرى ودمياط والاسكندرية ويصدر الاتحاد بيانا يعلن انه « ازاء الاضطهادات التى تسانيها الطبقة العاملة عامة وعمال النسيج والغزل خاصة ، ازاء السياسة الاستبدادية التى تتبعها الشركات التى لا غرض لها سوى الربح والربح فقط . . وازاء مشكلة المحلة . . اجتمع ممثلو عمال النسيج وقرروا تأسيس اتحادهم العام » . . ويطالب الاتحاد فى أول قرار له « بوجود فتح مصانع المحلة فوراً دون قيد أو شرط واجابة مطالب العمال . . ويحمل الاتحاد ادارة الشركة وجهات الاختصاص مسئولية ما يحدث اذا لم تجب مطالب العمال !!عادله . . فنيا عمال الغزل والنسيج بالقطر اتحدوا . . ويحيا اتحاد الطبقة العاملة » (٢) .

وهكذا تصل الحملة الى قمتها . . محققة نتائج باهرة .

وفي صيف عام ١٩٤٨ اجتاحت الكوليرا مصر . . وكان مصدرها منطقة الاحتلال الانجليزى بقناة السويس ، ومع بدايه الكارثة المروعة كانت « الجماهير » فى المقدمة تعمل فى كل الجبهات . . تدين الاستعمار مصدر التوباء وتنشر الارشادات الطبية وتطالب بأوسع حملة جماهيرية منظمة لانقاذ مصر من التوباء . .

وتخرج الائتلافية بعنوان « كوليرا سياسية » ويوقعها حمدي (شهدي عطيه) وتقول « كوليرا تجتاح البلاد مصدرها فايد أى منطقة الاحتلال . . كوليرا اخرى لا تقل عندها خطورة مصدرها لاطو على بالقاهرة . . كوليرا سياسية تحاول ان تصرف الانظار عن الطريق الوحيد لنيل الاستقلال الا وهو اعداد الشعب تحت قيادة وطنية مخلصه . . اعدادا مسلحا ضد الغاصبين » .

١ - الجماهير ، ١٩٤٧/٩/٢٨

٢ - الجماهير ، ١٩٤٧/٩/٢١

ویدعو هدهئ الى تنظيم مقاومة وباء الكوليرا . . لكنه ايضاً يدعو الى
مقاومة الكوليرا السياسية « كوليرا التسميف وتحويل الانتظار يجب حربها
وتطهيرها . فنلجند الشعب ليظهر البلاد » .

وفي الصفحة الاولى بدلا من البرواز الذي كانت تقدم فيه « الجماهير »
أهم خبر فيها تحت عنوان « قبل الطبع » يوجد برواز آخر بعنوان « الطبيب
يقول » تقدم فيه « الجماهير » ارشادات لمقاومة الكوليرا . . والمانشيت الرئيسي
« نحن ندعو الى تكوين كتائب ضد الكوليرا » . ثم نداء من الجماهير « ان
الجماهير لتدعو الى تكوين كتائب من كافة الزملاء من اصحاء هذه المجلة
ومحبها . . نظم نفسك في كل حي وكل شياخة مع زملائك لتزود جيرانك
بالتعليمات الصحية . . ستنظم المجلة توزيع منشورات تتضمن تعليمات
الوقاية الصحية الكافية . . يا اصحاء « الجماهير » . . انزلوا الى الجماهير
انهم في حاجة اليكم . . كونوا كتائب ضد الكوليرا . . كونوا كتائب الجماهير
ضد الوباء . . انقذوا الوطن » (١) .

وتتلطف الكوادر الحزبية وقراء مجلة « الجماهير » وأصدقائها هذه
الدعوة وبسرعة تنفذ لجان مقاومة الكوليرا « في مختلف الاحياء . . وخاصة
الاحياء الشعبية . . وتشاهد الاحياء الفقيرة - ربما لأول مرة - طالبات من
الجامعة وطلبة ومتقنين وعمال يقتحمون الحي في حملات تنظيف وتوعيه
وتحصين بالمصل الواقى . . واجتاحت مصر كلها موجة من النشاط العام كان
قوامها هؤلاء الشبان الذين أيقنوا ان مقاومة وباء الكوليرا « كفاح سياسى »
وان ترك الوباء يستشري ليس فقط خطراً يهدد الارواح ولكنه خطر يعصف
بالقضية الوطنية التي كانت تنتظر حلاً .

وفي العدد التالى تقدم « الجماهير » صورة فوتوغرافية لعدد من
الكادحين يتناولون طعامهم جلوساً على الارض « لقد قضت سياسة الاستعمار
والحكومة . . ان يعيش ابناء الشعب عرايا يأكلون الفسّات الملوثة
بالكوليرا . . » .

والافتتاحية عنوانها « العلاج ألوحيد . . الجلاء ورفع مستوى المعيشة »
وتقول . . « ان علاج الوبئة والفقر ليس في الامصال الوقائية والمسكنات
الوقائية بل في طردنا للمستعمر ، ورفع مستوى معيشتنا . . فلنكافح ولنناضل
من أجل حياتنا واستقلالنا . . لرفع الاجور والمرتبات ، وتخفيض الاسعار ،
ولتفرض الضرائب التصاعدية ، ولتخفيض ايجارات الاراضى ولترسم سياسة
اقتصادية ترمى الى تحريرنا من ربة الاستعمار ولنتعاون مع الدول الصديقة

المستعدة لمدادنا بالمنتجات والآلات دون تدخل أو استبعاد .. هذا هو الطريق واضح بين ، فاما استقلال ورخاء .. واما أوبئة ومجاعات « (١) .

وتواصل « الجماهير » حملتها فتحذر في افدتاحية اخرى « الكوليرا تشتد .. والمجاعة تقترب » وتعلن « الجماهير » مسئولية الحكومة الرجعية عن تزايد انتشار الوباء .. وتقول « .. يطالب الاطباء بالنظافة وتطهير المنازل بالفنيك والادوية .. فهل وزعت الحكومة هذه المواد على الطبقات الشعبية ؟ هل خفضت الحكومة اسعار الصابون والغاز والمواد الاساسية لمكافحة الوباء ؟ وهل فرضت الحكومة على الاغنياء الآمنين من المرض ضريبة استثنائية وتسمى « ضريبة الوباء » .. وتذيع وزارة الصحة في نشراتها ان اغلوا كل شيء لتقتلوا الميكروب ؟ .. في الوقت الذي تأمر فيه الحكومة بتخفيض مقررات الكيوسين الى الربع ، وفي الوقت الذي ما زالت فيه شركات البترول الانجليزية والامريكية تفرض الاسعار المرتفعة للغاز » . وتمضى الجماهير مؤكدة « ان انتشار الاوبئة نتيجة حتمية لسياسة افقار الجماهير » .

ان الحكومة الرجعية تتراخى في مكافحة الكوليرا انها « لا تتحرك .. ومصممة على الاحتفاظ بمراكزها ولو أفنت الآلاف بل الملايين » .. بينما تؤكد الافتتاحية ان آلافا من اصدقاء مجلة « الجماهير » قد تطوعوا لمكافحة الوباء وهم غير مطمئنين ضد الوباء (٢) .

وتسجل « الجماهير » باعتزاز « لقد لبي الشعب نداء « الجماهير » .. فتألفت كتائب الكوليرا في الاحياء والاقاليم » . وتروى « الجماهير » في صفحة كاملة قصصا رائعة للشبان من اصدقائها الذين غادوا جماهير الشعب في معركة مكافحة الوباء .. وكيف خرج طلبة وطالبات الجامعة يكتسبون الشوارع ويوزعون المنظفات ويقومون بعملية « التطعيم » ضد المرض .. والطالبات والعاملات يطرقن ابواب البيوت الفقيرة يتكلمن عن النظافة والوباء .. والاستعمار .. والرجعية ، وعن حقوق الشعب الكادح ..

وهكذا كانت « الجماهير » نموذجا للمجلة اليسارية الحقة التي تستند في حركتها على جموع الشعب .. كانت « الجماهير » المجلة .. و « الجماهير » الشعب يمتزجان معا في سيمفونية نضالية رائعة ..

-
- ١ - الجماهير ، ١٠/٥/١٩٤٧
٢ - الجماهير ، ١٢/١٠/١٩٤٧

لكننا سنحاول ان نمر سريعا على علامات رئيسية اخرى ٠٠

هناك مسألة اخرى هامة وهى الموقف من القضية الفلسطينية ولقد كانت « الجماهير » واحدة من اهم المناابر التى اهتمت بهذه القضية اذتماما كبيرا ومتصلا ومتعدد الزوايا « نحن نكافح من أجل فلسطين مستقلة ديمقراطية » هكذا تحدثت الجماهير الى لجنة التحقيق الانجلو امريكية وقالت « ان قضية فلسطين واضحة لاتحتاج الى لجان ولا بحوث ولا تقارير ، ان الشعب الفلسطينى يريد ان يتخلص من استعماركم واستغلالكم وظلمكم وارهابكم . الشعب الفلسطينى يريد استقلاله وحريته . يريد ديمقراطيته ومساواة يتمتع بها جميع المواطنين من عرب ويهود . ان استقلال فلسطين يستلزم جهادا متصلا من سكان فلسطين واتحاد صفوفهم وتخلصهم من النفوذ الصهيونى اداة الاستعمار من جانب والرجعية العربية ذنب الاستعمار من جانب آخر . ان قضية فلسطين تتلخص فى كلمتين كفاح من أجل الجلاء والديمقراطية » (١) .

وبالكارىكاتير . . صورة للشعب الفلسطينى تحاول الصهيونية بمساعدة من ترومان وبيفين تكبيله بالاغلال ٠٠ ثم عبارة تقول « هذا ما يريده الاستعمار الانجلو امريكى واخذابه الصهيونيين بالشعب الفلسطينى ولكن الشعب مصمم على تحطيم القيود » (٢) .

وفى دراسة مستفيضة اعدتها « الجماهير » عن فلسطين بمناسبة مناقشة القضية الفلسطينية فى الاهم المتحدة ٠٠ تتحدث عن جذور المشكلة وتقول « ان فلسطين قد بليت بنوعين من الرجعية صهيونية عنوانية ورجعية عربية . وكلا الرجعتين حريصتين على ابقاء الاستعمار » .

وتمضى الدراسة لتستخلص عددا من الدروس الهامة منها « ان الصهيونية لا يمكن ان تعيش دون مستعمرين » (٢) .

وفى صفحتها النظرية المسماة « القاموس السياسى » تخصص « الجماهير » احدى دراساتها لتعريف « الصهيونية » وتحكى الدراسة قصة اضطهاد اليهود فى اوربا ونشأة الحركة الصهيونية كحركة عنصرية وتقول « استخدم استعمارىو العالم الرأسماليين اليهود فى بث سموم النظرية

١ - الجماهير ، ١٩٤٧/٥/٥

٢ - الجماهير ، ١٩٤٧/٥/١٢

٣ - الجماهير ، ١٩٤٧/٥/١٩

الصهيونية العنصرية بينهم وتضليلهم بأنهم شعب لا يمكنه الاندماج في وسط الشعوب الاخرى وان حل مشكلتهم والقضاء على اضطهادهم انما يكون بتكوين دولة يهودية في فلسطين » وتتنبأ الدراسة في بعد نظر علمي يستحق الاعجاب بالسياسة التي سوف تنتهجها هذه الدولة الصهيونية عندما تقول انها ستحول ارض فلسطين الى « نقطة استراتيجية يستغلها الاستعمار في القضاء على الحركات التحريرية العربية وكقاعدة استعمارية ضد الشعوب ، وتهيء الصهيونية الفرصة لاستغلال رؤوس الاموال الانجليزية الامريكية باستعباد العمال والفلاحين من العرب واليهود على السواء ونهب الثروات الطبيعية في البلاد العربية ولا سيما البترول والمعادن » .

ثم تتساءل الدراسة « ما هو الحل ؟ » وتجيب « مشكلة اليهود تنقسم الى ثلاثة اقسام : ١ - مشكلة اليهود المعذبين في مختلف البلاد : هؤلاء عليهم ان يشتركوا في الكفاح مع شعوبهم من أجل تحقيق الديمقراطية ... ٢ - مشكلة اليهود المشردين وهؤلاء يجب ان تكفل لهم سبل العودة الى اوطانهم الاصلية . . . ويجب ان يوضح ان فلسطين لا يمكن ان تحل القضية اليهودية . وان كل محاولة لاطهار فلسطين كالحل للمشكلة اليهودية انما هو تعقيد لكلا المشكلتين . ٣ - مشكلة فلسطين : ان حلها ينحصر في الكفاح المشترك بين جماهير اليهود والعرب معا للتخلص من الاستعمار الانجلو امريكي وانشاء دولة حرة ديمقراطية مستقلة » (١) .

وتنتقد « الجماهير » الحكومة الرجعية لانها « تحارب الحركات المعادية للصهيونية بينما تغض عينها عن الحركات الصهيونية التي تهدر مداح الوطن . . . في الوقت الذي نعرف فيه جميعا ان الصهيونية حركة اهابية عدوانية تقوم على مبادئ الارهاب والعدوان » (٢) .

كذلك تهتم « الجماهير » بهذه القضية من زاوية اخرى وهي بذل النشاط وسط اليهود المصريين لعزلهم عن الحركة الصهيونية . وتعلن « الجماهير » انه قد « تألفت اخيرا رابطة اسرائيلية لمكافحة الصهيونية » . وفي حديث أجرته « الجماهير » مع « عزرا هراي » سكرتير الرابطة يؤكد « ان اهداف الرابطة هي مكافحة الصهيونية ودعايتها المضللة بين كافة الاسرائيليين القاطنين بمصر » . واجابة على سؤال « لماذا تكونت الرابطة في هذه الايام بالذات ؟ » اجاب « لأن الدعاية الصهيونية السامة نشطت في عصر اخرا

١ - الجماهير ، ١٩٤٧/٦/٢

٢ - الجماهير ، ١٩٤٧/٥/١٩

نشاطا كبيرا مما يهدد العلاقات بين العرب، واليهود بتسميم الجو في بلد كمصر عاش فيه اليهود أجيالا متعاقبة على احسن ما يكون من اللئام مع زملائهم المصريين » . وسؤال آخر عن زعماء الحركة الصهيونية في مصر والجواب « ان معظمهم من كبار الاثرياء واصحاب الاعمال » . ويقول ايضا ان « الصهيونية اداة استعمارية تريد جذب جماهير اليهود لتحقيق أغراض الاستعمار بانشاء دولة يهودية في فلسطين تساعد على تثبيت اقدامه في الشرق الاوسط » (١) .

وتنشر « الجماهير » في عدد تال « نداء من الرابطة الاسرائيلية لمكافحه الصهيونية » قالت انه قد طبع في صورة خطاب ووزعت منه آلاف النسخ على يهود مصر جاء فيه « ايتها الامهات . . نريد ان نحمل أطفالكن من أكاذيب الدعاية الصهيونية الخلافة التي ترمي الى ارسال اولادكن ليعيشوا في فلسطين وسط عداة اغلبية السكان وفي نظام كله استبداد واضهاد . ايها اليهود . . ايتها اليهوديات : تحاول الصهيونية الجربنا في مغامرة خطيرة . . تساهم الصهيونية في جعل فلسطين بلادا لا يمكن العيش فيها . . تريد الصهيونية عزل اليهود عن جماهير الشعب المصري . الصهيونية عدوة اليهود . فلتسقط الصهيونية . ولتحيا أخوة العرب واليهود . ولتحيا الشعب المصري » (٢) .

بقي ان نقول ان « عزرا هرازي » مؤسس الرابطة وسكرتيرها كان واحدا من كوادر « حدثو » . . وان نقول ايضا انه ما من عدد صدر من « الجماهير » الا وتضمن موضوعا أو اكثر عن فلسطين . .

ومع الشعوب العربية الاخرى وقفت « الجماهير » تدافع عن حقوقها وعن كل ما تخوضه من معارك . . ولم تكن وقفة « الجماهير » دفاعا عن الشيوعيين والوطنيين العراقيين سوى نموذج تكرر كثيرا على صفحات « الجماهير » . .

وعندما أجريت الانتخابات النيابية في سوريا ورشح الرفيق خالد بكداش نفسا كتبت « الجماهير » تقول « من بين عدد كبير من المرشحين و دمشق تلقى خالد بكداش مرشح الحزب الشيوعي السوري وسكرتيه . تأييد الجماهير وثقتها التامة ، فقد عبرت استقبالات الشعب السوري له عن مدى تأييدها للحزب الشيوعي وبرنامجه الذي أوضحه بكداش في خطاب الفاء في الصالحية بدمشق بقوله ان هذا البرنامج يعبر عن ماضي النضال الوطني للشعب السوري وتمسكه باستقلاله ونظامه الجمهوري . . كما يعبر عن

١ - الجماهير ، ١٩٤٧/٥/٥

٢ - الجماهير ، ١٩٤٧/٥/٢٦

طموح الشعب الى السير في طريق الاصلاحات الديمقراطية .. وأكد ان تحقيق مطالب العمال والفلاحين والمتقنين سيؤدي الى ازدهار البلاد « (١) » .

كذلك أيدت « الجماهير » ترشيح مصطفى العريس في انتخابات برلمان لبنان وقدمته لقراءتها قائلة « انه نشأ وترعرع في صميم معركة التحرير الوطني وعرفه العمال مناضلا عنيدا في سبيل الدفاع عن حقوقهم ورفع مستوى حياتهم » (٢) .

.. وهكذا تمضى « الجماهير » لتسجل في كل فرصة تضامنها مع القوى التقدمية العربية ومع الشعوب العربية في معاركها ..



وثمة اشياء اخرى هامة ..

الصفحة النظرية التي حفلت بأركان عديدة متنوعة القاموس السيسى (حيث قدمت دراسات لشرح معنى الاستعمار ، فائض القيمة .. العنصرية .. الصهيونية .. الخ) « الفلسفة للكادحين » (حيث قدمت « الجماهير » دراسات مبسطة عن الفلسفة المادية وقوانين الجدل) .. التاريخ للملايين (حيث قدمت تحليلا مسلسلا) لتطور المجتمع .. الخ .

وكانت هذه المحاولات في اعتقادنا من أوائل الدراسات المبسطة للنظرية الماركسية والتي روعى فيها - في الاساس - ربط النظرية ومشاكلها بالواقع الحى وتطورات .. كذلك اهتمت « الجماهير » بتقديم دراسات عديدة عن الازدواج في الاتحاد السوفييتى والانجازات الهائلة التى تحققت هناك ، وقدمت نماذج احصائية عديدة تبرز هذه الانجازات في مختلف المجالات .. وكان نصيب الديمقراطية الشعبية كبيرا ايضا من اهتمام « الجماهير » .



وباختصار ودون أدنى محاولة للادعاء بأننا قد أحطنا ولو بالجوانب الاساسية من الموضوع ، يمكن القول بأن « الجماهير » كانت مجلة تعنى ما تقول عندما قالت في صدر افتتاحية عددها الاول « ليست « الجماهير مجرد اسم يوضع في صدر صحيفة .. انما هى اعرق من هذا بكثير .. هى صوت الملايين من العمال والفلاحين والطلبة والمتقنين الوطنيين » .

١ - الجماهير ، ١٩٤٧/٧/٧

٢ - الجماهير ، ١٩٤٧/٥/٢٦

المراجع

١ - كتب

- د رفعت السعيد - تاريخ الحركة الشيوعية المصرية - المجلد الأول - ١٩٠٠ - ١٩٤٠ - دار الامل - القاهرة .
- د رفعت السعيد - تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر ١٩٠٠ - ١٩٢٥ - دار الفارابي - بيروت .
- د رفعت السعيد - اليسار المصري - ١٩٢٥ - ١٩٤٠ - دار الطليعة - بيروت .
- د رفعت السعيد - عصام الدين حنفى ناصف - سلسلة طلائع الفكر الاشتراكي في مصر - دار الثقافة الجديدة - القاهرة .
- محمد طاهر العربي - هذا المجتمع الظالم - دار المستقبل - القاهرة .
- محمود حسنى العربى - ٨٩ شهرا في المنفى - القاهرة .
- محمود حسنى العربى - مقالات العربى - المطبعة الاميرية الكبرى - القاهرة .
- والتر لاکور - الاتحاد السوفييتى والشرق الاوسط - ترجمة المكتب التجارى - بيروت .

ب - وثائق

- ملف القضية رقم ٧٥٣ المنشئة ، ٣٤٤ كلى ١٩٣١، جـنايات الاسكندرية .
- مارسيل اسرائيل (شيريزى) تقرير مكتوب بالآلة الكاتبة الفرنسية مقدم للحزب الشيوعى الايطالى حول تاريخ الكاتب ونشاطه فترة حياته بمصر .
- مارسيل اسرائيل (شيريزى) تقرير مكتوب بخط اليد باللغة العربية استكمل به الكاتب - بناء على طلب المؤلف - تقريره السابق .
- نشرة دار الابحاث العلمية - نسخة منزوعة الغلاف بدون تاريخ .
- دراسة باللغة الروسية بقلم أ . الجبالى - بعنوان (بلا مخرج) مجلة ريفولوسيوني فوستك (الشرق الثورى) السوفييتية عدد ١ لعام ١٩٣٢ .
- الفن والحرية عددان من نشرة بالرونو صادرة عن جماعة الفن والحرية عام ١٩٣٩ .

ج - دوريات

عام ١٩٢٥	الاخبار
المجموعة الكاملة	أم درمان
أعوام ٢٢ - ١٩٢٥	الاهرام
المجموعة الكاملة	التطور
المجموعة الكاملة	الجماهير
عام ١٩٣١	الجهاد
أعوام ٣٨ - ١٩٤٤	حرية الشعوب
عام ١٩٢٨	الحياة الجديدة
عام ١٩٢٨	الرقيب
عام ١٩٢٢	الشبيبة
المجموعة الكاملة	شبرا
عام ١٩٣٨	الشعاع
عام ١٩٤٧	صوت الامة
عام ١٩٣٣	صندوق الدنيا
المجموعة الكاملة	الضمير
عامى ٢٩ - ١٩٣٥	العصور
أعوام ٦٨ - ١٩٧٢	الكلتب
عام ١٩٢٧	كوكب الشرق
عام ١٩٢٧	المصرى
عام ١٩٤٧	الهلل
عام ١٩٣٢	الوادى

- مناقشات :

- * ابراهيم المنسترلى
- * أنور كامل
- * بول جاكو دى كومب
- * سعيد خيال
- * صادق سعد
- * عبد المنعم الغزالى
- * عصام الدين حفى ناصف
- * عبده ذهب حسنين
- * د. محمود القاضى
- * محمد سيد أحمد
- * يوسف درويش

الفهرس

٦	الاهــــــــــــداء
٧	٠٠ بدلا من المقدمة
١٨	الحســــــــــــاب
٣٥	روح العصر
٦٤	شــــــــــــــــبرا
٨٥	القطــــــــــــور
١١٨	النجر الجديد
١٥٩	الضــــــــــــمير
١٨٤	الجمــــــــــــاهير
٢٣٥	المراجــــــــــــع

١٩٥٢ - ١٩٥٠

الكتاب الثاني
الصحافة اليسارية
في مصر

١٩٥٢ - ١٩٥٠

الطبعة الثالثة

الطبعة الأولى - دار الطليعة بيروت
الطبعة الثانية - دار الثقافة الجديدة القاهرة

إهداء

.. الى رجل لا تعرفونه

.. الى شجرة عجوز راسخة ..

تبدو وكأنها أبدية الاصرار ، أبدية العطاء

محمد حسن جاد

تجاوز السبعين من حياة وهبها جميعا - ولم يزل - من أجل المبدأ

.. وهب منها سبعة عشر عاما في السجن

.. دفاعا عن حرية الانسان العربى .. وحقه في التعبير .

الشيء الصعب

.. أصعب الأشياء أن تكتب مقدمة لكتاب ..

اعداد الكتاب بذاته أمر صعب ، خاصة اذا ما اخذه صاحبه مأخذ الجذ ، أما كتابة مقدمة للكتاب فهي أمر محير .. ولقد حيرنى كثيرا أمر هذه المقدمات ..

لماذا نكتبها ؟ ولماذا ؟ ومتى نكتبها ؟

لماذا ؟ بمعنى ما هو الهدف الموضوعى من أن نكتب مقدمة لكتاب يفترض أنه سيصل للقارىء ملتصقا بها ، فإذا كان ثمة شيء هام فلماذا لا تضمنه الكتاب ذاته ، وإذا لم يكن هاما فلماذا نرهق أنفسنا ونرهق القارىء معنا بما لا يلزم ؟

ولماذا ؟ للقارىء الذى سيواصل القراءة عبر متن الكتاب ؟ أم لذلك المتعجل الذى سيقبل صفحاته مكتفيا بنظرة الى الفهرس ولحة عامة على المراجع ثم اطلالة سريعة على المقدمة وبمدها يطيح بالكتاب الى أحد الارفف عليه يحتاج اليها يوما .. لايهما سنكتب المقدمة ؟ هذا سؤال .. وثمة سؤال آخر ..

وعل سيمدم فى المقدمة تلخيصا للكتاب ؟ كل تلخيص سيكون مخلا بالضرورة ، وإن لم يكن مخلا فلم لا نكتفى به .. ولقد تكون المقدمة تبريرا لتناول موضوع ما ، فمادام لو كان الموضوع مبررا بذاته وليس بحاجة الى أى الحاح جديد ؟

ومتى ؟ هل تكتب المقدمة بعد أن تنتهى من اعداد الكتاب ذاته أو قبل أن تبدأ ؟

وتظل هذه الأسئلة وأكثر منها تلاحقنى مع كل كتاب .. وبلا اجابة أو حتى احتمال اجابة ..

وببدو أن هناك ثمة اتفاق غير مكتوب ، اطرافه ثلاثة : القارىء - الناشر - المؤلف والاتفاق يقضى بضرورة أن تكون هناك مقدمة ..

ولقد يبدو غريبا أن نمسك بكتاب فقطرا العنوان ثم .. الفصل الأول لماذا يبدو غريبا ؟ ربما بسبب ذلك الاتساع غير المكتوب .

ويتألق المؤلفون - وما من خيار أمامهم - في اختيار عناوين لمقدمات كتبهم وتتدرج الاختيارات ابتداء من النمط القديم . فذلكه ، تقديم ، مقدمة ، حتى آخر صيغة في أبداعات المؤلفين ..

وبتألف القارئ - كما اعتاد يوما - بحثا عن شيء ما يسبق الكتاب شيء، يقول له ما ليس في الكتاب لكنه مكمل له ..

اذن لا مفاصل ..

لا بد من فذلكه ما .. أو مقدمة ما ..

كل هذه الأفكار تراودني عندما أبدأ كتابة المقدمات
الا هذه المرة .. فقد كان لا بد من مقدمة .

منذ البداية أحسيت أنني بحاجة الى جلسة هادئة مع القارئ، قبل
أن نبدأ رحلتنا المشتركة ..

ثمة أشياء عديدة توقف القلم عن كتابتها هنا أو هناك مفورا أن مكانها
هذه المقدمة .. ولعله اكتشاف جديد بالنسبة لي ..

لا بد من مقدمة ..

باختصار ..

هذا هو الجزء الثاني ..

الجزء الاول صدرت طبعته الاولى في بيروت عام ١٩٧٤ وطبعته الثانية
بالضاحرة عام ١٩٧٧ وتضمن محاولة لتاريخ الصحافة اليسارية فيما بين
عامي ١٩٢٥ و ١٩٤٨ مستعرضا الصحف الماركسية التي صدرت عبر هذه
الفترة ابتداء بالحساب (١٩٢٥) مرورا بروح العصر وشبرا وحرية الشعوب
والثقل والفجر الجديد والضمير وحتى الجماهير (١٩٤٨) ..

ولقد أوضحنا في هذا الجزء أننا نبحث فقط ..

- في اطار الصحافة الماركسية الاتجاه ..

- والعلمية الصيغة ..

بمعنى أنه قد توجد عبر هذه المرحلة الزمنية صحفا ذات اتجاه
ثوري متطرف أو حتى تقدمي لكنها لم تكن ماركسية النزعة فلا تكون جزءا
من موضوع بحثنا ..

وبمعنى أننا نتوقف في هذا البحث عند حدود الصحافة العلنية أما الصحافة السرية للمنظمات الماركسية فاننا نتركها لمجال آخر هو دراستنا عن تاريخ هذه المنظمات .

ومن ثم فاننا لا نكتفى باستعراض ما هو فكر وما وسياسة على صفحات أية جريدة نتناولها بالدراسة مرتبطة بالحدث العام في مرحلة الصدور وانما نستعرض ايضا ما يمكن تسميته الحدث الداخلي للجريدة .. نشأتها وأصحابها ومحرروها وتطورات صدورها وهكذا ..

وكما حدث في الجزء الاول سنكتشف أن بعض الصحف موضوع الدراسة قد غيرت من مسارها الفكري والسياسي بأكثر من اتجاه ومن هنا سنكتفى بما يقع في يقيننا أنه مرحلة صدورها كجريدة ذات اتجاه ماركسي واضح .

* * *

وما نحن نبدأ المرحلة الثانية من رحلتنا .

نفس المنهج .. ونفس الاختيارات ..

أما المرحلة الزمنية فهي يناير ١٩٥٠ - يوليو ١٩٥٢

لماذا هذا التوقيت في التواريخ ؟

لأننا نعالج مرحلة محددة بذاتها .

يناير ١٩٥٠ بداية عصر الانفراج السياسي في أعقاب وصول الوفد الي الحكم وانهاء عهد الارهاب الاسود الذي بدأ مع اعلان الاحكام العرفية في ١٥ مايو ١٩٤٨ والذي ترك علامات بغیضة على وجه مصر لعلها لم تنزل باقية بشكل أو بآخر حتى الآن ..

٢٣ يوليو ١٩٥٢ بداية مرحلة جديدة تماما ليست فقط في طبيعة الحكام ولا في طبيعة ممارساتهم بشكل عام وانما لأن الصحافة ، بالذات قد تم تناولها بدءا من ثورة يوليو والتعامل معها بأسلوب متميز تماما قد نتفق معه وقد نختلف لكنه يتميز بحيث يتعين علينا افراد جزء خاص به .. جزء ثالث يتناول العلاقة بين ثورة يوليو والصحافة اليسارية عبر ذلك المسار المتفرد بتمقيدات سياسية واجتماعية ومفقدية ، وعبر التماوج - المبرر أحيانا وغير المبرر في أحيان أخرى - صعودا وهبوطا في علاقة هي بطبيعتها باللغة الحساسة .. علاقة السلطة القابضة بصحافة غير مرغوب فيها في أكثر الأحيان ، وإن سمح بها فانما في أطر محددة سلفا ...

لهذا توقفت هنا الدراسة عند حدود يوليو ١٩٥٢ .

لكن هذا الاختيار يثير امامنا عدة مشكلات ، ههنا ننساق نقناول بعض
الصحف موضوع دراسائنا وبالنحنيد صحيفائ منهما ما المعارضه والملايين
نقناولا حزائيا . .

فهاائن الجريائان صاءرا اساسا في الفقرة موضوع دراسائنا ثم نقنوا
عن الصاءور نحت صفوط عاءة سناون جزاء من موضوع دراسائنا هاء لكانها
وبعد ثورة يوليو اساءاااا انفاها من اءاء معاءا الصاءور لفاء من الوقت

لكانها عاءا في مرألة تاريخية مأأألة ااماما . . ومن ثم كان نقنولها
للامور ، واسلوبها ، وكيفية اامالها مع السلأة الجاءة ونعاال هاء السلأة
مما ماميزا ااماما . .

ومن هنا مانفا سناأنا في هاء الجزء بءراسه المأموعة الاولي من
كل من الملايين والمعارضه ناااااا البأنا في المأموعة اااااا لكال منهما للمأنا
المألة .



والاساس عناا مو اأااا الجاءة . .

وليس اسما ، اصأابها ولا مأارياها . .

ولهذا نقنوا كأارا امام مألة الكاأا التي اصاءرا يوسف أأما للأنا
باسم اللأنا المأرية لانصار السلام فلأنا صاءرا المألة باءام مأااا من أأنا
وظهرا على صفاأاها اسما الكأارين من كواءرها كمال عبا الأليم - ابراايم
عبا الأليم - ركا مراد - زعاى - فؤاء أااا - آسن فؤاء وكأارين عبراا . .
كأنا عكسا هاء المألة بأااا او بأااا بعض موااا أأنا ازاا قضية السلام
العالمى وازاا بعض القضايا الاأرا المأبأة بها ، كال هاء صأاا . . لكن
الاام بالنسبة لناا مو أن الأأاا العام لألة الكاأا كان أأااا ، سلاميا ،
وكان اأابرا عن منألااا اللأنا المأرية لانصار السلام وكان هناا هاماا
واسما بين أأااااها كأراءة وبين أأاااا الملايين مثلا رعاا أأنا المألة
ورباا اسما ، بعض المأارين وربما ايضا الأأاا السيااى في هاء الموضوع او
نااا . .

هاء الهاماا يكماا في الفارق بين مألة أأابية الانأما ، وبين مألة ناأااا
أأا مأأة أأابية لأأابى شمولىة الأأاا اأاااا مع شمولىة الهأا . . النصال
عن أأا السلام العالمى وهى قضية اأااا اأااااا او اأاا أن اأااا
كل الماأانين . .

ولذلك .. وبعد تأمل طويل رأيت أنه من غير الملائم أن نحشر الكاتب، وسط هذه الكوكبة من المجالات التطبيقية التوجه والطبقية الانتماء .. وهكذا يتناول بحثنا ..

• البشير •

• المستقبل •

• المعارضة (المجموعة الأولى) •

• الفاس •

• الملايين (المجموعة الأولى) •

ويتناول البطولة في هذه الملحمة التي نحن بصدها •

اسمان .. فتحى الرملى ، وحدتو

نحى الرملى ذلك الرجل يستحيل أن نتفق معه في كل أفكاره لكنه يستحيل أيضا أن نتجاهله في دراسة كهده .. فقد كان خلف صدور ثلاث من هذه المجالات .. البشير التي أصدرها منفردا في بداية صدورها ثم مشاركا لتنظيم صغير يدعى « جات » ثم مشاركا لحدثو • أكمل رحلة البشير وأصدر المستقبل كذلك أصدر أيضا بفضل جهوده واتصالاته الشخصية مجلة المعارضة وتحمل عبء إصدارها وحده ..

وحدثو .. التي دخلت مرحلة الارهاب الاسود الذي خيم على مصر ابتداء من اعلان الاحكام العرفية في ١٥ مايو ١٩٤٨ بمناسبة - أو بحجة - الحرب في فلسطين .. دخلت هذه المرحلة مخنعة بجراح عدة .. الانقسامات والاحباط والضربات البوليسية القتالية والعزلة الفاجمة عن اتخاذ موقف معارض للتوجه الجماهيرى العام ازاء المشكلة الفلسطينية وخرجت من معركة الارهاب الاسود وجراحها أعمق وأشد ايلاما ولم يبق منها غير حفنة قليلة من الكوادر ثم ما لبثت أن استنشقت بعضا من الحرية والقدرة على الحركة لتصبح وبعد فترة وجيزة أعلى المنظمات الماركسية صوتا وأكثرها نشاطا في مجالات عديدة. لكن ما يهمننا في دراستنا هذه هو أنها كانت سيدة الصحافة اليسارية العلنية سواء في هذه الفترة أو قبلها أو حتى ما بعدها ..

من بين خمس صحف تناولها دراستنا تفتقر حدثو بأهم ثلاث منها هي البشير والمستقبل والملايين وتبقى المعارضة جهدا فرديا لفتحى الرملى والفاس جهدا فرديا آخر لأحمد شوقي الخطيب •

لهذا سنتكلم كثيرا في هذه الدراسة عن الاثنين ..

.. الرجل .. فتحي الرملى .

.. والمنظمة حدثو (الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى)

وبرغم كل المحاولات الحياضية فى بحث ذى طابع أكاديمى لم يكن من الممكن الا ان نتحدث كثيرا عنهما ..



والصحافة اليسارية فى عامى ٥٠ ، ١٩٥١ أحدثت فى مصر دويا حقيقيا .

ولعلها كانت السبب فى تلك الحملة العنيفه التى وجهت ضد الحريات العامة وحرية الصحافة عموما .. فالجراة والروح الطبقية عندما تشابكتا مع واقع وطنى ملتهب بطبعه أفرزتا مناخا ساخنا يث الرعب فى قلب اليمين المصرى .

ولقد كان رعبا حقيقيا ذلك الذى دفع حزبا كحزب الوفد ارتبط اسمه ونراثه دوما بالانحفاغ عن قدر ما من حرية الصحافة وحرية التعبير .. دفعه الى ارتكاب أخطاء كثيرة فى محاولته لتكميم أفواه الصحافة المعارضه واليسارية نها أساسا .

ولقد كان رعبا حقيقيا ذلك الذى دفع حزبا كحزب الوفد الى المزعم على نغمة المراء للشيوعية وهى نغمة استخدمت ضده هو وضد الكثير من كواثره .. بل وحتى زعامته الهيبية لم تسلم من التلفيقات التى تجسدت فى مجموعة من الوثائق المزورة تورطت فى تزويجها شخصيات عامة من بينها هيكمل باشا قطب الاحرار الدستوريين ، تلك الوثائق التى حاولت اتهام النحاس بانه يتلقى تعليمات وأموال من السفارة السوفيتية بالقاهرة ..

ورغم ثبوت زيف هذه الوثائق استمرت الحملة .

سهامها تنفجه ضد الشيوعيين والوفد معا بهدف دفع الوفد الى شن المزيد من حملات المراء ضد الشيوعية وكنموذج لهذه السهام المزدوجة نشرت أخبار اليوم تقول تحت عنوان (تعليمات جديدة من موسكو الى الشيوعيين المصريين ، ..) علمت الهيئات المسؤولة أن تعليمات جديدة من موسكو أرسلت الى العناصر التى تحرك النشاط الشيوعى فى مصر وهذه التعليمات تفضى بالتزام الهدوء فى الوقت الحاضر وعدم القيام بأى شىء .. (١)

١ - أخبار اليوم ٢٠/١/١٩٥١

ولا بد أن وخزة كهذه كانت قادرة على إيلاء الحكومة الوفدية . . اذ تلصق أخبار اليوم الى تواطؤ الشيوعيين بايعاز من موسكو معها الى درجة «التزام الهدوء في الوقت الحاضر وعدم القيام بأى شىء» .

ولكن أخبار اليوم تناقض نفسها على الفور عندما تواصل الحديث قائلة . وعلمت أخبار اليوم أن مسؤولا في إحدى السفارات الأجنبية لفت نظر بعض الرسميين المصريين الى تعدد مظاهر النشاط الشيوعي في مصر في الأيام الأخيرة .

وما يهمننا هنا هو أن حكومة الوفد كانت تتعرض للوخز والتلويح بتواطؤها مع الشيوعيين أو تواطؤ الشيوعيين معها بينما تتعرض أيضا في نفس الوقت للضغط من سفارة أجنبية تتمرض على «تعدد مظاهر النشاط الشيوعي» .

وتواصل أخبار اليوم فتعلن أن هذه السفارة هي بالتحديد السفارة الأمريكية ، التى عرف أنها قد أنشأت أخيرا قسما خاصا لمراقبة النشاط الشيوعي وتحديد اتجاهاته .

وبين الضغط والتخويف انجرفت حكومة الوفد في تيار بالغ الخطر رفعت فيه غيرتها بحملات المهاد للشيوعية وتجاوزت الامر الى محاولة سن تشريعات مفقيدة للحريات العامة ولحرية الصحافة بهدف تهدئة هذه المخاوف واسكات صوت اليسار الذى كان يرتفع مدويا في هذه الأيام .

وتنشر الأهرام . . رأت الحكومة اضافة فقرة جديدة الى المادة الخامسة من المرسوم بقانون رقم ٩٨ لسنة ١٩٤٥ من شأنها أن يعتبر مشتبه فيها من يحكم عليه أكثر من مرة لارتكاب فعل من الافعال المعاقب عليها بالمواد ٩٨ أ ، ٩٨ ب ٩٨ ج ، ٩٨ د ، ٧٤ أ من قانون العقوبات أو من يشتهر عنهم لأسباب قوية ارتكاب هذه الافعال نوطنة لسريان قانون التشرد والاشتباه في حقهم وامكان وضعهم تحت مرافقة البوليس «(٢)» .

والمعلوم أن هذه المواد هي المواد التي يحاكم بموجبها الشيوعيون . . وتقول المذكرة الايضاحية تبريرا لهذا الاقتراح الغريب « لما كانت الجرائم النصوص عليها في هذه المواد تعد من أخطر الجرائم اذ انها تهدف الى هدم النظم الاجتماعية والسياسية في المجتمع المصرى ويقوم مرتكبوها ، بأعمالهم الاجرامية في الخفاء مما يستلزم أن تمتد اليهم عين البوليس لاحباط غرضهم الاجرامى قبل استحقاقه وقاية للمجتمع من آفة انتشار

المبادئ، التي يروجها هؤلاء الأشخاص اذ الوقاية من انتشار هذه المبادئ خير من العقاب مهما كان . . رادعا ، . . (٤)

ويوافق مجلس الوزراء في جلسته المنعقدة في ١٠/٥/١٩٥١ على مشروع القانون . .

لكن هذا المشروع يصطدم بمعارضة قوية جارفة تشمل الكثيرين من أعضاء الهيئة الوفدية الامر الذي دفع الاحرام الى نشر « قال لنسا مصدر مسؤول أن أكثر أعضاء الهيئة الوفدية لا يزالون يمارسون في مشروع قانون المشيوعين السياسيين ويرون أنه تشريع غير دستوري وينطوي على تقييد للحريات العامة فضلا عن أنه سلاح خطر في أيدي الحكومات الرجعية » (٥) ولعل الاحرام كان محقا في سخريته عندما نشر تصريحاً غريباً لسراج الدين يقول فيه « بأنه بوصفه سكرتيراً للوفد لا يرضى عن هذا التشريع ولكنه يؤيده كوزير للداخلية » (٥) .

. . وكانت المعارضة الشعبية أقوى من كل الضغوط والوخزات وسقط المشروع . ثم كان هناك أيضا مشروع قانون الصحافة الذي قدمه اسطفان ياسيلي . . وسوف نتعرض طويلا لهذا المشروع فيما بعد لكننا نود فقط نشر الى أنه كان وثيق الصلة بموضوع هذا الكتاب لقد كان المبرر الوحيد الذي استخدمه اسطفان ياسيلي واستخدمه سراج الدين في محاولتهما لتمرير هذا المشروع هو التأكيد أنه إنما يستهدف فقط إسكات الصحافة الشيوعية . . وسقط هذا المشروع أيضا .

وقد لعبت الملايين وحدثوا دورا هاما في إسقاطه كما سنرى . . وهكذا فإن هذه الصحافة التي نؤشك أن نبدأ في دراستها كانت محور صراع حقيقي شغل المجتمع بأسره . . كان صوتها الوطني الطبقى يزعج المستعمرين فنزاع مسيحات مراسليهم الأجانب وصحفييهم بالداخل بمبالغات وتهديدات عن الخطر الشيوعي الزاحف . .

ويكون رد الفعل الوفدي مصادرات لا تنتهي لهذه الصحف واصرار على خلق صوتها ومنعها من الصدور بل وسن تشريعات مهيبة للحريات ولحرية الصحافة بشكل خاص في محاولة للتخلص من هذا الزحف .

٣ - المذكرة الايضاحية التي أرفقها فؤاد سراج الدين باشا وزير الداخلية بمشروع القانون للمعرض على مجلس الوزراء .

٤ - الأهرام ٢٧/٥/١٩٥٠

٥ - المرجع السابق .

لكن الأمر يعود فينقلب على أصحابه كما ينقلب السحر على الساحر فان هذه الصحف اليسارية والقوى الماركسية عموما كانت تحشد قوى جببوية واسمة تقف لهذه التشريعات بالمرصاد وتمنع صدورهما وتكون معركة جديدة يلعب نجم اليسار في سمانها .



وبعد فترة من الارهاب البغيض كانت مصر قد قررت التحدى . . وما أوشك عام ١٩٤٩ على الانتهاء حتى كان الجميع الاستعمار والقصر وحتى رجال الحكم أنفسهم قد اقتنعوا أنه لا مفر وأن مصر توشك أن تنفجر في وجوههم وأن تطيح بهم جميعا وكان لا بد من تهدئة للخواطر والعودة الى حكم الأغلبية واجراء انتخابات جديدة . . وجاءت الانتخابات بحكومة وفدية ومنحتها أغلبية كاسحة . . أزجعت حتى أصحاب المخطط وأدرك الجميع أن مصر تصفهم بالوعد . .

لكن حكومة الوفد نفسها كانت مترددة وفي أحيان كثيرة كانت تستبد بها الحيرة بين استخدام القتل الشعبي وبين الخوف منه . وتراوحت مواقفها بين أخذ الجماهير بالشدّة ومحاولة تقليص أظافرها وبين الاستناد اليها استنادا مسترخيا وليس نضاليا واستبدت بها هواجس كثيرة فالحركة الجماهيرية العارمة لم تعد ومردية الاطار لان المد الوطني المهادى للاستعمار كان أشد وأعمق وأكثر حدة مما يمكن للقيادة الوفدية أن تحتمله ومن ثم فان الحكومة الوفدية كانت في مفترق طرق حقيقى يكفى أن تقبل على هذا المد وتحققه وتصبح جزءا منه لكى تعود اليها أمجاد أيام مضت عندما كانت كلمة الوفد مرادفا لكلمة الوطن . لكن الأمر لم يكن بهذه السهولة فهناك المصالح الطبقيّة لباشوات الوفد وكبار ملاكه وهناك خوفهم من هذا المد الشعبى الذى لم يتوقعه أحد . وهنا سيد جديد يغازلهم ويغازلونه وهو على استعداد لأن يحكم قبضته على عنق مصر بقفاز من حرير لا يؤذى ايذاء ظاهرا . . هو السيد الأمريكى وهناك القصر الذى كان كلما ازداد عزلة كلما تطلب ولاء من الحكام . وهناك أيضا تلك الموجة الماركسية التى تواكبت مع نهوض شعبى جارف فأخافتهم بأكثر من حجمها الطبقي وملاّت صدورهم بالوساوس والاهوام وحتى الأيام الأخيرة عاشت الحكومة الوفدية هذا التمزق وخسرت بسببه كثيرا . فحيث أرادت أن ترضى كلا الطرفين بقدر محدود لكى تكسبهما مما فاتها قد أغضبت كل الاطراف وخسرتها جميعا .

وهكذا وعلى مدى عامين أو أقل من التردد خسر الوفد كثيرا من شعبية اكتسبها عبر ثلاثين عاما من التصدى . وفي هذا المناخ وفيه على وجه التحديد تواجدت تلك الصحف التى سنتحدث عنها طويلا . .

ومن هنا كان الكثير من التآرجح في مواقف الصحافة اليسارية من الحكومة الوضعية لقد كان الموقف بالغ التعقيد ، وكان يتطلب معالجة حساسة ومتغيرة ، وكان في نفس الوقت باعثا على الكثير من الحيرة اقول ذلك مقحما فلقد يلمس القارئ هنا او هناك بعضا من التآرجح في المواقف او ما شابه ذلك ولعل من حق القارئ ان نقدم له نفسيرا - وليس تبريرا- لمثل هذا التآرجح .



والصحافة العلنية . بل العلنية ذاتها كانت محل نقاش وجدل . وكانت محل اختلاف بين المدارس الماركسية المختلفة وقد اختارت حدودا جانبيا للاهتمام بالعلنية ولعلها بالغت في ذلك مبالغة ليست بالقليلة .

فكواورها الاساسية تركزت اساسا في أنشطة علنية متعددة الجوانب جماهيرية الاثر والتاثير الصحافة العلنية - حركة انصار السلام - النقابات العمالية ومحاولة تأسيس اتحاد عام للنقابات - اتحاد عام للطلبة - اللجان الوطنية بالاحياء والمعاهد والمصانع - لجنة الكتاب والفنانين - دار النشر للنشر والتوزيع - اللجنة التحضيرية لمؤتمر شعوب الشرق الاوسط - اللجنة النسائية للمقاومة الشعبية ومختلف اوجه النشاط النسائي - مؤتمر الدفاع عن المسجونين السياسيين . الخ .

وبالمقابل كانت هناك مدرسة أخرى تمثلت في الانكفاء التام الى السرية من التركيز على الصحافة السرية الى محاولات تأسيس اتحادات سرية لأنصار السلام والمثقفين والطلاب والعمال وعلى اتحادات نسائية بحاجة الى القول بانها لم تكن ذات وجود حقيقي . وليس هنا مجال المقارنة بين المنهجين ولعل لنا انتقادات عليهما معا .

لكننا سنكتفي بالإشارة الى أنه بالنسبة لحدثنا كانت الصحيفة العلنية هي وكافه أشكال التوجه العلني سبيلا لانتشار واسع وغير محدود لهذه المنظمة التي دخلت حلبة الصراع الطبقي ضعيفة البنية محدودة العدد . مثل هذا التوجه العلني أدى أيضا الى استيعاب كواثر عديدة في مثل هذه الأنشطة وإلى إتاحة الفرصة لخصوم حدثنا باتهامها بأعمال عديدة من واجبات الحزب التنظيمي والاهتمام بالبناء الحزبي الامر الذي أدى الى سهولة توجيه ضربات مؤلمة لهذه المنظمة وإلى تعرض نشاطها للاعتزاز مع كل ضربة بوليسية توجه اليه .

وما يهيننا هنا هو أن مجرد إصدار صحيفة يسارية علنية كان محل نقاش وخلاف وكان تعبيرا عن نهج فكري متكامل يتسم أساسا بالتوجه العلني كلما كان ذلك ممكنا والانكباب في هذا التوجه بصورة قد توحى للآخرين بأن بعض أصحابه ليسوا شديدي الاهتمام بالتنظيم الداخلي وبالبناء الحزبي .

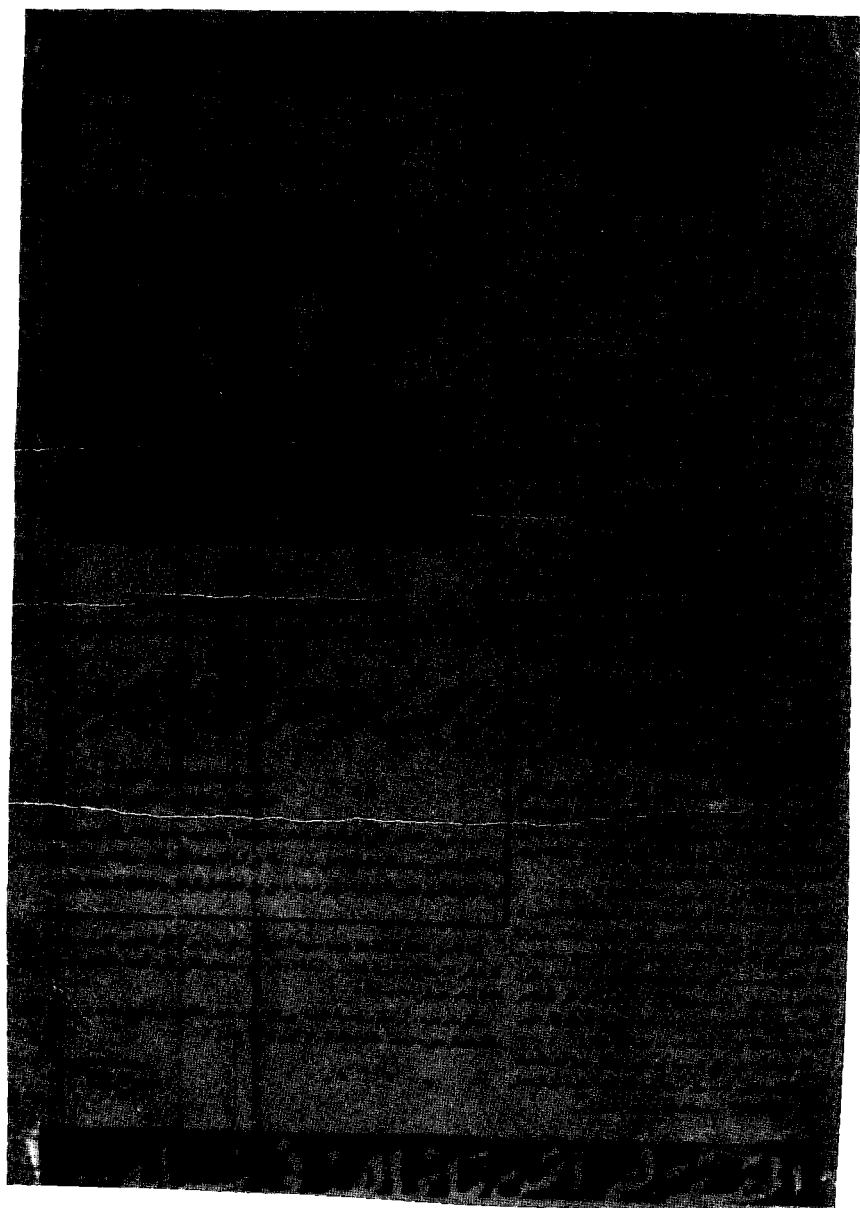
وان كان لأصحاب هذا النهج وجهة نظر أخرى تقول باهتمامهم بالجانبين مما وتسم التوجه الآخر بالانعزالية والبعد عن الجماهير .

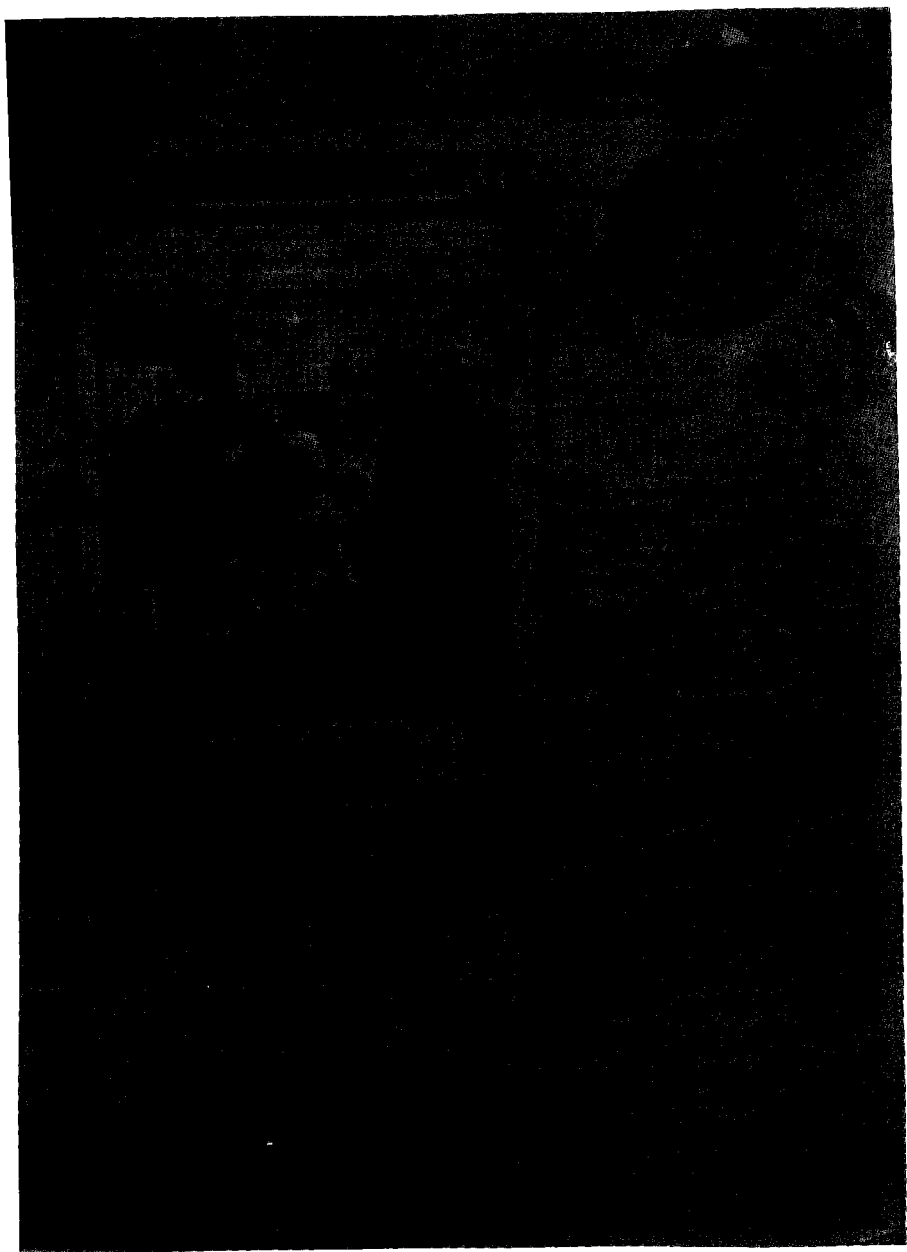
* * *

.. وبمد هذه الايضاحات وليس قبلها .. يمكننا أن نبدأ .

القاهرة - ١٧ يناير ١٩٨١

البشير





نور العید..

البعض



الرجوع إلى سبيل الحق
بهداية الله تعالى

[Faint, illegible handwritten notes]

[illegible][illegible][illegible]

السَّعِيدُ

[illegible]

۱۰۰
 ۱۰۱
 ۱۰۲
 ۱۰۳
 ۱۰۴
 ۱۰۵
 ۱۰۶
 ۱۰۷
 ۱۰۸
 ۱۰۹
 ۱۱۰
 ۱۱۱
 ۱۱۲
 ۱۱۳
 ۱۱۴
 ۱۱۵
 ۱۱۶
 ۱۱۷
 ۱۱۸
 ۱۱۹
 ۱۲۰
 ۱۲۱
 ۱۲۲
 ۱۲۳
 ۱۲۴
 ۱۲۵
 ۱۲۶
 ۱۲۷
 ۱۲۸
 ۱۲۹
 ۱۳۰
 ۱۳۱
 ۱۳۲
 ۱۳۳
 ۱۳۴
 ۱۳۵
 ۱۳۶
 ۱۳۷
 ۱۳۸
 ۱۳۹
 ۱۴۰
 ۱۴۱
 ۱۴۲
 ۱۴۳
 ۱۴۴
 ۱۴۵
 ۱۴۶
 ۱۴۷
 ۱۴۸
 ۱۴۹
 ۱۵۰
 ۱۵۱
 ۱۵۲
 ۱۵۳
 ۱۵۴
 ۱۵۵
 ۱۵۶
 ۱۵۷
 ۱۵۸
 ۱۵۹
 ۱۶۰
 ۱۶۱
 ۱۶۲
 ۱۶۳
 ۱۶۴
 ۱۶۵
 ۱۶۶
 ۱۶۷
 ۱۶۸
 ۱۶۹
 ۱۷۰
 ۱۷۱
 ۱۷۲
 ۱۷۳
 ۱۷۴
 ۱۷۵
 ۱۷۶
 ۱۷۷
 ۱۷۸
 ۱۷۹
 ۱۸۰
 ۱۸۱
 ۱۸۲
 ۱۸۳
 ۱۸۴
 ۱۸۵
 ۱۸۶
 ۱۸۷
 ۱۸۸
 ۱۸۹
 ۱۹۰
 ۱۹۱
 ۱۹۲
 ۱۹۳
 ۱۹۴
 ۱۹۵
 ۱۹۶
 ۱۹۷
 ۱۹۸
 ۱۹۹
 ۲۰۰

[illegible]

5

من بركة أو واقفه فيها الشك فليس منا

• • مصر كانت هي تلك التي نعرفها جيدا .

مصر عام ١٩٥٠ الخارجة لتوها من رحم رحلة مرهقة مضنية •

مصر التي انتفضت عام ١٩٤٦ لتعبر وبأعلى صوت عن إمكاناتها وعن قدراتها الثورية ، ثم ما لبث الطفلة أن كبلوا يديها ورجليها بقيود الاحكام العرفية والمعتقلات والتعذيب الوحشي الذي لم يعرف طريقه من قبل الى ساحة التعامل السياسي المصري • •

كانت مصر تتنفس من جديد ، تلتقط أنفاسا متعبة لكنها مفعمة بالاصرار والأمل • •

أربع سنوات صاخبة ، عنيفة ، مليئة بالعلقم تفصل بين أعلى المد الثوري ثم انحساره ثم بداية الهدوء المستقر ، الحرب الفلسطينية ، وما ترتب عليها ، وما حدث فيها ، الاحكام العرفية واعتقال الآلاف وتعذيبهم • الاغتيال والاغتيال المضاد ، التعامل بالقنابل والمتفجرات • •

ثم اكتشف حكام مصر أن لا مفر ، وأن لا أمل فمصر المكبلة تزداد تمردا وتوشك أن تغفلت من أيديهم . فكانت فترة هدوء قصيرة تسبق الاعصار الكبير ، وأجريت انتخابات برلمانية أتى فيها الوفد كعادته مكتسحا كل من حاول الوقوف في طريقه • • وشكل النحاس حكومته الاخيرة • •



أما الحركة الشيوعية فكانت هي أيضا مثخنة بالجراح • عشرات القضايا ، آلاف المسجونين والمعتقلين يخوضون التجربة الاولى لعصر الانحسار الثوري • •

الانقسامات تشل العمل الحزبي وتتكاثر بسرعة أميبية مريية •

الكثيرون ممن ارتفع صراخهم بكلمات ثورية يكتشفون ان الثمن المطلوب دفعه باهظ ومربح فيترجعون • • والبرجوازيون الصغار الذين ملأوا صفوف الحركة ضجيجا وانتقادا يكتشفون أن الطريق طويل • • وملء بالشوك فيؤثرون السلامة • •

ولم يبق سوى القليل الأقل الذي خرج من المعتقلات ينلمس طريقا جديدا للعمل الثوري • •

ووسط هذا النفر القليل كانت « حدثو » (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني) تحاول جاهدة أن تستعيد دورها ، وهيبته وأن توحد صفوفها معتمدة على مجموعة ضئيلة لا تزيد على أصابع اليدين .



وفتحى الرملى كما كان دوما شخصا غريب المزاج ، غريب التكوين .

أهم ما يهيمه فى الحديث عن أبيه أنه يمتد بنسبه « الشريف » لى « الشجرة النبوية الشريفة » وفى حديثه عن والدته السيدة « آمنة » لها « بنت فضيلة الشيخ حسين سليمان مفتى الديار المصرية عن الصعيد ، (١) وهو مع ذلك يتحدث عن المادية .. وعن الماركسية وعن الثورة الاشتراكية وعن ايمانه بها ..

لكن لكل شىء معناه الخاص ، والخاص جدا عند فتحى الرملى .

فهو يستدرك قائلا « لكنى عندما تقدمت فى دراستى ، تجاوز وعيى فهم الخطوط الرئيسية النظرية الى التعمق فى فلسفتها وبالتالى فيما تمناز به من مرونة ، عرفت أن الثورة الاشتراكية لا تعنى انقلابا دمويا تنظمه عصابة من العمال ولكنها تعنى الثورة الفكرية ، .. وأن الثورة فى النهاية لا تعنى انقلابا مسلحا لقلب نظام الحكم والاستيلاء عليه بالغصب والقهر ، بل هى تعنى تطورا تاريخيا يظهر أول ما يظهر فى آلات الانتاج ، ثم فى علاقة الطبقات ازاء الآلات (٢) .

ويعود فيؤكد « وليس دور الماركسى أن ينطح النظام الرأسمالى نفسه فحتى هذا النظام انما يلعب دورا هاما فى التقدم وفى الوعى .. وعلى ذلك تصبح رسالة الاشتراكي - غير الهدام - هى أن يحمل مصباح الفكر الجديد لينير للناس طريق التطور ويدفعهم بالحجة والمنطق الى ذلك الطريق » (٢) .

عن هذا الماركسى الذى لا يريد أن ينطح النظام الرأسمالى .. والاشتراكي غير الهدام ! سنتحدث طويلا ونحن نتحدث عن البشر .



١ - فتحى الرملى - قبل أن أعترف (١٩٧٩) ص ١٧

٢ - المرجع السابق ص ٣٠

٣ - المرجع السابق ص ٣١

والبشير كما سنرى هي ثمرة طبيعية لتلاقى هذه الخطوط الثلاث :

- « مصر » عام ١٩٥٠ الخارجة لتوها من رحم فترة عصيبة .

- حدثت عام ١٩٥٠ المكونة من عدد ضئيل من الكادر الذى بقى بعد

خوض غمار معركة مريرة ضد السلطة وضد الانقسامية .

- ثم فتحى الرملى ٠٠ الذى يعود فيتحدث عن نفسه كصحفى قائلا

كنت « أكتب بسبعة أرواح ، أكتب وأقلد عشرات الاقلام ، أكتب فى السياسة

وفى الفكاهة والقصة ، الكتابة الهازلة والجادة ، الساخرة والثائرة ، الاسلوب

القديم ، أسلوب التراث العصرى الجديد المبتكر ، ٠٠ كنت أكتب رسائل

مفتوحة الى فلان وعلان بأسلوب ، وأكتب ركن الصيف بأسلوب ثان وأكتب

عن التيارات السياسية بأسلوب ثالث ، وأكتب التعليقات الاجتماعية بأسلوب

رابع ، وأختم هذا كله بالرد على رسائل القراء بأسلوب خامس أو سادس . .

هل تظن يا عزيزى القارىء ٠٠ اننى مغرور ؟ نعم اننى مغرور تماما فى

نفسى ، وأعتقد أن الذين ظنوا اننى من أكفأ الصحفيين الذين ظهروا فى

هذه الفترة لم يجاملونى ، ولم يقولوا الا صدقا « (٤)

٠٠ المهم التقت هذه الخيوط الثلاث فى مجلة فريدة من نوعها .

« البشير »

فكيف كانت البداية ؟



والبشير « جريدة علمية ثقافية جامعة »

شعارها « نشر الثقافة والعلوم وتوطيد أواصر الصداقة بين جميع

أبناء العالم لكى يعم الامان والسلام على الأرض » .

تصدر فى : ميت غمر .

صاحب الجريدة ورئيس تحريرها المسئول : محمد توفيق محمد

مدير الادارة العام : محمد فهمى محمد عوض .

ظلت البشير تصدر على هذا النحو عشر سنوات ، كجريدة اقليمية

محدودة التوزيع والانتشار تشغل معظم صفحاتها برغم شعارها ذو الطابع

العالمى بمجالات اقليمية وشخصية . .

وكان صاحب الامتياز محمد توفيق محمد والشيخ مصطفى الصاوى

يصدرانها بانتظام ولما توفي الثاني انفرد الآخر باصدارها حتى بلغ مجموع ما صدر منها ٣٥٩ عددا نشر آخرها في الثلاثاء ٢١ فبراير ١٩٥١ .

وابتداء من العدد ٣٦٠ استأجر فتحي الرملى ترخيص اصدار الجريدة بايجار شهرى يقال أنه خمسة جنيهات (٥) ليحولها من مجلة اقليمية ذات ميول وفدية الى مجلة يسارية (٥)

ولكن لم لا نلق نظرة سريعة على العدد ٣٥٩ . العدد الأخير قبل تأجيرها لفتحي الرملى .

٠٠ عيد الميلاد الملكى « كان يوم السبت الماضى يوما من أسعد الايام على الأمة المصرية فقد احتفلت البلاد من أقصاها الى أقصاها بعيد الميلاد المجيد لملكها المحبوب وراعيتها الصالح . . والبشير تنتهز هذه المناسبة السعيدة فترفع الى الاعتاب الملكية أسمى آيات التهاى وعظيم الذبريك . وتدعو الله أن يصون ملكه ويوطد عرشه الكريم » .

أما كلمة البشير فهى بقلم محمد فهمى محمد عوض (مدير الادارة العام) فتقول « سألنى بعض القراء وبعض النواب المحترمين عن الاتجاه السياسى لهذه الجريدة . . لذلك أقول بأن جريدة البشير ستفتح صدرها لجميع الآراء متى وثقت بأنها صادرة عن نية حسنة ورغبة صادقة فى الإصلاح . . وستعنى هذه الجريدة بمعالجة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والرياضية وتدافع عن حقوق العمال والفلاحين وتبحث شئون المرأة وتتعاون مع رجال الإصلاح الحقيقى » .

وبرغم هذه الايماءة المحايدة نجد مقالا ساخنا بعنوان « فرحة الشعب وأمل البشير » بقلم محمد حسن الحاييس سكرتير تحرير البشير يقول « لقد عم البشير جميع الطبقات ، ودقت طبول الافراح ، فى شتى أنحاء القصر المصرى عواصمه ومدنه وقراه لفوز الوفد ممثل الشعب الصحيح هذا الفوز المبين وانتصار مرشحيه البررة الاوفياء الذين عاهدوا الوطن على السهر للزود عن أراضيهم وحمايتهم من كل اعتداء أجنبى والعمل على وحدة الوادى شماله وجنوبه وسودانه تحت تاج الفاروق ذلك الملك الفارق بين الحق والباطل ، وبزعامة خليفة سعد رأس الحركة الوطنية مصطفى الأمة وأنصاره المخلصين المختارين » (١) .

٥ - مناقشة مع اسماعيل جبر أجريت فى ١٦/٨/١٩٨٠ .

٦ - البشير - العدد ٣٥٩ - ٢١/٢/١٩٥٠ .

هذه هي المجلة التي استطاع فتحى الرملى أن يستأجرها بخمسة جنيهاً شهرياً وأن يصدرها كمجلة يسارية ابتداء من العدد ٣٦٠ الذى صدر فى الثلاثاء ١٤ أبريل ١٩٥٠ ونلاحظ فترة التوقف بين العدد ٣٥٩ ٠٠ والعدد الجديد ٠

وقد أصدر فتحى الرملى بالتعاون مع آخرين ثلاثون عدداً من البشير يحمل آخرها رقم ٣٩٠ وقد صدر فى ٢٥ نوفمبر ١٩٥٠ .

وبعدما انسحب فتحى الرملى من البشير بناء على قرار من ادارة المطبوعات (التى استندت الى طلب (يقال أنه موعز به) من ابن الشيخ مصطفى الصاوى باعتباره وريثاً لأبيه كشرىك فى امتياز ، يطلب فيه ايقاف اصدار المجلة باتجاهها اليسارى ويطلب الاشراف على تحريرها) (٧) .

وبالفعل ٠٠ وبعد ابعاد فتحى الرملى عن الاشتراك فى اصدار المجلة ، تعاود البشير صدوراً فيصدر العدد ٣٩١ بعد فترة توقف طويلة (١١ يونيو ١٩٥١) وبحمل العدد اسمى محمد توفيق وصلاح الصاوى كصاحبى الامتياز وصلاح الصاوى كرئيس للتحرير ولسنا بحاجة للقول بأنه كان خالياً تماماً من أية مسحة يسارية أو تقدمية .

تنحصر دراستنا اذن عن مجلة البشير فى حدود الأعداد الثلاثون ٠٠ من العدد ٣٦٠ (١٤ أبريل ١٩٥٠) حتى العدد ٣٩٠ (٢٥ نوفمبر ١٩٥٠) .
اننا ندرس فقط الاعداد ذات التوجه اليسارى .

والملاحظة الأولى فى دراستنا هي أن فتحى الرملى قد أسرع فأضفى طابعاً خاصاً على اخراج البشير ابتداء من العدد الأول (٣٦٠) وهو طابع خاص بفتحى الرملى يعتمد على استخدام مسطحات من اللون الاحمر فى الصفحة الاولى وقد سبق أن استخدمه فى مجلة النديم القصوى وبعد البشير واصل استخدامه فى مجلتى المستقبل والمعارضة ٠٠

والملاحظة الثانية . هي أن فتحى الرملى لم يستقل تماماً باصدار البشير بل ظلت مساحات محدودة منها تحرر بواسطة صاحب الامتياز محمد

٧ - مذكرة الافوكاتو كامل غالى المحامى بالنقض فى القضية العمالية رقم ٢٥٨٣ جلسة ٣٠ سبتمبر ١٩٧٢ بالدفاع عن الأستاذ فتحى الرملى - دار الطباعة الحديثة ص ٢٧ .

توفيق ، وتستخدم هذه المساحات أساسا في مجاملات شخصية ذات طابع
اقلیمی . .

وكنماذج « عمدة الروضة » . . تلقينا رسالة كريمة تفيض ثناء كريما
على حضرة الوجيه الكبير الحاج عیداروس الحيوان عميد عائلة الحيوان
الشهير بالروضة وعمدتها لما يقوم به من خدمات انسانية جليلة ولما
يبذله من جهد مشكور في اقرار الامن وحفظه في البلاد التي تقع في منطقة كنور
عموديته . ان الحاج عیداروس رجل ورث المجد والشهامة والرغبة في الخدمة
العامّة من والده المغفور له الشيخ على سيد أحمد الحيوان عضو مجلس مديرية
الشرقية السابق « (٨) » .

و « عاد من اجازته الدكتور محمد صبرى بك حكيمباشى مستشفى الرمد
الأمیری بميت غمر بعد أن طاف ببلاد أوروبا مطالعا على أحدث النظم
والأساليب في فن جراحة العيون تصحبه حرمة المصون - محمد توفيق
صاحب البشير « (٩) » .

وحتى العدد الاخير ن الاعداد التي أصدرها فتحي الرملی نجد بصمات
محمد توفيق هذا « رسالة ميت غمر : في الاسبوع الماضي انعقد مجلس بلدية
ميت غمر لأول مرة بعد انتخابات الاعضاء الجدد ، لانتخاب وكيل للمجلس
وتد أنتخب صاحب العزة حسين بك فودة كبير أعيان ميت غمر بالاجماع ، وقد
قوبل انتخابه للوكالة من أصدقائه وعارفيه بالفرح والسرور - صاحب
الجريدة محمد توفيق « (١٠) » .

ولم يكن هذا التجاور الغريب بين المقالات ذات النزعة اليسارية والماركسية
وبين كتابات صاحب الجريدة آخر المتناقضات التي تميزت بها البشير . .
فقد كان هناك في كل عدد الرأي الثالث الذي يختلف عن توجه صاحب الجريدة
وعن رأى مستأجرها الذي لا يريد أن يناطح النظام الرأسمالی . . أى رأى
منظمة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنی التي شاركت فتحي الرملی في اصدار
معظم أعداد الجريدة وفرضت هيمنتها على معظم صفحاتها مستندة على
قدراتها سواء في التحرير أو التوزيع أو التمويل « (١١) » .

٨ - البشير - العدد ٣٦٢ - ١٩٥٠/٤/٢٥

٩ - البشير - العدد ٣٨٥ - ١٩٥٠/١٠/١٤

١٠ - البشير - العدد ٣٩٠ - ١٩٥٠/١١/٢٥

١١ - يقول اسماعيل جبر أن فتحي الرملی كان ينعصر كل دوره في كونه
عضوا بنقابة الصحفيين أى مسموح له وفقا للقانون برئاسة تحرير
جريدة وفي تحرير الافتتاحية أما بقية مواد التحرير فقد كانت تعدّها مجموعة
من كوادرات (جبهة التحرير التقدمية) ثم كوادراته فيما بعد .

وهكذا وبثلاثة أوجه ٠٠ بدأت البشير في الصدور ابتداء من العدد ٣٦٠ كمجلة يسارية ٠

وبرغم الفارق الكبير في التوجه السياسى والتحريرى وفى أسلوب الاخراج بين العدد ٣٥٩ والعدد ٣٦٠ ٠٠ الا أن ثمة بصمات معينة ظلت باقية على صفحات الجريدة ربما ارضاء لصاحب الترخيص الذى ظل حريصا على الاحتفاظ بعلاقة ما بالمجلة ، وربما فى محاولة لحماية الجريدة من الهجمات البوليسية فى البدايات الأولى ٠٠

ففى العدد ٣٦٠ أى العدد الأول الذى حرره فتحى الرملى (ويلاحظ أنه حرره بمفرده أى دون مشاركة من أى تنظيم ماركسى (مستطيل بعرض الصفحة الاولى باللون الاحمر بداخله كتابة بيضاء « من كذب بالامة أو داخله فيها الشك فليس منا - مصطفى النحاس » ٠

وفى نفس الصفحة برواز يقول « البشير مجلة أسبوعية جامعة - صاحب الامتياز محمد توفيق - رئيس التحرير المسئول فتحى الرملى » ٠

ويظل شعار مصطفى النحاس « من كذب بالامة ٠٠٠ » متربعا فى نهاية الصفحة الأولى لاثنتى عشر عددا من أعداد البشير ، أى أنه - وكما سنرى فيما بعد - يظل حتى بعد أن تتولى حدتو الاشتراك فى اصدار المجلة .

وفى العدد ٣٧٢ الصادر فى السبت ٨ يوليو ١٩٥٠ تختفى هذه العبارة النحاسية وتحل محلها عبارة سبق لفتحى الرملى أن استخدمها فى العدد الوحيد الذى أصدره عام ١٩٤٧ من مجلة « النديم القصصى » ثم استخدمها بعد ذلك فى مجلة المعارضة وهى « الحقيقة هى أثمن ما نجاهد فى سبيله » لكن الجريدة تظل تصف نفسها بأنها « مجلة أسبوعية وفدية » ٠

والحقيقة أننا نلاحظ كثيرا من الشد والجذب فى هذا الموضوع بما يؤكد أنه كان محل صراع بين صاحب المجلة الوفدى وبين محرريها الماركسيين ٠٠

ففى العدد ٣٧٥ تختفى كلمة « وفدية » من التعريف بالمجلة ، وتقول البشير عن نفسها انها « مجلة أسبوعية سياسية » لكن العدد التالى ٣٧٦ يعود ليحمل مفاجأة أخرى اذ تعود البشير « مجلة أسبوعية وفدية » ٠

وكعادة فتحى الرملى فان المجلة التى يصدرها تتخذ أكثر من ثوب ٠٠

فهى الى جانب كونها مجلة سياسية تعتبر فى أعدادها الثلاثة الاولى متحدثا باسم ما أسماه الرملى « معهد الصحافة الاهلى » وقصة « معهد

الصحافة الأهلى » هذه قصة قديمة فمنذ مجلة « النديم القصصى » الذى أصدر منها عددا وحيدا فى عام ١٩٤٧ معلنا انها لسان حال الجبهة الاشتراكية نجد أن « الاشتراكات والاعلانات يتولاها معهد الصحافة الاهلى » والمراسلات على صندوق بريد ٣٦ مصر » ومعهد الصحافة الاهلى كان شينا مكملا لجهد فرد يصدر جريدة بمفرده ، فعن طريق صندوق البريد يمكنه أن يتلقى مراسلات وأخبار ومقالات من هواة الصحافة الذين يجتذبهم اسم « معهد الصحافة الأهلى » ويعدهم فى دعايته بأنه يؤهلهم كى يكونوا صحفيين مرموقين . . والدراسة فى المعهد بالمراسلة بعد تسديد اشتراك لعله كان أحد مصادر دخل فتحي الرملى .

وهكذا تمتلئ صفحات الاعداد ٣٦١ ، ٣٦٢ ، باعلانات هذا المعهد الذى يتخذ لنفسه عنوانا هو نفس عنوان المجلة أى صندوق البريد ٣٦ مصر .

* * *

وكانت المجلة بلا مقر . .

يقول مبارك عبده فضل فى مناقشة معه « كنا نجتمع فى قهوة بالقرب بالمطبعة قبل موعد الطبع بيوم ونحرر المقالات ونحن جالسين معا فى القهوة . كل منا يكتب موضوعا ، ونستعرضه معا ، ثم نرسله للمطبعة » (١٢) .

وابتداء من العدد ٣٦٢ تبرز على صفحات البشير اعلانات عن وكالة الانباء المصورة ١١٣ ش الملكة نازلى تليفون ٤٥٠١٤ - المؤسس والمدير المسئول حسين الرملى » .

وحسين الرملى هو شقيق فتحي الرملى وكان يسهم من البداية بصورة فوتوغرافية معبرة تحتل يسار الصفحة الاولى من البشير . .

ويلاحظ أن البشير قد أعلنت ابتداء من العدد ٣٦٢ (١٨ أبريل ١٩٥٠) أن رقم تليفونها هو ٤٥٠١٤ أى نفس التليفون السابق .

وفى العدد ٣٦٤ (٢ مايو ١٩٥٠) تعلن البشير فى صفحتها السادسة أن « ادارة المجلة اتخذت مكتبا مؤقتا لها بوكالة الانباء المصورة ١١٣ شارع الملكة نازلى »

ثم يأتى تغيير جديد مع استقرار العلاقة بين البشير وحدتو فابتداء من العدد ٣٧٣ تتغير دار الطباعة التى تتولى طبع البشير من دار المستقبل

١٢ - مناقشة مع مبارك عبده فضل .

الى مطبعة العالم العربي . . وابتداء من العدد ٣٧٤ تعلن البشير عن مقرها الجديد ١٥٧ شارع محمد بك فريد ميدان مصطفى كامل . مصر . . ثم تفقد البشير مقرها هذا وتعود مرة أخرى لتستخدم صندوق البريد ٣٦ مصر كعنوان وحيد لها (١٢) .



وثمة ملاحظة تثبت لدى أية مطالعة لأعداد مجلة البشير ، هي أن هذه المجلة كانت تعاني من ضائقة مالية خانقة . .

فهي مجلة ايجار ترخيصها خمسة جنيهاً في الشهر . . تحرر على مقهى مجاور للمطبعة يحررها مجموعة من السياسيين ليس فيهم صحفى واحد الا فتحي الرملى وهو بالضرورة يختلف معهم في التوجه السياسى وتخلو المجلة تقريبا من أية اعلانات ذات قيمة والتوزيع يقوم به أعضاء حدثو ثم يوردون ثمن الاعداد المباعة عن طريق العلاقات التنظيمية ، والى الأقاليم ترسل لفافات من الاعداد بالبريد على عناوين أعضاء التنظيم . . ويحدث عجز ضرورى في تمويل عملية اصدار الجريدة يقدره أحد قادة حدثو ذلك الوقت بثلاثين جنيهاً في العدد كانت حدثو تعمل على تغطيتها من ميزانيتها الخاصة أو مما يجمعه أعضاؤها من تبرعات (١٤)

ومنذ البداية تنشر البشير فئات الاشتراك كما يلى :

— ٢٠٠ قرش اشتراك تأييد لمدة سنة .

— ١٠٠ قرش اشتراك عادى لمدة سنة .

— ٢٠ قرش اشتراك ٣ شهور للطلبة والعمال والموظفين .

ونرسل الاشتراكات باسم مدير المجلة فتحنى الرملى على صندوق بوسنة ٣٦ بمصر « (١٥) .

وقد أصدر فتحنى الرملى العدد الأول (٣٦٠) فى حجم طموح ١٢ صفحة تابلويد ويواصل عددا واحدا ثم لا يلبث أن يخفض الصفحات الى النصف ابتداء من العدد ٣٦٢ . .

١٣ - البشير - العدد ٣٨٦ - السبت ٢١ أكتوبر ١٩٥٠ .

١٤ - مناقشة مع مبارك عبده فضل .

١٥ - البشير - العدد ٣٦١ - ١١/٤/١٩٥٠ .

ولكن في العدد ٣٧٩ وبرغم المعونة المالية من حدثو وبرغم اشتراك أعضائها في عملية التوزيع لا تلبث البشير أن تخفض صفحاتها الى أربعة صفحات تايلويد فقط ٠٠ وتخطب البشير قرائها قائلة « الى الأحرار ٠٠ استطاعت البشير هذا الاسبوع أن تصدر في أربع صفحات ، وقد تعجز في الاسبوع القادم عن الصدور اطلاقا ، فالارتفاع الجنوني المتواصل في أسعار الورق يؤسفك أن يحطم هذا المنبر ويخفت هذا الصوت ٠٠ لقد كان في استطاعة البشير أن تصدر في حجم أخبار اليوم مثلا لو أن ادارتها اتصلت بشركة سباهي وتعهدت لها أن تتجاهل ما تنزله بعمالها في الاسكندرية وشبرا الخيمة من ألوان العذاب ٠٠ وكان في استطاعتها أن تصدر في حجم آخر ساعة وفي أناقتها وطباعتها وشكلها لو أن إدارة المجلة قبلت أن تتفاهم مع المسؤولين في السفارتين الامريكية والانجليزية على التعاون وتنسيق الجهود (١٦) »

وفي العدد التالي « عزيزى القارى ٠٠ لا زلنا نصدر في أربع صفحات ولا زلنا نكافح لنعود الى ثمانى صفحات كما كنا ، لذلك نريد معونتك حتى نحقق ما نريد ٠ اشترك ٠ وادع أصدقاءك للاشتراك » (١٧)

وانتشرت براويز عديدة على صفحات الاعداد التالية :

« البشير تصدر لتعبر عن آرائكم ، فلا تغيثوا الا بقروشكم ، ولا تموى الا بقتايدكم » لا تكثف بشراء نسخة واحدة كل اسبوع ٠ فكل عدد من البشير مسمار جديد يدق في نعش الاستعمار والطغيان والظلم » (١٨)

ولعل هذه النداءات الحماسية أفضل كثيرا من رنة اليأس التى بدت في مقال منشور في العدد (٣٧١) ومعنون « هل في مصر أحرار ؟ » جاء فيه « كتبت أخبار اليوم في عدها الماضى أنها طبعت ٢٠٠ ألف نسخة ومع ذلك لم تتمكن من سد احتياجات السوق ونشرت خطابا من قارىء وآخر من قارئة يشكوان من أنها اضطرا الى دفع عشرة قروش ارتفعت الى ٢٥ قرشا ليحصلا على عدد واحد ٠٠ والذي يعيننا الآن أننا نعرف وكل حر في مصر يعرف القضية التى تدافع عنها أخبار اليوم ، فقد وقفت بجانب الجلاد عبد الهادى وما زالت تمهد الطريق لعودته بنشر صفحات عن بطولة المرحوم الذقراشى باشا ! وهى تعتبر لسان حال عميد اتحاد الصناعات

١٦ - البشير - العدد ٣٧٩ - ٢٦/٨/١٩٥٠

١٧ - البشير - العدد ٣٨٠ - ٢/٩/١٩٥٠

١٨ - البشير - العدد ٣٨٩ - ١٨/١١/١٩٥٠

العظيم أى الباشا صدقى ، وهى المجلة التى كانت تتحدى بلا خوف وبلا
مواربة الشعب المصرى كله . وهى فوق هذا المجلة التى تترجم نشرات
الدعاية المسمومة التى تصدرها ادارة الاستعلامات والمخابرات البريطانية » .

وبعد هذه المقدمة نقول البشير « من أجل هذا أصدرنا مجلتنا البشير
ليصل صوتنا واحدا حرا الى الجماهير من بين الضباب الاسود الكثيف ، ومن
أجل هذا تحديدنا الظروف ولم ترهنا القوة الهائلة وخرجنا نهاجم الاستعمار
وأعداء الشعوب . لقد طبعنا أول عدد ووزعناه بأيدينا ووزعنا غالبية
بلا ثمن ، ثم جمعنا القروش والملايم لنطبع ألفين من جديد ثم ألفا من
الأعداد التالية ولتوزع غالبيتها بلا ثمن وبأيدينا أيضا . ثم زدنا فى عنف
حملتنا فى حماس وتحد وكتبنا المجلة وحدنا لان شابا أو رجلا حرا واحدا
لم يهتم بارسال انتاجه أو صورته ، ثم ووجهنا بتهديد من صاحب المطبعة
بالتوقف فى كل عدد ، ثم انتظرنا أملين أن نتلقى اكتتابات أو اشتراكات أو
خطابات تأييد أو كلمة من حر تبعث الثقة والامل . ثم وجدنا أنفسنا
نتسائل ونوجه من أعماقنا الصرخة الى كل حر فى مصر وهل فى مصر أحرار ؟
وإن وبتأييد من تصدر هذه المجلة ؟ هل يعنى هؤلاء الاحرار أن تستمر ؟
أم هم ما زالوا بين الـ ٢٠٠ ألف الذين يفضلون شراء وقراءة أخبار اليوم
ومثيلاتها من صحف الرجعية ؟ اننا نتسائل ، نتسائل فقط » (١٩)

إن الفارق بين المنهجين هو الفارق بين شخص وحيد محاصر . .
وبين تنظيم له كوادره وعلاقاته . .

.. وتتخطى البشير حاجز اليأس . . وينطلق أعضاء وكوادر حددت
يوزعون النسخ ويجمعون الاشتراكات والتبرعات ، وتنظم حملة واسعة
تحت شعار « كل قرش تدفعه للبشير مسمار يدق فى نعش الاستعمار » .

.. ومن جديد تستطيع البشير أن تصدر ابتداء من العدد ٣٨٣ (٣٠ /
١٩٥٠ / ٩) فى ثمانى صفحات .

ويجدو من مطالعة أعداد البشير أن فتحي الرملى قد انفرد بإصدار
الأعداد الأربعة الأولى . . ومن العدد ٣٦٤ بدت ملامح قوى جديدة تشاركه
التحرير . . وتمثلت عمليا فى اضافة اسم اسماعيل جبر كسكرتير للتحرير
فى العدد ٣٦٥ .

١٩ - البشير - العدد ٣٧١ - ٢٤ / ٦ / ١٩٥٠ .

يقول اسماعيل جبر في مناقشة معه « فتحي الرملى أصدر البشير أولا بدوننا ، وكان بالنسبة لنا نموذجيا ، فهو اشتراكي بشكل أو بآخر وهو عضو في نقابة الصحفيين أيضا ، وفي جلسة معه اتفقنا على ان يستمر اسمه كرئيس تحرير تنفيذ القانون بينما ندولى نحن تحرير المجلة وكنا حلا نموذجيا بالنسبة لفتحي الرملى فنحن نتحمل ماليا عبء اصدار المجلة ونتحمل مسؤولية التحرير والتوزيع . وكنا ندولى تحرير كل المجلة فيما عدا الافتتاحية التى يحررها ويوقعها فتحي الرملى ٠٠ وكان يتولى معظم عملية التحرير المسؤول السياسى للمنظمة جات (جبهة التحرير التقدمية) الدكتور عصام جلال ٠٠ » (٢٠)

لكن جات كانت تنظيما صغيرا فلا تستطيع سد الاحتياجات المالية ولا التحريرية ولا لديها قدرة التوزيع الكافية ٠٠ ويستمر اسم اسماعيل جبر كسكرتير للتحرير لثلاثة أعداد فقط ثم يختفى ليحل محله اسم حمد حلمى العباسى ابتداء من العدد ٣٥٨ (٣ يونيو ١٩٥٠) .

ويجىء الآن دور حدثو وهى التنظيم الاكثر قدرة ٠٠

وتبرز حدثو على صفحات البشير ابتداء من العدد ٣٧٠ (١٧ يونيو ١٩٥٠) الذى يصدر كعدد خاص عن السلام متميزا باللون الاخضر الذى يغطى معظم مساحاته وبتوضيب جديد تبدو فيه لمسات متمرسه للكوادر الصحفية البارزة من أعضاء حدثو وتتناثر براويز عديدة تتحدث كلها عن السلام (أحد المعارك الرئيسية التى خاضتها حدثو فى ذلك الحين) « الدفاع عن السلم دفاع عن العدل - الكفاح ضد الاستعمار كفاح ضد الحرب - اغضوا على الحرب قبل أن تقضى عليكم » .

وفى العدد ٣٧١ (٢٤ يونيو ١٩٥٠) تبدأ أسماء كتاب ورسامى حدثو فى الظهور على صفحات البشير وفى الصفحة الأخيرة دراسة عن مكسيم جوركى بقلم أ.ع (ابراهيم عبد الحليم) ومعها رسم تشكيلي بتوقيع حسن فؤاد ثم فى الأعداد التالية تشغل الصفحة الأخيرة قصص لمحمد يسرى أحمد (أحد كتاب حدثو) .

وانذى يعزز الرأى بأن علاقة حدثو بالبشير بدأت من العدد ٣٧٠ برواز منشور فى العدد ٣٧٢ (١ يوليو ١٩٥٠) يقول « الى أصدقاء البشير ، حاوننا فى

العديدين الآخرين أن نخطو ولو بعض الخطوات الى الأمام ، حاولنا وبذلنا ما في طاقتنا من جهد ولا شك أنكم لاحظتم ذلك » .

وبعد هذه الايماء الواضحة تمضى البشير ، أو بالدقة يمضى المحررون الجدد للبشير قائلين « ان هدفنا أن نخلق بمجهودنا ومجهودكم مجلة حرة تمثل الاحرار فى مصر وتربطنا بالمعركة المستمرة الاوار فى العالم والذى تهدف الى القضاء على الاستعمار بشتى صوره ، والقضاء على تجار الحروب أعداء السلام . لقد عقدنا العزم على أن نقفز قفزة كبيرة الى الأمام ونخرج المجلة فى ثوب جديد ، ولن يتحقق هذا الامل اذا لم تساهموا بجهدكم معنا » (٢١)

ويتأكد دور حدثو بذلك التحول البارز فى تحرير الجريدة وفى أبوابها وفى دعوتها الملحة لقضية السلام التى كانت كما قلنا أحد المعارك الرئيسية لحدثو . والدعوة لجمع توقعيات على ميثاق استكهولم للسلام . وقد طبعت البشير بيان استكهولم فى عريضة منفصلة داعية القراء الى جمع توقعيات عليه وارسالها الى ادارة البشير ، وظلت صفحاتها حافلة بأخبار عمليات جمع التوقعيات هذه وبأخبار القبض على من يجمعونها الذين كانوا يوصفون عادة بأنهم « من أسرة البشير » وكانت هناك أبواب ثابتة « الشعوب لا تريد الحرب » و « نريد السلام » كذلك تتضح بصمات حدثو من كثرة ما نشر من أشعار كمال عبد الحليم (أحد قادة حدثو) ففى العدد ٣٨٠ (٢ سبتمبر ١٩٥٠) تتضمن الصفحة الاخيرة قصيدة ، معسكرات لكمال عبد الحليم ، ثم فى العدد التالى (٩ سبتمبر ١٩٥٠) تحتل قصيدته نحو فجر جديد صدر الصفحة الاولى للجريدة .

أما العدد ٣٨٨ (١١ نوفمبر ١٩٥٠) فيخصص صفحة كاملة بعنوان « شاعر يؤمن بالشعب » تكرر للحديث عن كمال عبد الحليم وتضم أيضا قصيدته الشهيرة . . اصرار .

وابنداء من العدد ٣٨٢ (١٦ سبتمبر ١٩٥٠) يظهر اسم ضياء الدين بدر (أحد كوادر حدثو) كسكرتير للتحرير .

لكنه يتعين علينا أن نتوقف قليلا عند عدد بعينه .

العدد رقم ٣٦٧ أى العدد الثامن بعد تولى فتحى الرملى لرئاسة تحرير البشير والعدد الثالث بعد اشتراك منظمة « جات » فى اصدارها . .

٢١ - البشير العدد ٣٧٢ - ١/٧/١٩٥٠ .

صدر هذا العدد يوم الثلاثاء ٢٣ مايو ١٩٥٠ وكان صغير الحجم ست صفحات فقط خال تماما من الالوان ، اللون الاسود فقط ، خال أيضا من الابواب الثابتة مثل « شئون العمال » و « شلاليت » وغيرها .

وتتضمن الصفحة الاولى حديثا أجراه مندوب البشير مع وزير التموين !

وفي الصفحة الثانية موضوع واحد بعنوان « كتاب استعجال يصل في أربع سنوات . تراث الميرى في الروتين الحكومى » والصفحة الثالثة موضوع واحد « الليل الصداح » عن وفاة المقرئ الشيخ محمد رفعت بقلم عباس حانظ والصفحات الثلاث الباقية قصة تافهة مترجمة عن الفرنسية بعنوان « أنا المجرمة » .

لكن أغرب ما تضمنه هذا العدد مقال ملفت للنظر بعنوان « قراءة بالاكراه » تتضمن هجوما شديدا على الحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى جاء فيه « أذاع أخيرا الحزب الشيوعى الذى يحكم تشيكوسلوفاكيا أنه قد تألفت من تلاميذ المدارس جماعات تدعى جماعات العمل الصيغى مهمتها أن تستجوب المواطنين البارزين عما اذا كانوا قد طالعوا مؤلفات المرحومين كارل ماركس ولينين فاذا اتضح أن أحدا منهم لم يقرأها حتى الآن فعليهم أن ينصحوا له بقراءتها في أقرب وقت مستطاع . . ولكن هل تأتى النصيحة من جماعات العمل الصيغى الذين يهددون ولا ينصحون وما قيمة تلك الثقافة التى تفرض على المرء فرضا ! وحتى اذا كانت مفيدة حقا فلا جدوى منها للانسان الذى يتلقاها وهو مرغم ، وهو عليها نائم ، فبعد هذه النصيحة . . . فضيحة » (٢٢) .

والغريب أن هذا العدد يصدر حاملا في صدره أن سكرتير التحرير اسماعيل جبر . . لعل جات كانت قد فقدت قدرتها على مواصلة اسهامها في اصدار البشير . . ولعلها كانت فترة انتقال انفرد فيها فتحى الرملى باصدار المجلة ولعل فتحى الرملى نشر ما نشر تشفيا في شركائه السابقين (جات) بعد ما انصفت العلاقة لسبب أو لآخر .

وثمة ملاحظة أخرى . . أن العدد ٣٦٧ كان آخر الاعداد التى تصدر يوم الثلاثاء . . بعدها صدر العدد ٣٦٨ يوم السبت ٣ يونيو ١٩٥٠ وانتظم صدور المجلة بعد ذلك يوم السبت من كل أسبوع بشكل منتظم باستثناء السبت ٢٢ يوليو ١٩٥٠ الذى تخلفت فيه البشير عن اصدار العدد ٣٧٥

وأصدرته في السبت التالي ٢٩ يوليو ١٩٥٠ دون أن تشير الى ذلك مطلقا في صفحاتها .

وتستمر البشير كمجلة يسارية حتى العدد ٣٩٠ الذي يصدر السبت ٢٥ نوفمبر ١٩٥٠ ثم تنجح ادارة المطبوعات في ايقافها عن الصدور بناء على طلب من وريث شريك سابق لصاحب الترخيص وفي يوم الاثنين ٤ ديسمبر ١٩٥٠ تصدر مجلة جديدة بنفس الحجم ونفس التوضيب تحمل اسم المستقبل وتنشر المستقبل في صدر صفحاتها الاولى عنوان « البشير عطلوه » وتقول « أيتها الطبقة العاملة ٠٠ أيتها الفئات الكادحة ٠٠ لقد عطلت لكم الرجعية البشير وظنت أنها ستقضى بذلك على منبركم ولكن سحقا لها ، هاهى المستقبل تتقدم حاملة الراية ٠٠ الراية المخضبة بدماء الطبقة العاملة ، تتحدى الاستعمار وتتحدى الرجعية وتتحدى الموت . لا موت لاننا نكافح من أجل المستقبل ٠٠ المستقبل لنا » (٢٢) .

ويبقى بعد ذلك أن نقلب معا صفحات ثلاثين عددا من مجلة البشير .

نحن الآن مع البشير . عددها الأول الذي أصدره فتحى الرملى أى العدد من المسلسل القديم ٠٠ وقد صدر العدد في الثلاثاء ٤ أبريل ١٩٥٠* وقد أشرنا فيما سبق الى صورة النحاس باشا التى تربعت في صدر الصفحة وتحتها عبارة « على مبادئ الوفد المصرى » ٠٠

أما الافتتاحية فهي مجرد دعوة اعلامية لمعهد الصحافة الاهلى وعنوانها « من أجلكم يا شباب » ٠٠ « فى مصر عبقریات مدفونة ، وفى مصر نبوغ ومواهب وكفاءات لم تكشف بعد ، ولا يحول بينها وبين الظهور والتألق سوى أنانية البعض وضعف البعض وعدم ثقة البعض فى شباب هذا الجيل ٠٠ وإذا القينا نظرة على ميدان الصحافة مثلا وجدنا حفنة من « الأساتذة » الكبار تريد أن تحنكر لنفسها حق قيادة هذا الشعب وحق التحكم فى توجيه الرأى العام الى الأبد ، هذه الحفنة ٠٠ لا تعترف للشباب الناشئ بالجهد فى إتاحة الفرصة العادلة له كي يقدم دليل مقدرته ودليل استعداده للنجاح ، لهذه الظروف بالذات أقمنا معهد الصحافة الاهلى منذ سنوات حتى نتيح لراغبى دراسة هذا الفن العظيم فرصة ما كانت لتوجد لولا ٠٠ »

ثم تمضى الافتتاحية لتقول « ولهذه الظروف أيضا نستعد اليوم لاصدار جريدة البشير حتى تكون ميدان عمليا لهذه الاقلام » .

(٢٢) المستقبل العدد ١ - المجموعة ٢ - الاثنين ٤/١٢/١٩٥٠ .

* يلاحظ ان العدد ٣٥٩ قد صدر فى الثلاثاء ٢١ فبراير ١٩٥٠ أى ان المجلة قد توقفت لخمس أسابيع متتالية قبل أن يستأجر ترخيصها فتحى الرملى .

٠٠ وفي موضوع آخر بعنوان كن عضوا في أسرة تحرير البشير « نجد هذه العبارة « فقد كان هدف معهد الصحافة الاهلى في اصدار البشير أولا وقبل كل شيء هو ان تكون ميدانا علميا لتدريب جيل جديد من الصحفيين » ٠

ثم هي تغرى الشباب بالالتحاق بالمعهد في مقال آخر بعنوان « كم يربحون من الصحافة » تقول فيه أن القابعي يتقاضى أربعين جنيها عن كل مقال يكتبه في أخبار اليوم وأن محمود أبو الفتح بدأ محررا صغيرا ثم أصبح يمتلك مليوني جنيه ٠٠ الخ .

ثم الحاح آخر « هل فكرت يوما أن تكون كاتباً صحفياً ٠٠ لقد أصبح الأمر سهلاً فممنذ أنشئ معهد الصحافة الاهلى لتعليم الفن الصحفى بالمراسلة وهو يخرج كل يوم عددا من الصحفيين الممتازين ينتشرون الآن في أكثر صحف الشرق ومجلاتها الكبرى (!) ٠٠ لا نشترط شهادات ٠٠ الدراسة بالمراسلة والمصروفات قليلة ٢ جنيهات تدفع مرة واحدة أو ٤ جنيهات تدفع على أربعة أقساط شهرية متساوية ٠٠ ويمنح الطالب في حالة نجاحه دبلوما ٠٠

ثم لا سياسة ولا أى شيء آخر ٠٠

مجرد نشرة اعلامية تروج لما يسمى بمعهد الصحافة الاهلى ٠٠

ربما كانت هذه خطة فتحي الرملى في بداية الامر ٠ وربما كانت مجرد استدراج لصاحب الترخيص ٠٠ لكن الامر لم يستمر فالسياسة تأتي سريعا ٠٠ وبكامل الوضوح في العدد التالي مباشرة ٠٠ وفي الافتتاحية التى تحفل معظم مساحة الصفحة الاولى والتي وقعها فتحي الرملى « نحن نتحدى » ٠٠ في هذه البلاد عصابات من الخونة تتآمر على حرية هذا الشعب وتسعى جاعده لاختفاء كل حركة تهدف الى تحريره وتخليصه من جلاديه المستعمرين ٠ علم يكذب ينشر نكبا ذلك الانذار الجرى الذى وجهه وزير خارجيتنا الى انجلترا بالجلاء عن وادى النيل والا تعرضت العلاقات المصرية - البريطانية للخطر حتى انزعج الانجليز وصنائعهم وكان أسبغهم الى تسجيل الانزعاج دولة اسماعيل صدقى باشا الذى اشتهر باستهتاره الوطنى » .

ثم تمضى الافتتاحية « أجل أيتها العصابة ٠٠ لقد ربطكم المستعمرون في شركات وبنوك ومشروعات مادية واندمجت مصالحكم فأصبحت واحدة . ولم يعد فى استطاعتكم الامتناع عن شركائكم فى استنزاف دم الملايين من أبناء الشعب ٠٠٠ وليس أمامنا الآن سوى أن نجعل المطالبة بمحاكماتكم هتافا من هتافات الشباب ، ونتحداكم أن تفلتوا من المحاكمة فهى آتية لا ريب فيها ، ان لم يكن اليوم فغدا » (٢٤) ٠

وكما نلمح هذا الهجوم الصاعق على صدقى وزملائه نلمح أيضا هذه
المغازلة لوزير خارجيتنا الجرىء ..

والحقيقة ان هذا العدد كان مليئا بالحديث عن الوفد والحكومة
الشعبية ولعل هذا كان موقف قوى يسارية عديدة وجدت في حكم الوفد تطورا
ايجابيا سواء من الناحية الوطنية أو من ناحية الحريات العامة ..

.. وثمة مقال آخر يسير في نفس الاتجاه الهجوم العنيف على الرجعية
مغلغا بتأييد الوفد وعنوان المقال « اشتراكية واشتراكية » يذكر القراء
جيذا ماضى مصطفى أمين في خدعة عهود الطغيان على اختلاف زعمائها ،
وكيف كان يصف أولئك الزعماء ويصف حكمهم ، فقد أكد يوما أن النقراشى
باشا يسير على سياسة اشتراكية ، وذكر أن ابراهيم عبد الهادى باشا
سيلقى خطبا اشتراكية في الميادين العامة ، بل قال يوما ، ولم يكن المجال
مجال فكاهة ، ان صدقى باشا ألف لجنة عليا لمحاربة الفقر والجهل
والمرض على أسس الاشتراكية ونشر حديثا لصدقى باشا جعل عنوانه
« حكومتى اشتراكية » .

ولما تربععت الوزارة الشعبية الحاضرة على دست الحكم .. انقلبت
سياسة البطل معارضة على طول الخط ، وبدأ بالذات يتحدث عن عدم اشتراكية
الوزارة . ومصطفى بك على حق فسواء كانت سياسة الوزارة الحاضرة
اشتراكية أو غير اشتراكية فانها على الاقل بعيدة جدا عن الاشتراكية التى
يعرفها مصطفى بك ويؤمن بها .. اشتراكية عبد الهادى واسماعيل
صدقى ..

وفي الصفحة الرابعة باب اخبارى بعنوان « اقرأ وافهم » تضمن اخبارا
من نوع ..

« تال سعادة حافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطنى لبعض شباب
الحزب ان من رأيه أن تتحالف مصر مع روسيا ولما سألته الشباب ألا يعنى
هذا رواج الشيوعية في مصر ؟ قال مسعاده لقد تحالفت تركيا مع روسيا
بعد الحرب العالمية الاولى فلم تستفد روسيا ولا الشيوعية شيئا واستزادت
تركيا كل ما كانت تريده .. » .

وخبر آخر « كان من أسباب ابعاد أحد ضباط البوليس السياسى أنه
طلب اعتقال بعض شبان بدون ذنب في مناسبة زيارة بيفن لمصر ، وأنه
تقاضى في أسبوع واحد ١٨٥ جنيهها من المصروفات السرية تحت اسم مكافحة
الشيوعية » .

وثمة أيضا توجهات طبقية واضحة فتحت عنوان « أرقام ناطقة »
« تقوّل الاحصاءات الرسمية .. ان حفنة من الخرفين في مصر تستورد من
الخارج كل سنة جوارب حريرية وخمور وروائح عطرية وصابون تواليت
وماس ورمرد بما تزيد قيمته عن مليونين وثلثمائة وتسعة وتسعين ألف من
الجنيهات .. والقارىء وحده يستطيع أن يضيف الى هذا الرقم الضخم ما
يرى اضافته من أرباح التجار المحليين ورسوم الجمرك ثم يستطيع أن يعرف
كم عائله في مصر تستهلك هذه الواردات » .

وفي داخل العدد صفحات مخصصة لمجلة ملحقه اسمها « مجلة البرلمان »
خصصت لأخبار البرلمان والبرلمانيين وجعلت شعارها قولة لنكولن
« الديمقراطية هي قيام حكومة من الشعب وللشعب وبالشعب » .

أما رئيس التحرير فهو : الناخب المحترم - والإدارة : بدائرة جريدة
البشير .

والافتتاحية عنوانها « ميلاد برلمان » . « لم يولد في مصر برلمان في
ظروف كالتى ولد فيها مجلس النواب الحالي فهو يأتى في أعقاب خمس
سنوات ذاق فيها الشعب من عهود الطغيان شر أنواع العذاب والارهاب
والضيق ، وبعد أن احتمل في صبر مجلسا عجيبا لم يكن له يد في انتخابه
هذا ان صح ان المجلس الماضى أقيم على أسس الانتخاب » .

وتصف انتخابات عام ١٩٥٠ قائلة « .. وأقبل الناس على صناديق
الانتخابات بمنتهى الوحشية .. نعم ، فقد حطموا كل المحاولات التى
بذلت لمنعهم من التصويت ، وهجموا على اللجان يدلون بأصواتهم في اصرار
وعناد » .

ثم تقول « انه الوعى الجديد يفرض على النواب الشعبيين الاحساس
بالمسؤولية ، ويفرض على نواب الرجعية الاحساس بالخوف والذعر من بنائى
النور . من أجل هذه المعانى تصدر مجلة البرلمان الملحقه بالبشير لتتقرب
أعمال النواب بالنيابة عن ناخبيهم وتنقل اليهم رغبات أولئك الناخبين
وآرائهم فيما يفعلون » .

وتطالب البرلمان بتعيين سلامة موسى عضوا في مجلس الشيوخ نائلا
« لقد سخر سلامة موسى قلمه للمجتمع وللدفاع عن حقوق الشعب وحرية
وظل ثابتا على آرائه ومبادئه طوال ثلاثين عاما لم يزن بتفكيره يوما على
حد تعبيره البحيح .. » .

ثم تقترب البشير من الخط اليسارى خطوة جديدة مع العدد الثالث ففي
هذا العدد وبرغم استهزار هيمنة فتحى الرملى عليه واستمرار خط التأييد

التمام لحكومة الوفد ٠٠ يبرز على صفحات البشير قطبان من أقطاب يسار هذه الفترة عمر رشدي وأحمد طه وكان أولهما على علاقة بحدثو والثاني كان أحد قادة جات ٠٠

ونلاحظ أيضا أن التوجه الطبقي يزداد بروزا في هذا العدد ٠٠

ففى صدر الصفحة الأولى صورة كبيرة للكلب وتحتها تعليق « السعيد المحفوظ ٠٠ منذ احتفلت بنت ذوات بعيد ميلاده والقاهرة كلها تتحدث عنه - تصوير حسين الرملى » .

وهناك الافتتاحية التى توجه نيرانها الى الانجليز فى حدة غير مألوفة ويتساءل فيها الرملى عن السبب فى استمرار السكوت على احتلال انجلترا بعد « أن قلمت الحرب العالمية أظفار هذا الوحش وخلصت أنيابه » ثم يمضى قائلا « ولو استعرضنا الظروف التى تجعل انجلترا تقف اليوم ضعيفة خائرة ولا تحتل ضربة واحدة لوجدناها كثيرة يخطوها العد فهناك المتناقضات التى خلقتها المنافسة الرأسمالية بين انجلترا وأمريكا وفرنسا ، وهناك الجيش الاحمر الرابض للدول الرأسمالية جميعا ، وهناك القوى التقدمية الصاعدة فى كل مكان ، وهناك المد الثورى فى المستعمرات المتطلعة الى نور الحرية » .

وبعد أن يركز فتحى الرملى نيرانه على الصحف الرجعية التى تفتعل معركة وهمية ضد ما تسميه المبادئ الهدامة ٠٠ وبعد أن يناشد « الحكومة الوطنية القائمة فى الحكم ، الساهرة على قضية البلاد أن تفتح عينها جيدا لما يدبر لتحويل الجماهير عن مشاكلها الحقيقية باثارة هذه القصص الوهمية » فإنه يؤكد فى وضوح تام « ولتعلم الحكومة أن شباب مصر جميعا يدركون أننا فى مرحلة كفاح وطنى أولا وقبل كل شئ ، ويدركون أن هدفهم الاول مهما كانت مبادئهم هو تحرير بلادهم من ذلك الاستعمار الذى يجثم على قلبها كالكابوس سكتين عاما أو يزيد ٠٠ فلنكن لنا جميعا صيحة واحدة لا نردد سواها ولا نهتف بغيرها ، صيحة واحدة ندوى بها حكومة وشعبا وصحافة فى وجه المستعمرين الانذال أخرجوا من مصر ٠٠ أخرجوا من بلادنا » (٢٥) .

وببدو أن حملة ما قد نظمت فى عدد من الصحف ضد البشير الذى تتصدى البشير لاحدى هذه الهجمات فترد على مقال لمحمد صبيح نشره فى جريده الاساس (السعدية) يصف فيه البشير بأنها مجلة شيوعية يحررها شيوعى معروف ٠٠ وترد البشير تحت عنوان « شلايت » قائلة ، لا نريد أن نعتب

على محررى الاساس فهم أحرار فى مزاوله مهمتهم البوليسية سرا أو علنا ولا نريد أن نناقش السخافات الاخرى التى تمثلى بها صحيفتهم النخيفة الشريفة المحترمة الذائعة الانتشار ؟ ثم توجه النيران الى صبيح فتذكره بأنه قد ثبت لوزارة الداخلية منذ سنوات أنه كان ضمن عصاة تعمل لحساب دولة أجنبية ضد مصلحة البلاد (يقصد اتهام مصر الفتاة بالعصابة بايطاليا) ٠٠ »

ثم تمضى البشير فى هجومها « وما رأى الاستاذ صبيح فى المتهمين بالفاشية وبالعامل لحساب دولة أجنبية ضد مصلحة البلاد وفى صلتهم بالجريدة الوطنية والنظيفة الشريفة المحترمة الذائعة الانتشار الاساس الغراء » ٠

ثم هناك مقال عمر رشدى « تأييد الحكومة الوفدية وتدعيم الحكم الدستورى فرضان واجبان علينا » . . وغيه يتحدث عمر رشدى باسم تيار « حدد » نحن حماة الديمقراطية الحقيقية ندرأ عننا عبث العابثين ونحن الزائدون عن الدستور نعمل على تطبيقه نصا وروحا ونحن أعدى أعداء الاستعمار لا نعرف معه هواة ولا مساومة ، كافحناء وسنكافحه حتى يجلو آخر جندي أجنبى عن وادى النيل ، وحتى تتحطم نهائيا جميع المحاولات التى تبذل من أجل المحالفات العسكرية والدفاع المشترك » ٠

٠٠ ثم هو يؤكد « سنؤيد الانحاس باشا ما استمسك بحقوق مصر والمصريين » ٠

ويأتى دور أحمد طه اذ يوجه على صفحات المجلة اللحقة « البرلمان » رسالة الى الذائب المحترم الاستاذ داعط شيخا يقول فيها « رفضت شركة ماركونى اعادنى للعمل لخدمتها بدعوى اننى كنت معتتلا ، مع أنها اعادت اثنين غيرى أعقتل أحدهما بتهمة الصهيونية والثانى على أنه من الاخوان الارهابيين السبب الحقيقى لاضطهادى هو اننى كنت سكرتيرا لنقابة موظفى وعمال الشركة » ٠

ريعاود أحمد طه الظهور على صفحات نفس العدد عندما يعرض روائية « طريق الحرية لهوارد فاست » ٠

ثم نتوقف أمام ملاحظة هامة فى هذا العدد ٠ نأتى تحت عنوان « احباط محاولة » ٠٠ « حاول بعض موظفى قلم المطبوعات بمحافضة مصر أن يققوا من هذه المجلة موقفا شادا أقل ما يوصف به أنه تحرش والاستفزاز ٠ ولا نريد أن نطيل فى تفاصيل هذا الموضوع فقد عرضنا الموضوع على معالى الوزير الحكيم الاستاذ فؤاد سراج الدين فلم يلبث أن وقف كعهدنا به مناصرا لحرية الصحافة وكرامة الصحفيين » ٠

•• ولم تكن هذه هي النحية الوحيدة الموجهة لسراج الدين شخصياً على صفحات البشير فهناك أيضاً استعراض على صفحات « البرلمان » لما دار في مجلس الشيوخ عندما عارضت الأقلية مشروع الامر العسكري الخاص بتطبيق علاوة الغلاء على مستخدمي وعمال الشركات ••• « وفي هذه المعركة وقف معالي الاستاذ الكبير فؤاد سراج الدين باشا فعرف كيف ينفذ هذه الحجج الواهية ويدافع عن حق الطبقات المظلومة في أن تعيش ، وكم كان بليغاً ، وكم كان مؤثراً ، وكم كان قويا •• » .

•• وتبقى علامة استنفهام حول هذا الموقف من سراج الدين •• بالذات •

لكن سراج الدين يظل فرس الرهان في العدد التالي أيضاً فثمة مقال بدون توقيع عنوانه « سراج الدين •• روح شعبية ووطنية » •• يقول كاتبه « بين لغيف من المثقفين في مصر من يعتقد أن معالي فؤاد سراج الدين باشا يمثل في الوفد اتجاهها محافظاً ، وعندى أن هذا الخوف لا يوجد ما يبرره ففى طبيعة فؤاد باشا شعبية تبعده عن هذا الانحراف •

وبالعكس نستعرض تاريخ فؤاد باشا في الحكم فلا نجد سوى مواقف ديمقراطية لا تنسى ولا تنكر فهل محافظ مثلاً من يسعى لتنشيط الحركة التعاونية بين الفلاحين ، وهل محافظ مثلاً من يفكر في مشروع مكافحة الامية ويعمل على تنفيذه في سرعة لم يوقفها سوى اقالة الوزارة الشعبية •• » وبعد أن يعدد الكاتب مواقف سراج الدين مدافعاً عنه في حرارة غريبة يقول « قد يسألني بعضهم وما رأيك في هذه التشريعات التي يقال ان فؤاد باشا يعدها لما يسمونه مكافحة التبشيرية هل تتفق مع الديمقراطية ، ولهؤلاء أقول •• لا تتعجلوا الأمور •• انتظروا » (٢٦) •

وتواصل البشير دفاعها عن الوفد وهجومها على خصومه فتهاجم مصطفى أمين قائلة تحت عنوان « شلايت » (الذي أصبح باباً ثابتاً) « كتب الدعوة مصمص في أخبار اليوم الجريدة الشريفة المعروفة يعيب على رفعة الرئيس الجليل أنه قال في حديثه الى اليونينيد برس أن الشيوعية ليست خطراً على مصر • وقد فضح الداعية الأمريكاني نفسه بهذه الكلمة التي عبر فيها عن حقه وغبطه اذ يرى المسؤول الاول في مصر يكشف حقيقة هذه الدعايات المأجورة •• أجل يا سيد مصمص لم يعد في وسعك أن تضلل بعد اليوم ، ولم يعد في وسعك أن تدثر بعد اليوم تلك القصص السينمائية عن الحركة الشيوعية •• أيها الصديق انتصريف •• فتش عن طريقة لأكل العيش غير هذه الطريقة فلن تستجيب

(٢٦) البشير - ٢٥/٤/١٩٥٠ •

الحكومة الحاضرة لمثل هذا التضليل ولن تسكت عليه وعلى زعيمنا العظيم مصطفى النحاس » •

بل ان البشير تؤيد الوفد الى درجة انها تعارض وبشدة أية اضرابات تلافيا لأى حرج تقع فيه حكومة الشعب وتحت عنوان « أجبيونا » تجرى البشير حديثا مع الزميل حلمى البشلاوى رئيس نقابة عمال مطبعة مصر •

« ما رأيكم فى مسألة الاعتصامات والاضطرابات التى حدثت أخيرا فى بعض المصانع ؟

اننى وان كنت أحد المتذمرين من الابطاء الحكومى فى تصفية المشاكل العمالية بين العمال وأصحاب الأعمال لا أقر بأى حال احراج الحكومة الشعبية التى لا تفتأ تعلن عن عزمها الأكيد على تطبيق اعانة الغلاء على الجميع ، واعتقد أن المثجع على هذه الاضطرابات هو الابطاء الرسمى وهناك أيضا دعاة الاستمزاز ممن يحلو لهم الاصطياد فى الماء العكر • وانى أتقدم لاخوانى العمال بالنصيحة التالية وانا كفرد منهم وهى ان يعملوا للحصول على حقوقهم بالطرق القانونية المشروعة وأن يتيحوا لحكومة الشعب فرصة تنفيذ برامجها الاصلاحية لشتى الطوائف ولهم فى الوزارة الشعبية وعلى رأسها رفعة النحاس باشا ما يكفل لهم صيانة حقوقهم » • ثم تطالب البشير بحل مجلس الشيوخ بحجة انه « يعطل مسروعات الحكومة الاصلاحية » « لذلك لم نعد نرى ما يدعوا الحكومة الشعبية للوقوف جامدة ازاء هذه الخطة المبيثة للاعتداء على حكم الشعب بمثل هذا الاسلوب » •

ولا شئ آخر فى هذا العدد سوى هجوم عنيف على أمريكا فى الافتتاحية التى تعلق على دعوة ترومان لتنظيم « حملة الحقيقة » بهدف « اظهار الحنيفة للشعوب » قائلة « والحديث عن الحرية والديمقراطية فى أمريكا يطول فان نواحى الحرية والديمقراطية هناك كثيرة ومتشعبة فهناك حرية انزواج ، فالزنجى هناك حر فى اختيار السيد الأبيض الذى يقتله ، وحر فى اختيار السيد الأبيض الذى يمتص دمه، وربما تمتع فى بعض الاحيان بحرية أوسع هى اختيار الطريقة التى يقتله بها • • • وهنا حرية المفكرين والفنانين الاحرار ، فانهم فى أمريكا يتمتعون بحريتهم الكاملة فى التعب عن آرائهم أمام لجان التحقيق التى تؤلف للترفيه عنهم • • • وقد آيت أدريكا بعد ذلك الا ان تظل العالم بديمقراطيتها العريقة فناصرت جميع الشعوب فى كفاحها من أجل التحرر اللهم الا بعض الدول التى لا تستحق الاستقلال كهصر وأندونيسيا وفلسطين وليبيا وشمال أفريقيا وغيرها من الدول » •



ومع العدد الخامس (٣٦٤) تبدأ البشير رحلة جديدة .

الحرر الوحيد يجد الآن من يسانده ، ولعله يجد من ينقذه من التورط في هذا التأييد المفرط لسراج الدين ولحكومة الوفد حتى في مواجهة المطالب العمالية . وتتحول السياسة تحولا ظاهرا . . من التأييد المطلق الى الضغط والتأييد المفعم بشروط قاسية . . والتوجهات الطبقية تتضح وتتلور في مواقف واعية . .

وأبواب جديدة « شئون العمال » « والوعى الجديد » ودفاع حار ومتكرر عن المسجونين السياسيين (الشيوعيين) وكتاب جدد (د . عصام الدين جلال واسماعيل جبر) .

لقد بدأت العلاقة مع جات « جبهة التحرير التقدمية » وهى منظمة صغيرة العدد خرجت من المعتقلات تبحث عن دور ولم تلبث بعد فترة أن أتحدثت مع حدثو .

ونطالع صفحات العدد ٣٦٤ ونلمس الفارق الواضح ونحس أن المسار قد تغير تماما . الملاحظة الاولى أن الافتتاحية ليست بتوقيع فتحي الرملى ولا هى بأسلوبه المميز . . وعنوانها « أول مايو عيد الكادحين » .

« منذ بضع عشرات من السنين دبر جلادوا العمال من رجال البوليس وأصحاب الشركات مؤامرة دنيئة ضد العمال فى أمريكا ، واليوم يحتفل الكادحون فى أنحاء العالم أجمع بهذا اليوم ، يحتفلون به ليس احياء لذكرى شهدائه فقط ولكن احياء لذكرى كفاح جموعهم المرير فى سبيل حياة أفضل ، وعدالة أشمل ، وسلام أبقى . . ولم يكن العالم ليحسر أن لا يشاركهم احتفالهم فهم لم يعودوا فقط بناته بل أصبحوا أيضا سادته . . » وختام الافتتاحية عبارة بالغة الدلالة فهى توجه السهام مباشرة الى حكومة الوفد التى كانت تغازلها فى العدد السابق « هل أن الأوان للحكومة أن تعترف بالفضل لذويه وتضفى من الحقوق الدستورية والحريات الديمقراطية ثوبا على أسلوب الحكم لا يجعله سبة فى نظر الرأى العام العالمى المتحضر » (٢٧)

ويتوالى الضغط على حكومة الوفد عبر معظم صفحات العدد . .

فقد بدأت البشير حملة جديدة استمرت بعد ذلك طوال مدة صدورها للدفاع عن المسجونين الشيوعيين بهدف الضغط على حكومة الوفد للإفراج عنهم أو على الأقل لتحسين معاملتهم . .

٢٧ - البشير ١٩٥٠/٥/٢

« منع المسجونون السياسيون في سجن مصر من طوابير الفسحة التي يتمتع بها المجرمون العاديون ، واشتدّت ادارة السجن في معاملتهم الى الحد الذي اضطرهم الى الاضراب عن الطعام من ٢٢ في الشهر الماضي » لكن الأمر لم يكن مجرد منع من طوابير الفسحة ولا حتى احتجاج على سوء المعاملة . . اذ تعود البشير لنشر خبر آخر في نفس العدد منذ خمسة أيام اضرب المسجونون السياسيون في سجن مصر عن الطعام احتجاجا على المعاملة غير الدستورية التي عوملوا بها منذ القبض عليهم والتحقيق معهم » . . ولا بدف الامر عند هذا الحد بل يصل الى تذكير النحاس بوعوده السابقة . . « أنا لا نزال نذكر الاحتجاجات المتوالية التي أثارها رفعة رئيس الحكومة قبل الانتخابات على المعاملة غير الدستورية للمعتقلين والمسنونين ولا يزال يردد في أذاننا صدى النداءات المتوالية التي أذاعها على الشعب لوضع حد لهذه المآسى الدائمة واليوم السلطة في يد الرئيس ، الشعب يناديه ، ولا شك سيطلبى النداء » .

ويتخذ الضغط على حكومة الوفد بل وانتقادها مسارا آخر . . نفي باب جديد . .

« شئون العمال » نطالع « كتب الينا لفيف من عمال شبرا الخيمة يحتجون على فصل حوالى ١٥٠ عاملا من مصانع المنطقة بسبب مطالبتهم بعلاوة الغلاء التي أصدرت الحكومة أمرا عسكريا بها بعد أن لمست مايعانيه العمال وصغار الموظفين . . ومما يدهشنا أن هذا الاجراء القاسى . . لم يكن كافيا في نظر رجال الادارة بل ووصل الامر الى حد ابعاد بعض هؤلاء العمال عن المنطقة كلية تماما كما كان يحدث في أيام التعسف والظلم الماضية » .

وتواصل البشير التفتيش عن نقاط أخرى لاجراج حكومة النحاس نفي باب « شلايت » وتحت عنوان « نريد بيانا » .

« كنا قد سمعنا ابان دولة سرى باشا الوزارة ان النيابة العمومية قد اسدأنتف التحقيق في حادث اغتيال حسن البنا . . ونحن الذين كنا نذمنى لحسن البنا الموت الأدبى ، وكنا نعمل لهذا الغرض جاهدين جادين . . نحن الذين كنا نرحب باى اجراء محاكمة حسن البنا على ما اقترفه في حياته من خيانات وطنية ولو أدت هذه المحاكمات لاعدامه . . نحن رغم هذا لا نقبل مطلقا ان تتولى الحكومة أو بعض كبار موظفيها ووزرائها تدبير حوادث الاغتيال لمعارضيه ثم يكون في استطاعتهم أن يفلتوا من العدالة ، ولذلك كنا نريد أن نطالع بيانا مفصلا من النيابة عن تفاصيل هذا التحقيق وما وصل

اليه ٠٠ فالرأى العام لا يزال قلقا يريد أن يطمئن الى أن وسيلة الحكومة - أبة حكومة - هي القانون والنظام دون سواها فمتى نطالع هذا البيان «
واندين يعرفون أن القصر الملكى هو الذى دبر حادث اغتيال حسن البنا
يدركون أى قدر من الحرج كانت البشير تضع فيه حكومة الفحاس عندما
تشير هذه القضية *

لكن الضغط على حكومة الوفد يصاحبه تأييد ليسار الوفد ففى
« أرشيف البرلمان » تقدم البشير الدكتور عزيز فهمى ٠٠ « هو أحد قادة
الطليعة الوفدية فى أخلاقه مثالية وفى خطواته السياسية اتجاهات ديمقراطية
واضحة آمن بالحریات العامة المقدسة فناصر المعتدين عليها نضالا صلبا
وكانت له فى هذا السبيل جولاته الموفقة ٠٠ » ولا يفوت البشير أن تذكر
عزيز فهمى بواجباته حتى تجاه حكومة الوفد « يظن البعض أن عزيز فهمى
التزم هذه المواقف يوم كان الوفد خارج الحكم يؤجج المعارضة بأية وسيلة
ولكن هذا البعض لا يعرف جيدا ماضيه الذى يجعلنا نأمل أن ينزل الى
الميدان ليدافع عن مصالح الشعب دفاعا ايجابيا »

وثمة موضوعات أخرى ٠٠

فى الباب الأسبوعى « الوعى الجديد » موضوع بعنوان « حزب العمال
رغم أنف العمال » ٠٠ « أقام حزب أفندينا البرنس عباس حليم حفلة
شاي بمناسبة شفاء نبالته أعلن فى أثناءها سكرتير الحزب أن اللجنة التنفيذية
قررت انتخاب عبد الحميد عبد الحق باشا رئيسا خلفا لسعادة محمد صالح
حرب باشا وهتف الجميع للرئيس الجديد ولرئيس المستقيل ٠٠ ان العمال
لم تعد لقمة سائغة لامثال سعادة الزعيم العمالى باشا فالعمال تعلم جيدا
أن سعادة الباشا قد آزر العهد الماضى واشترك اشتراكا فعليا فى وزاره
ابراهيم عبد الهادى التى ملأت المعتقلات بجميع طوائف العمال فلم يحرك
ساكنا طوال هذه المدة وبعد فافتحوا باب الحزب على مصراعيه وادخلوا
وأخرجوا ما شئتم وارتجلوا ما شاء لكم الارتجال وعينوا فى كل عام رئيسا
جديدا للحزب فأنتم فى واد والعمال فى واد *

تم موقف سياسى طبقت أكثر وضوحا فتحت عنوان « نماذج صحفية
- محمد التابعى » تقول البشير « أنه يشبه كرافتشنكو من وجوه كثيرة
فكلاهما بوهيمى وكلاهما يقامر بغده لحساب يومه وكلاهما عاشق مجنون
للمال والفساد واللعب ويجمعهما بعد ذلك هدف مشترك هو الثراء عن طريق
مهاجمة الشيوعية لكن التابعى تخونه ذاكرته أحيانا فتزايله براعته المشهود له
بها فى التضليل فقد وصف تيتو بأنه ضابط روسى يتنكر فى ثياب يوغسلافية

واسم يوغسلافي فلما خرج تيتو على الديمقراطية وانضم لعسكر الاستعمار وصفه بأنه وطني يضع مصالح يوغسلافيا- فوق كل شيء » .

وببقى من هذا العدد ان نشير الى مقال د . عصام الدين جلال مسؤول تنظيم جات والذي يفترض أنه كان الوجه الاساسى لسياسة هذا العدد والعديدين التالين والعنوان « مهمتنا اليوم » مع الاستعمار وجها لوجه » . « خطة الاستعمار اليوم هي تحويل واستنفاد كفاح الشعوب في سبيل استقلالها خطته التهرب من مجابهة جموع الشعب وحرفها عن ميدان كفاحها الحقيقي ، خطته تحطيم وحدتها واشاعة الاضطراب في صفوفها وتضليلها في بيداء مكائده ومؤمراته التي لا نهاية لها وخطتنا ان نضع أيدينا على رأس الداء ونهوى بكل قوانا لنحطم هذا الرأس ونترك الاذناب بعد ذلك تفوى دون عنا خطتنا ان لا نترك للاستعمار مجالا ان يحيد بكفاحنا وجهودنا عن الطريق السليم ولا ندعه يختفى وراء ستار يحرك خلفه أشباحا نواجهها نحن في سذاجة وبلاهة » .

والحقيقة ان الأمر لم يكن مجرد اضافة عنصر جديد الى تحرير البشير فقد كان هناك أيضا تصاعد الاتجاهات غير الديمقراطية في سياسة حكومة الوفد « قانون المشبوهين السياسيين ، قانون الصحافة الخ » وتبخر الكثير من الوعود التي أفرطت فيها قيادة الوفد أيام معاناتها خارج الحكم ، وللسببين وليس لسبب واحد تصاعدت حملة النقد على صفحات البشير ضد حكومة الوفد وطبعا ضد سراج الدين . . وتصاعد المذاق الطبقي في كتاباتها .

ففي صفحات العديدين ٣٩٥ (١٩٥٠/٥/٩) و ٣٦٦ (١٩٥٠/٥/١٦) تبرز أكثر فأكثر هذه المعارضة وتتوالى حملة الدفاع عن حقوق العمال وعن السجناء السياسيين .

« من المسجونين السياسيين المضربين عن الطعام في يومهم الخامس عشر الى رفعة النحاس باشا » . . « من وراء القضبان نعلن نحن المسجونين السياسيين بسجن مصر احتجاجنا الصارخ على المعاملة الوحشية اتى نعامل بها تلك المعاملة التي تذكرها كل التقاليد الدستورية والديمقراطية بالنسبة لمسجونين في قضايا الرأي » وبعد أن تنفيض المذكرة في تفاصيل المعاملة الوحشية التي يلقاها السجناء السياسيين والسجيناء السياسيات في سجن مصر . . . وشهدى عطيه في ليمان طره تقول « لقد كنا نأمل أن يزيل الحكم انوفدى آثار الحكم السابق الآثمة وان يجعل دستور البلاد حكما بين الناس وان يطبق الدستور معنى ومبنى ، اننا نتوجه الى نواب الامة وطوائفها ان يضعوا حدا لهذا

الاستهتار بقانون البلاد الأساسى - الدستور - وان تعاد محاكمتنا أمام محاكم
عادية ٠٠ عاشت مصر حرة ديمقراطية ٠٠ « (٢٨) .

وفى نفس العدد ضمن صفحات المجلة المحقة « البرلمان » تعود البشير
الى نفس الموضوع عنوان « حقوق الانسان » ٠٠ « منذ نهاية الحرب الأخيرة
والشكوى ترتفع المرة تلو المرة من استخدام الحكومات أجهزة النيابة
وبوليس ، فاجراءات بعض المحققين وتحريات البوليس واعتقالاته وتصرفاته
مع الوطنيين وغير الوطنيين لم تكن دائما كما ينبغى ٠٠٠

واليوم يرتفع صوت مكبوت من بين جدران السجون ، ويضرب عشرات
المسجونين السياسيين فى سجن مصر عن الطعام حتى الموت كوسيلتهم الأخيرة
للفت الانتظار الى ما تعرضوا اليه من ضغط وارهاق ، فاذا لم يكن هذا الأمر
الخطر موضع اهتمام واستقصاء ممثلى الشعب فأى الأمور يكون ٠ ان
الديمقراطية الدستورية وسمعة الجهاز الحكومى الانسانية ، بل مبلغ محصولنا
من المدنية والرقى توضع فى الميزان بهذه الصرخات المكبوتة واننا نطالب
ولن نكف عن المطالبة ٠ نطالب لجنة تحقيق برلمانية » .

وفى أرشيف البرلمان حديث عن النائب محمد محمود قراة يقول « نم
يترك واحدا من الاحرار الذين طاردهم العهد البائد وقادهم الى السجون
مرة بعد أخرى الا ووقف جانبه متطوعا ٠٠ وفى قضايا الشيوعية ظل يتراجع
حتى استخلص حكما قضائيا خطيرا ببراءة المتهم على أساس ان الدعوة للشيوعية
الاقتصادية - أى الدعوة التى لا يصحبها مظهر من العنف - لا تتعارض مع
الدستور ولا تقع تحت طائلة المادة ١٧٤ من قانون العقوبات ٠٠ وقراة الآن
عضو فى اللجنة التشريعية بمجلس النواب ، أحد الذين يأمل الشعب فى
صلابتهم ووقوفهم ضد أى تشريع يتعارض مع الدستور ومع حرية الرأى » .

وفى العدد ٣٦٦ مقال عنوانه « فى العضم » ٠٠ « فى مطلع هذه السنة
وأثناء احتدام المعركة الانتخابية أصدر رفعة مصطفى النحاس باشا بيانا
أشار فيه الى مجيء الوفد فى فبراير ١٩٤٢ ليستهل حكمه بالعفو عن جميع
المحكوم عليهم سياسيا ما عدا الذين حكم عليهم بالاعدام وكنا اذ ذاك فى
معتقلات الاسبنداد ٠٠ فأدركنا من هذه الشارة ان الوفد كعهدنا به سوف
يستهل حكمه بالعفو الشامل عن جميع ضحايا العهد البائد وها هى ذى خمسة
أشهر قد مضت على حكم الوفد واذا بنا نتلقى من أهالى المسجونين السياسيين
بيانا يستجدون فيه برفعة النحاس باشا مشيرين فيه الى اضراب أبنائهم
عن الطعام فى سجن مصر منذ أكثر من أسبوعين .

٢٨ - البشير - ١٩٥٠/٥/٩

هؤلاء المسجونين السياسيين يريدون - متواضعين - تطبيق لائحة
السجون عليهم . . ويطالبون متواضعين باعادة محاكمتهم أمام المحاكم
العادية . . لا أقل من هذا مؤقتا في انتظار العفو الشامل وتعويض الابرياء عما
لحقهم من غنت واضرار » (٢٩) .

وتتصاعد الانتقادات لحكومة الوفد في كافة الاتجاهات وخاصة حول مسألة
الديمقراطية والحريات ويكتب فتحى الرملى افتتاحية العدد ٣٦٥ تحت عنوان
« افتحوا النوافذ » . « ليس في مصر وطنى واحد . . جدير فعلا بهذا اللقب . .
لم يقشعر بدنه لهول الاعتداءات الباغية التى وجهتها حكومات الاقلية البائدة
الى الحريات العامة . . هذه الحريات التى دفعنا فيها ثمننا غاليا . . وقد
دارت المعركة الانتخابية في مصر على هذا الاساس . . حرية أو لا حرية . .
ديمقراطية أو لا ديمقراطية ، دستور أو لا دستور ، واليوم يتطلع الناخبون
الى وزارة الوفد ليروا ما حقته لهم من تلك الوعود فيجزعون للبلىء الشديد الذى
تسير به الحكومة نحو هذا الهدف » وبعد أن يستطرد فتحى الرملى في تعداد
أخطاء حكومة الوفد في هذا الصدد يقول « اننا نكتب هذه الكلمات تذكيرا
لا تشهيرا فاننا أصدق العناصر الوطنية تأييدا للحكم الدستورى وهذا
الصدق هو الذى يحدونا أن نرسل هذه الصيحة الجديدة اطلقوا الحريات من
عقالها . انقذوا سمعة مصر . . دعموا نظام الحكم الديمقراطى . فما
أحوج وزراء الوفد الى سماع هذا الصوت . . ما أحوج فؤاد سراج الدين بالذات
الى أن يرهف أذنيه جيدا لكلماتنا فهو المسؤول الاول عن كل ما يصيب المصريين
من اعتداء ، ولا نقبل تبرير ما يقع من اعتداءات بضغط المستعمرين والرجعيين
وزبانية الارهاب السياسى الذين ينصبون أنفسهم حفظة للامن وحراسا
للنظام » ثم يختتم فتحى الرملى الافتتاحية بشعارات محددة تلخص مطالب
اليسار المصرى في هذه القضية « الغوا التشريعات التى وضعت في عهود الانقلاب
لتكميم الافواه . . استصدروا عفو شاملا عن جميع الاحكام التى صدرت
في قضايا الرأى خلال الخمس سننرات الاخيرة . . ألفوا لجنة لتحقيق جرائم
التعذيب والارهاب التى ارتكبها عبد الهادى . . أعيدوا المفصولين من أعمالهم
بسبب الاعتقال وعوضوا المعتقلين السابقين عما لحقهم من أضرار في صحتهم
وأموالهم . . ذلك هو الاسلوب الوحيد الذى تقيمون به أساس التريبيه
الديمقراطية الصحيحة لشعب هو الذى جاء بكم الى الحكم وهو الذى يستطيع
وحده أن يقف في وجه العواصف التى تحاول اقتلاعكم » .

وتعقيباً على قانون المشبوهين السياسيين نشرت البشير في العدد ٣٦٦
وتحت عنوان « موكب العبيد » . . « نشر قانون المشبوهين السياسيين في

الصحف يوم الجمعة السابق ومر على نشره أكثر من عشرة أيام كنا ننتظر خلالها أن تهب الصحف كلها لمواجهته ، كنا ننتظر أن تجتمع في الحال نقابات المحامين والصحفيين والعمال وسائر الهيئات والطوائف لتعلن احتجاجها عليه واستنكارها الشديد له ولكن الايام مرت دون أن تنبس الصحف ببنت شفة ودون أن نسمع كلمة واحدة ضد هذا القانون .. ويوم كان الوفد في المعارضة كانت أمثال هذه المحاولات الغاشمة تستقبل من الصحف الوفدية الاستقبال الجدير بها .. أما اليوم فالصحف الوفدية جميعا باستثناء صحيفتنا (!) الصغيرة لزمت الصمت ولعلها ظنت أن واجبتها الحزبي يقتضى السكوت وعلى العكس نرى أن واجبنا أن نحذر الوفد من مثل هذا الانحدار الذى يراد له أن يتردى فيه » .

وفي نفس العدد حديث مع الدكتور عزيز فهمى يقول فيه ان تشريع المشيوعين السياسيين تشريع مطاط قد يحاول الاستبداد يوما - لو أتيح له - أن يطبقه على فؤاد سراج الدين باشا نفسه .

وفي الافتتاحية يعلق فتحى الرملى على هذا الحديث تحت عنوان « مشيوع سياسى » فيقول « ان فؤاد باشا قد يظن أن الدكتور عزيز يذهب فى تشاؤمه مذهبا بعيدا لذلك نتطوع نحن فنشرح لمعاليه كيف يمكن تطبيق هذا القانون المطاط على شخصه .. » .

ثم يسأل الكاتب فؤاد باشا ..

« .. ألم يسمع معاليه أن دولة صدقي باشا قد أغلق جريدة الوفد المصرى لسان حال حزب الوفد بتهمة الشيوعية ؟

- ألم يسمع معاليه أن ثلاثة من النواب الوفديين الحاليين اعتقلوا بتهمة الشيوعية هم الدكتور منذور والدكتور بلال والاستاذ مصطفى موسى ؟

- ألم يسمع معاليه أن أحد كبار كتاب حزب الوفد وهو الاستاذ سلامة موسى حقق معه مرتين بتهمة الشيوعية .. وحقق معه مرة بتهمة القاء قنبلة سينما مترو ؟

- ألم يسمع معاليه أن اثنين من سكرتيرى الوزراء الحاليين طاردهما زبانية الارهاب السياسى بتهمة الشيوعية وهما الاستاذ أحمد البدينى السكرتير البرلمانى لمعالى وزير الداخلية والاستاذ عبد الرؤوف أبو علم سكرتير معالى وزير الشؤون الاجتماعية ؟

- ألم يسمع معاليه أن زميله فى مجلس الوزراء طه حسين قد صودر كتابه المذبذبون فى الارض لانه يتضمن دعوة شيوعية .. وان الدكتور طه أبعد يوما من نقابة الصحفيين لنفس الأسباب ؟

وفي « البرلمان » مقال بقلم اسماعيل جبر بعنوان « سلاح برلماني جديد » ينتقد فيه موقف سراج الدين لانه لوح للنواب المعارضين لمشروع قانون الغاء ضريبة الارباح الاستثنائية بأن رفض المشروع معناه زعزعة الثقة في الحكومة . . وعندما تصاعدت المعارضة لقانون المشبوهين السياسيين لوح سراج الدين بنفس السلاح . . ويقول الكاتب أن هذا الاسلوب « يسمح بعرض القوانين تحت ظال التلميح والتصريح الذي يجعل من كل تصويت على القوانين بمثابة تحديد موقف من الحكومة والنظم القائمة . . هذا الاسلوب الذي يشيع بين النواب جوا من التوجس ويوهمهم ان اخلاص كل منهم موضع الشبهة والتحقيق كلما طرح قانون أمام مجلس النواب » .

ودنتهي علاقة جات بالبشير . .

وبرغم أن اسم اسماعيل جبر يبقى كسكرتير تحرير للعدد ٣٦٧ فاندنا نشير كما أوردنا في المقدمة الى تغيير شامل ومعاكس تماما تتخذه البشير سواء في التوضيب أو في الطبع أو في المادة التحريرية التي تركزت على مواد غير سياسية وقصة مترجمة ومقال عن القرى الشيخ محمد رفعت وحديث مع وزير التموين وهجوم شديد على الحكومة الاشتراكية في تشيكوسلوفاكيا .

ولعل هذا العدد يحدد لنا بذاته إمكانات التقلب لدى رئيس تحرير مثل فتحي الزملی . .

ولعله يفسر ما سبق أن أشرنا اليه من مواقف متعاكسة مثل امتداح سراج الدين ثم الهجوم عليه . تملق الحكومة الوفدية ثم انتقادها . .

لكن هذه الانتكاسة في موقف البشير لا تستمر سوى عدد واحد . . وبعدها تصبح وبشكل شبه كامل ناطقة بلسان الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني . . وعلى صفحاتها يبرز كتاب حدثو وكوادرها وتتحدد مواقفها ومنطلقاتها . .

ونلاحظ أن العدد ٣٦٧ كان آخر عدد يصدر يوم الثلاثاء . . فقد صاحبت عملية هيمنة حدثو على الجريدة تغيرات شاملة في التوضيب والابواب والتوجه السياسي وأيضا يوم الصدور الذي أصبح يوم السبت . . بشكل منتظم .

نحن الآن مع العدد ٣٦٨ (السبت ٣ يونيو ١٩٥٠) . . أي أننا الآن مع حدثو بكتابها وكوادرها ومواقفها فلنحاول تتبع هذه الحقبة الجديدة من البشير . . وهنا يبرز الفارق واضحا بين مواقف الفرد أو المنظمة الصغيرة وبين مواقف وأساليب وامكانيات الحركة لدى منظمة كحدثو ، فمقاومة قانون

المشبهين السياسيين تتحول الى عمل جبهوى شامل تعكسه البشير على صفحاتها بصورة تختلف تماما عن مجرد الصراح الفردى .

المانشطات - قانون المشبهين السياسيين يتعرض لموجة من السخط والغضب والاستنكار .

- حملة البشير على القانون يتردد صداها في كل مكان .

- النواب والمحامون والصحفيون والشباب يهبون للدفاع عن الدستور .

ثم « . . واليوم نستطيع أن نعلن بكل اعتزاز وبكل فخر أننا كنا الرواد الأول الذين أهابوا بالاحرار والوطنيين في مصر أن يتنبهوا ويدفعوا هذا الشر الكبير قبل وقوعه ، وكان المواطنون الاحرار عند حسن ظننا بهم غقد تحركت مختلف الهيئات تقاوم المشروع الرجعى الجائر وتتسابق الى شرف تلحطيمه »

وتمضى البشير لتوضيح سلسلة من المواقف ضد هذا المشروع . . « كان اجتماع الهيئة الوفدية صباح الاثنين الاسبق أهم اجتماع عقدته منذ تأليف البرلمان الحالى وقد هاجم الاعضاء قانون المشبهين ووصفوه بأنه قانون رجعى وخطر لا يجوز أن تصدره وزارة الشعب التى طالما عانت من أمثال هذه التشريعات الرجعية . وقد رد معالى فؤاد سراج الدين على هذه الاعتراضات مدينا الاسباب التى أدت الى وضع هذا التشريع فقال ان الحركة الشيوعية في مصر قد استفحل أمرها فلما استمر الاعتراض على التشريع وعد معالى فؤاد باشا بتوزيع المشروع لدراسته على أن تعود للاجتماع للمناقشة فيه » .

ثم خطوة أخرى . .

« أرسل فريق من المحامين عريضة الى مجلس ادارة نقابتهم يطلبون منها عقد الجمعية العمومية للنظر في أمر التشريع الجديد . . » .

وخطوة ثالثة . .

« بعث رئيس تحرير البشير برسالة الى رئيس نقابة الصحفيين يقترح فيها دعوة الجمعية العمومية غير العادية للانعقاد للنظر في هذا المشروع الذى ينطوى على تهديد خطير لرجال الصحافة الذين يتعرضون قبل غيرهم لسخط الحكام . . » .

وحتى الشباب الوفدى . .

« تلقى رفعة رئيس الوزراء ومعالى فؤاد سراج الدين باشا وزير الداخلية مذكرة من الشبان الوفديين تضمنت اعتراضهم على مشروع قانون الاشتباه

السياسى ٠٠ جاء فيها « ان الحكومة قد أعلنت أنها تقصد بذلك المشروع الشعبوعيين فقط الا أنه ينطبق على كل من يعتبره البوليس معارضا للوزارة التى تكون قائمة وكل من يعتنق آراء سياسية لا تروق فى عين البوليس » (٢٠)

وتواصل البشير ضغطها على الحكومة الوفدية وسعيها لاستقطاب معارضين لسياسة الحكم ٠٠ وتنشر تحت عنوان « اقرا وافهم » « فكر بعض النواب انفراديين المعروفين فى اصدار جريدة يومية تعبر عن الاتجاهات الحديثة فى صفوف الوفد » كذلك تبرز البشير على صفحاتها أسماء قادة حدتو ٠٠ فيكتب محمد محمد شطا - عامل نسيج بشبرا الخيمة (عضو اللجنة المركزية لحدتو) تحت عنوان « نحن والاتحاد العالمى » ٠٠ « منذ انتهت الحرب العالمية الثانية التى ذهب ضحيتها الملايين من العمال والفلاحين أحس العمال بمدى فداحة الخسائر التى لحقتهم وهبوا للعمل على تحطيم الاستعمار أساس الحروب وعلى نصرة الحرية والديمقراطية وتدعيم السلام فى ربوع العالم ٠٠ ان العمال بطبيعتهم أبطال السلام العالمى ٠٠ ونحن عمال مصر الذين بقدر وحدة عمال العالم حق قدرها وأثرها فى معركة السلام العالمى وفى الدفاع عن مصالحها وفى تحطيم الاستعمار ، نعتبر أن المحافظة على وحدة عمال العالم تتطلب منا السهر والعمل المتواصل لتحطيم اتحاد النقابات الحر فى المجال الدولى وكشف وتحطيم أنصاره من الخونة والمرترقة » ٠

ويبقى أمامنا بعد ذلك اثنان وعشرون عددا من البشير من العدد ٣٦٩ (١٠ يونيو ١٩٥٠) الى العدد الاخير ٣٩٠ (٢٥ نوفمبر ١٩٥٠) وهى مجمل الاعداد التى أصدرتها منظمة حدتو بالتعاون مع فتحى الرملى والتى يمكن الاعتماد بها كمرجع معتمدا للتعرف على نهج ومنطلقات هذه المنظمة وكذلك على مكناتها الفنية والتحريرية ٠٠

وسوف نحاول أن نستعرض الخطوط الرئيسية لهذه المواقف ٠٠ وسنهتم أساسا بالقضايا التالية :

- القضية الوطنية والموقف من الاستعمار ٠٠ الموقف من المعسكر الاشتراكي
- الدفاع عن السلام العالمى .
- الموقف من الوفد .
- الصراع الوفدى وقضية الثورة .

ويمكن القول أن النقطة الاولى قد استحوذت على معظم صفحات الاعداد الاثنى عشرين وموضوع الدراسة ٠٠ وقد اتسم تناولها بالعنف الشديد

في الهجوم على الاستعمار وبانيقظه الشامة في مواجهة الزحف الأمريكى
الحديد ٠٠٠

فانتقاحية العدد ٣٧٢ بعنوان « فلنواجه المستعمرين » والتوقيع لفتحى
الرملى ٠٠ ، ليكن مفهومنا ان العبارة الوحيدة الى نستخلصها من هذه الحرب
التي دبرها الأمريكان المجرمون في كوريا انه لا امن ولا سلامة ولا حرية في
بلد يعرصد فيه النفوذ الاستعماري ٠٠٠ لذلك يساورنا القزع حين نختبئ الى ن
الحكومة السورية القائمة قد امضت في الحكم ستة شهور وهي تعطن في كل
يوم انها متمسكة بالجللاء عن وادى النيل ثم لا نجد عملا ايجابيا ٠٠ لمد
تكتلت الدول الاستعمارية - امريكا وانجلترا وفرنسا - لتواجه الشعوب الثائرة
صنا واحدا ٠٠ واذا كنا نلمس اليوم تأمر هذه الدول الباغية على الشعوب
العربية جميعا فما احوجنا لان نقف من هذه المؤامرات موقف الوطنية وموقف
الرجال » (٢١) واذا كنا نلاحظ ان البشير نتحدث هنا عن معركة « الشعوب
العربية جميعا » ضد جبهة الاستعمار الموحدة ٠٠ فاننا نلاحظ انها لم
تفصح عن موقف محدد ٠٠ واكتفت بحديث عام عن « موقف الوطنية وموقف
الرجال » ٠٠

لعل الموقف لم يكن قد بضح بعد او لعلها الحدود التي كان متحى الرملى
تادرا على الكتابة باسمه في اطارها ٠ على أية حال فان انتقاحية العدد التالي
تحمل لنا اجابة واضحة ٠٠ وهي ايضا - ولعل ذلك ليس مجرد مصادفة -
ليست بتوقيع فتحى الرملى ٠٠

« كلمة البشير ٠٠ اتجهوا الى الشعب » ٠٠ استبقت كل السياسات التي
لا تلقى بالشعب ولا تعتمد على قوته وحبوبيته فشله ٠٠ والاتجاه الى الشعب
في الظروف الحالية يتعارض مع سياسة كبت الحريات سواء كان ذلك بسن
قوانين جديدة تحدد منها مثل قانون المشيوعين السياسيين والرقابة على
الصحف ، او كان ذلك بتعطيل الافراد والجماعات بالحريات المنصوص عليها
في الدستور مهما كانت الحجة التي تستند اليها الحكومة ٠٠ الانجاه الى الشعب
بمعنى ان ندعه يعبر بكل صراحة وقوة عن عداوته للاستعمار الانجلو امريكى
وعداوته للمفاوضات والمساومات وعدائه للحرب التي لا مصلحة له فيها على
الاطلاق ، ويعنى اعطاء حرية التنظيم وحرية التعبير والاستعداد فالمعركة بيننا
وبين الاستعمار الانجلو امريكى ليست معركة اوراق ووعود نفد جريناها جميعا
وكانت تنتهى بخسارتنا وتوطيد اقدام المستعمرين ولم سبق الا ان نحاول
اسلحة جديدة على التي كانت تنجح في كل البلاد في طرد المستعمرين ٠٠

٢١ - البشير - ١٩٥٠/٧/١

اتجهوا الى الشعب والا فانه سيفول كلمته بأسلوبه الخاص في الاستعمار .
وفي الحكومة التي تصانعه ايا كانت . .
ان حملته من اجل قطع المناورات ومن اجل خلق جبهة وطنية ضد الاستعمار
لاحسن عمل تقوم به في ذكرى يوليو . ذكرى ضرب الاسكدرية وبدأ الاحتلال
المسكري (٢٢) .
- وبلا حظ الهجوم ضد الاستعمار الانجلو امريكي ونيس الانجليزى
وحده .
- ايضا الحديث عن « اسلحة جديدة هي التي كانت تنجح في كل البلاد
في طرد المستعمرين » .
- وكذلك تهديد حكومة الوفد .
- واخيرا الدعوة لابقاف المفاوضات وخلق جبهة وطنية ضد الاستعمار .
ونقد ظلت هذه المخططات الاربعة هي محور تناول البشير للقضية
الوطنية عبر كل الاعداد التالية . . واذا كان الكلام عن « اسلحة جديدة هي التي
كانت تنجح في كل البلاد . . يأتى مبهما الا ان الامر لا يطول بالبشر . .
نسرعان ما توعو وبوضوح الى . . الثورة المسلحة ضد المستعمرين » .
وفي افتتاحية العدد قبل الاخير ٢٨٩ . . وهي غير مومعة . . العنوان صراح
« نطالب بالثأر » والكلمات عنيفة . . « الشعب يعرف ما هو الطريق انه ليس
المفاوضات التي تستجديها الاحزاب الخائبة حزبا بعد حزب . وليس هو هذه
المفاوضات الوطنية التي يجاهد كل زعيم على امل ان يرسو عليه العطاء الشعب
يعرف ان الجهاد الوطنى هو تحطيم لكل المناورات التي يراد بها فرض المحالقات
المسكربة مع المستعمرين ضد الشعب . هو الحرب بكل سلاح ضد الغاصب
المحلل . . ان الجهاد الوطنى هو هذه المعارك التي تصلنا انباؤها في مبادئ
القتال في الهند الصينية وفي كوريا . . هي ثورة رهيبة نجحت جذور الاستعمار .
هو انتفاضة كتلك التي قامت يوم اراد نابليون ان يقاوم المصريين بمدافع لا عهد
لهم بها فغدموا واحدا منها واستطاعوا في ساعات ان يحققوا المعجزة .
ثم تصل البشير الى الذروة « ان قلوب الجماهير ارادتها ووعيتها الحديد لم
يعد يستمخ سوى أسلوب واحد . قررنا ان نعبى له كل الجهود . . أسلوب
التحرر كما عرفته الشعوب التي تحررت . أسلوب الوطنيين المحاربين في كوريا
وفي الهند الصينية . . أسلوب الثورة المسلحة ضد المستعمرين . . » (٢٢) .

وفي العدد الاخير ٢٩٠ تتصاعد الحملة ، كان خطاب العرش صدمة لمواطن

الشعب الوطني علمه كيف تتبخر الوعود التي تملأ بها البيانات قبل الحكم وكيف تنتقل في ظل السلطة الى النسيان أو أن تنقلب الى النقيض . . الشعب يريد بما تبقى له من حسن نية وثقة في وعود الحكام قطع المفاوضات رسميا والغاء معاهدة ٣٦ واتفاقيتي الحكم الثنائي رسميا والتحول الى الهجوم بكل صوره السياسية والاقتصادية بل والحربية بينما النحاس لم يتورع عن اعلان سياسة الباب المفتوح . . (٢٤) .

وبدأت البشير أيضا تركز هجماتها على الاستعمار الأمريكي الزاحف في شراسه على مصر . .

• ترى الدوائر السياسية ان الرئيس ترومان مقد صوابه في الفترة الاخيرة فهو منذ يوم الجيش يعمل بحماسة واخلاص لوضع نفسه كأول مجرم حرب ففي هذه الفترة خرج الرئيس الأمريكي على العالم بنظريته الجديدة التي تتلخص في أنه سيقدر وحده الوقت الذي يراه مناسباً لاستخدام السلاح الذي بل هو يرى ان الخسائر ستقل في الحروب الذرية القادمة ولن تزداد كما يتخيل ملايين السذج . . (٢٥) .

ويكتب فتحى الرملى تحت عنوان « لا حياد » . . راجت في سقوط سياسة المصرية هذه الايام عملة رائفة يجدر بنا أن نلفت الانتظار اليها هي كلمة الحياد . . كلمة الحياد لم يعد لها مدلول فالصراع الذى يترقب العالم بدايته بكثير من الرعب والفرع لن يكون عراقا بين الديكة أو مصارعة الثيران . . ولكن الصراع المرتقب سيتوقف على نتيجته تقرير مصر العالم لاجيال طويلة . . هناك حقائق لا يستطيع انسان أن يكابر فيها . . ومن هذه الحقائق ان امريكا وانجلترا وفرنسا قد الفت كتلة واحدة لابقاء الشعوب في قبضة الاستعمار ونفسيهم العالم الى مناطق نفوذ تنهب كل منها ثروة المنطقة التي تحتلها وتحيل دماء شعوبها وعرق كادحيها الى ويسكى وشمبانيا لبضع مئات من الاحتكاريين وملوك المال . . وبينما يوجد هذا المعسكر الاستعماري توجد حقيقة اخرى أو يوجد معسكر آخر هو ذلك الذى يضم الشعوب الثائرة على الاستعمار والمناضلة ضد كل انواع الاستغلال والمكافحة من اجل هدف واحد هو الحرية . . وهذا المعسكر الاخير لم يعد من حسن الحظ ضعيفا فوق انه المعسكر الاكبر عددا

٣٣ - البشير - ١٨/١١/١٩٥٠

٣٤ - البشير - ٢٥/١١/١٩٥٠

٣٥ - البشير - ١/٧/١٩٥٠

وغيرق أنه يستمد قوته من عدالة وسلامة أهدافه . فوق كل هذا سندده في كفاحه
فراش عظمه تكاد تتخلع لها قلوب المستعمرين . . وليس منا من يجهل المواضع
الديمقراطية الرائعة التي وفها الاتحاد السوفيتي إلى جانب الشعوب المناضلة
.. ان أسأله بعد ذلك لا تحتاج إلى شيء من التردد ولا جدال في أن موقف مصر
من المدكرين لا يجب أن يختلف فيه مصريان . نحن بك مستعبد ومصلحتنا
الوطنية هي التي نحدد موقفنا وهي التي تحتم علينا أن نمف في معسكر الشعوب
صد معسكر الاستعمار . . وبعد فإن الداعون إلى الحياد مصللون يريدون أن
يسفروا مصالحتهم للقوى الاستعمارية تحت هذا الستار أو مغلون لا يفهمون
حقيقة هذا الصراع ولا يحاولون النطلع إلى أهدافه « (٢٦) .

ويمكن البنداري باننا في نفس العدد ، روسيا أي الاتحاد السوفيتي دولة
اشتراكية حائلة نظام الحكم فيها والاساس التي تقوم عليها تتعارض مع
ارغفال الاموال في داخلها وخارجها ولذلك تقوم سياستها الخارجية على اساس
ثابتة وهي محاربة الاستعمار اذ هو الراسمالية المجسمة التي لغتها . وهو في
نظرم مصدر الحروب العدوانية المخربة « (٢٧) .

.. وايضا على صفحات نفس العدد تتساءل البشير عن الفائدة ، التي
تجنحها مصر من اصرارها على الاعتراف بالحكومات الوهمية وتجاهل الحكومات
الحقيقة . ما هي الفائدة التي تجنحها مصر من اصرارها على الاعراف بحكومة
ملك زوغو التي لا وجود لها وتجاهل حكومة جمهورية البانيا الشعبية التي
ارفعت لها الامور مند سحوات . وما هي الفائدة التي تجنحها مصر من اصرارها
على الاعتراف بحكومة تسانج كاي شيك التي لا وجود لها . . وتجاهل حكومة
الجمهورية الصينية الشعبية التي تسيطر على الصين فعلا . والتي اعترفت
بها أكثر دول العالم .

وتواصل البشير حطتها للاعتراف بالصين الشعبية . . وعلى صفحاتها
تتشدد آراء مختلف الشخصيات الوطنية مثل زهير صبرى . وحامد سلطان
وعبد المجيد نافع وابو الخير نجيب . . مطالبين بالاعتراف بحكومة الصين
الشعبية على اساس أن هذا الاعتراف هو تأكيد للمصلحة الوطنية وللمعركة
الوطنية .

.. وتتحرك البشير كمؤسسة سياسية . او بالدقة كلدان حال لمنظمة
سياسية عنكما توجه برقية إلى وزير الخارجية تقول فيها : اسرة تحرير البشير
نحتج على الموقف الشائن الذي وقفه مندوب مصر في مجلس الامن من مسألة

(٢٦) البشير - ١٩٥٠/٧/٨

(٢٧) البشير - ١٩٥٠/٧/٨

الصين وتطالبكم بتصحيح هذه السياسة التي لا تمنى الا ربطنا بموكب الاستعمار الامريكى وذلك عن طريق الاعتراف فورا بحكومة الصين الشعبية الحقيقية كاجراء يساعد على حل قضيتنا بل وحل قضية السلام العالمى « (٢٨) .

٠٠ وفى العدد ٣٨٦ تخصص البشير صفحتان كاملتان لنضال شعب الهند الصربية ٠٠ ، شعب عظيم يحطم قيوده ٠٠ الهند الصينية تدافع عن جمهوريتها الشعبية الاولى ، ٠٠ وتعلن على صفحات نفس العدد ، عددنا القادم عدد خاص بكوريا ٠٠ . وفى الصفحة الاخيرة لنفس العدد « مارسيل كاشان الزعيم الكبير يروى قصة جريده لوماننية » (جريدة الحزب الشيوعى الفرنسى) (٢٩) .

٠٠ والعدد ٣٨٨ يخص صفحته الاخيرة كاملة لنشر « قصة البرافدا ٠٠ » الجريدة التي صنعت التاريخ . احبها الشعب لانها احبته ودافعت عنه وقالت له الحقيقة ، (٤٠) .

لكن الملفت للنظر هو مقال تنشره البشير لعبد الجليل ابو سمره باشا قطب حزب الاحرار الشهير بعنوان « فلنتحالف مع روسيا » يقول فيه « لقد اجمعت البلاد على طلب الجلاء ووحدة وادى النيل منذ زمن طويل ٠٠ ولكن الذى ينقصنا ان نجمع عليه هو ان هذين المطالبين لا يمكن تحقيقهما بالمفاوضة ٠٠ فلم نسمع قط ان دولة نالت حقوقها المغتصبة من انجلترا بالمفاوضة ولا سبيل فى رأى لنيل حقوقنا الا التكتل والتسائد وعلان العداء للسافر للانجليز . فلا نتعاون معهم فى امر من الامور . فلنسمع انباء والطعام عن القوات البريطانية المحتلة ولنحل بينها وبين بناء ثكنات بكل وسيلة ممكنة ٠٠ ونقلع عن التعاون معها . فلا يعمل هناك عامل مصرى ولا كاتب مصرى ولا متعهد مصرى » .

ثم يكشف القطب الحر الدستورى عن سر غير معروف « سمعت ان روسيا عرضت على مصر ان تبني لها مصانع للأسلحة ٠٠ فلماذا نتردد ؟ ان لنا مصلحة شاهرة فى قبول عرض روسيا » ويستأى عبد الجليل ابو سمره باشا « هل نخشى من التعاون مع روسيا من ان نتبلشف ؟ » ويجيب « من قال هذا ؟ هل

(٢٨) البشير - ١٩٥٠/٨/٥

(٢٩) البشير - ١٩٥٠/١٠/٢١

(٤٠) البشير - ١٩٥٠/١١/١١

خشيها على الاسلام من التعاون مع الدول المسيحية . انها حجة واهية يدحضها ان انجلترا تعاونت مع روسيا في الحرب الاخيرة ولم نتبلشف » (٤١) .

وقد كان النضال من اجل السلام العالمى احد المحاور الاساسية لنشاطه وحدثت في هذه الايام . . وقد اتخذ طابع حملات مكثفة سواء على صفحات المجلات « البشير » ، الواجب « ، الملايين » « الكاتب » . . و بالاتصال المباشر بالحماهير والشخصيات العامة عن طريق جمع توقعيات على ميثاق استوكهولم ثم ميثاق برلين . . او عن طريق خلق منظمات جماهيرية فاعدية وعلى المستوى القومى لانصار السلام . . وكانت البشير من البداية لهذه المعركة .

ومنذ العدد ٣٦٩ (١٠/٦/١٩٥٠) اى العدد الثانى لبدايه علاقة حدثت بالبشير نقرا العناوين القالية « الدول الاستعمارية تتعجل الانتحار في اكبر مجزرة بشرية . . الشعوب الحرة تعلن الحرب على دغاة الحرب » . . و « الاحتكاريون يطلبون الحرب » . . « منذ ان انتهت الحرب العالمية الثانية والدول الاستعمارية وفي مقدمتها امريكا تسمى لاشعال نار الحرب العالميه الثالثه . . وقد تنفق ذهن العصابات الامريكية الاحتكارية منذ سنوات الى اسلوب جديد للسيطرة على العالم فخرجت مشروع مارشال واخذت تصدره في صورة قرض عن لتسليح الدول التى تقع في قبضتها وتدفعها الى المجزرة البشرية التي لا احد امريكا مناصا من خوضها لتحقيق اطماع بضع عشرات من الشركات الاحتكارية . . وقد اجسدت الشعوب الناضجة في كل مكان بالخطر وعبت تدافع عن سلامها وامنها حتى لقد جن جنون انجلترا وامريكا من حملة السلام في العالم وراحت تصفانها بانها شيوعية . . تماما كما تصفان الحركة الوطنية . كل دعوة للسلام هي دعوة شيوعية ما دامت امريكا وانجلترا تنشران الحرب ولا تريدان السلام . . ان انصار السلام يوصونكم بالعمل من اجله . . ففى حين انكم وامن اطفالكم وزوجاتكم وامهاتكم يجب ان تعملوا على احباط كل مناورة لجركم الى الحرب ولتعلموا انه ما من قوة في الارض تستطيع ان تقبض على الشعوب حربا ذرية لا تريدها . . » (٤٢) .

وقد صدر العدد ٣٧٠ كعدد خاص عن السلام وتميز باستخدام اللور الأخضر بدلا من الاحمر وتخصيص كل صفحاته لموضوع السلام .

وافتتحية العدد بعنوان « معركة السلام » وتسير فيها البشير على نهجه الثابت فالنضال من اجل السلام هو في الاساس نضال ضد الاستعمار . . و هذا الوقت الذى تاهب فيه لصوص البترول وتجار الاسلحة من الاحتكاريين

(٤١) البشير - ١٩٥٠/٧/١

(٤٢) البشير - ١٩٥٠/٦/١٧

الأمريكان والانجليز لاشعال نار حرب عالمية ثالثا . . في هذا الوقت يتصاعف شعور الاحرار في العالم بامره بمسئوليتهم في الدفاع عن الحضارة وانقاذ الانسانية من كارثة لن يعرف تاريخ البشر اشد هول منها . . وليعرف الشعب انصرى كما عرف عبره من الشعوب ان عليه ان يختار احد امرين اما ان يخوض معركة السلام ويكسبها واما ان يساق الى حرب ذرية لا تبقى ولا تذر . . لا يكتفى ان نكره الحرب بل يجب ان نتحرك لدفع عنا شرها المخيف . . وحين ندعو للدفاع عن السلام لا نقصد الجانب الماثلي في هذا الدفاع بل نهدف اولا وقبل كل شيء ان يجيء دفاعنا عن السلام واعيا وعميق الجذور . فالدفاع عن السلام هو كشف ونصح لدعاتها . هو تحطيم للاستعمار خالق الحروب . . هو كفاح بتواصل ضد الاحتكار العالمى . . ضد لصوص البترول وتجار الاسلحة (٤٣) .

. . وتمتد معركة السلام الى صفوف العديد من المنظمات الجماهيرية والمهنية وتتخذ نقابة الصحفيين المصرية قرارا هاما تنشره البشر في نفس العدد . توافق نقابة الصحفيين المصريين على اقتراح منظمة الصحافة الدولية بالمطالبة بتحريم استخدام السلاح الذرى دون قيد أو شرط كسلاح للاعتداء والقضاء على البشر وتطلب انشاء رقابة دولية مشددة لتنفيذ ذلك وسوف يعتبر الصحفيون انصريون الحكومة التى تبدأ باستخدام السلاح النووى ضد أى دولة بهتابة مجرمة حرب . .

ثم تنشر البشير على صفحات هذا العدد نص نداء استكهولم للسلام هنالكة من كل قراء البشير ان يجمعوا عليه توقيعات وان يرسلوه اليها بالبريد .

وهناك ايضا قصيدة لمصطفى هيكل .
 في الوطن العالمى جيش عظيم . . طويل
 لا جنس له ولا لون . . وليس له غير السلام دين
 لقد صممت الشعوب الا تطلق رصاص بنادقها
 الا على الذين يسلبون الخبز والحرية

ثم ينتقل الحديث عن السلام من مجرد الدعوة على صفحات جريدة الى عمل وسط الجماهير ومحاولة لتأسيس لجنة قومية لانصار السلام وتكون البداية ايضا على صفحات البشير « لقد أوضحنا . . أهمية خلق جبهة في مصر للدفاع عن السلام . جبهة تضم جميع الديمقراطيين والاحرار والمفكرين والعاملين والزلاحيين وجميع الرجال والنساء والفتيات والشبان المخلصين الذين ينشدون انقاذ العالم من الحرب وينشدون في الوقت نفسه تحرير الوطن من الاستعمار . . ونحن نعتبر ان نجاح حملة البشير في جمع توقيعات السلام سيعتبر نجاحا للشعب المصرى ونجاحا لكل وطنى مخلص . ونجاحا لصراعنا من اجل حريتنا

وخطوه الى الامام في سبيل التخلص من الاستعمار البريطاني وفي سبيل بـ
المجتمع العادل الذي ينتظره العمال والفلاحون الكادحون والسعب الحري (٤٤) .

وتبلغ الحملة ذروتها . . وتتصاعد معها حملات البوليس وحملات القوى
الرجعية فالذين يقومون بدعم التوقيعات يفيض عليهم وبفوم الدنيا ولا تقعد
از سـد الرازق المشهورى باسم رئيس مجلس الدولة ومع نداء السلام . .

وتعلو البشير بعنوان « هـديان رجعى » . . . ورفع في مصر حادثان في
هاتين الخطوره الحادث الاول انه في احدى غري بنها اعتقل البوليس
الزميل سيد رغاى احد اعضاء اسره البشير (عضو ل . ل . م حدثو) اثنا تلبسه
بدمج توقيعات الاهالى على نداء السلام . اما الحادث الثانى فهو ان راديو
موسكو اداع ان المشهورى باشا كان واحدا من اشئ عشر الفا من المصريين الذين
وقعوا على نداء السلام فهاج الدنيا المشغمرين الانجليز الذين يحبون مصر حبا
جدا فاضحه توميع نداء السلام (١) . . . وكل ما نرجوه ان تكون
الصدقة المحضة هى التى سافت عذبن الحادثين في اسبوع واحد وان يكون
الهديار الرجعى في مصر ظاعرة طارئة لا اصل لها ولا حدود (٤٥) .

لكن رجاء البشير لم يتحقق فقد تصاعد الهجوم حتى اطاح بالدمسى
نفسها . .

* * *

والموقف من الوند يستحق منا التفاتة . .

فمنذ التقت حدثو بمجلة البشير وأسهمت في اصدارها أصبح الموقف اكثر
جديدا ودقة عن ذلك الموقف الذى اثرتنا اليه سابقا والذي وصل الى حد
امتداح سراج الدين والتغنى بتسميته وديمقراطيته .

ومع انتهاء الدورة البرلمانية الاولى . . حرصت البشير ان توجه نحيته
الى النواب الوعيه الذين كانوا بالفعل يستحقون ما هو اكثر من التحية فلاول
مره في تاريخ الحياه النيابية يتحمل نواب الاغلبية شرف معارضة الحكومه بينما
تلتزم الاقلية الصمت . . ولاول مره يفف نواب الاغلبية في وجه الحكومه
ينصطروها الى الغاء المادة السادسة من قانون الاحكام العرفية التى كانت
تقتضى بمراقبة كل معتقل سابق لا يرضى البوليس السياسى عنه ولاول مره
ينظم نواب الاغلبية حملة عنيفة على الغاء ضريبة الارباح الاستثنائية ولاول

(٤٤) البشير - ١٩٥٠/٧/٩

(٤٥) البشير - ١٩٥٠/٨/٥

مرء يثقف نواب الاغلبية لا ليحرفوا البخور للحكومة على ما قامت به من اعمال
فعلا كمجانية التعليم بل ليصرحوا بان هذه المجانية ناقصة وانهم يطلبون
ايضا مجانية الكتب ومجانية الغذاء .

وهكذا نالخط واضح الضغط على يمين الوفد ببسار الوفد . . . والتحالف
مع بسار الوفد لشل اليمين عن تمرير أية قوانين رجعية . بل ولتطوير مواقف
الحكومة الوفدية ككل . . .

وتنهي البشير مقالها بتحية أسماء محددة . كانت بالفعل تستحق التحية
« فلنحى نحن الناضحين كل النواب الشجعان الذين نجحوا في هذه الجولة
الاولى ، فلنحى محمد منخور وعزيز فهمي وموريس عبد النور وغريد زعلوك
والسنوسي وابراهيم طلعت والشيشيني وغيرهم ممن رفعوا رأس مصر وانقذوا
سمعة الحياة البرلمانية . فلنحى هؤلاء الزواد الاول ولنطالبهم بالمزيد في الجولة
الثانية فان مصر كلها تتطلع اليهم » (٤٦) .

ولم تمل البشير من سياسة الضغط على الوفد وتذكيره بوعوده ايام كان
خارج الحكم . . . وفي برواز في صدر الصفحة الاولى من العدد ٣٧١ . . . وتحت
عنوان « الشعب يريد » تقول البشير « الشعب الذي انتخب نواب الوفد ليمثلوا
آماله ومصالحه يريد منهم وهم الاغلبية المطلقة القضاء نهائيا على قانون
المسبوهين السياسيين وانقاذ الوفد من فضيحة عرضه على البرلمان ومن
جريمة لم يقو الجلاد عبد الهادي على اقترافها . الشعب يريد من مصطفى النحاس
زعيم الوفد ان يتذكر ويتمسك بالعهود والمواثيق التي ارتبط بها والوفد خارج
الحكم واثنا الانتخابات حين اعلن لا مفاوضات ولا اتفاقات ولا معاهدات مع
الدولة التي تستعمر وطننا والشعب يعرف ان الزعيم كان يقصد بتصريحاته
نيله واحدة هي بريطانيا » (٤٧) .

وقد ربطت « البشير » بذلك بين القضية الوطنية وقضية الديمقراطية
والحريات السياسية - وتحت عنوان « المبادئ الهدامة » تكون افتتاحية العدد
٣٧٥ . . . يظهر ان المعاهدة المصرية - الانجليزية الجديدة تتقدم بنفس السرعة
التي يتقدم بها الشعب الكورى وهو يطارد الشرازم المنبكية من الجيوش
الامريكية والدليل على ان المعاهدة تقترب ان معالى وزير الداخلية يتحدث من
جديد عن المبادئ الهدامة . . . المعاهدة اذن تقترب ، وقد بدأ الاستعداد لاستقبالها
منذ ثلاثة او اربعة شهور عندها بدأ التفكير في استصدار قانون بمراقبة
البرلمانيين . . .

(٤٦) البشير - ١٧/٦/١٩٥٠

(٤٧) البشير - ٢٤/٦/١٩٥٠

ونقدم البشير صورة طريفة للحملات البوليسية المفترض انها سرور
 لنا احب عملية توقيع المعاهدة وهي صورة طالما ذكررت بالفعل عبر مراحل
 عدة . . . وعلى المصريين ان ينتظروا في الايام القليلة القادمة مجموعة كبيرة
 عن القصص السيمائية المثيرة والتي تفوق في غرايتها ولا شك قصص شرلوك
 هولمز وأرسين لوبين . . قصص الخلايا الشيوعية الخطيرة المتصلة بموسكر
 راسا والتي تعد مؤامرة لقلب نظام الحكم في البلاد . . وسيروى بوليسنا
 السياسي الهمام كيف ظلت عينه ساعرة تراقب هؤلاء الخضرين وتضيق عليهم
 الخناق حتى وقعوا في الشراك وضبطت لديهم الاوراق الخضرية والكتب المنوعة
 والمفكرات التي يسفر ذكاء البوليس السياسي عن حل رموزها وكشف خباياها . .
 وستشغل هذه التحقيقات النيابة والمحاكم وبصرف النظر عما تسفر عنه . .
 عانها وهذا هو المهم ستشغل قراء الصحف وتقنيهم عن انباء الحادثات السرية
 مع البارشال سليم « (٢٨) » .

ودفاعا عن مصالح العمال تشن البشير هجمات عنيفة على حكومة الوفد
 . . . لقد عرفنا من قبل ان حكومة الوفد تدافع باخلاص عن مصالح اصحاب
 الشركات والمصانع . ولهذا قررت عدم فرض ضرائب جديدة . ولهذا تركت
 مانعها وامرعا العمركى الخاص بعلاوة الغلاء للعمال حبرا على ورق يمزقه
 اصحاب المصانع في وجوه العمال الجياع . . اننا نتساءل للمرة الأخيرة عن
 مصالح من تدافع حكومة الوفد « (٢٩) » .

ومع تصاعد النضال العمالي وارتفاع موجة الاضرابات يزداد ضغط
 الحكومة الوفدية وعنفها في مواجهة المد الطبقي . . ومن الطرف الآخر تصعد
 البشير من حملاتها ضد حكومة الوفد . . وتزداد لهجتها عنفا حتى ضد النحاس
 باشا نفسه . « مصنع الصوف يتحول الى قلعة حربية » العمال يشتغلون ومن
 ورأئهم الجنود بالبنادق والكرابيج . تسبح عبد الهادى يظهر في المصانع من
 جديد . حقا في أى عهد نحن ؟ حقا وكما كتب العمال بالفاظهم . . هل نحن في
 عهد صدقى وعبد الهادى . في عهد هتلر وموسوليني . في عهد الطغاة المستبدين .
 ام في عهد حكومة تدعى انها تمثل الشعب وتدافع عن مصالحه . ويدعى رئيسها
 انه زعيم وبطل وطنى . . في مصنع الصوف بشبرا الخيمة ترتكب جريمة
 باسمه . . جريمة تكشف ان حكومة الوفد وفؤاد سراج الدين وزير الداخلية
 ليسوا واتباعهم الا استمرارا لعهود البطش البائدة التى قاومها الشعب المصرى
 وعلى رأسها طبقته العاملة . . يا عمال النسيج بشبرا الخيمة اتحدوا وكونوا

(٢٨) البشير - ١٩٥٠/٧/٢٩

٢٩ - البشير - ١٩٥٠/٧/٢٩

نقابة عامة تمثلكم وتدافع عن حقوقكم .. يا عمال مصر اتحدوا ، (٥٠) .

٠٠ وتحت عنوان « العمال والوفد بين الامل واليوم » تشن البشير حملته عيفة على حكومة الوفد معلنة حربا طبقية صريحة .. ، لقد تشدق الوفد بالامس قبل اعتلائه الحكم عن اعداد حقوق العمال وخفض مستوى المعيشة سينهم .. واليوم يكشف الوفد القناع وتظهر سياسته العدوانية المسافرين التي ليست الا استمرازا لسياسة العهد البائد فالصانع تتحول الى قلاع حربية .. .

وبرغم هذا الهجوم العنيف فان البشير لا تعقد حذرهما ولا تخطط الأوران ويا في بين ومدى ووفدى وتواصل المقال غائلة « من كل ذلك نخرج بنتيجة أكيدة وهي ان حكومة الوفد قد ومعت بجانب اصحاب الأعمال ضد العمال ولكن يجب علينا ان ننتبه الى ان هناك في قاعدة الوفد منات من العناصر المحلصة التي تعاني الفقر معنا وانها مستعدة للكفاح في صفنا بشرط ان نحسن نحن تنظيم امسنا ، وعندما نبدا كفاحا فويا ونظهر وحدتنا سنجدهم وقد وقفوا في صفنا مؤيدين لقضيتنا العادلة .. عاش كفاح العمال » (٥١) .

وتتصاعد حملة النقد حتى تصل الى الذروة ..

ويكون عنوان افتتاحية العدد ٣٩٠ ، خيبة الامل ، .. ، لم تكن خيبة الامل التي حملها خطاب العرش للمصريين تركب جملا واحدا بل كانت خيبة قوية ثقيلة تنو ، يحملها عدة جمال .. لقد ناضل الشعب جلاديه حتى في داخل معتقلاتهم فلما حانت له فرصة الانتقام منهم في الانتخابات الاخيرة اتجه نحو الوفد يلتمس على يديه تصفية ذلك العهد البغيض بكل آثامه وجرائمه .. ، ثم يمضى المقال معددا ما ارتكبته حكومة الوفد من اخطاء ومن تحد لمشاعر الجماهير .. ويوجه الهجوم عنيفا الى الوفد ، لقد خلع الوفد عن وجهه النقاب ، واضطرتته الحوادث ان يقف سافرا امام الجماهير وجهها لوجه .. وما هو رئيسه يتنكر لكل تصريحاته السابقة ، تتبخر منها الثورة التي كان يصطنعها وهو في المعارضة ويقف ليحدث نوابه في خطاب العرش عن القضية الوطنية حديثا ربما يخجل عبد الهادي نفسه وينردد مرتين قبل ان يقذف بمثله في وجوه مواطنيه لقد قضى خطاب العرش على كل امل في تحول زعماء الوفد نحو اليسار بل نحو الشعب ، . ثم توجه البشير نداءا الى الشباب الوفدي لتستثيره ضد قيادته

٥٠ - البشير - ١٩٥٠/٨/٥

٥١ - البشير - ١٩٥٠/١٠/٢١

بصورة لم يسبق لها أن فعلتها ٠٠ ، ان خطاب العرش الاخير نكسه جديدة للقضية الوطنية ورجعة الى الوراء بالنسبة للإصلاح الداخلي وخيبة أمل كفيفة بان يتدبر الشبان المخلصون في الوفد موقفهم من القيادة التي سولت نفسها أخيرا أن تطلب اليهم ان يتركوا الجهاد لها . وكان الشعب قصصا ناسا دون أن تدري الى أية حاوية . وكان الجماهير أطفال ينبغي أن يرضى النحاس وصايته عليها ٠٠ ، .

ثم تقه راس حربة الهجوم الى النحاس باشا نفسه بعد ان ظلم البشير تتحاشى التعرض له ، لا يا رفعة الرئيس ٠٠ مستحيل ان يرضى الشعب بموقف المتفرج ٠٠ ان الشعب الذي لا يعجبكم يا رفعة الرئيس هو الذي قاوم شريعكم البغيض ، قانون المشيوعين واستطاع أن يصرعه . والشعب الذي لا يعجبكم يا رفعة الرئيس هو الذي ارغمكم على تقديم مضائق الاسلحة السياسية ٠٠ ، .

ثم تهديد واضح ٠٠ ، والشعب يا رفعة الرئيس هو الذي جاء بكم الى الحكم . وهو الذي يقف لكم اليوم بالزناد نامة تصفية كاملة لاثار العهد البغيض وجرائمه ٠٠ أما هذا وأما النضال الذي لا يعرف عوادة ولا تسامح ولا مساومة ضد عهدك الجديد . بل ضد هذا العهد البغيض في نوبه الجديد ، .

٠٠ وهجوم عنيف ايضا ضد سراج الدين الذي أسمته البشير ، عسكري المظافي ، ٠٠ يقوم سراج الدين باشا في هذه الايام بدور عسكري المظافي . لا تكاد تستغل حماسة الجماهير ضد الاستعمار وضد الرجعية حتى ينبرى فيسلط عليها خراطيمه ٠٠ وهذه الخراطيم تبدأ عادة في شكل بيانات ثم تتدفق عند اللزوم في شكل قوات ضخمة من بلوكات النظام . تطارد هذه "جماهير بالهراوات ٠٠ وغدا بالادافع والمترليوزات « (٥٢) » .

وفوق هذه الكلمات صورة لسراج الدين وتحتها عبارة ، حامى حمى الإنجليز ، .

٠٠ وبعد هذا لم يعد مجال لقول ٠٠

لقد وصلت حدتو بحملتها حتى نهايتها ٠٠ ولم نعد حكومة الوفد بخافه على الاحتمال وصدر قرار ادارة المضبوطات بمنع « البشير » من الصدور .

ايها المغمض المعضب بالليل
 أنا أشقى وأنت تشقى وهذا
 غير أنى آليت أبذل روحى
 تطلع لنسور فجر جديد
 ما حفظناه من تراث الجدود
 كى ينال الحياة بعدى وليدى

.....

.....

أنا أبكى وأنت تبكى ولكن
 يا رفيقى أنا وأنت وعى
 لن بمل الحديد غير الحديد
 وابن عمى جماعة من عبيد

.....

.....

يا جيوش العبيد أرمقت
 أصل ماج فى الصدور فأحييا
 الظلم فقومى الى الكفاح وثورى
 ما وضجت به حنايا الصدور (٥٢)

وقد كانت فصيدة . ملتعبة كهذه . ولنفس الشاعر كفيلة بأن نثير
 ضجة وفزعا فى مجلس الشيوخ عام ١٩٤٧ عندما ألقاها رئيس الوزراء
 اسماعيل مدقى تبريرا لتمرير قانونه الشهر الخاص بقضايا الرأى .
 وقد توالى على صفحات البشير قصائد كمال عبد الحليم (أحد قادة
 حذنو)

لم نعد نقوى على المستعمر
 وهو يختال بواديننا الخصيب الاخضر .

أنا نفوز أجل نقوى على المستعمر
 انهم شعب ولكن فى قيود المجير
 وعلى الداكم فينسا رغم بطش العسكر
 ونذا يسمى اليينا فى الجهاد الاكبر
 فى عمار الثورة الكبرى على المستعمر
 قسما ندرى اذا لم تختلف او نشطر
 ليس لثورة والاحرار غير معسكر
 حييما نجمع فى الثورة كل تذمر (٥٤)

٥٣ - البشير - ١٩٥٠/٩/٩ .

٥٤ - البشير - ١٩٥٠/٩/٢ .

هكذا دردمع معزوفة الصراخ الطبقي واضحه على صفحات البشير .
وترتفع على اساس نغمات « حدتو » بالذات وتبدو الامور واضحة تماما
بالنسبة لانتهاء المجلة ومحرريها عندما تنشر البشير على مساحة كبيرة من
صفحتها الاولى بص « بيان عنرى كورييل » الذى اذاعه غداه ترحيله بالقوة
من مصر (٥٥) .

٠٠ وتضعف البشير من حملاتها دفاعا عن السجناء الشيوعيين .
وتشتعل صفحاتها غضبا عند استشهد سجين شيوعى سودانى فى سجن طره
٠٠ « شهيد واحد يكفى » .

« مات صلاح الدين بشرى الطالب السودانى صريع السبل بعد ان
نقل من سجن مصر الى مصحة ليمان طره . . . وبعد بضعة ايام او شهور
سبموت محمد حسن جاد العامل المصرى صريع السبل فى سجن مصر . . . هكذا
يموت المسجونون السياسيون . . . وهكذا يعامل المنهمون فى جرائم الراى . . .
وهكذا تقتل الحكومات خصومها فى الراى » (٥٦) .

٠ . وهكذا ايضا تكون الذروة .

٠٠ هكذا نصل حدتو بممكنات العمل الشرعى والصحافة العلنية الى
حدها الاقصى .

٠٠ ونوقف البشير .

٠٠ فى العدد ٣٧٦ . . . برواز فى صدر الصفحة الاولى « قوة من الموليين
السياسى تهاجم ادارة البشير ومنزل رئيس التحرير » . ومع ذلك نواصل
البشير الصدور . . .

واخيرا وحدت وزارة الداخلية الحل . . . وكانت القصة القى اوردناها
فى الصفحات الاولى . . .

وهكذا تونف عن الصدور واحدة من أبرز المجلات اليسارية المصرية .
توقفت عن الصدور . . . لتحل محلها وعلى الفور شقيقه لها . . .
نفس القوضيب . نفس الحجم . نفس رئيس التحرير . نفس الدعم
من حدتو . . .

الجديد . . . هو الاسم فقط .
٠٠ المتقبل .

٠٥ - البشير - ١٩٥٠/٩/٢ .

٥٦ - البشير - ١٩٥٠/٧/٢٩ .

المستقبل



والمعركة لا تنتهى ..

أطرافها الثلاثة كل منهم مصمم على موقفه ..

فتحى الرملى وحدتو - والطرف الاخر - وزارة الداخلية

فالبشير التى أصدرت آخر أعدادها يوم ٢٥ نوفمبر ١٩٥٠ كان يتعين عليها أن نواصل الصدور بصورة أو بأخرى .. وبعد توقفها بأربعة أيام فقط (٢٩ نوفمبر ١٩٥٠) تلقت وزارة الداخلية اخطارا من رجب أحمد عمر صاحب امتياز جريدته المستقبل يخطر بها فيه بتعيين فتحى الرملى رئيسا لتحرير جريدته (١) .

وبعد أربعة أيام أخرى من الاخطار صدرت « المستقبل » معلنة فى وضوح أنها « مجلة ديمقراطية شعبية » وكما أسرعت حددتو باصدار المستقبل كضد الاجراءات البوليسية ، أسرعت وزارة الداخلية هى الاخرى فأوقفت المستقبل بعد العدد الاول مباشرة بأن أخطرت صاحب الامتياز برفضها لان يتولى فتحى الرملى رئاسة التحرير ..

وهكذا صدرت « المستقبل » - كمجلة يسارية - فى عدد وحيد .

وقد بادر فتحى الرملى اثر ذلك بالاعتصام بمبنى نقابة الصحفيين معلنا الاضراب عن الطعام وردت الحكومة على ذلك بأن قدمته للنيابة متتهما « بالتحريض على ارتكاب جنایات القتل العمد والحض على الثرة وبغض الطوائف » (٢) .

ورفع فتحى الرملى دعوى أمام محكمة القضاء الادارى مطالبا بالغاء القرار بحرمانه من رئاسة تحرير « المستقبل » .. وحكمت المحكمة لصالحه .. وقد صدر الحكم فى ٢٨ ديسمبر ١٩٥١ وفى ٩ يناير ١٩٥٢ أسرع فتحى الرملى مستندا الى هذا الحكم باصدار مجلة « المعارضة » .

١ - مذكرة الافوكادو كامل غالى - المرجع السابق ص ٢٨ .

٢ - المرجع السابق ص ٢٦ .

لما حدثت فقد : استطاعت أن تصدر في الأخرى « الملايين » ٠٠ ثم
« الواجب » ٠

و « المستقبل » في عددها الوحيد في نسخة طبق الأصل من أشهر
من حيث التوضيب والطباعة والإخراج واستخدام الألوان والمساحات بحيث
يمكن القول بأن آتسى : الوحيد الذي تغير هو الاسم فقط ٠٠

وتعلن المستقبل عن نفسها كما يلي :

المستقبل

- مجلة ديمقراطية شعبية

- صاحب الامتياز رجب أحمد عمر

- محرر التحرير عيسى الدين بدر

- رئيس التحرير المسؤول فتحي الرملي

والمكائبات (كالعادة) ص ٠ ب ٠ ٣٦ مصر ٠

وفي رأس الصفحة الأولى « المستقبل » - مجلة تحارب الاستعمار ،
العدد ١ - مجموعة ٢

وقد صدر العدد الوحيد من المستقبل (كمجلة يسارية) يوم الاثنين
٤ ديسمبر ١٩٥٠ في ثمانى صفحات تابلويد وطبعت في نفس المطبعة التي
كانت تطبع فيها البشير (مطبعة المستقبل) ٠

ويمكن القول ان « المستقبل » هي مجرد امتداد للبشير باسم آخر
سواء في تحررها أو ضابعتها أو تمويلها أو توزيعها ٠

ويمكن القول كذلك ان « المستقبل » كانت قمة التحدى فقد حرر
محرروها أن يصعدوا من حملتهم ضد حكومة الوفد وضد سراج الدين الذي
وصف بأنه « عمدة كفر الجرايدة » ٠ وأن يصعدوا من نغمة الانتماء
الطبقى وأن تكون الصحيفة التي يصدرونها ماركسية اللهجة ، ماركسية
الانتماء ٠

والآن لتتابع صفحات عدد وحيد من مجلة المستقبل في العدد ١ - مجموعة ٢
- الصادر في الاثنين ٤ ديسمبر ١٩٥٠ ٠

في الصفحة الاولى قصة اغلاق البشير تحت عنوان « البشير عطلوه » بقلم فتحى الرملى ٠٠ « تذكرت وزارة الداخلية فجأة وبعد ثمانية شهور من صدور البشير كممبر حر أن لصاحب الامتياز شريكا آخر وصحيح أنه كان شريكا طارئاً لم تعرفه هذه الجريدة القديمة سوى فترة محدودة من حياتها ، ولكنه شريك على كل حال ، وصحيح أن هذا الشريك توفي منذ عامين ولكن هذا لا يمنع أن يكون له ابن ، وصحيح أن الابن لا يحق له أن يرث في أكثر من الجانب المادى من نصيب أبيه في الجريدة ولكن لا بأس من أن تتسع ذمة قوانين الوراثة قليلا لتقرض على صاحب البشير - وأنفه في الرغام - التسليم بأن مذهب الاب وشخصيته وصفاته التى ارتضاها على أساسها شريكا له قد انتقلت بالضبط وبالتحديد لابنه بالتمام والكمال .

ووزارة الداخلية معذورة حين تتذكر كل عذا فجأة وحين ترهق الذمة والقانون معها الى هذا الحد فالنجل العزيز سوف ينفذ وزارة الداخلية من مشكلة مستعصية الحل ، مشكلة أضناها التفكير في حلها ثمانية أشهر كاملة . ان جريدة البشير منذ ٤ أبريل الماضى وهى ترتكب جرائم خطيرة مروعة توشك أن تقضى نهائيا على الامن العام ، تصوروا انها اجترأت وفادت الحملة الشعبية التى صرعت التشريع البغيض الذى أعده سراج الوفد لينسب له اعتقال أى مصرى يعتبر من المشبوهين السياسيين ، تصوروا انها اجترأت وكشفت خيانة الوفد ومؤامراته لفرض الدفاع المشترك في ثوب قسيب ، تصوروا أنها لا تفتأ تهاجم الاستعمار الانجليزى - الامريكى وتدعو لمقاومته بالسلاح ، تصوروا انها اجترأت على أن تنظم حملة صحفية لقضية السلام ٠٠ تصوروا أن كل هذه الجرائم وغيرها كانت البشير ترتكبها عننا كل أسبوع ٠٠ وتصوروا بعد ذلك أن وزارة الداخلية تعجز بهيئها وعيأمانها عن وقف هذه الجرائم ٠٠ تصوروا أنها طاردت باعة الصحف الدين يحملون البشير وحبست منهم من حبست وأفرجت بكفالة عن أفرجت ومع ذلك بقى منهم مئات يتحمسون لتوزيعها ٠٠ تصوروا أنها لجأت الى صاحب البشير تهدده وتغريه مرات على أن يفسخ عقده مع كتاب البشير رأسه تحريرها فلم يقبل الاغراء ولم يذعن للتهديد ٠٠ ماذا يفعل سراج الوفد أكثر من هذا ٠٠ انه لا يستطيع أن يعتقل محررى البشير ٠٠ وهو لا يمكنه أن يستغفل محرريها ويطوئهم تحت جناح عمدة كفر الجرايده لانه يعرف منذ كان يشيد ببطولتهم ووطنيتهم وهو خارج الحكم ، انهم أذكيا لا يخدعون ، وشرفاء لا يرتشون ، لكن عمدة كفر الجرايدة رجل داهية واسع الحيلة ، انه ليس ديكتاتورا عبيطاً لا سمح الله وان في استطاعته أن يوجد مبرراً شكليا لتعطيل البشير ٠٠ لكن مات السياسى الذكى الالمى الارب

شيء واحد هو ان البشير لا يمكن رغم ذلك ان تتوقف عن الصدور . ان البشير فكرة ، ان البشير هي صوت تلك الملايين المتعطشة الى حريتها ، المتوقفة لبزوغ الفجر الجديد الذي نبشر به ونتعجل خيوطه ، ومن الحق والغباء ان يتصور انسان ان في استطاعته ان يخذم انفس الملايين » .

وبصل التحدى مده ٠٠ « ان الشعب لابد ان يرفع صوته ، لابد ان يعبر عن ارادته ، وعندما يتعذر عليه ابلاغ هذا الصوت عن طريق البشير فسيفرعه على صفحات المستقبل ، وعندما تشاء حكمتكم ان تعطل المستقبل فلن بعدم جريدة اخرى ، واذا تعذرت عليه الصحف جميعا فسيخرج صوت الشعب في منشوراته وفي هذافات وفي أشكال اخرى رهيبه ترتاع لها ولا شك محيلة سراج الوفد » .

ثم بصل الاستهتار بوزارة الداخلية الى مده ايضا عندما يقول متحى الرملى « لقد عظمت البشير ٠٠ هه ! طظ ! سوف يصدر المستقبل في موعده بلا ذاخر . نفس النار التى تلهب المستعمرين ووكلائهم ٠٠ » .

وبخدتتم متحى الرملى قصة البشير بقوله « عطلوا البشير ، انسروا الارعاب ، افتحوا السجون ، انصبوا المشانق ٠٠ اننا لكم بالمرصاد ٠٠ » وعلى صفحة ٣ مقال آخر عن نفس الموضوع بعنوان « سطور في فصة البشير » « كانت بالامس كلمة البشير وهى اليوم كلمة المستقبل وسد تكون في غد كلمة شىء آخر ، ولكنها في كل هذه الحالات كلمة الصحافة الحرة مهما اختلفت الاسماء ٠٠ هذه الحقيقة كما يعرفها القارئ يعرفها رجل السلطة والبطش وزير الداخلية ويعرفها هذا العهد الحاضر الغابر ويعرفها الاستعمار عدو الحرية » .

ويتساءل الكاتب ٠٠ لماذا يخافون البشير ؟ والاجابة « انهم يخافونها كما يخافون السلام والتحرر والديمقراطية والرفاهية يخافونها كما يخافون الشعب وكما يخافون المستقبل ٠٠ وكل سطر دام كتيبته الحكومة في قصة الفجر الجديد وقصة أم درمان وكلمة الحق والجماهير والبشير دم في المستقبل هو شعاع يرينا هول الطريقة وروعة الهدف ويحبب لنا الكفاح ، فلتضيفوا الى سطور الماضى سطورا جديدة فسيأتى يوم يدرس الشعب فيه قصة الجماهير وقصة البشير وقصة المستقبل كما يدرس الناس الآن فصة الاومانيتية وقصة البرافدا والنصر لنا » .

ونلاحظ ان محررى المستقبل كانوا قد أحرقوا كل مراكبهم مع الوفد وحكومتهم وخاضوا معركة التحدى لها حتى نهايتها بل اننا نلمس في كتاباتهم يقينا بأن مصير « المستقبل » معروف تماما وهو المصادرة والاعلاق ٠٠

وفي الصفحة التالية موضوع بعنوان « كوريا ستقتصر » فيه صورة لعبد الفتاح حسن مكتوب تحتها « وزير الخارجية بالنيابة . بالنيابة عن الاستعمار » ثم برواز بعنوان « الشعب يريد » . « مبادرة الحكومة بالتعبير عن ارادة الشعب المصرى فى استنكار التهديد باستخدام القنبلة الذرية . الاعتراف فورا بحكومة الصين الشعبية - الغاء معاهدة ٣٦ واتفاقية ٩٩ حالا واعتبار القوات البريطانية فى مصر قوات معادية » .

وفي نفس الصفحة وفي باب « سلايت » تتحدث « المستقبل » عن موقف الاتحاد السوفياتى ودول المعسكر الاشتراكي المناصر للحق المصرى ضد الاحتلال البريطانى وتتساءل كيف تتعامل الصحف المصرية حديث نشينسكى الذى أعلن فيه تأييد الاتحاد السوفياتى لحق مصر . ثم فى الحتام ٢ ايها الخونة . ما هو فيشنسكى وزير خارجية الاتحاد السوفياتى يعلن فى عبارات صريحة واضحة قوية تأييد بلاده لحقنا فى التحرير والاستقلال ، ما هو يمد يده فما بالكم تولون وجوهكم شطر المستعمرين ولا احد سواهم « ايها الخونة لقد انكشف عنكم كل ستر » .

وتواصل حدثو معركةها من أجل السلام فتخصص ثلاث صفحات كاملة من المذنب (٤ و ٥ و ٧) للحديث عن السلام وعن نشاط أنصار السلام فى البلدان العربية وفى العالم . « لبنان يعبر عن احتقاره لدعاة الحرب . وشاعر العراق يدعو للسلام » ثم مقال بنوان « شعوب الشرق الأدنى لماذا تقف مع أنصار السلام بقلم أنطون ثابت رئيس لجنة السلام فى لبنان » و « السودان يدعو مصر للاشتراك فى مؤتمر السلام بالخرطوم » . « الكفاح من أجل السلام فى ايران » وهكذا .

ويكون تركيز المستقبل على معركة النضال ضد الحرب تعبيرا عن سمه مميزة للتحرك السياسى لحدثو فى ذلك الحين ويكون الاهتمام بابرار أخبار النضال من أجل السلام فى لبنان والعراق وايران والسودان . تعبيرا عن بداية تكوين علاقات خارجية لحدثو سمحت لها فيما بعد أن تدعو لعقد مؤتمر شعوب الشرق الاوسط بالقاهرة وهو المؤتمر الذى عرقل حريق القاهرة انعقاده .

اما الصفحة السادسة فعنوانها الرئيسى « المعذبون فى المصانع » وتوحى كثرة الإحبار العمالية وانتشار مصادرها بأن حدثو كانت قد حققت بعض الوجود الجماهيرى فى مناطق مثل شبرا الخيمة ، قليوب ، امبابه ، مصر القديمة ، الشراية ، مسطرد ، الزيتون ، حيث انعكست أخبار النضالات والمطالب العمالية من هذه المناطق على صفحات المستقبل .

وتحت عنوان « كلمة العمال » نقرأ تحليلاً لأسباب عجز العمال عن
انزاع حقوقهم من حكومة الوفد . . وتتحدد الاسباب كما يلي :

- حكومة الوفد ليست حكومة عمالية أى بمعنى أنها ليست المثلة
الحقيقية لمصالحهم .

- حكومة الوفد لا تعطى العمال بعض حقوقهم الا تحت ضغط كفاحي
يصمن تنفيذ مطالب العمال المعادلة .

- الناصر الحالي في أشكال التنظيمات العمالية والروابط المحلية
والروابط للمناطق المختلفة وكذا ضعف الروابط بين النقابات للمهن المختلفة .

- عدم ثقة العمال بقدرتهم الكفاحية .

- انعزال العمال عن الهيئات الديمقراطية الحرة كنقابات الصحفيين
والمحامين وكذا المثقفين الاحرار والشباب الوفدى الحر والنواب الاحرار
وكسبنا لتأييدهم الادبي والمادى . . . » .

وهكذا فان المعركة ضد الوفد لم تكن تعنى عند محررى المستقبل
وضع كل الشئ في سلة واحدة بل كانت تسعى الى التعاون مع الشباب الوفدى
بالحر واليسر . الاحرار .

اما صفحة الاخيرة من المستقبل فهي قصة « بعد الفجر » لأحد كتّاب
حدث الرموزى « يوسف ادريس » .

* * *

ونعرف بقيه القصة . .

فقد توقفت المستقبل بعد العدد الأول .

ولعل كتابها كانوا يشعرون بما هو مبيت لهم فزادوا من حدة هجومهم
الى درجة جعلت من اغلاق المستقبل أمراً محتوماً .

المعارضة

الجمهورية العربية السورية



برفانج كامل خازن مصر من جديد

إعلان - من حزب الديمقراطي في مصر
 أول نائب للحزب أمام مجلس الدولة

دعوات للتشيد



الحقيقة هي انهم ياتوا لاجلنا في سبيلنا

عيون المعارضة في كل مكان



حزب العمال
في لندن

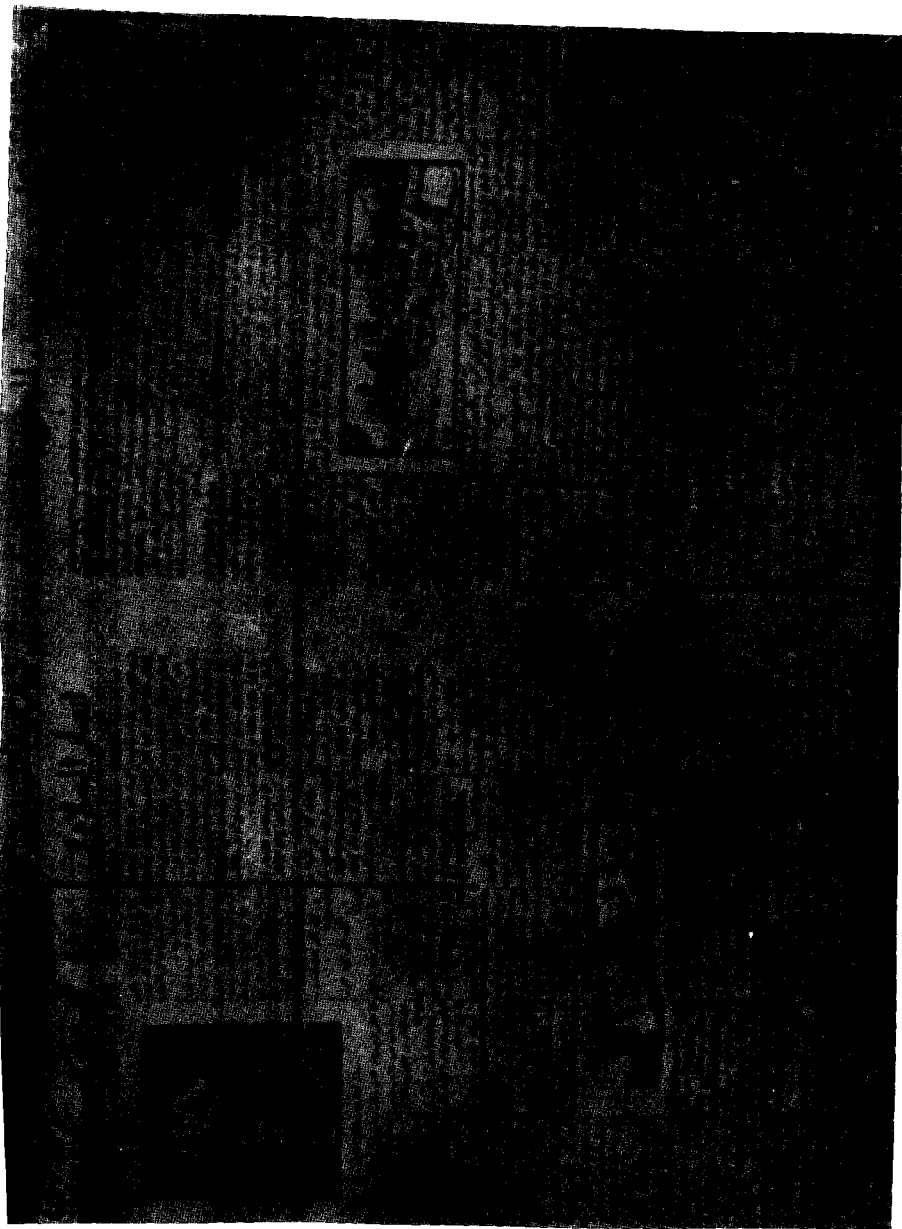
حول القلعة، والامنيات، ومشروع الانسحاب

الملك









نحن مرة أخرى مع فتحى الرملى ..

لكنه الآن يعمل بمفرده صاحباً للامتياز ورئيساً للتحريير ..

ليس بحاجة لان يستأجر ترخيصاً من أحد .. وليس شريكاً لأحد
فى التحريير .

ولكن كيف كان ذلك ؟

لقد طالعنا فى الفصل السابق كيف طلب صاحب جريدة المستقبل من
وزارة الداخلية الموافقة على تعيين فتحى الرملى رئيساً لتحريير جريدته ..
وكبف رفضت ادارة المطبوعات ولجأ فتحى الرملى للاضراب عن الطعام ثم
لجأ الى محكمة القضاء الادارى .. وحكمت المحكمة بالغاء قرار وزير
الداخلية ..

.. والآن أمسك فتحى الرملى بحكم محكمة القضاء الادارى فى يده .
واستعان بما اكتبه من خبرة وعلاقات خلال اصدار البشير وبما له من
علاقات خاصة .

وطلب الى وزارة الداخلية الترخيص له باصدار جريدة باسم المعارضة .
ورفض فؤاد سراج الدين منحه الترخيص .. فلجأ مرة أخرى الى مجلس
الدولة ..

وتروى المعارضة القصة فى عددها الثامن (٢٨ فبراير ١٩٥٢) « تقدم
فتحى الرملى بطلب ترخيص لجريدة المعارضة . رفضت الداخلية . رفع دعوى
جديدة . أصدر السنهورى بأشأ الحكم فى نفس الجلسة الاولى وبعد المرافعة
مباشرة وينص على وقف تنفيذ قرار وزير الداخلية والسماح لفتحى الرملى
باصدار الجريدة على أساس أنه ليس للحكومة أن تتهم عضواً بنقابه
الصحفيين بسوء السمعة لمجرد أنه خصم سياسى لها .. ثم كانت العقبة
أنه من الضرورى تقديم ضمانات قدرها ١٥٠ جنيه فوجد الرملى أن صديقا
قد قدم الضمانة عن طريق البنك البلجيكي وأصبح ممكناً أن تصدر
الجريدة ، ولكن أين المال .. لم يجد ممولاً . واقترض .. »

ثم تمضى الرواية « ولم يبق على الموعد الذى حددناه لصدر العدد الأول سوى ٤٨ ساعة والمطبعة لم تتسلم قصاصة ورق واحدة واضطرت لأول مرة فى حياتى أن أقترض وأقول لمن يقرضنى بكل وضوح وصراحه اننى لا أدرى متى أستطيع أن أسدد لك هذا الدين بالضبط . . وجمعت الزملاء الذين تحمسوا للعمل معى بلا أجر ، بلا أى مقابل ، جمعتهم لأزف اليهم البشرى اننا وجدنا بتكاليف العدد الأول وجزءا بسيطا من تكاليف العدد الثانى وسهرنا عباس الاسوانى - محمد جلال - جمال الحسينى - مصطفى محرم - أنور عامر - أحمد أمين يونس - الرسام عبد العظيم وأنا سهرنا جميعا نعد الأصول » .

ونتوقف قليلا لنتأمل هذه الرواية . .

الآن أصبح مفتحى الرملى صحفيا قادرا على اصدار جريدة بمجهوده المنفرد . .

وأصبح سياسيا قادرا على استقطاب عناصر تأييد كثيرة سواء مالية أو تحريرية . .

وأصبح معارضا قادرا على أن يلف حول جريدته أو بالدقة حول مشروع جريدته مجموعة من شباب الصحفيين ذوى الميول التحريرية وان كانوا ليسوا معروفين جميعا بتوجهاتهم الاشتراكية . وقد صدرت المعارضة فى مجموعتين المجموعة الاولى من عشرة أعداد صدر أولها يوم الأربعاء ٩ يناير ١٩٥٢ وآخرها يوم الأربعاء ٢٦ مارس ١٩٥٢ . .

ثم عاودت المعارضة الصدور بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وأصدرت مجموعتها الثانية ، حيث صدر العدد ١ مجموعة ٢ يوم الخميس ٢١ أغسطس ١٩٥٢ وواصلت الصدور حتى أصدرت خمسة عشر عددا ظهر آخرها فى الخميس ١٨ ديسمبر ١٩٥٢ . .

وسوف نعالج فى هذا الفصل المجموعة الاولى فقط لان المجموعة الثانية قد صدرت فى ظروف مختلفة تماما ، ليس فقط لانها صدرت بعد نقطة تحول تاريخية هى ثورة ٢٣ يوليو وانما أيضا لانها صدرت باسم تكوين حزبي جديد هو الحزب الديمقراطي وبمحررين مختلفين وبتوجهات سياسية متميزة الى حد ما . .

وقد صدرت الأعداد الخمسة الاولى من المعارضة يوم الأربعاء ثم صدر العدد السادس يوم الخميس واستمرت تصدر يوم الخميس حتى العدد العاشر « الاخير » الذى عاد ليصدر يوم الأربعاء .

وتجدر الإشارة الى أن فتحي الرملى لم يقطع علاقاته بحدثو خلال
الأعداد الأولى على الأقل من « المعارضة » .

نفى العدد الأول والثانى والثالث على التوالي رسائل من طهران ثم
بغداد ثم بيروت بقلم عبد المنعم الغزالى (حدثو) وه العدد الثانى مقال
بعنوان « مع أبطال القتال » بقلم انجى أفلاطون من اللجنة النسائية
للمقاومة الشعبية (حدثو) وكان هناك أيضا أحد أصدقاء حدثو (جمال
الحسينى) ومعهم محمد جلال وهو نفس جلال كشك (منظمة الحزب
الشيوعى المصرى التى كان أعضاء المنظمات الأخرى يطلقون عليها اسم
منظمة الراية نسبة الى جريدتها راية الشعب) وكان عباس الاسوانى الصديق
الحميم للرملى من حزب مصر الفتاة

. لكن الشئ المؤكد أن انفراد فتحي الرملى بالهيمنة على « المعارضة »
قد جعل منها شيئا مختلفا عن البشير

فالتوجهات الطبقية قلت الى حد كبير بينما تصاعدت حملة النضال
الوطنى وربما كان السبب هو تلك الفترة التى صدرت فيها المعارضة
حيث، تصاعد النضال الوطنى المسلح ليلهب المشاعر الوطنية ويشغلها عما عدا
معركة التحرير لكن الدفاع عن السلام العالمى ونغمة العدا للاستعمار
الأمريكى بالتحديد تظل المعزوفة الرئيسية على صفحات المعارضة

ونلاحظ أن الجريدة كانت تحاول فى بعض الأحيان نشر موضوعات
لا تليق بصحيفة يسارية وربما كان ذلك بسبب اقحام عدد من الصحفيين
غير المسيسين فى تحرير المعارضة كمثال « المطلق الطروب - ما كادت
تحصل على الطلاق من زوجها المصور الشهير حتى راحت تحيا حياة حافلة
بالمغامرات وقد شوهدت فى ساعة متأخرة من الليل داخل سيارة
سيفرولية جميلة يقودها الدكتور م وهو طبيب الزوج المعروف » (١)

وكالمعادة فقد تعرضت الجريدة لضغوط شديدة

صودر العدد الثانى وصدر فى اليوم القالى وعلى صدره « مصادر
المعارضة الى أصدقاء المعارضة ، صودر هذا العدد أمس فلم يظهر فى موعده
ولا فى الشكل الذى أعدناه له ، اذ اضطررنا الى تغيير الصفحات بعد حذف
المقال المطلوب حذفه »

١ - المعارضة - العدد الأول ٩ يناير ١٩٥٢

أما العدد الثامن فقد خرج بعد أن عبثت به يد الرفيب عبثا سيديا
فمعظم أساحات بيضاء . ولم يبق به الا موضوعات حررت خصيصا لنوحى
للقارى، وبإيماءات واضحة أنها هى كل ما يسمح به الرفيب .

غاصنحة الاولى من العدد يحتلها برواز مستطيل بعرض الصفحة كلها
« من الأدب الفارسى القديم . الشمس والظلام ، وتحكى الاسطورة نصه
صراع بين الشمس والظلام وكيف انتصرت الشمس فى النهاية ولا بد أن
كل القراء قد فهموا المغزى المطلوب ليس فقط من الصراع بين الشمس والظلام
وانما من اضطرار جريدة سياسية معارضة الى تخصيص مساحة كبيرة من
صفحاتها الاولى لاسطورة من الأدب الفارسى القديم .

والصفحة الثانية مساحة بيضاء تقريبا وموضوعات تافهة « فى مونت
كارلو مدينة القمار » وموضوع آخر « يحبس زوجته فى قفص كبير حتى
لا يشركه فيها أحد » وفى صفحة ٣ حوادث عادية تليق بمستوى صحافة
عابطة « من أجل حمودة تفتح كرش خصمة » (٢)

أما الافتتاحية فمساحة بيضاء تقريبا يحتلها اعلان عن عدد خاص مقبل
من المعارضة ويلاحظ أنها كانت وسيلة اتبعتها المعارضة ابتداء من العدد
السادس لتغطية المساحة التى يشطبها الرقيب .

لكن المضايقات لم تقف عند حد الرقابة . . اذ يبدو أن فتحى
الرملى قد تعرض للملاحقة بعد حريق القاهرة ٢٦ يناير الأمر الذى
اضطره للاختفاء . .

ويصدر العدد الرابع من المعارضة (٣٠ يناير ١٩٥٢) يحمل افتتاحية
باسم فتحى الرملى لكنه يعلن أن رئيس التحرير المسؤول هو ابراهيم البعثى
وفى الصفحة الاولى برواز « اعتكف الاستاذ فتحى الرملى فى الاسبوع الماضى
لمرضه وقد عهد الى برئاسة تحرير المعارضة مؤقنا فأرجو لصديقى العزيز
عودة سريعة لقرائه بعد أن تزول أسباب اعتكافه - ابراهيم البعثى .

وقد تكرر نفس البرواز فى صفحة ٣ من العدد ذاته . .

ويظل البعثى رئيسا لتحرير المعارضة ويستمر فتحى الرملى معتكفا او
بالدقة مختفيا وان كانت الافتتاحية لم تنزل توقع باسمه حتى العدد
الثامن . . الذى يصدر هو والعددان الاخيران من المجموعة (التاسع والعاشر)
دون أية اشارة لرئيس التحرير المسؤول .

٢ - معارضة - العدد الثانى - ١٦ يناير ١٩٥٢ .

٣ - المعارضة - العدد الثامن - ٢٨ فبراير ١٩٥٢ .

وقد تعثر صدور المعارضة في بعض الأحيان . .

العدد الثامن صدر في الخميس ٢٨ فبراير ١٩٥٢ بينما صدر العدد التاسع في الخميس ١٣ مارس ١٩٥٢ متأخرا أسبوعا عن مواعده ، بينما يصدر العدد العاشر والأخير من هذه المجموعة في الأربعاء ٢٦ مارس ١٩٥٢ أي بعد ثلاثة عشر يوما . .

وتبدأ عملية محاصرة المعارضة من كل الجوانب . .

الرقابة تشطب معظم الموضوعات ، ورئيس التحرير معتكف أو بالدفة مختلف ، ووزير الداخلية قدم اعتراضا على الحكم الصادر من مجلس الدولة بالسماح لفتحى الرملى باصدار جريدة المعارضة . . وتروى المعارضة في العدد التاسع بعضا من أساليب الضغط « نظرت الدائرة الرابعة بمحكمة القضاء الادارى طلب فتحى الرملى بالغاء قرار وزير الداخلية بالاعتراض على اصدار المعارضة - ورفع أحد تجار الصعيد جنحة مباشرة ضد جريدة المعارضة يتهمها بالقذف في حقه - وتعرض على محكمة عابدين يوم ٦ أبريل القادم القضية المرفوعة من السيدة صاحبة العمارة رقم ٦ شارع البطل أحمد عبد العزيز ضد جريدة المعارضة لمطالبتها باخلاء الشقة التى تشغلها بحجة أن مئات الزوار الذين يترددون عليها يعرضون العمارة للخلل - وأرسلت محكمة التنظيم اخطارا الى جريدة المعارضة بتقديمها الى محكمة المخالفات لاتهامها بلصق مئات الاعلانات فوق بعض الجدران » (٤)

ويصدر العدد العاشر والاخير ومعظمه مساحات بيضاء يحتلها الاعلان التقليدى عن العدد الخاص من المعارضة . . أما بقية المساحة فتشغلها موضوعات من نوع « فى استطاعتنا أن نزرع الصحراء كلها » . . « المعارضة تدل الهند . . عيون من الماس لجياد المهرجا . . » « يعذبها ويقص شعرها ويكويها بالنار حتى تموت » . . مكتب مباحث المعارضة يساعدك على معرفة الفاعل » (٥) .

وتكان هذا هو آخر أعداد المجموعة الأولى من المعارضة . .

وعلى غير عادة الصحف اليسارية نلاحظ أن المعارضة قد أفسحت مساحات كبيرة من بعض أعدادها وخاصة العددين الثالث والرابع لاعلانات من مؤسسات اقتصادية كبيرة . .

٤ - المعارضة - العدد التاسع - ١٣ مارس ١٩٥٢ .

٥ - المعارضة - العدد العاشر - ٢٦ مارس ١٩٥٢ .

نفى العدد الثالث يحتل نصف الصفحة الثامنة (الأخيرة) الاعلان
التالى « روبير وأدمون خورى وشركاهم • أكبر بيوت لتصدير الأقطان
بالاسكندرية • يهنئون ملك ومملكة مصر والسودان بميلاد ولي العهد وأمير
الصعيد د.إدب السمو الملكى الأمير أحمد فؤاد » (٦)

ولابد من علامة استفهام كبيرة أمام هذا الاعلان الذى صدر فى ٢٣
يناير ١٩٥٢ ابان اشتعال السخط الشعبى ضد القصر الملكى وضد أمثال
روبير وأدمون خورى وشركاهم •

ثم بأتى العدد الرابع وبه مساحات اعلانية كبيرة لبنك القنطرة
وبيبسى كولا وكوكا كولا ومصانع الشوربجى (٧) • •

وقد صدرت المعارضة (على غير عادة فتحى الرملى) بالقطع الكبير
(قطع الجريدة العادى) فى ثمانى صفحات والثمان عشرون مليما .. خفضت
فى العدد العاشر (الأخير) الى خمسة عشر مليما • • وقد صدر العدد السابع
فى أربعة صفحات فقط •

ويظل فتحى الرملى مستخدما أسلوبه المميز فى الاخراج الصحفى
المساحات الحمراء فى الصفحة الاولى والشعار بعرض أسفل الصفحة • •
وقد استخدم فى العددين الاول والثانى شعار « كلما أسرعنا • • كلما قل
عدد الضحايا » أما العدد الثالث فقد غير الشعار الى « خير لنا أن نموت
واقفين من أن نعيش راكعين » ولعله كان ملائما تماما لفترة صدور العدد
(٢٣ يناير ١٩٥٢) والعدد الرابع استخدم شعار « الانسان هو أعظم
رأسمال فى الوجود » •

ويعود العدد الخامس الى شعار « خير لنا أن نموت واقفين من أن
نعيش راكعين » • • أما بقية الأعداد فترفع شعار فتحى الرملى القديم
« الحقيقة هى أثنى ما نجاهد فى سبيله » •

والآن نستطيع أن نستعرض الاعداد العشر من المجموعة الاولى من
مجلة المعارضة •

-
- ٦ - المعارضة - العدد الثالث - ٢٣ يناير ١٩٥٢ •
 - ٧ - المعارضة - العدد الرابع - ٣٠ يناير ١٩٥٢ •

وافتتاحية العدد الاول عنوانها « الشيطان الجديد » بقلم فتحى الرملى « هذا هو الشيطان الجديد يكشف النقاب عن وجهه فجأة . لقد ظهر الاستعمار الأمريكى على المسرح لأول مرة بعد أن ظل يعمل وراء الكواليس أكثر من سبع سنوات . . اننا لم نقاتل الانجليز فى القتال لنستبدلهم بالأمريكان . . لم نضح بمئات من شبابنا الذين استشهدوا فى ميدان قصر النيل والاسماعيلية وبور سعيد وكوبرى عباس والسويس ليعرض الباشوات الخونة بلادنا فى مزاد علنى يرسو فيه العطاء على أغنى الدول الاستعمارية كلا ان لدينا من الوعى ما يؤهلنا لان نصرخ فى وجه الشيطان الجديد مكانك لقد رأينا رؤوس أموالك وهى تتسلل الى مصر فى جنح الظلام ، ورأينا شركاتك تقام ، وعملاؤك يزدانون ونفوذك يتسع ويقوى لكن الحكم العرفى الذى عاشت فيه مصر لم يدع لها فرصة الكلام . . لقد نجح المتآمرون فى تكميمها تماما فترة من الوقت وما نحن أولاء وجهها لوجه أيها الشيطان الجديد ونشهد نفس المهزلة التى أردت أن تلعبها فى ايران وفى مراكش وفى سوريا ولبنان وتستغل الصراع الوطنى ضد الاستعمار القديم لتحتل قواعده وترث امتيازاته مع تعديل خبيث فى الاساليب بالدولارات تزحف بدلا من الجيوش والخبراء يتقدمون بدلا من المدافع والمقرليوزات . . لقد عرضت مصر قبل اليوم قضيتها على مجلس الامن فكانت امريكا المجرمة هذه أشد حماسة من انجلترا فى خذلاننا ولم تمر مناسبة واحدة من المناسبات لم تسفر فيها امريكا عن نواياها العجوانية نحو مصر . . »

ويختتم فتحى الرملى افتتاحيته « ان الشيطان الجديد المسعور بدأ يتلطم علينا بصوت مسموع وعلينا أن نحذر فقد استطاع فى بضع سنوات أن يتخذ له طابورا من الباشوات المتآمركين . . يربطهم به فى شركات ومشروعات ومؤامرات » (٨) .

وتمضى المعارضة فى حملتها على امريكا وأعوانها فى مصر . . ففى الصفحة الثانية عنوان كبير « عزام باشا يقول : امريكا تدمتج بثقة العرب » وتورد تصريحاً لعزام يؤكد فيه ان « مصر على استعداد لعقد معاهدة مع امريكا اذا هى قبلت ذلك . . »

ثم على صفحة ٣ من نفس العدد « معلومات خطيرة تنشر لأول مرة عن الاستعمار الأمريكى وكيف زحف الى مصر » .

وأىضا موضوع عنوانه « بلاغ الى النائب العام » . « منذ شهور والانباء تتوالى عن مقابلات رهيبة يقوم بها رفعة على ماهر باشا كان أشهرها نبأ

اتصاله بالسفير الامريكى فى مصر ومنذ شهور والاشاعات تقترى بأن رفعة على ماهر باشا هو رجل الساعة ورئيس الوزراء المنتظر ٠٠ وغجأة صدرت احدى الصحف الاسبوعية يوم السبت الماضى (اخبار اليوم) تؤكد ان على ماهر باشا سوف يتولى رئاسة وزارة قومية وبدى ان الموحي بهذا التلويع هو رفعة الباشا فهو صاد بالمصلحة الثالثة بعد الاستعمار والرجعية فى هذا التفكير العدوانى الخطير على دستور مصر ونظامها النيابى » •
وثمة ملاحظتين :

— الاولى ان على ماهر قد تولى رئاسة الوزارة فعلا فى نهاية الشهر اى بعد حريق القاهرة بما يوحى ان خيوط المؤامرة كانت تسمج فى شبه علانية •

— والثانية ان « المعارضة » قد قللت من الهجوم على حكومة الوفد بل على العكس تدافع عن بقائها فى الحكم وذلك بعد التطور الذى طرأ على مواقف حكومة الوفد (الغاء المعاهدة — انسحاب العمال من معسكرات الانجليز — الافراح المسلح ٠٠ الخ) •

اما انتقاد السياسة الوفدية فيأتى فى مقالين « الحكومة تستبدل الكتائب بفرق رياضية » • لمحمد جلال (تنظيم الحزب الشيوعى المصرى . الراية) ثم موضوع عن مصادرة الصحف فيه تعليقات لفكرى اباطة ومصطفى القساشى واحسان عبد القدوس واحمد ابو الفتح وابراهيم شكرى وصالح عشمائى وينضمون الموضوع بروزا بعنوان كم مرة صودرت هذه الصحف ويتضمن عدد المرات التى صودرت فيها الصحف ٠٠

— الاشتراكية ١٢ — آخر لحظة ٩ — الملايين ٨ — اخبار اليوم ٧ — الكاتب ٦ — روز اليوسف ٥ — المصرى ٣ — الاهرام ١ — البلاغ ١ — الناس ١ — اللواء الجديد ١ •

ان هذه الارقام بالغة الدلالة فهى توضح حقيقة المأزق الذى كانت تعيشه حكومة الوفد فى ايامها الاخيرة •• حيث تعرضت لهجمات الصحف البمينية الغير راضية عن « تطرفها ! » ولهجمات الصحف اليسارية التى تنتقد ترددها وتهاونها بينما تحاك حولها مؤامرات الاستعمار والقصر والقوى الرجعية الامر الذى ادى بها الى مصادرة صحف يمينية ويسارية فى وقت واحد بل مصادرة صحيفة وفدية (المصرى) ثلاث مرات ••

• اما بقية العدد الاول فقد خصص لاجواب عن السلام « نريد السلام » و « الشعوب لا تريد الحرب » •• ثم ريبورتاج عن رومانيا « فى رومانيا مدن يحكمها الاطفال » ورسالة طهران يكتبها عبد المنعم الغزالى (حدثو) نشيد بدطولات الشعب الايرانى فى نضاله ضد الشاه ثم موضوع بعنوان « شعب القتال يهتف لن نحارب روسيا » •• « شاهدت بورسعيد يوما من ايام

الابتهاج في غمرة الكفاح الدموي ضد قوات الاحتلال وكان ذلك عند وصول الاسطول الروسى الى الميناء فقد هرع الاهالى ببورسعيد لاستقبال البحارة عند خروجهم لزيارة المدينة وتآلف موكب ضخم وكان رجال البوليس يخولون بمشقة كبيرة بين الاهالى وعناق البحارة بينما تعالى هتاف الاهالى بحياة الاتحاد السوفيتى مؤيد مصر وسقوط الاستعمار البريطانى والمطالبة بمعاهدة صداقة وعدم اعتداء مع الاتحاد السوفيتى صديق الشعوب .. كما ان شعب بورسعيد قد ردد في حماس بالغ الهتاف الذى اعلنه العمال هناك « لن نحارب الاتحاد السوفيتى » هذا وقد حاولت شركة الفحومات البريطانية ان تفسد روعة هذا الاستقبال برفضها القيام بالتسهيلات اللازمة الخاصة بتحويل العملة الروسية للبحارة الى نقود مصرية ولكن الاهالى اجبروا المحافظة على التدخل في الامر وانصرف البحارة وهم يعلنون غيبتهم بهذه الحفاوة البالغة والتأييد العظيم .. ان الشعوب الحرة تقف صفا واحدا ضد الاستعمار » .

.. كذلك تتضمن العدد الاول استفتاء « ما هو المصير الذى تفضله لثانة السويس .. تأميمها ؟ تدويلها ؟ ردمها ؟ » .

.. ونلاحظ أخير ان « المعارضة » قد ضمت عديدا من الموضوعات والابواب العادية والتي تتعلق بالخط السياسى للجريدة ولعل ذلك كان بسبب المجموعة التى انتفت حول فتحى الرملى عند اصداره الجريدة ..

فإنك أبواب عن السينما والمسرح وأخبار فنية عن الفنانين والفنانيات وهو ما لم تعتد الصحف اليسارية الخوض فيه .. وموضوعات عديدة عن حرائق ومغامرات وحوادث وهى ايضا لم تكن مجالا للصحف اليسارية .



اما العدد الثانى فقد كانت منشئاته كما يلى :

— اعتقال فدائى فى دار مساعد السفير البريطانى .
— فشنسكى يتحدث الى المعارضة « سنساعد مصر .. سنساعدنا »
دائما ..

— فتح باب التطوع أمام ضباط الجيش المصرى .

— المعارضة فى العراق : نورى السعيد يحل نقابات العمال — البترول
للأمريكان والبلج للانجليز والسجون للشعب .

.. ثم فى صدر الصفحة الاولى خبر عن مقابلة بين مندوب المعارضة « عادل سامى » وبين فشنسكى وزير الخارجية السوفيتى يؤكد فيها الوزير السوفيتى « نحن مع الشعب المصرى فى كفاحه وسنساعدنا دائما » اما المحرز

فانه يضيف « ومن تحرياتي الخاصة علمت أن جميع الديمقراطيات الشعبية في شرق أوروبا على اتم استعداد لمعاونتنا كما ان تشيكوسلوفاكيا وبولندا تستطيعان تسليحنا ايضا اذا طلبت حكومتنا ذلك » (٩) .

وتأتي الافتتاحية (فتحي الرملى) وعنوانها « سباق الدم » . . « اعدم الانجليز في الذل الكبير سبع من الفدائيين . . لا نريد هنا أن نخزف عليهم ذمعة واحدة اننا لم نرسلهم في نزهة خلوية لقد أرسلناهم الى معركة حقيقية ، معركة رهيبه نعرف بمفما انه قد يستشهد فيها من ابنائنا بضعة ألوف قبل ان يكتب لنا النصر . . » ثم تضى الافتتاحية لتدين « هذه الصحف الصفراء التى تتحدث عن الوساطات وتبشر بحلول ومساومات يرفضها الشعب مقدم . هؤلاء الساسة الذين ملأوا الدنيا همسا عن المفاوضات يجب ان يكفوا وان يخرسوا جميعا . . ان الشعب لديه من الوعي واليقظة ما يجعله على استعداد لان يسحق بأقدامه كل من يقف في طريق حريته . . » .

ثم توجه الانتقادات الى حكومة الوفد « اما هذه الحكومة غامرعا عجيب ، لا يجرى الناس هل هى مع الفدائيين أم مع الانجليز ؟ ينظم الشعب كتائب للمقاومة فتستولى عليها وتوقف تبرعاتها وترغم انها ستدربها وتسليحها وتدفعها الى القتال ثم لا يجد الشعب شيئا من هذا كله . . » .

وختام الافتتاحية « متى تعرف الحكومة ان الشعب قد نظر الى الغاء المعاهدة نظرة جدية ؟ متى تعرف أن الشعب يعتبر ان بينه وبين الانجليز دم ؟

وبعد هذا الانتقاد . . تنشر الجريدة « صرح معالى محمد صلاح الدين باشا ان مشروع الدفاع المشترك الذى يحاول المستر ترومان فرضه سيعرض دول الشرق الاوسط لحرب تدميرية لا دخل لنا فيها وان الاتحاد السوفييتى أعلن اكثر من مرة انه لا يضم أية نوايا عدوانية تجاه اقطار الشرق الاوسط وليست هناك مشاكل تحمل على مهاجمتها » . .

.. وموضوع كبير عن استشهاد عباس الاعسر (حذو) .

« الاسكندرية تودع البطل عباس الاعسر . اعله يذهبون الى القتال لآخذ الثأر وزملاؤه يؤلفون كتيبة تحمل اسم الشهيد . . » وبعد وصفه فصل للجنازة الصخمة التى نظمها حذو لشهيدها تضيف « المعارضة » « وقد عقد الشباب على أثر انتهاء الجنازة مؤتمرا تناوبوا فيه الكلام وانتهوا باصدار عدة قرارات منها : -

- تأليف كتبية جامعية تحمل اسم الشهيد العظيم .
 - المطالبة باطلاق الحريات العامة والافراج عن المسجونين السياسيين .
 - المطالبة بأن يكون تعيين كبار الموظفين عن طريق البرلمان .
 - المطالبة بقطع العلاقات الدبلوماسية مع دول الاستعمار وعقد معاهدة صداقة وعدم اعتداء مع الدول الحرة .
 - الغاء البوليس السياسى وحرس الجامعة . « »
- ولعل بصمات حددت واضحة تماما على هذا البرنامج الذى تضمن تلميحا ادانة لتعيين الملك لحافظ عفيفى رئيسا لديوان الملكى متحديا بذلك حكومة الوفد .

•• وثمة موضوع هام ايضا بعنوان « الاستعمار الأمريكى وكيف زحف على مصر » تسرد فيه المعارضة تفاصيل ومعلومات عديدة عن هذه القضية . ثم تقول « وبعد •• ان كثيرا من المصلين بيننا يملأون الدنيا صياحا وتجعيرا بأننا لا غنى لنا عن امريكا ما دمنا قد قررنا ان نمضى فى مخاصمة انجلترا الى نهاية انشوط لكن هؤلاء المصلين يتناسون حقيقة كبرى هى ان فى استطاعة مصر ان توطد علاقاتها بالدول الحرة •• الديمقراطية الشعبية الجديدة التى تضم الفـ مليون نسمة ، وانشاء تعاون اقتصادى واجتماعى وثقافى معهم نكسب منه كثيرا دون ان نخسر حرياتنا واستقلالنا » •

•• ثم الى الموضوع المعتاد •• حرية الصحافة « الصحف الوطنية تعتقد مؤتمرا للدفاع عن الحريات العامة » •• « فى مؤتمر صحفى عقده الصحافة الوطنية مثلت فيه جرائد الاشتراكية والملايين والكاتب والمعارضة قال أحمد حسين ليست القضية قضية مصادرة الاشتراكية قبل هى قضية مصادرة الحريات الصحفية كلها اذ يكفى ان تصدر جريدة واحدة لتحس كل الصحف انها مهددة بهذا السلاح • وقال احمد الصادق عزام •• لقد بلغ استهتار بعض رجال البوليس بالصحافة الى اصدار أوامره الى عمال المطابع بعدم طبع جريدة الملايين » •

ثم الابواب التالية عن السلام •• « الشعوب لا تريد الحرب » •• وريبورتاج عن المجر « فى المجر الجديد عامل لرئاسة الجمهورية وفلاح لرئاسة الوزارة » •

واسنمرار لاثارة قضية المسجونين السياسيين والمطالبة بالافراج عنهم والغاء جميع الاحكام الصادرة ضدهم .

ويبقى بعد ذلك عدد واحد ثم حريق القاهرة .

صدر العدد الثالث في ٢٣ يناير ١٩٥٢ .

والمانشطات « - وضع قنبلة تحت سرير الجنرال ارسكين .

- مؤامرة خطيرة لاسقاط الحكومة يدبرها الانجليز والصهيونية وفرغلى
باشا » .

اما أهم موضوعات الصفحة الاولى ٠٠ « المعارضة » في لبنان - ربنا
عبد المنعم الغزالي : الوزراء الجهلة موظفون بالنقطة الرابعة - امريكا تخلف
انجلترا في تجارة الحشيش ٠ « اما الافتتاحية فعنوانها « وزارة قومية » ٠٠
ويختتمها فتحى الرملى قائلا « لقد أعلن الشعب الحرب على الانجليز ولن
يوقف زحفه حفنة من الاقطاع فليفهموا هذا جيدا ، ولتفهم الحكومة الوفدية
معهم ان الفرصة لن تواتيها مرتين وعليها ان تسرع باعلان الحرب لتلحق
بموكب الشعب والا كان من حقنا ان نعتبرها متضامنة مع الانجليز فليس بين
الانجليز والشعب مكانا لوقوف المحايدين » (١٠) .

٠٠ وهكذا يمكن تلخيص الموقف من حكومة الوفد في هذه الفترة التي
سبقت حريق القاهرة بأنه يتكون من شقين متلازمين ٠٠ الدفاع عنها ضد
معارلات الاطاحة بها ٠٠ والضغط عليها من أجل مواجهة أكثر تشددا مع
الاحتلال الانجليزى .

وتستمر الاحتجاجات على مصادرة الصحف ٠٠ وتحت عنوان « ثورة
الصحفيين على المصادرات » .

« قدم اعضاء نقابة الصحفيين المذكورة التالية الى الجهات المختصة ٠٠
بري الصحفيون الموقعون على هذا وجوب الغاء المادة ١٩٨ من قانون العقوبات
التي تاذن بمصادرة الصحف بناء على طلب البوليس وموافقة النيابة » ثم
خبر آخر يقول « احتجبت الكاتب ٣ اسابيع احتجاجا على المصادرة وتصدر
العدد الممتاز السبت القادم ١٦ صفحة ٢٠ مليما » .

وتواصل المعارضة ريبورتاجاتها عن البلدان الاشتراكية « في بلغاريا
مع الفلاحين في مزارعهم التعاونية » ٠٠ ثم تقدم موضوعا جديدا على صحف
هذه الفترة وهاما في نفس الوقت اذ يكتب جمال الحسينى « المعارضة تخترق
الستار الحديدى وتدخل غزة . اللاجئين بين السل والجوع والاحتلال » .

(١٠) ١٩٥٢/١/٢٣ .

وفي الصفحة السابعة فكرة جديدة ، فالمعارضة تخصص مساحة ربع صفحة لمجلة عنوانها « الرجعية » تتضمن موادا بالغة الطرافة :

فأرأس العدد « الرجعية » . جريدة تخريبية اجرامية متعفنة . » .

— هيئة التحرير : السفارة الامريكية . السفارة الانجليزية . البوليس الدبلوماسي .

— اهدافها الثلاثة : قتل الحركة الوطنية — تحطيم وحدة الشعب — القضاء على الحريات .

— حكمة الاسبوع : مقاومة الشيوعية اهم من مقاومة الاستعمار . » .

اما افتتاحية العدد فيقول « القى محمد سعيد بك ذير عام مصلحة الجمارك بالاسكندرية محاضرة في النادى التجارى الملكى زعم فيها ان اربعة ملايين من المصريين يعيش الفرد منهم بايراد لا يزيد على جنيه واحد في الشهر وخمسة ملايين لا يزيد ايرادهم عن جنيهين وان نصف هذه الامة يعيش كالبهائم وقد نشرت جريدة المصرى الحقيرة هذا الكلام الخطير ورددت فيه دعوته لتنظيم الملكيات الزراعية على أساس ان الارض لمن يفلحها ولا ندرى كيف سمحت الحكومة لمثل هذا الموظف ان يردد كلاما اقل ما يوصف به أنه مجموعة اكاذيب فكلنا يعلم ان الشعب المصرى من اسعد شعوب العالم وأرقاها مستوى وارغدها عيشا » .

وموضوع آخر بعنوان « تأليف وزارة جديدة لانقاذ البلاد » . « نهمس الحوائر العليا العليمة نبأ الشروع في تشكيل وزارة جديدة أقدر على خدمة البلاد ، والمرشحون لهذه الوزارة هم على ماهر رئيس الوزراء (وقد تولى على ماهر رئاسة الوزراء فعلا بعد ثلاثة أيام) ، حافظ غنفي باشا وزيرا للخارجية ، محمد حيدر للداخلية ، ابراهيم عبد الهادى للعهد ومن برنامج الوزارة الجديدة : الغاء البرلمان لتوفير ما ينفق عليه من أموال . . سحب جميع الفدائيين من القنال حماية لأرواحهم — انشاء سجون ومعتقلات جديدة تتسع لعشرات الالاف — تعطيل مجلس الدولة خمسين سنة فقط ونقل اختصاصاته لمأمورى الاقسام والمراكز — تدعيم البوليس السياسى بعناصر جديدة واستدعاء خبراء امريكيين وانجليز جدد للاشراف عليه اشرافا مباشرا — حل الاحزاب والجماعات السياسية كلها منعا للخلافات وتوحيداً للصوف » .

وفي ٢٦ يناير تحترق القاهرة بمؤامرة رجعية متعددة الاطراف .
وتنطفئ جنوة النضال بالتهب على ضفاف القنال . .

وبداً بتنفيذ ما نشرته مجلة « الرجعية » من قبيل الفكاهة . . . بتنفيذاً فعلياً وصارماً .

الفدائيون تحولوا الى معتقلين ، والاحكام العرفية أعلنت ، اعلانها الومد تم أقيمت حكومته ليأتى الرئيس المنتظر . . على ماهر وتدور عجلة الاحداث مستهدفة تصفية كل القوى الوطنية والتقدمية . .

ويختفى فتحى الرملى عن الأنظار . . وتعلن « المعارضة » انه معتكف . ويحل محله فى رئاسة التحرير ابراهيم البعثى محاولاً أن يقود الجريدة وسط عواصف ضارية .

نحن الآن مع فتحى الرملى مستتراً . . وابراهيم البعثى متعرضاً للريح العاصف والعدد هو الرابع من أعداد المعارضة .

وهو أول عدد لجريدة يسارية تصدر بعد حريق القاهرة . .

ويجدر بنا ان نسجل ان « المعارضة » كانت الجريدة اليسارية الوحيدة التى استمرت فى الصدور بعد الحريق المروع .

بقية الصحف توقفت بسبب اعتقال مصدريها ولم يبق الا جريدة صاحبها هارب ورئيس تحريرها مستعار . .

المنشئات « الشعب يطلب تأميم قناة السويس - نصف مليون يشتركون فى أكبر استفتاء صحفى عالمى . . المعارضة تدخل تونس وتحقق الثورة الاخيرة

والاقتتاحية كما قلنا كتبها فتحى الرملى من مخبئه وعنوانها « اياك يا رفيع المقام » . . « هذه الاحكام العرفية التى أعلنت بالامس وقال رفعه رئيس الوزراء فى البرلمان انه يطلبها مكرها لانزال عند رأينا فيها ونؤمن أنه لم يكن هناك ما يحتم قيامها . . لا يكفى يا صاحب المقام الرفيع ان ذبحت الاحزاب فى جبهة لتبدأ المفاوضات فالشعب قد كفر بمبدأ المفاوضات وهو أشد اعتزازاً بكفروها حين تدور فى ظل الرقابة وفى ظل الاحكام العرفية . . اذا أردت ان تكسب ثقة عشرين مليوناً من المصريين . . ليس أمامك الا ان تعلن ان برنامجك يتلخص فى كلمتين . . احترام الحريات . . ومقاومة المستعمرين بكل سلاح الا المفاوضات » (١١) .

وتواصل « المعارضة » حملتها ضد الاستعمار الأمريكى وتنشر فى برواز « الشعب يريد وقف تغلغل النفوذ الأمريكى » وتخصص صفحة ٥ لحملتها

هذه « المعارضة تواصل حملتها على الشيطان الجديد .. امريكا تحتل البلدان العربية » وفي صدر الصفحة كاركاتير على مساحة كبيرة اله الحرب رافعا في يده جمجمة وتحتة عبارة « تمثال الحرية الجديد في امريكا » .

وتنشر المعارضة نتائج الاستفتاء الذي أجرته حول قناة السويس وتقول ان الذين اشتركوا فيه نصف مليون (وهو رقم هبالغ فيه بغير شك اذا ما نظرنا الى امكانيات جريدة المعارضة والى قصر المدة التى استغرقتها عملية الاستفتاء) على أية حال نشرت المعارضة النتيجة التالية :

طالبوا بالتأميم ٣٠٠٩٨٤

طالبوا بالردم ١٢٤٥٠٣

طالبوا بالتحويل ٧٥٤١٣

وتنال « المعارضة » شرف المناداة بتأميم قناة السويس فى هذا الوقت المبكر .

وبعد ذلك تبقى أمامنا ستة أعداد . يظل صاحبها مختفيا وتظل السلطة متسلطة عليها تشطب منها أغلب مساحاتها فتخرج المعارضة اما بيضاء واما محشوة بالاعلانات الوهمية عن العدد الخاص الصادر قريبا .. واما مليئة بموضوعات احتجاجية أى موضوعات تعلن بذاتها ومن فرط تفاهتها انها هى كل ما تسمح به الرقابة المشددة فالمانشست فى العدد الخامس « الشباب الوفدى يرشح صلاح الدين سكرتيرا للوفد - محطات العالم تذيع نتيجة استفتاء المعارضة » .

والافتتاحية الموقعة باسم فتحى الرملى لا تزال تشن هجماتها على الاستعمار ، وعلى الذين يدعون للتفاوض أو اقامة أحلاف عسكرية معه .. ثم تقول « والشعب المصرى لا يهمه أن يبقى مجلس النواب أو يحل ، يحقق مع الذين اختلسوا أم لا .. ان الشعب المصرى يدرك تماما أن كل هذه المظاهر عارضة لداء واحد أصيل هو الاستعمار .. والشعب يعرف أن طرد الاستعمار هو السبيل الوحيد لاستقرار حياته الدستورية والبرلمانية وهو السبيل الوحيد لارتقاء مستوى المعيشة الى الحد الذى ينبغى أن يكون مكفولا للآدميين .. وهو السبيل الوحيد للقضاء على الفساد .. والرشوة واستغلال النفوذ » (١٢) .

ثم تنشر المعارضة تصريحاً منسوباً للمرشد العام للاخوان المسلمين يقول فيه « اننا نوافق على المفاوضات مع الانجليز على أساس أن تكون قاصرة على شئون الجلاء » .

١٢ - ١٩٥٢/٢/٦

وتواصل المعارضة حملتها حول اللاجئين الفلسطينيين في غزة متهمه الجامعة العربية بالتآمر مع الامم المتحدة لاجبار اللاجئين على الهجرة بعيداً عن وطنهم وتدمي قاذلة « لكنّها المؤامرات والمطامع . لكنها خطة التشريد المحكمة التي رسمتها وكالة غوث اللاجئين والتي تنسّتر عليها الجامعة العربية والوطنى العظيم والخطيب المسدى عبد الرحمن عزام لكنها خطة التطفيش والتضييق التي تنظّمها وتبررها الجامعة التي رأت أن أكرم حل لمشكلة اللاجئين هو ابادهم أو نقلهم الى داهية بعيدة » .

ثم موضوع آخر بعنوان « في أمريكا حيث تطبخ الانتخابات ويحرق النوج ويصبح اللصوص مصدر السلطات .. » وتواصل المعارضة تركيرها للهجمات ضد الاستعمار الامريكى .. « أوكار الدعاية الامريكانية - الجامعة الامريكية - قاعة ايوارت التذكارية - مدرسة البنات الامريكية » وأخيرا بلاغ للنائب العام ضد محمد قرغلى باشا بسبب تلاعبه بأسعار القطن . أما أغلب مساحات العدد فاما بيضاء أو مطموسة بالحبر الاسود .

.. انها الرقابة .

ويواصل ابراهيم البعثى اصداره للعدد السادس الذى يصدر يوم الخميس بدلا من الاربعاء . . والمنشيت « المعارضة تحضر اجتماع الهيئة الوفدية - شركات التأمين تحمراً .. ولا تدفع التعويضات » .. أما الافتتاحية « الوفد مع الشعب أم عليه » ولا توقيع عليها وتقول « احتفظ بالوفد بقيادة الجماهير في مصر ثلاثين عاما . كلا بل ان الشعب المصرى هو الذى احتفظ بالوفد طوال كل هذه السنين . كلا أيضا فلم تكن هذه ارادة الوفد ولا ارادة الشعب انما كانت ارادة الظروف ، كانت النتاج الطبيعى للمتناقضات الكثيرة العديدة في بلد تتنازع قوى استعمارية واستبدادية مختلفة . نعم لم يكن الوفد يؤمن بالشعب ولكنه يضطر للالتجاء اليه كلما مرت به محنة فأحس أنه في حاجة الى قاعدة جماهيرية يركز عليها ولم يكن الشعب يؤمن بالوفد ولكنه كان يضطر الى الالتجاء اليه كلما مرت به محنة وتلفت حوله فلم يجد حزبا آخر يصلح لان يتولى التعبير عن ارادته في أحلك الظروف وعندما اشتدت وطأة الحكم العسكرى في عهد ابراهيم عبد الهادى وفاضت المعتقلات بألاف السباب انتهر الوفد أيضا فرصة المخطط الشديد على ما أصاب الحريات فحرص في بياناته وخطبه على أن يبدو للناس كما لو كان هو حصن الحريات وحامى حمى الدستور . وقد أغمض الشعب عينيه عن الماضى ولم يسعه الا أن يمنح ثقته للوفد من جديد . . وما كاد الوفد يتولى الحكم حتى حاول فريق منه على الاقل أن يندحرف به عن كل ما أعلنه من مبادئ وشعارات . . لقد وقف الوفد في

مذتصف الطريق حائرا مترددا لا يريد أن يستقر على رأى واحد ، هل يواصل السير مع الشعب أم يقف ضده ويحاول أن يسد عليه الطريق ، وعلى هذا النحو جرت سياسة الوفد ، فى كل الميادين يمسك بالعصا من الوسط فى المعركة الديمقراطية ، ويمسك العصا من الوسط فى المعركة الاشتراكية ، هذا التردد المتخاذل هو الذى انتهى بالوفد اليوم الى موقف لا يحسد عليه فلا هو ظفر بتأييد اليمين ، ولا هو احتفظ بتأييد اليسار ، لا هو أعجب الاستعمار ولا هو أرضى الشعب ، لقد وقع الوفد فى الشرك الذى نصبه لنفسه وقد يمضى وقت طويل ، طويل جدا قبل أن يستعيد مكانته وقبل أن يلتقط الكرة من جديد » .

وبعد هذا التحليل الدقيق لمواقف حزب الوفد وهو تحليل موضوعى يستحق التأمل تمضى الافتتاحية مؤكدة « ان الشعب لم يفقد بعد كل ثقته فى الوفد وهو لا يزال رغم كل شىء أكبر الأحزاب وأنظفها تاريخا ومن المؤكد أنه لا يزال يحظى بتأييد الاحرار والوطنيين لكن هذه الثقة يمكن أن تتبخر فجأة اذا حاول الوفد أن يسير على سياسته التقليدية . فيلعب على الحبل » (١٢) .

وافتتاحية العدد السابع تخصص هى الاخرى لحزب الوفد . . ولا شك أن هذا الموضوع كان بالغ الاهمية بالنسبة لكل القوى الوطنية حيث بدأت مصر تعاني من حكومات لا تمثل سوى القصر وسوى الاستعمار بينما الوفد يعاني من آثار فترة حكم قصيرة نسبيا اتهمته فيها القوى اليمينية بالتقهور والانسياق وراء اليسار واتهمته فيها الجماهير الشعبية بالتردد والتهادن مع السراى ومع الاستعمار وكان الوفد هو الحصن الباقي أمام الأعين التى لم تكن ترى الا ما هو فوق السطح . . ومن ثم فقد كانت تهتم بدراسة أحواله وتحليلها وانتقادها بهدف تمكينه من استعادة مواقعه التى فقدها وسط الجماهير التى استبدت بها حيرة كبيرة لم ينهها الا بروز ما كان خافيا تحت السطح . الضباط الاحرار وثورة يوليو .

وعنوان الافتتاحية « الأربعة الذين أسقطوا الوفد » . . « سقطت وزارة الوفد يوم ٢٨ يناير لكن الوفد نفسه كحزب شعبى سقط قبل هذا التاريخ ببضعة شهور على أيدي أربعة من أقطاب الوفد الكرام . . أربعة لم يفصلوا الى اليوم - بل لا يزالون يجثون على صدره ويقودونه ركضا الى الهلاك وليست هذه المقدمة من غدنا أنها وجهة نظر يتحدث بها اليوم شباب الوفد ، الشباب الواعى الناضج الذى هو الامل الباقي والرجاء الوحيد ، لكن من هم هؤلاء الأربعة الذين يحلم الشباب الوفدى بمحاكمتهم حزبيا وطردهم قبل أن يقضوا على الوفد تماما . .

– فؤاد سراج الدين باشا عمدة كافر الجرايدة •

– سلى ٠٠ مان باشا غنام الصديق الحميم لغول الغلاء (ويلاحظ
كتابة سليمان ٠٠ سلى مان ومعناها بالانجليزية الرجل الاحمق) •

– عثمان محرم باشا وزير أشغال العائلات الكبيرة •

– عبد اللطيف محمود باشا ٠٠ ألف مرجبة (اشارة الى ما أشيع
أنه كان يحدد الرشوة المطلوبة بهذا الاسلوب فان كان يطلب ألف جنيه
استقبل المطلوب منه الرشوة قائلا يا ألف مرجبة) يقولون انهم ثلاثة واربعم
عبد اللطيف محمود ويقولون انهم أربعة وخامسهم حامد زكى لكن حامد
زكى هذا وجدنا أنه من التقاهة بحيث لا يستأهل مجرد الاشارة اليه ،
ترى متى يتخلص الوفد من هؤلاء الذين يسوقونه الى حتفه • حتى يتغدى
بهم قبل أن يتعشوا به هذا هو السؤال «(١٤) •

٠٠ ولا يبقى كلام كثير ٠٠

صحيح اننا لم نزل مع العدد السابع لكن « المعارضة » كانت
تترنح •

فهذا العدد صدر في أربعة صفحات « لم نتمكن من اصدار هذا العدد
في أكثر من أربعة صفحات ويباع بعشرة مليمات هذا الاسبوع فقط على أن
تستأنف المعارضة الصدور في حجمها المعتاد وبعشرين مليما ابتداء من
الاسبوع القادم » •

٠٠ والصفحات الاربع أغلبها مساحات بيضاء شطبتها الرقابة واحتلها
اعلان تقليدى يعرف القارئ مغزاء جيدا عن العدد الممتاز الذى يصدر
قريبا ٠٠٠ ولا يبقى كلام كثير ٠٠

فالعدد الثامن افتتاحية أغلبها مشطوب وصفحته الاولى تحتلها
أسطورة « من الأدب الفارسي القديم » (١٥) ولا شئ آخر في العدد بأكمله
اما مساحات بيضاء أو مظلوسة بالحبر الاسود أو موضوعات تافهة وقد صدر
هذا العدد دون الاشارة الى اسم رئيس التحرير ربما لان ابراهيم البعشى قد اكتفى
من احتمال ما لا يطيق ولان فتحى الرملى كان لم يزل مختفيا ٠٠ وبعدها
تتخلف المعارضة عن الصدور أسبوعا وتصدر عددها التاسع أيضا دون الاشارة
الى اسم رئيس التحرير والافتتاحية كلها مشطوبة ٠٠ ثم مجموعة من

١٤ – ١٩٥٢/٢/٢١

١٥ – ١٩٥٢/٢/٢٨

الموضوعات البعيدة عن السياسة لكن العدد ملئ بالاشارات الى الضغوط التي تتعرض لها الجريدة . دعوى أحد التجار ضد الجريدة . . ودعوى رفعتها صاحبة البيت الذى فيه مقر الجريدة مطالبة بطردها . . ثم دعوى ضد الجريدة بتهمة لصق اعلانات فوق الجدران . . الخ (١٦) .

ولا يبقى فى الصفحة الاولى ما يستحق القراءة الا المانشئات « متى يعود الوفد الى الحكم ؟ حديث مع قطب وفدى كبير ، شقيق الشيخ البنا ينصح الاخوان بعدم التعاون مع الهيئة السعدية » (١٧) . أما بقية صفحات العدد فهي اما مساحات بيضاء أو موضوعات مثل « يعذبها ويقص شعرها ويكويها بالنار حتى تموت » و « مكتب مباحث المعارضة يساعدك على معرفة الفاعل » .

والرحلة طويلة ومريرة ومنهكة .

ولا فائدة ترجى من اصدار صفحات بيضاء أو مطموسة بالحبر الاسود

ولا جدوى من اصدار جريدة يسارية لا تجد ما يسمح بنشره الا حوادث وطرائف .

وتتوقف المعارضة عن الصدور .

١٦ - ١٩٥٢/٣/١٣

١٧ - ١٩٥٢/٣/٢٦

الناس

• • ولم تكن حدثو وفتحى الرملى وحدهما فى ميدان الصحافة اليسارية

كانت هناك قوة أخرى نحاول بشكل أو بآخر أن تعبّر عن نفسها
أو حتى عن اختلافها مع حدثو على صفحات جريدة يسارية •

وكان أحمد شوقي الخطيب واحدا من هؤلاء ،•••

وبرغم كونه كان عضوا فى تنظيم ماركسى اندثر نشاطه الفعلى مع
انتهاء المعتقلات • • هو منظمة حدثو ع•ت (حدثو العمالية الثورية)
الا أنه قد ظل طويلا مقتربا من الخط الفاصل بين الماركسيين وشعبان
الطليعة الوفدية •

ولعل هذا يفسر لنا امرين :

أولهما أن العديدين المتأخين امامنا من « الناس » يضم كل منهما مقالا
عن الطليعة الوفدية •

بل يعلن المقال الاول منهما أن « الناس » هى - بشكل أو بآخر -
لسان حال الطليعة الوفدية • • « يطالع الشعب المصرى على صفحات
جريدة الناس الغراء آراء الطليعة الوفدية وأخبار لجانها ونشاطها ومواقفها
السياسية » • • ثم نجد فى ختام المقال « والطليعة الوفدية وهذه
غايتها وهذا أسلوبها تعاهد الشعب على أن تسدّمر على صفحات هذه
الجريدة طبقا لبرنامجها الوطنى الواضح الصريح ولن تحيد عنه » والتوقيع
« الطليعة الوفدية » (١) اما الامر الثانى فهو أن العدد الثالث من الناس قد
تضمن مقالا لآحمد رشدى صالح أحد قادة تنظيم « طليعة العمال » فى ذلك
الحين يشتمل فى مجمله انتقادا شديدا لخط • حدثو • فى حركة السلام •

ومعروف أن طليعة العمال كانت أوثق المنظمات الماركسية صلة
وارتباطا بالطليعة الوفدية (٢) .

• على أية حال نلاحظ

ان « الناس » لم تكن مجرد مجلة وفدية تعبر عن يسار الوفد ممثلا
في « الطليعة الوفدية » ولا كانت تعبيراً عن تحالف بين طليعة العمال
والطليعة الوفدية .

وانما نجدها وقد أفسحت صدرها في العديدين لكتاب متعددى الانتماء

ولأن حدثوا كانت صاحبة الباع الاوفر في اصدار الصحف فانه لم يكن
مستغرباً أن نلمس أطراف أصابعها حتى في جريدة تتخذ مواقف انتقادية
من سياستها .

نعم رشدى (وكان قريباً من حدثوا اشترك معها في اصدار البشير هو
مدير التحرير للناس أو بالعقبة للعدد الاول منها) وزكى مراد هو أحد كتاب
العدد الأول أيضاً .

واذا كان اسم عمر رشدى لا يظهر في العدد الثالث فان من يحل محله
لم يكن هو أيضاً بعيداً عن حدثوا وهو محمد أبو الخير المحامى .

* * *

والناس لم تكن في الاساس جريدة يسارية فصاحبها ورئيس تحريرها
وقد لما نشر في العدد الاول هو عثمان العنتبلى وكان المحرر الفنى لجريدة
المصرى .

والعددان اللذان بين ايدينا يوضحان هذه العلاقة كما يلي :

العدد الاول قدم « الناس » قائلاً انها « جريدة أسبوعية تصدر عن دار
الغد - صاحبها ورئيس تحريرها عثمان العنتبلى . . . مدير السياسة أحمد
شوقي الخطيب . . مدير التحرير عمر رشدى » .

٢ - يؤكد حلمى يس فى مناقشة معه ان منظمة طليعة العمال لم تكن على
علم بهذه العلاقة بين رشدى صالح ومجلة الناس وانها وجهت له لوما لانه
كتب فى الناس دون اذن مسبق من المنظمة ويقول المهندس حسن صدقى فى
مناقشة معه ان أحمد شوقي الخطيب كان فى نهاية فترة الاعتقال متعاطفاً
مع طليعة العمال لكن علاقاته كانت منقطعة معها عند صدور الناس .

أما العدد الثالث فيختفى منه اسم عثمان العنقبلى واسم دار الغد واسم
عمر رشدى .

ويعلن أن الناس « جريدة سياسية يصدرها ويدير سياستها وتحريرها
أحمد شوقي الخطيب المحامى رئيس التحرير المسئول محمد أبو الخير
المحامى » .

وقد صدر من الناس سبعة أعداد . .

يوجد في دار الكتب والوثائق القومية ستة منها نقط لان أحد الأعداد
قد صدر وهو العدد المفترض صدوره يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٥١ .

ويسبق هذا العدد ويليه عددان أولهما صدر في ١٧ أكتوبر ١٩٥١ والآخر
في ٢١ أكتوبر ١٩٥١ وهما ما يمكن وصفهما بأنهما عديدين يساريين أما بقسمة
الأعداد فلا علاقة لأحمد شوقي الخطيب بها ولا علاقة لها بموضوع بحثنا .

* * *

وإذا شئنا المقارنة بين العديدين الأول والثالث فإن معيارا هاما يمكن
استخدامه هو الكتاب المشاركون في كل منهما في العدد الأول نجد « أحمد
شوقي الخطيب . . . مرسى الشافعى . . أحمد أبو الفتح . . زكى مراد » أما
في العدد الثالث فهناك فقط « أحمد شوقي الخطيب ومعه أحمد رشدى
صالح » .

* * *

ونكشف أن العددان يختلفان في التوجه السياسى . . ليس فقط لان
أحمد رشدى صالح (طليعة العمال) كتب مقالا ينتقد حدثو في العدد الثالث
ولكن لأن هذا العدد قد تضمن أيضا هجوما على الحزب الاستراكي بل واتهاما
له بعلاقة (مالية) مع فؤاد سراج الدين ونفس الهجوم موجه ليوسف حلمى
سكرتير حركة أنصار السلام ورئيس تحرير الكاتب . .

وكان هذا العدد هو العدد الأخير من الناس كمجلة يسارية . . ولعل هذا
لم يكن محض مصادفة . فقد بدا من مطالعة العدد الثالث أننا أمام مجلة
غير محددة المعالم . غير محددة الاتجاه ، وهو أمر لا تحتمله أية جريدة رأى
خاصة إذا ما كانت تتعرض لهجمات شرسة من السلطة . وقد سبق أن قلنا
أن العدد الثانى قد صدر . .

وقد أشارت الناس الى ذلك في عددها الثانى تحت عنوان لن نراجع
« في الساعة الثانية عشرة من مساء يوم الثلاثاء الاسبق فوجئت ، الناس ،

بحضور الضابط الهمام أحمد أفندى عبد العال الى المطبعة حيث طلب الاطلاع على نسخة من الجريدة حتى يأذن بتوزيعها فأفهمناه أن هذا ليس من حقه وان بوسعه ان كان حريصا على قراءتها أن يشتريها صباح يوم الاربعاء من الباعة لكن الضابط الهمام أصر ، وأصررنا نحن فهددنا بالمصادرة والويل والثبور وعظائم الامور وسرعان ما احتشد في المكان عدد من الخبرين يرأسهم أحد حضرات الضباط وأرادوا منعنا من أخذ الأعداد لكننا رفضنا وقتلنا اننا سنقاومهم واننا سنكون في حالة دفاع شرعى اذا ما حاولوا الاعتداء علينا . وانتصرت الناس وخرجنا بالاعداد وسلمناها لشركة التوزيع ولكن البوليس حشد قواته وصادر الجريدة الوطنية في شركة التوزيع كلمة صغيرة نحب أن نقولها : نحن ماضون في أداء رسالتنا الوطنية بالرغم من كل شيء ولن تثنيينا المصادرة ولن يرجعنا الارهاب » .

ثم كاريكاتيران .. الاول بعنوان « عدالة وزير الداخلية » يقول الوزير فيه لمحرر الجريدة « انت تصدر عدد وأنا اصادر عدد » .

اما الكاريكاتير الثانى فهو صورة لسراج الدين ممسكا بمسدس يطلق منه النار على جريدة الناس والتعليق « الرجل الذى أحل لنفسه ما حرمه على الناس » .



وقد كانت الناس جريدة ميسورة الحال من الناحية المالية فأحمد شوقي الخطيب هو ابن ل أحد أثرياء حزب الوفد ومن ثم فقد صدرت في ست صفحات من القطع الكبير ومن مقر راق « ٢ شارع شريف باشا الكبير » . ولم تعتمد على الاعلانات ولم تدع قراءها الى التبرع كما كانت الصحف اليسارية الاخرى تصرخ في كل عدد من أعدادها وباختصار فهي مجلة ميسورة الحال وبلا مشاكل مالية ..



وقد صدر أول عدد من الناس كمجلة يسارية في قمة انطلاق الحركة الوطنية المصرية التى صاحبت عملية الغاء معاهدة ١٩٣٦ وبدايات الكفاح المسلح ضد الاحتلال الانجليزى ..

ولعل هذا الوضع قد ترك طابعه على صفحات الجريدة كلها .
فالمناشطات « عبد السلام جمعة باشا يقول : حلف البحر المتوسط :
كارثة على الشعب » .

« أمريكا تعمل للسيطرة على العالم اقتصاديا وسياسيا » .

« دماء المصريين تسيل في القتال برصاص الانجليز المجرمين » .

والافتتاحية بعنوان « لن نتراجع » بقلم أحمد شوقي الخياط المحامي . . .
في غمار الفرحة الشاملة التي اجتاحت البلاد اثر اقرار البرلمان لتشريعات
الغناء المعاهدة ، وفي وسط الابتهاج الشعبي لابتداء الصراع الحق ضد
المستعمرين انطلقت بالامس رصاصات آثمة مجنونة لتردى من اخوتنا في
الوطن عشرة قتلى وثمانين جريحا سقطوا جميعا شهداء أبرار فداء الوطن
وصرعى أعدائه . والمحتلون يريدون بهذا الاعتداء الوحشي أن يرهبونا ليونغفوا
طوفان الحركة الوطنية الذي بات يهددهم تهديدا مباشرا وأصبح قناب
قودسين أو أدنى من أن يكتسحهم ويقذف بهم في أعماق البحار حيث يذهبون
ولا يرجعون . المحتلون يريدون أن يدخلوا في روعنا اننا لا نستطيع ان
نفعل معهم شيئا وأنه حتم علينا أن نرضى بهوانهم ونصبر عليه ، الكفاح
المسلح ، هذا هو شعار اليوم ، شعار كل مصري ومصرية ، بل شعار كل
من يسعى الى تحرير وطنه من ريقه الاستعمار أينما كان وأينما ابتلى به
شعب من الشعوب وقد يتساءل الناس : وما الطريق الى الكفاح المسلح
الذي ندع اليه ؟ ولهؤلاء نقول : ان الطريق جلى واضح كونوا لجانكم
الوطنية في كل مكان من شمال الوادي حتى أقصى جنوبه وزودوها بالسلاح
الذي تحصلون عليه كما حصلتم عليه من قبل وكما حصل عليه كل شعب
عرف طريقه الى الحرية . . ثم أطلقوها لتتقوض كالصاعقة على أعدائكم من
القتلة والسفاحين الذين يدينسون أرض الوطن حول القتال . . » .

.. وبعد هذه المقدمة تقدم « الناس » نفسها للقارئ . . . وفي
غمرة هذا الصراع الهائل تصدر الناس وليبت جريدة الناس مشروعا صحفيا
يريد القارئون بأمره اشباع هواية خاصة في أنفسهم ولكنها سلاح نشره
باسم الوطن في وجه أعدائه ومنبر نقيمه للاحرار ليقولوا من فوقه ما يريدون
أن يقولوه لمراضئهم ولواء سيظل مزفوعا في سماء المعركة ما دامت المعركة
ذائنها دائرة الرحي . . وما دام الشعب في مصر قد صمم على نيل
الحرية . . » .

ونحت عنوان « يا ناس » يكتب مرسى الشافعي . . « بدأت مصر كفاحها
الصالح للنضال من الاستعمار الغربي ووقف الشعب جميعا صفا واحدا
متحفا فلانقضاض على العدو واذا كان الشعب قد أحس بخطر هذا العدو
الغربي فهو لا بد يعي ان هناك عدوا أكثر خطرا وأشد بطشا بمصر من الاستعمار
الغربي ذلك هو الاستعمار الداخلي أو المحلي . »

ان لهذا الاستعمار المحلى الوانا عديدة أكبرها خطرا هو تلك الصد ،
التي ترعرت في أحضان الانجليز منذ وطئت أقدامهم أرض مصر وأن المتتبع
للدور الذى تلعبه الصحف في مصر اليوم في معركة الكفاح ليلحظ بوضوح
ان صحفا معينة جعلت من نفسها حربا على الشعب تحاول أن تفت في
عضده وتتنى من عزمه هذه الصحف يجب أن يكافحها الشعب في مصر كفاحه
للاستعمار الغربى فلا خير في التخلص من استعمار تبقى جذوره عميقة
في أرض مصر .

اما زكى مراد فيكتب تحت عنوان « جائزة السلام للشعب المصرى »
.. . عادت الى الخلف أنباء كوريا ومعاهدة اليابان وتسليح ألمانيا في
صحافة العالم لتبرز في قوة أنباء الشرق الاوسط .. أنباء ايران ومصر ..
ذلك أن ما حدث في ايران أولا ثم في مصر ثانيا كانا أكبر حدثين في هذا
العام ذلك انهما كانا الاجابة على علامة الاستفهام الضخمة التى كانت
تقف محيرة عين العالم كله . فما هى ايران لا تتأخر ولا تخيب آمال شعوب
العالم فتقوم بترولها وتطرد المستعمرين شر طردة وما هى مصر لم تتأخر
ولم يخب ظن أصدار السلام والحرية فيها فقد تحرك شعبها فحرك
حكومته ومزق صك الاذلال والاستعباد ووقف يستعد لنضال عنيد ضد
قوات الاجرام الانجليزى .. » .

وبعد ان يدين رضى مراد الاقتراح الرباعى بنظام دفاعى عن الشرق
الاوسط يقول « فليحذر الشعب المصرى كل تردد أو انهزام يدعونا الى مد
أيدينا الى امريكا وانجلترا أو احدى تابعاتها الذليلات وليعلن موقفه واضحا
مع أولئك الذين يؤيدون نضاله من أجل حريته وسلام العالم مع الاتحاد
السوفييتى والصين الشعبية وكافة الدول التى تؤيد حقوقنا الوطنية ..
لقد استحق الشعب المصرى عن جدارة جائزة السلام لهذا العام فليستمر في
نضاله المقدس لطرد القوات المعتدية من قنال السويس انجليزية كانت
أو امريكية وليدبر شئون حياته بنفسه فيقضى بذلك على أحلام دعاة الحرب
ويبنى مستقبله في ظل السلام والرخاء » .

ثم موضوع بعنوان « الطليعة الوفدية » موضع باسم « الطليعة الوفدية »
ولقد أشرنا من قبل الى هذا المقال وكيف أنه يعلن أن « الناس » تتحدث
باسم « الطليعة الوفدية » أو بالدقة ان الطليعة الوفدية تنشر آراءها
ومواقفها وأخبار لجانها ونشاطها على صفحات الناس ويمضى هذا المقال
ليؤكد « ولديست الطليعة الوفدية غريبة عن الصحافة فقد كانت تصدر
محلتيها الوطنية المعروفة » رابطة الشباب » عام ١٩٤٧ « تفيض بالمقالات
الوطنية ويحررها شباب الوفد أمثال محمد صبرى أبو علم والدكتور محمد

مندور والدكتور عزيز فهمي وقد دأبت تلك المجلة على كشف المؤامرات الرجعية التي ارسل منها تكبيل الشعب بقيود العبودية والاستغلال . . . » ويمضى المقال فاثلا « واليوم اذ تصدر الناس لتعبر عن الحركة الشعبية فالطليعة الوفدية تضى في أداء دورها التاريخي الذي تستمده من نراثها الوفدى السليم جنباً الى جنب مع المناضلين الاحرار الذين وضعوا نصب أعينهم طرد الاستعمار البريطاني العجوز والاستعمار الامريكى لزاحف وتحقيق الحريات السياسية للشعب ورفع مستوى حياة الطبقات الشعبية » .

ولا يخلو لمقال من تعريض بالحكومة الوفدية ومشاريها . . . » والظليعه الوفدية التي كافحت في عهد الارهاب البغيض واستمر كفاحها ضد قوانين المشبوهين السياسيين ومشروع المادة السادسة ومشروع النقطة الرابعة ومشروع زيادة سعر الرغيف وتشريعات خنق الصحافة الى ان قضى على معظم هذه التشريعات ، والظليعة الوفدية وهذه غايتها وهذا أسلوبها تعاهد الشعب الى أن تستمر على صفحات هذه الجريدة طبقاً لبرنامجها الوطني الواضح الصريح ولن تحيد عنه » .

هذا الانتماء الوفدى المشوب بالانتقاد لسياسة الحكومة الوفدية يتميزز الاحساس به في أكثر من مكان من الجريدة التي تضى في انتقادها لبعض العناصر الوفدية . . . ففي باب أخبار بعنوان « مع الناس » نجد خبراً يعرض بأحد قادة الوفد « اشترى عبد الحميد الوكيل بك عماره النمى بميدان قصر الدوبارة بمبلغ ٢٥٠ ألف جنيه دفعها كاملة نقداً وعدا » .

بل هي تضى في نفس الباب في انتقاد سياسة الحكومة الوفدية ككل « يقال أن هناك خطوات اتخذت بالفعل لبعث فانون المشبوهين السياسيين الذين أعدمه الشعب في بدء قيام الحكومة الوفدية وان هناك ترتيبات لاعادة المعتقلات للموظفين في الواحات . ان جماهير الشعب التي دكت الحكم العرفى وعصفت بفانون المشبوهين السياسيين قادره على أن توقف كل قيد استبدادى يراد تكبيلها به » .

ودفاعاً عن العمال ضد عسف بوليس الحكومة الوفدية « يلقي العمال الذين يسعون في تكوين نقابة لهم في شبرا الخيمة كل عسف من البوليس وقدكان آخر ما رماهم به أن قبض على عدد كبير منهم بتهمة التحريض على الاضراب » ثم نجد خبراً بالغ الدلالة . . . اذا ما أردنا أن نقارن بين التوجه السياسى لهذا العدد . . . وبين العدد الثالث فالخبر يقول « تقوم سكرتارية لجان للقاهرة لانصار السلام باتخاذ العدة لاصدار نشرة شعبية للانصار . . . وستصدر قريباً بياناً ضد الاحلاف » .

وسنرى في العدد الثالث ما هو الموقف الجديد الذي اتخذته « الناس »
أزاء حركة السلام . .

٠٠ على أية حال لا بد من الإشارة الى مقال أخير في هذا العدد كتبه
أحمد أبو الفتح رئيس تحرير المصري وأحد الصحفيين الوفديين البارزين
بعنوان « هل ندافع عن قوم استعمرونا » يرفض فيه بحزم أى تحالف مع
الاستعمار ، ان كل دولة تشترك في حلف يجب أن تبحث عن عدوها الاول
فتتشترك في حلف ضده وأنا أسألك هل يوجد لمصر عدوا أكبر من الاحتلال
الانجليزى ؟ » ويحرص أحمد أبو الفتح على أن يقول « لقد قبيض الله لمصر
زعيمًا وطنيًا جريئًا استطاع أن يقف في قوة وعزم ضد الاستعمار الخبيث
وضد الصهيونية الدنيئة والواجب علينا ألا نضيع الوقت مباءا في بحث
مثل هذه السخافات من أحلاف وغير أحلاف وأن نكرس كل جهودنا في محاربة
أعداء البلاد » (٢) .

ومانشئات العدد الثالث « أيها المواطنون الاحكام العرفية في الطريق
العمال والطلبة يعملون تكوين اللجان الوطنية » .

اما الافتتاحية مايسا بقلم أحمد شوقي الخطيب وعنوانها « الأمر لمن ؟ »
في مايو ١٩٤٨ وقف النفرأشى باشا يطلب الى البرلمان اعلان الاحكام العرفية
باسم المصلحة العليا للبلاد ومن أجل حماية مؤخرة الجيوش المصرية وكقائب
المجاهدين في فلسطين ، وتم للنقراشى ما أراد وسرعان ما وضع للناس أن
هذه الأحكام العربية انما أعلنت لضرب الحركة الوطنية . . واليوم
يراد بالبلاد ما يريد بها بالامس . اليوم تريد الحكومة أن تعلن الاحكام
العرفية متذرعة بالحجة العتيقة البالية . . حجة العمل على استتباب الامن
الداخلي دستنرة وراء قناع عريض من الجهاد الوطنى ضد المستعمرين . . ،

وتمضى الافتتاحية مؤكدة ان « امن الشعب في ان يخلى بينه وبين
مستعمره ليندفع في نضاله حتى يسحقهم سحقا . امن الشعب في قيام
تنظيماته الشعبية يعبثا ويحشدها ليخوض بها وتحت لوائها معركة الحرية
الكبرى أما الحكومة الانى تدعوه - وهو على أهبة معركة جبارة يخوضها ضد
مستعمره - الى الهدوء والسكينة فاذا لم يستجب أطلقت عليه النيران -
هذه الحكومة حكومة لا تريد أن تساير الحركة الوطنية وتأتى الا العمل
على القضاء عليها » .

وإذا كان هذا الهجوم على حكومة الوفد من مجلة تقول انها تعبر عن آراء ومواقف الجامعة الوطنية يبدو غريباً ومبالغاً فيه . . فسان الافتتاحية تمضى فائلة « وبعد فان « الناس » تقول للمواطنين ان حريتهم كل متكامل رانه يستحيل عليهم أن ينازلوا أعداءهم وسواعدهم مشدودة الى ظهورهم وانفواهم تلجئها القيود . « الناس » تقول للمواطنين : ناضلوا ما وسعكم النضال ضد هذه المحاولة الآثمة لتدمير حرياتكم والقضاء على حركتكم الوطنية فليحدثد الوطنيون ولتجتمع اللجان الوطنية وليعلن الجميع في قوة واصرار انهم قد عقدوا العزم على النضال الى النهاية حتى يصروا ما يدبر لهذا الشعب من مؤامرات » (٤) .

ثم هناك ذلك التحول في الموقف من حركة انصار السلام . . فأحمد رشدي صالح يكتب تحت عنوان « الكاتب لا تعبر عن ارادة انصار السلام » حبيما تدفقت جماهير الشعب الى المظاهرات الوطنية ضد قوات الاحتلال المعتدية وضد المشروعات الامريكية الطاغية وضح ان الطريق الذي يسلكه جماهير شعبنا نحو الاستقلال والسلام العالي « ومنذ اللحظة الاولى تلفت صحف معينة وصحفيون معينون نغمات المستعمرين فأبرزتها وتبريرات الحكومة لصرب الحرية فروحتها ودافعت عنها وكانت مجلة الكاتب التي اختار شعارها للحرية والسلام بين هذه الصحف التي أيدت وقف المظاهرات فامضى رئيس تحريرها سعد كامل بيانا يدعو فيه الشعب الى السكينة . وفي عديدها الاخيرين قامت الكاتب بدعاية مستمرة للحكومة الوفدية وصورت وزيرى الداخلية والخارجية وكأنهما مثال الوزراء الذين يجدر بالشعب ان يثق فيهما في حين أن البوادر تقطع بأن هناك نظام حكم رجعى يهدف الى الانتكاس بمصر الى عهود الاحكام العرفية الاسود » .

٠٠ وبمضى رشدي صالح بعد ان يصف حكومة الوفد (بعد ان ألغت معاهدة ١٩٣٦) بأنهب نظام حكم رجعى ليقول « لقد كان انصار السلام ينتقدون مجلة الكاتب من قبل لانها درجت على اتخاذ موقف حزبي ، موقف التحالف مع أحزاب معينة هي مصر الفتاة والحزب الوطنى والاخوان المسلمون وموقف المهاجمة لحرب الوفد . . وكانت الكاتب بهذه السياسة لا تعبر عن سياسة السلام الذى يجب أن تنأى عن الاشتراك في معارك كل يوم السياسية ولكن ها هي ذى تنحاز الى تيار سياسى ممثل في الحكومة تبار يعارضه كثيرون من انصار السلام وممن يمكن أن يكونوا من انصار السلام » . . وهكذا بمكننا أن نفهم لماذا انتقدت « طليعة العمال » مثلاً

احد اقطابها وادانته ولعل السبب لم يكن هجومه على حدثه فهذا امر مرغوب فيه ، واما لانه قد تجاوز الحد بالنسبة لمنظمة كظليعية العمال ذات علاقة وثيقة بمعيد من الدوائر الوفدية ، في انتقاد الحكومة الوفدية .

ولم يكن هذا هو الهجوم الوحيد . فقد غيرت الناس سياستها وحولت هجماتنا من عدو الى عدو آخر فهي تقول : « صرح الاستاذ محمد رشدي عمر المحامي بأنه تماهد الاستاذين أحمد حسين ويوسف حلمي صاحب مجلة الكاتب يطالبان فؤاد سراج الدين بالتوقيع بصرف قيمة جميع الاعداد المصادرة من مجلتيهما وعهر سراج الدين الررقتين اللتين قدمتا له بتوقيعه » .

ثم هجوم مركز على أحمد حسين والحزب الاشتراكي ، صرح أحمد حسين بعد مقابلة لفؤاد سراج الدين بأنه يؤيد الحكومة كل التأييد وانه مطمئن تمام الاطمئنان الى وسائلها الايجابية في طرد المستعمرين » .

و « عطل الاستاذ أحمد حسين من تلقاء نفسه مجلة الاشتراكية في يوم الأحد حتى يجردا من كل ما يجرح الحكومة ووزرائها » .

وأخيرا . . . نقل أحمد حسين اكليشيهات مجلته من مطبعة الاساس التي كان يضعها بها الى مطبعة البلاد التي يملكها فؤاد سراج الدين » .

وبرغم هذا الهجوم على أكثر من اتجاه .

– الهجوم على الحكومة الوفدية .

– الهجوم على حدو . . وعلى حركة أنصار السلام .

– الهجوم على أحمد حسين والحزب الاشتراكي .

نجد « الناس » تدعو وفي الحاج الى تشكيل اللجان الوطنية ، ما أن شهدت ساحة جامعة بؤاد الأول يوم الاحد مؤتمرها الضخم الذي تواءم عليه العمال والطلبة والشباب الوطني والذي أعلن فيه تكوين اللجنة التحضيرية للجبان الوطنية حتى سرت الموجة الى المعاهد والمصانع والاحياء فتكونت في خلال أيام غلبه لجبان وطنية بكلليات الحقوق والهندسة والطب والفنون وباحباء الازهر وعابدين والدائرة السابعة وبولاقي وشبرا وغيرها .

وأعلنت اللجنة التحضيرية برنامج اللجان الذي ينصب على ما يلي :

١ – طرد الانجليز بالقوة .

٢ – تأييد السلام الأعالي .

٣ – رفض الأحلاف الاستعمارية الامريكية والانجليزية .

٤ – عقد معاهدة صداقة وتعاون مع الاتحاد السوفيتي .

٥ – اطلاق انحرابات والغاء القوانين المقيدة للرأى والتنظيم الشعبي .

٦ - الغاء قانون حمل السلاح .

٧ - الافراج عن المدجونين السياسيين .

٨ - الغاء البوليس السياسى ومحاكمة المسئولين فيه عن هتك الحريات والاعتداء على الشعب » .

٠٠ أما ، الطليعة الوفدية ، فلم تزل قادرة على التعبير عن نفسها « تجتاز البلاد فترة حرجة من تاريخ حياتها فالشعب متأهب لدخول المعركة ضد المستعمر الغاصب بينما القوانين الرجعية تسلط عليه وتحول بينه وبين الخلاص وقد وضحت الطليعة في بيانها السابق ان الغاء المعاهدة يعنى اطلاق الحريات السياسية .

وقد تجددت اليوم الدعوة سافرة لكبت الحريات بطرق مشروعة وغير مشروعة ونسالبب صريحه وغير صريحة » .

وتمضى الطليعة الوفدية « مؤكدة » ان أى سياسة من شأنها تقييد الحريات تخالف تماما سياسة الوفد الذى يدافع عن الدستور ويتممك ببندوه ونصوصه ولقد أعلن رفعة الرئيس الجليل هذه المبادئ أكثر من مرة ٠٠ » .

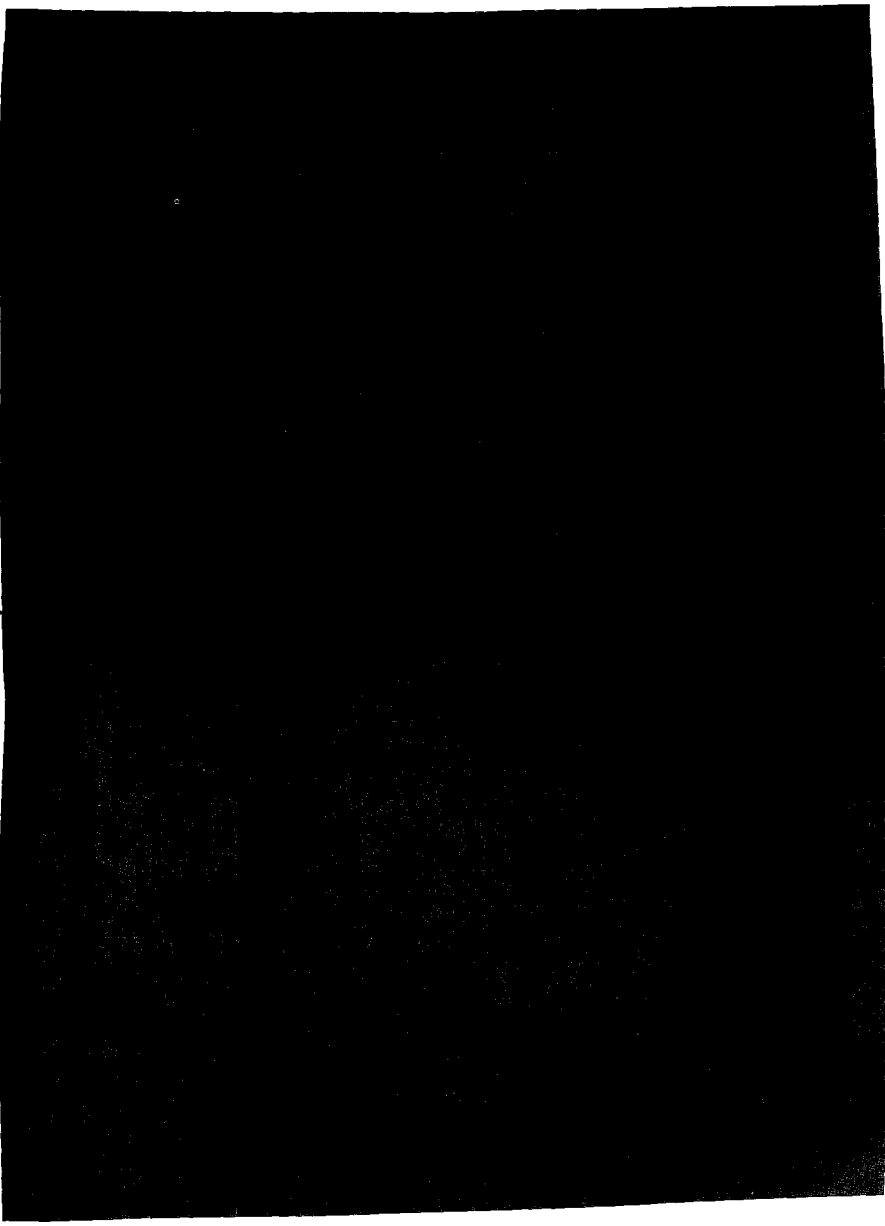
واخيرا تقول الطليعة الوفدية « ان الشعب الان يقول كلمته صريحة عالية مدوية ٠٠٠ أن أطلقوا الحريات » .

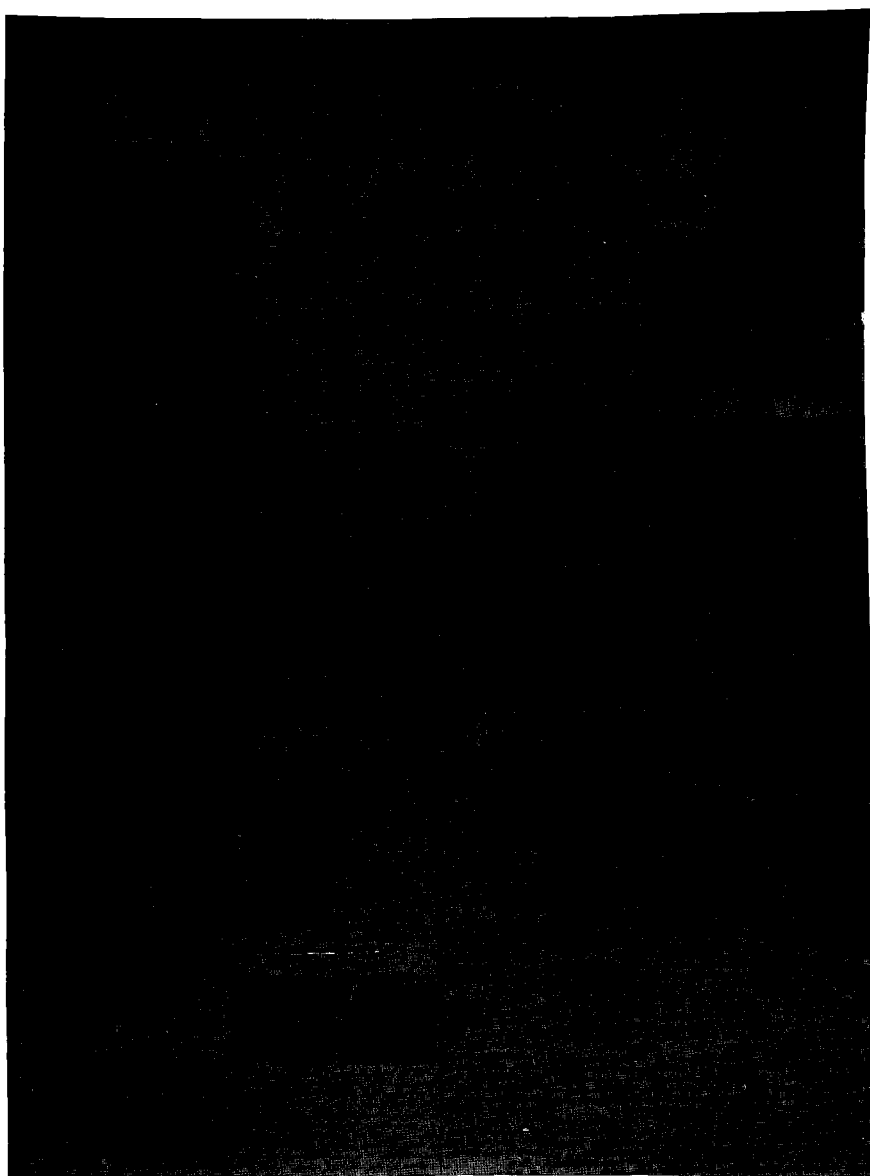
٠٠ . واذا كان من الغريب أن تنشر الطليعة الوفدية مقالا كهذا ضد حكومة الوفد مهما تمسحت برفعة الرئيس الجليل فهو نفسه رئيس وزراء الحكومة التى تدّينها « الناس » فى هذا المقال وفى غيره ٠٠ فانه لم يكن غريبا أن تمقت المصادرة لتشمل « الناس » مهما تمسحت بالوفد أو تستمرت نحب أسماء وفدية ٠٠

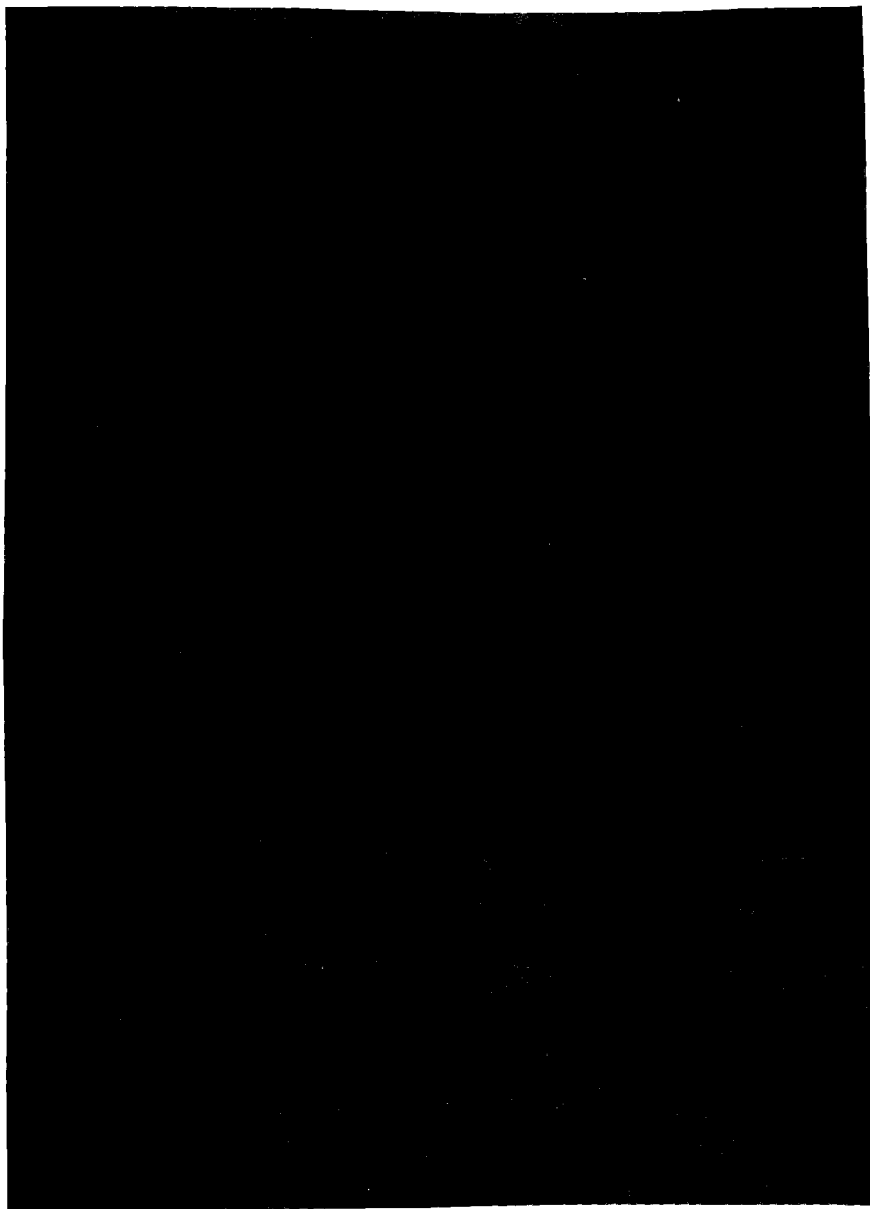
وعلى أية حال فقد توارت « الناس » .

ولم نعايد الصدور .

الملايين







« أحمد صادق عزام ، شاب وطني أحس بضرورة أن يؤدي خدمة لوطنه في تلك المرحلة المتفجرة بالاحداث . كان معاديا للاستعمار ، ومعاديا للسراي ، وكان يقف مع الجماهير . . . ولهذا وقفت عائلته ضده ، وكان معظم كبار العائلة يفاوضونه ابتداء من عبد الرحمن عزام باشا الذي كان بقرعهم الهجوم عليه الى بقية كبار العائلة . . . وظل هذا الموقف المعادي له من عائلته مستمرا . . . حتى بعد أن توقفت الملايين عن الصدور . . . بل وحتى وفاته . . . وفي جنازته كان هناك من عائلة عزام عدد من الشباب . . . أما الكبار فقد كانوا عند موقفهم القديم منه وقاطعوا حتى جنازته ، وكان هناك عمال وفلاحون وطلاب من حطوان . . . ومناضلون عرفوا قد أحمد صادق عزام فودعوه حتى مشواه الأخير » (١) .

أما كيف بدأت الملايين ، فيروى زهدى أحد المشاركين الاول في إصدارها .
 . . الرواية التالية :

« . . أنا كذت وثيق الصلة بمأمون الشناوى وكنت أزوره في منزله وأنا لم أزل طالبا وكان هو محررا بآخر ساعة وكان مجلسه الذي ينعقد في منزله مجلس سمر وفكاهة وكان يحضره آخرون منهم أحمد البدينى وحسين فهمى . . . وذات يوم قدم البدينى الى مأمون الشناوى في حضوري شابا من أسرة عزام العربية يريد اصدار مجلة أسبوعية . . . والتقينا مأمون الشناوى وصاحب الترخيص أحمد صادق عزام والبدينى وحسين فهمى وأنا ومعنا صلاح حافظ وكان لا يزال طالبا بكلية الطب وناقشنا فكرة اصدار 'المجلة' . . . واستأجرنا شقة في عمارة الشمس ناحية البكتديان وبدأنا العمل واتقنا أن تكون هيئة التحرير من صادق عزام رئيسا للتحرير بصفته صاحب الترخيص ونحن الأربعة مأمون الشناوى وحسين فهمى وأنا وصلاح حافظ وتوليت أنا الرسم والتوضيب وتولى الثلاثة الآخرون مهمة التحرير » .

- مأمون الشناوى . . . ليس بحاجة الى تعريف ولا علاقة له باليسار .
- حسين فهمى . . . صحفى وطنى ، محرر بجريدة يمينية (الزمان)

١ - محضر نقاش مع زهدى ابراهيم العدوى - أجريت المناقشة يوم

١٩٨٠/٥/٢٤

وحتى ذلك الحين لم يكن من الممكن اعتباره يسارياً .

- زهدى . . رسام وطنى أيضاً . . لا علاقة له - حتى ذلك الحين
بأى تنظيم يسارى (٢) .

- أحمد صادق عزلم . . قدمه لنا صديقه وزميله فى إصدار الملايين . .
زهدى ونضيف أنه كان - حتى ذلك الحين - أحد شباب الحزب الوطنى
(اللجنة العليا) .

ولم يكن هناك ماركسى واحد فى هذه المجموعة . . الا صلاح حافظ طالب
بكلية الطب يهوى الصحافة وكان على علاقة بحدثو . .
. . هكذا كانت البداية .

ولهذا يمكن القول ان الملايين فى أعدادها الاولى لم تكن أكثر من مجلة
وضنية الاتجاه . . معادية للاستعمار وذات توجهات اجتماعية عامة . .
أما القصر الملكى فقد تملقته الملايين فى أعدادها الاولى كمعاده الصحف غير
اليسارية فى هذا الزمان . .

مضى فلب افتتاحية العدد الاول نجد بـروازا بعنوان « أمل » . . ان
زواج الملك فاروق الذى تستعد البلاد للاحتفال به هو الامل الذى تنطلق
اليه الملايين من المصريين . . انهم يستبشرون بهذا اليوم السعيد ويتطنعون
الى عهد جديد من الحرية والكرامة والاستقرار انهم يرجون أن تكون هذه
المناسبة السعيدة نجرا يبدد الظلام الحالك الذى يتخبطون فيه وهم
يسهبون على مختلف العهود والحكومات مآسى الرشوة والمحسوبية واستغلال
النفوذ . ان الملايين لتتجه الى الملك الشاب فى حياته الجديدة السعيدة وهى
تعلم أنه أقدر أبناء النيل على الاستجابة للوعى الشعبى الجديد وترجييه
دفة الحكم الى الطريق القويم . سوف تكون ليلة ٦ مايو ليلة تنهزم فيها
جيوش الظلام لا بالصواريخ التى ستجعل القاهرة كلها شعلة من النور ،
بل بالامل الباسم فى ملك شاب وطنى عظيم « (٢) .

وفى العدد الثالث نقرأ تحت عنوان « فرحة الملايين » . . « تحتفل
البلاد اليوم بعيد جلوس الملك ، وبيوم زفاف الملك ، ونعلن الحكومة عن ولائها
رابذهاجها فى هذين العيدين فتقيم الزينات على دورها وتطلق الصواريخ فى
المساء لقضى القاهرة ليلا بطوله » .

لكن الامر يختلف هنا بعض الشيء ، فالملايين نتخذ توجهها اجتماعيا

٢ - المرجع السابق .

٣ - الملايين - العدد الاول - ٢٢ ابريل ١٩٥١

واضحاً في اطار مديح الملك ٠٠ بل لعلها تتخذ من مديحه سبيلاً لادانة النظام بأكمله : « والملك المحبوب يسعده أن يدخل النور الى كهوف مظلمة يسكنها الملايين من المصريين ليضيء جنباتها الكثيبة كل ليلة لا ليلة واحدة وتأمّر وزارة التموين بزيادة مقررات السكر والزيت والدقيق في هذا الشهر ابتهاجا بالعيدين ٠٠ والملك المحبوب يبهجه أن تكون هذه الزيادات في مقررات التموين كل شهر لا شهراً واحداً وأن يجد أفراد شعبه ثمن هذه المقررات ٠٠ وتتقدم الهيئات المصرية بالهدايا الى أعتاب الملك فرحة بهذا اليوم والملك المحبوب يفرحه أن تكون الهدايا التي تقدم الى أعتابه معاهد ومستشفيات ومشاريع لاسعاد شعبه العزيز ٠٠ وتطعم لجنة الاحتفالات العامة بالقاهرة عشرين ألفاً من الفقراء ابتهاجا باليوم السعيد ٠٠ والملك المحبوب يتمنى أن يأكل عشرون مليوناً من المصريين طوال العام وكل عام ٠٠ »

وتمضى « الملايين » في الضرب تحت الحزام كما يقولون « ٠٠ وفي السجنون المصرية اليوم مئات من المسجونين السياسيين ضحايا الرأي ، والعذاب الذي يعانونه في جحيم السجن ليس بأشدّ ألماً على نفوسهم عن أن يحرموا مشاركة البلاد أفراحها في مثل هذا اليوم السعيد . ان الملايين في هذا اليوم وهذا اليوم فقط تغفر للحكومة عجزها لانها سعيدة بجلوس الملك وبيوم زفاف الملك وبالدعاء من قلبها للملك وادي النيل بالتوفيق في خدمه وادي النيل « (٤) .

٠٠ والفارق واضح بين العديدين الاول والثالث .

لقد كانت الملايين تسرع في اجتياز الحد الفاصل بين الصحيفة الوطنية وبين الصحيفة الوطنية ذات التوجه الطبقي واليسارى .

وقد صدرت الملايين في مجموعتين ٠٠

الأولى هي موضوع هذه الدراسة وصدر منها ثلاثون عدداً الأول في ٢٢ أبريل ١٩٥١ والاخير في ٢٦ ديسمبر ١٩٥١ .

وبعدها توقفت الملايين تحت وطأة أزمة مالية عنيفة وبسبب المصادرات المتعددة التي وصلت الى حد مصادرة تسعة أعداد من مجمل الثلاثين عدداً التي نحاول دراستها الان .

ثم عادت الملايين للصدور في مجموعتها الثانية بعد ثورة ٢٣ يوليو .

٤ - الملايين - العدد الثالث - ٦ مايو ١٩٥١ .

ويروى أحمد صادق عزام قصة إصداره لمجلة الملايين . . تحت عنوان « حديث الملايين » عندما ناقشت اللجنة العليا للحزب الوطنى مشروع إصدار جريدة ، وطرحت للبحث فكرة إصدار مجلة اللواء الجديد من جديد ، كنت حاضرا هذا الاجتماع وسمعت كثيرا من الآراء التى أبدت فيها . وكانت جميع هذه الآراء ترمى الى إصدار مجلة صغيرة لا يمكن لإنسان إلا أن يسميها نشرة وقالوا ان هذه هى امكانياتنا ، يومها ثرت وقلت ان هذا كلام لا يمكن أن يقال وان امكانياتنا لا يمكن أن تكون هزيلة الى هذا الحد وأن توضحياتنا لا يمكن أن تهبط الى هذا المستوى ولست أذيع سرا اذا قلت أنه كان لى نصيب متواضع فى صدور اللواء بوضعها الحالى وكان على أن أقوم بمجهود خاص يضاعف الجهود الوطنية فأقدمت على إصدار جريدة الملايين فى وقت عز فيه الورق وكثرت فيه المضايقات والمطاردات والتحقيقات والحاكمات . أقدمت غير هيباب ولا وجل ومزمعا أن أضع يدي فى يد جميع الوطنيين الاحرار فى هذا الشعب المغلوب على أمره فأصدرت الملايين فى اثنتى عشرة صفحة كبيرة فى حجم الجرائد اليومية وحشدت لها كل ما أستطيع حشده من الوسائل الحديثة ، وكان للاعداد الضخم الذى قدرنا استطيع حشده من الوسائل الحديثة ، وكان للاعداد الضخم الذى قدرنا على بنائه للملايين من أجل الملايين المغلوبة على أمرها أثره الكبير فى تلك الموجة من جرائد الرأى التى تتابع معركتها فى حماسة غياضة ووطنية دافقة نهز الاستعمار والرجعية » .

ويمضى صاحب « الملايين » قائلا . . « ونحن لا يمكن أن نتخذ الصحافة كما يتخذها هؤلاء الذين يقيمون شاهق العمارات وشاسع المطابع . . أولئك الذين يقيسون النجاح الصحفى بمقدار ما يكسونه فى البنوك من أقوال وما يركبونه من سيارات أمريكية من آخر طراز . نحن نفهم الصحافة على أنها مهمة وطنية سياسية . . نحن ننخذ من القلم سلاحا نشنه فى وجوه المستعمرين والمستبددين » (٥) .

وقد تعرضت الملايين كغيرها للمصادرة والملاحقة ومحاكمة رئيس تحريرها . .

ونروى الملايين قصة مصادرة العدد السابع (٣ يونيو ١٩٥١) . . « كيف صودرت الملايين » . . « هناك جرائد يهم الحكومة الوفدية عندما تصادرها أن تتلکأ فى مصادرتها حتى يمكن توزيع معظم أعدادها وهناك جرائد بالذات يهتم البوليس السياسى بأن يتربص بها فيستولى عليها قبل أن يتسرب منها عدد واحد الى القراء ، وذلك لان هذه الجرائد خطيرة فى

نظرة . خطيرة عليه ، وعلى الحكومة التي تستخدمه وعلى الاستعمار الذي يستخدم الاثنين ، وهكذا اقتحم البوليس السياسى المطبعة ليستولى على العدد الماضى من جريدة الملايين ، هاجم البوليس السياسى أعداد الجريدة قبل أن تغادر المطبعة التى تطبع فيها وحاضرها من جميع الجهات حتى لا تتسلسل نسخة واحدة من الجريدة الوطنية الى أيدي القراء . وظل الحصار قائما حتى اطمأن البوليس السياسى تماما الى أنه قام بمهمته خير قيام . وذهب لينام هادئ البال . . . ورغم هذا الحصار الدقيق فقد تسربت الملايين الى أيدي الباعة تسربت اليهم بطريقة لا نحريها نحن ولا يحريها البوليس السياسى . ان للملايين أصدقاء ومناصرين لا تعرفهم هى ولا يعرفهم البوليس السياسى . . . وأسقط فى يد البوليس السياسى فاستيقظ من نومه مذعورا . وجرى حملة على باعة الصحف ينتزع منهم ما استطاع انتزاعه بل مضى ينتزع من أيدي القراء أنفسهم ما يلحقه من أعداد معهم . . . وكان لا بد من مبررات يستند اليها فى المصادرة ووجد بغيته لسوء الحظ فى خبر أو خبرين تعلل بهما ليؤيد وجهة نظره أمام رئيس محكمة مصر وأفرج رئيس المحكمة عن الجريدة بعد أن طلب رفع الخبرين « (٦) » .

وفى نفس العدد يكون « حديث الملايين » - نفس الموضوع . . . « منذ رأيت حريدة الملايين النور كانت ولا تزال تؤمن بأن من حق قرائها عليها أن تقدم لهم أصح الأخبار مهما بذلت فى هذا السبيل من مال وأنفقت من جهد » .

. . . وفى يوم الأحد الماضى صودرت الملايين فاحتجبت عن قرائها برغمها واليوم تعود الملايين الى القراء لتتمسج على منوالها القديم الذي قطعته على نفسها وتؤدى رسالتها كاملة غير منقوصة . . . ولن تستطيع المصادره بما تستتبعه من خسائر مادية فادحة أن تنال من صدق عزيمة الملايين ولا من حسن قصدها »

واذا كان من حسن حفظنا أن نثر على نسخة من العدد السابع الذى صدره البوليس فان المجموعة الخاصة التى لدينا ينقصها العدد الخامس (المفترض صدوره فى ٢٠ مايو ١٩٥١) والغريب ان هذا العدد غير موجود أيضا فى المجموعة المودعة بقسم الدوريات بدار الكتب والوثائق القومية كذلك فان هذه المجموعة لا يوجد ضمنها العدد الرابع عشر (٢٢ يوليو ١٩٥١) ولكن هذا العدد موجود فى مجموعتنا الخاصة وإن كان ناقصا أربع صفحات داخلية . . . وهكذا فان دراستنا هذه سوف تنصب على مجمل الثلاثين عددا التى

تكوّنت منها المجموعة الاولى باستثناء العدد الخامس .. وأربعة صفحات داخلية من العدد الرابع عشر .

* * *

وقد صدرت الملايين في اثنتى عشرة صفحة من النطع الكبير (حجم الجريدة اليومية) وفي برواز على يمين الصفحة الاولى أكليشييه باسم الجريدة « الملايين - سواد الشعب » ويحيط بالاسم برواز في شكل حلقات سلسلة كرمز للقيود التى تكبل الملايين والثمان عشرون مليما وفي الصفحة الثانية .. « الملايين »

- جريدة سياسية أسبوعية مصورة .

- صاحبها ورئيس تحريرها : أحمد صادق عزام المحامى .

- ٩٣ شارع القصر العينى « .

وعندما اشتدت الازمة المالية « بالملايين » اضطرت الى ترك هذا المقر الخاص .

وقد أنفق أحمد صادق عزام حوالى خمسة آلاف جنيه على اصدار الملايين وهو مبلغ ضخم بمقاييس تلك الايام لكننا نلاحظ ان جزءا كبيرا منه ذهب فى حملة اعلامية ضخمة سبقت اصدار الجريدة وهى حملة تسبب الدهشة لكل من يتتبعها على صفحات الجرائد اليومية الصادرة قبل ولادة الملايين ..

كذلك يبدو أن المسؤول المالى للجريدة لم يكن حريصا حرصا كاميا على أموالها . يقول زهدى العدوى فى محضر النقاش معه « والشخص المسؤول عن الادارة بدد ميزانية الجريدة وكان يصل الامر أن العدد موجود فى مطبعة الزمان وتحتجزه ادارتها حتى سداد الفاتورة وكان أحمد صادق عزام يرسل صديقا له ليمر على بيوت أقاربه وأصدقائه بيتا بيتا ليستدين ما يكفى لتسديد فاتورة الطبع » .

.. كان هذا ابتداء من العدد الخامس تقريبا .

وبعدها بدأت حدثو محاولتها لتعزيز تمويل الجريدة ..

لكن الثلاثين جنيها التى كانت تدفعها لاصدار البشير أسبوعيا لم تعد تكفى بأية جال لاصدار جريدة ضخمة كالملايين وهكذا تبدأ الجريدة فى الاستنجااد بقرائها ..

٧ - محضر النقاش مع زهدى العدوى - المرجع السابق .

وفي العدد الثالث عشر مقال بالبنط الكبير في صدر الصفحة الاولى .
« الملايين تستنجد بالملايين » .

« هذه الجريدة لا تعيش على حساب أحد . الا اذا جاز لنا أن نقول انها تعيش على حساب الشعب نحن لانعيش كما تعيش معظم الجرائد الاخرى على الاموال من السفارات الاجنبية وفي مقدمتها السفارة الأمريكية وسفارة انجلترا ، ولا على المصاريف السرية التي تقدمها وزارة الداخلية الى الصحف المأجورة والتي اتخذت من صفحاتها مجالا للتضليل والدعاية الاستعمارية والمحاولة للتغريب بالشعب المصرى وغيره من الشعوب التي تتنافس من أجل استقلالها وحريتها نحن اذن من الشعب وللشعب ولذلك يهمننا ان نصارح الشعب بكل شيء . ان اصدار هذه الجريمة الضخمة يتكلف أموالا طائلة لا قبل لنا باحتمالها وخاصة اذا أخذنا في اعتبارنا غلاء الورق الفاحش واذا لم نسقط من اعتباراتنا أيضا المصادرات الحكومية التي عاذتناها وسنعانيها . من أجل هذا نحن نناشد قراءنا الوطنيين أن يهبوا لنصرة جريدتهم التي تواطأت جميع القوى الاستعمارية الرجعية على محاربتها واخماد صوتها وان هذه المناصرة يجب أن تترجم الى نقود . جنيتها وقروش . مليمات كل ما تستطيعون أن تدفعوه حتى يمكننا أن نواصل الرسالة الوطنية التي أخذنا على عاتقنا القيام بها . لا ان صوت الملايين لن يخمد . لان الملايين ستمسارع الى نصره الملايين » (٨) .

وفي العدد السابع عشر (١٢/٨/١٩٥١) مقال بعنوان من المحرر الى القراء موقع باسم عبد العزيز بيومى يقول « جاءتنى خطابات كثيرة من القراء يعبرون فيها عن عطفهم البالغ وعن حرصهم الشديد على الملايين ومطالعتها باستمرار في صبيحة كل يوم أحد ويبدون استعدادهم للمساهمة في تدعيم ماليتها عن طريق التبرع بكل ما تملكه أيديهم من جنيتها وقروش وملاليم . واننى أهنيء القراء بهذا النوع المتأجج الذى دفعهم وما زل يدفعهم بقوة وحماسة الى المحافظة على جريدتهم الحرة والعمل على تثبيت وجودها في المرحلة العصبية التى تمر بها قضيتهم . قضية الكفاح ضد الاستعمار وأذنايه . ان كل قرش يدفع لتدعيم الملايين هو بمثابة مسمار يذق في نعش أعداء الشعب وتجار الحروب ومصاصى الدماء » (٩) .

وتستد الازمة المالية . فالاصدقاء الذين يطرق أحمد صادق عزام بيوتهم بيتا بيتا ينصب معينهم . وحدثوا لا قبل لها باحتمال تكاليف مجلة

٨ - الملايين - العدد الثالث عشر - ١٥ يوليو ١٩٥١ .

٩ - الملايين - العدد السابع عشر - ١٢ أغسطس ١٩٥١ .

كبيرة كهذه ٠٠ ويتعثر صدور الثنيين ٠٠ العدد الثامن عشر يصدر في ١٩ أغسطس ١٩٥١ ٠٠ أما العدد التاسع عشر فيصدر في ٢ سبتمبر أى أن الملايين تتدخل عن الصدور أسبوعا ٠٠ وبالإضافة الى ذلك ينخفض عدد صفحات العدد ١٩ الى ثمانى صفحات فقط ٠

على صفحات نفس العدد نقرأ موضوعا أشبه بالبيكائيات ٠٠ عنوانه « قصة الملايين الفقيرة » ٠٠ « يعرف الجميع أن قصة الملايين ليست قصة مشروع تجارى يهدف الى الربح وليست قصة مغامرة من بعض الهواة الباحثين عن اللهو أو الذهب وليست قصة صحافة مأجورة تعيش وتكسب من المصاريف السرية أو تبرعات الشركات والاستعمار البريطانى أو هديا الورق من مكتب الاستعلامات الأمريكى انما هى قصة كفاح أصيل ٠٠ تمثل قبسا من كفاح هذا الشعب الفقير المريض المتطلع الى الحرية والصحة والعلم والتقدم ٠ هى قصة الملايين سواد الشعب ٠ لذلك عاشت الملايين بالرغم من ضيق مواردها تستند الى وعى الملايين ونصالتها وتضحياتها ٠ عاشت بالرغم من الارهاب ومن المصادرة ومن مناورات البوليس السياسى والاستعمار وأعوانهما من الجواسيس ٠ عاشت على الرغم من فئران السفينة التى خيل اليها أن « الملايين » غارقة أو هاربة من الميدان واليوم تظهر الملايين فى ثمانى صفحات لا عشرة ولا اثنتى عشرة صفحة لانها لا تستغرق أربعة صفحات فى نشر الاعلانات التجارية الضخمة مصدر المال الوفير والأرباح الطائلة ٠ اليوم تودى « الملايين » رسالتها فى الصفحات الثمانية كاملة واضحة متماسكة لانها عازمة أن تسنم فى كفاحها الوطنى الشعبى من أجل أهدافها المرسومة الثابتة لا يداخلها التردد أو التخاذل ولا بد أن تعيش « الملايين » فى منبر الوطنية الشعبية ضد الاستعمار وشركائه وخدمه وضد الاستغلال وضد الاستبداد وضد الحرب العدوانية الممرة ٠ وسوف تعيش « الملايين » لأن الملايين تريد لها أن تعيش « (١٠) » ولقد حاولت الملايين أن تحل مشكلتها المالية بالاعلانات فنشرت فى العدد ١٧ تقول « مطلوب لمجلة الملايين بلاسيهات اعلانات من الجنسين من ذوى الخبرة والكفاءة بمرتب وعمولة مغرية » لكن مثل هذه الاعلانات التى يقدمها بلاسيهات مغرورين لا تحل أى مشكلة ٠٠

ويستمر انخفاض عدد الصفحات ٠٠

العدد العشرون صدر فى أربع صفحات فقط والثمن عشرة مليمات ٠٠ ويبدو أن الارتباك كان شاملا ٠٠ الى درجة أن محررى الملايين نسوا أن يكتبوا يوم صدور العدد العشرين وكتبوا فقط سبتمبر ١٩٥١ وبالحبر يضاف

١٠ - الملايين - العدد التاسع عشر - ١٢ سبتمبر ١٩٥١ ٠

اليوم (٩ سبتمبر) في النسخة المودعة بدار الكتب والوثائق القومية .

ومع تناقص عدد الصفحات كان لا بد لابواب كاملة أن تختفى « الى الحرر » ، « بحرى وقبلى » ، « في كلمتين » ، « نقط العرق » ، « مصر جزء من العالم » ، « صفحة الفن » ، « باب المرأة » ، « الرياضة » ، الكاريكاتير « القصة » . كل هذه الابواب الثابتة اختفت لتتيح الفرصة أمام الملايين كي تصدر في صفحات أربع ، كذلك استخدم البنط الصغير في جمع بعض الابواب .

ومع اختفاء هذه الابواب تظهر أبواب أخرى « مكتبة الملايين » و « الأقاموس المصري » .

واذا كان العدد العشرون قد صدر في ٩ سبتمبر (كما هو مكتوب بالحبر على رأس النسخة المودعة ضمن مجموعة الملايين بدار الكتب والوثائق المصرية) فإن العدد الحادى والعشرين لم يصدر الا في الأحد ٧ أكتوبر ١٩٥١ أى أن الازمة المالية قد منعت « الملايين » من الصدور أربعة أسابيع متتالية .

وبرغم النداءات المتتالية « كل قرش تدفعه للملايين مسمار يثق في نعش الاستعمار » . « وهى جريدتك عليك لا على الاعلان ولا على المظاريف السرية » . « مقام بواجبك نحوها » . « واجبك نحو وطنك » (١١) وبرغم مئات القراء من أعضاء حديثو وأصدقائها الذين انتشروا في الشوارع والجامعات والمصانع من مختلف المدن يجمعون تبرعات بهوجب كوبونات صغيرة . فان الازمة المالية تستحكم ويكون العدد الثلاثون هو العدد الاخير .

وتتغير القوى المحركة للملايين .

ومعها يتغير المحررون .

في العدد الاول تلمح أسماء معتدلة مأمون الشناوى - سيد قطب - سيد قنديل - وكاريكاتير زهدى . وأبو الحسن (حسين فهمى) .

وفي العدد الثانى يستمر مأمون الشناوى - سيد قطب ويضاف اليهما راشد البراوى ويوسف حلمى وهناك أيضا محمد يسرى أحمد (حديثو) ومحمود العسكرى (طليعة العمال) وكاريكاتير زهدى .

١١ الملايين العدد السابع عشر - ١٢ أغسطس ١٩٥١

وبعد العدد الخامس تبدأ حدثو في الهيمنة الكاملة على المجلة تحريراً وتوزيعاً . . . ونقرأ على صفحاتها أسماء عبد العزيز بيومي . حسن عبد الرحمن . عبد المنعم الغزالي . زكى مراد . ابراهيم عبد الحليم . سيد خليل ترك . محمد يسرى أحمد . أحمد الرفاعى . حليم طوسون . عمر رتدى . محمد على عامر . ضياء الدين بدر . العزب شطا . صالح حلمى جاعين (صلاح جاعين) فؤاد حداد . صلاح حافظ . زهدى . انجى أفلاطون . حسن فؤاد وكلهم من كوادر حدثو بالإضافة الى أسماء سودانية مثل عوض عبد الرازق أحد قادة حستو (الحركة السودانية للتحرر الوطنى) .

كذلك يمكن القول ان « الملايين » كانت أول مجلة يسارية أنسحت صفحاتها لأبواب ثابتة عن الفن والرياضة وغيرها يحررها صحفيون محترمون ومتخصصون فباب الفن حرره عبد الفتاح البارودى أما باب الرياضة فقد حرره المستكاوى . . . وكان هناك أيضا باب « تسمع وترى » الذى يستعرض الأفلام فى دور العرض المختلفة وباب « حظك » وهى أبواب جديدة تماما على الصحافة اليسارية عموما .

وأیضا يمكن القول ان « الملايين » كانت المدرسة الجديدة للكاريكاتور السياسى المباشر وقد تآلق فيها زهدى فى ميدان جديد تماما بالنسبة للصحافة المصرية عموما وبالنسبة للصحافة اليسارية على وجه الخصوص .

كذلك تميزت الملايين باستخدام الصورة الفوتوغرافية بتعليقات لادعة . . . غفى العدد الاول نجد فى الصفحة الاولى صورة للقائد الأمريكى ماك آرثر يرفع يده بالسلام . . . والتعليق « سلام على كوريا » وصورة أخرى لتريجنى لى سكرتير الامم المتحدة وهو يشعل سيجارة لتيتو خلال زيارته ليوغسلافيا والتعليق . . . « انه يشعلها » .



ويقول زهدى فى محضر المناقشة معه . . . « كان عزام يريد الاستمرار فى اصدار المجلة ومصمم على الاستمرار لكن لم تبق لديه أى امكانيات مالية فتحمّلت حدثو عبء اصدارها وتحملت المسؤولية الرئيسية فى توزيعها فقد اتفق احمد طه مع عدد من النقابات بعمل اشتراكات كثيرة تدفع ثمنها جملة ومقدما . . . كذلك قام النقابيون من حدثو بالاسهام فى توزيع المجلة »

وكان من الطبعي بعد ذلك ان تفتح المجلة صفحاتها لنشر الانباء العمالية وخاصة أنباء نشاطات كوادر حدثو النقابية فى الحقل العمالى بل ونشر مقالات عديدة بأقلامهم .

وقد أوشكت الملايين ان تخصص جزءا كبيرا من صفحاتها لنشاطين هامين من أنشطة حدتو في المجال النقابي كانا يعتبران نقطتا الارتكاز الاساسيتين لعملها النقابي . . عمال النسيج ، عمال النقل المشترك .

ونتخذ العدد الثامن عشر كنموذج . . ففيه نجد مقالا لضيء الدين بدر (حدتو) بعنوان « عمال العالم في حركة السلام » ثم نجد مقالين عن عمال النسيج « نحو نقابة لعمال النسيج بشبرا الخيمة » بقلم العزب محمد شطا (حدتو) و . . « نداء الى عمال النسيج الميكانيكي » بقلم محمد على عامر رئيس نقابة عمال النسيج الميكانيكي بالقاهرة وضواحيها (حدتو) ثم خبر عن اعتقال سيد خليل ترك سكرتير مؤتمر نقابات سائقي وعمال النقل المشترك (حدتو) وبرواز « عمال النقل المشترك بمدينة القاهرة يطالبون بتأميم وسائل النقل بمدينة القاهرة وهي شركات الترام . . الامنيوبوس - المترو ، أى تصبح وسائل نقل شعبية تملكها الدولة بدلا من الاجانب الرأسماليين . في ظل التأميم يتمتع الشعب بعناية الدولة خيرا من استغلال الشركات . طالبوا بتأميم وسائل النقل ففيه راحة لكم وأمانا على حياتكم وحفاظا لوقتكم واقتصادا في أموالكم » ثم نص بيان صادر من اتحاد عمال النقل المشترك بالقاهرة يطالب بتأميم وسائل النقل .

وبعد ذلك « تعليق من الزميل أنور مقار سكرتير نقابة عمال المطاعم والفنادق بالقاهرة (حدتو) على ما نشره الاهرام من أن مصلحة السياحة تفكر في الغاء نسبة الـ ١٠٪ التي تتقاضاها المحلات العامة لتوزيعها على العمال نظير الخدمة » (١١) .

ويبقى أن نقول أن ذلك كله كان في عدد واحد من أعداد الملايين ومعه في نفس العدد عديد من الاخبار والمقالات العمالية المختلفة . . .

ولم يقتصر دعم حدتو على المساعدات المالية والاسهام في التوزيع وضمان دعم وتأييد التجمعات العمالية والنقابية للجريدة فقد قدمت بالاضافة الى ذلك شبكة من المراسلين أمكنها أن تقدم خدمة صحفية هامة للجريدة وأن تربطها أيضا بمشاكل وجماهير الاقاليم .

ولنأخذ كمثال نفس العدد السابق العدد (١٨) لكي تكتمل لنا الصورة من خلال فحص عدد واحد . .

ففي الصفحة الثانية والتي كانت تضم بابي (قبلى وبحرى) و (الى المحرر) وكان يحررها عبد العزيز بيومي نجد أخبارا من مراسلين في نجع

حمادى وقنا ومطوبس ودمنهو والمنايا وكفر الشيخ والحوامدية وبهناى
ونلاحظ أن أغلب هؤلاء المراسلين كانوا من كوادى حدتو مثل مراسل النيوم
(حلمى رمضان) ومراسل دكرنس (محمد أحمد طه) الخ .

وبمناسبة المراسلين فانبنا نلاحظ خطأ وقع فيه محررو الملايين اذ كانوا
ينقلون العديد من أخبار السياسة الدولية من المجلات الاجنبية ومن وكالات
الأنباء ثم ينسبونها الى « مراسل الملايين الخاص » .

وتمادى محررو الملايين فى المبالغة الى درجة مفتة للنظر . . ففى عدد
واحد هو العدد السابع عشر نجد فى صفحة واحدة منه هى الصفحة
الاولى أخبارا وتعليقات منسوبة الى مراسلى الملايين فى كل من دمشق ،
طوكيو ، الخرطوم ، عمان ، باريس ، برلين . وفى الصفحة الرابعة نقرأ لمراسلى
الملايين فى الجزائر وباريس وروما وبوخارست !



وقد ظلت الملايين تصدر كل أحد حتى العدد السادس عشر فبدأت تصدر
كل اثنين (١٢) أما كيف تحولت « الملايين » من مجلة وطنية معادية للاستعمار
يحررها مأمون الشناوى وحسين فهمى الى مجلة يسارية يحررها كوادى وأعضاء
حدتو . . فان لذلك التحول قصة يرويها لنا شاهد عيان هو الرسام زهدى
الذى يقول « كان هناك إتفاق بعد صدور كل عدد نأخذ يوم أجازة ثم
نجتمع فى اليوم التالى لمناقشة العدد السابق ونعد العدد التالى . . لكن
مثل هذه الاجتماعات لم تنتظم كان أحمد صادق عزام وحسين فهمى يحتفیان
يوم الاجتماع . . وبدأت الخلافات بعد ثلاثة أو أربعة أعداد وكان
الشخص المسؤول عن الادارة قد بدد ميزانية الملايين » .

ويكمل زهدى القصة « أخيرا وتحت ضغط شديد عقدنا اجتماعا حضره
حسين فهمى وكان المفترض أنه رئيس التحرير الفعلى ولم يحضره مأمون
الشناوى لأنه لم يكن يحب المشاكل ولانه أحس أن المجلة توشك أن تغير
اتجاهها . . والخلاف كان سياسى . . وفوجئنا بأناس غرباء يحضرون
الاجتماع أحضرهم صلاح حافظ بالاتفاق مع عزام . . وفهمنا أن هؤلاء
الأشخاص أعضاء فى منظمة سرية ستسهم فى اصدار المجلة أذكر منهم محمد
على عامر وجودة سعيد الديب وحوالى ثمانية آخرين . . وتحدث هؤلاء عن
ضرورة تغيير سياسة المجلة وأبدوا حماسا للكتابة والتوزيع وعمل اشتراكات

جماعية في الجريدة . . وأعلن حسين فهمي اختلافه . . وانسحب من الجريدة » .

ولعل انسحاب مأمون الشناوى وحسين فهمي كان أمرا طبيعيا ليس فقط للسبب السياسى الواضح وانما أساسا للسبب المهنى البحت الذى يرفض من أجله صحفى مرموق أى تدخل لعناصر غير صحفية فى ادارة وتحرير جريدة من المفترض أنه رئيس تحريرها .

وعلى الأقل هكذا يصور زهدى الامر .

وعلى أية حال ومنذ العدد السادس (لأن العدد الخامس ليس بين أيدينا) نلاحظ تغييرا ملحوظا فى خط الجريدة وفى أسلوب تحريرها ونلاحظ وبكثرة أسماء قيادات وكوادر حدثوا عبر معظم صفحات المجلة . . كما نلاحظ اختفاء الاسماء الصحفية اللامعة من نيا والمعتدلة سياسيا مثل مأمون الشناوى وحسين فهمي كذلك اختفاء كتاب غير يساريين مثل سيد قطب وراشد البراوى وغيرهما . . وباختصار لقد أصبحت الملايين شيئا آخر . .



وقبل أن نختم هذه المقدمة نود أن نشير الى حملة ضارية شنتها الصحف الرجعية المحلية والاستعمارية على الملايين وقد كانت حملة عنيفة مليئة بالافتراء والتحريض . .

ويعلق أحد صادق عزام فى افتتاحية العدد الثانى عشر على هذه الحملة تحت عنوان « مراسلوا الجرائد الاستعمارية جواسيس يجب طردهم » . . « تحدثت جريدة التيمس المعروفة الاستعمارية فى افتتاحية لها عما أسمته الدعاية الشيوعية فى مصر ومضت فى تحريضها وتكهناتها فقصت قصة حملة منظمة بدأت فى أواخر ابريل الماضى وأشارت الى صحيفة أسبوعية جديدة تصدر فى اثنى عشر صفحة وليس فيها الا اعلانات قليلة ومن الواضح أن صدورها هذا مغامرة باهظة الثمن ومن الواضح أن تحديد أواخر أبريل فى نظر الجريدة المأفونة لبدء الحملة الشيوعية وهو الموعد الذى صدر فيه أول عدد من صحيفتنا ، ثم الحديث عن الصحيفة التى تصدر فى اثنى عشر صفحة وليس فيها الا اعلانات قليلة . . يحدد أن هدف الحملة الاساسى وهو جريدة الملايين وجريدة الملايين بالذات » .

وبعد هذه المقدمة يتساءل صادق عزام « ماذا يريد هذا المراسل الجاسوس الخائن ؟ » ثم يضى قائلا « طبعا لهذا الجاسوس الاستعمارى أن يغضب كل الغضب للحملة على جرائم البوليس السياسى فالبوليس السياسى جهاز من الاجهزة الاستعمارية التى نكبت بها مصر . الحقد يأكل نفس

هذا المراسل المجرم الذى يتطاول على مصر والمصريين عندما يتحدث عن الحذق والمهارة التى تحرر بها جريدتنا الوطنية وزميلتنا الكاتب ويشتم الانسان من خلال هذا الحديث رغبة حرة فى استعداء الحكومة المصرية على عاتق الصحيفتين وكان الحكومة المصرية كانت تنقصها افتتاحية التيمس كى تسبب لنا المتاعب التى لا ننتفع والتى تظن بها أنها سترجعنا عن غينا . . ولقد صممنا تصميمنا قاطعا على أن نواصل الطريق الى نهائيه فنحن لا نعرف مع الاستعمار تهادنا ولا استسلاما ثم ماذا يقصد هذا التطاول عندما يصف كضاحنا الوطنى بأنه حملة على كل شيء اللهم الا الانحد السوفيتى ؟ . . ماذا يريدنا أن نقول فى هذه الدولة الصديقة التى وقفت من قضيتنا موقف المناصر الحقيقى عندما عرضت هذه القضية فى مجلس الأمن . ماذا يريدنا أن نقول فى الاصدقاء الذين لم يحتلوا أرضنا ولم يستعمرونا . هل يريدون هنا أن نكون بلهاء فنذكر لصداقتهم ونعقد معاهدة دفاع مشترك أو حلف عسكرى اتفق معظم باشواتنا على وجوب عقده واستعدوا لذلك لولا خوفهم من بطش هذا الشعب الذى استيقظ ولم يعد ينسى أو يغفر لأحد » .

ويواصل عزام هجومه المضاد قائلا « الحذق والبراعة اللذان يأكلان صدر هذا الجاسوس الاستعماري هما الوعي الذى وصلنا اليه لاننا كنا جادين صادقين فى محاربتنا للاستعمار وفى الوصول الى مخرج من برائسه والقضاء عليه قضاء مبرما » .

ويختتم عزام افتتاحيته قائلا « هذا الجاسوس يجب أن يطرد . ولسنا نحن الذين نعيش على حساب أحد وانما هم الذين يعيشون على حساب الاستعمار أما نحن فنستمد قوتنا من الشعب الذى آلىنا على أنفسنا أن نعيش من أجله وأن نموت من أجله » (١٢) .

* * *

وأما بعد ذلك أن نتابع رحلتنا عبر صفحات الاعداد الثلاثين التى تتكون منها المجموعة الاولى من مجلة الملايين . .

ولعله من المنطقى أن نبدأ بمتابعة الاعداد الاربعة الاولى والتى يفترض أنها صدرت كمجلة وطنية معادية للاستعمار وأن التواجد اليسارى فيها كان مجرد تواجد لشباب يهوى الصحافة ولم يزل طالبا فى كلية الطب هو صلاح حافظ أو توجه اجتماعى عام دونما تميز يسارى أو ماركسى محدد .

ثم نواصل بعد ذلك دراسة الاعداد من السادس وحتى الثلاثين وهى الأعداد التى يفترض أن نفوذ حذقو السياسى والتحريرى قد بدا واضحا تماما فيها ..

فالى الاعداد الاربعة الاولى .. أما مانشتات العدد الاول « وزير يهدد بالانتحار فى اجتماع اللجنة الوزارية » و « صلاح الدين لا يستقيل بعد ٦ مايو » .

ونلاحظ أن الملايين قد قدمت أسوبا صحفيا جديدا فى ابراز المانشيت .. بن استخدمت اللونين الاحمر والأسود فى كتابة سطر واحد من المانشيت .. ففى « صلاح الدين لا يستقيل بعد ٦ مايو » نجد أن « لا » قد طبعت باللون الاسود بينما بقية المانشيت مطبوع باللون الاحمر .

أما العناوين الفرعية فى الصفحة الاولى فهى « تصريح خطير لآية الله كاشانى منعه وكالات الانباء فى مصر .. الشعب هو الذى قتل رازمارا ويجب الافراج عن القاتل » .

وعنوان آخر « رئيس حركة السلام يرفض مقابلة تريجفى لى .. سكرتير الامم المتحدة يجيب على أسئلة الملايين .. هل أنت مجرم حرب وذيل للأمريكان ؟ » .

وعنوان آخرى آخر : « مطلوب من الموظفين ألا يموتوا قبل صدور قانون التثبيت » .

أما الافتتاحية وعنوانها دائما « حديث الملايين » فمكانها ليس فى الصفحة الأولى وإنما فى السادسة .. ويقدم فيها صاق عزام جريدته « هذه هى الملايين » .. « ان الطريق أمامنا ليس مفروشا بالورد والرياحين ولكنه طريق كفاح ، يومه هجير وعرق وجهاد ، وفى مهب العاصفة تقف الملايين فى طريق خضناه ونحن نعلم أنه ملغم بالشوك وبالجمر وشظايا انزجاج ، طريق الشعب الجائع العارى الحافى . والذين يسهمون بأقلامهم وجهوداتهم فى صحيفة الملايين يؤمنون معى بأن العدالة الاجتماعية لن تسفر عن وجهها للشعب الا اذا وجدت النوافذ التى تطل منها ، والملايين احدى هذه النوافذ ، والطريق الى بقاء النافذة مفتوحة طريق شائك كما قلنا لأنه لا يوجد فى مصر طريق معبد الا الطريق الذى يؤدى الى الحكم أو الى الحكام وليست وجهتنا الحكم ولا الحكام هدفنا الوحيد الذى من أجله صدرت الملايين هو الدفاع عن الملايين من المصريين المعذبين وحقهم فى أن يعيشوا كبشر له كيانه .. فى مصر تخمة وجوع ، وسياسة الملايين هى أن تنقذ الأغنياء من التخمة ، وأن تنقذ الفقراء من الجوع ، فى مصر مساومات حول

الاستقلال ، وسياسة الملايين هي أن تفصح عن وعى الشعب وإيمانه بأن استقلال الأمم لم يكن ذات يوم وليد مفاوضات ومباحثات ، في مصر خنق للحريات ، وسياسة الملايين أن تقف في سبيل كل تشريع يمس الحريات لأنها تؤمن بأن الحريات وعلى رأسها حرية الرأي لا تقوم بغيرها نهضة ولا يكتمل بدونها وعى ولا يتحقق عن غير طريقها استقلال ، أن جريده الملايين ستؤدى رسالتها لأنها ستدافع عن الحق والحق اسم من أسماء الله . » (١٤) .

والملفت للنظر هو هذه النكهة المفعمة بالتحدى الاجتماعى . . وعى وان لم تبرز فيها معانى الصراع الاجتماعى بمفهوم اليساريين في هذا العصر فانها توحى بفهم صحيح للربط بين مشاكل الوطن الثالث التحرر الوطنى والتحرر الاجتماعى ومعهما حرية الرأي والقول وتربط هذه القضايا معا في كل موحد . .

وهذه نظرة بالغة الرقى في فهم هذه المشكلات معا وفي فهم كل منها على حدة . .

وتواصل الملايين تركيزها على هذه المحاور الثلاثة وتواصل ربطها معا في معركة متكاملة وفي الصفحة الثالثة من العدد الاول « ٨٣٪ من المصريين يرفضون مفاوضة الانجليز . البوليس السياسى يحاول منع الاستفتاء . » القبض على أحد المدحوبين « هذه هي العناوين أما الموضوع « الحكومة المصرية تمثل الشعب المصرى وهى الان مشغولة بالبحث عن طريقة تصافح بها الانجليز ومع ذلك فقد أجاب في الاسبوع الماضى ٨٣٪ من أفراد الشعب المصرى الذين استطاعت الملايين أن تلتقى بهم بأنهم يرفضون على الاطلاق وضع أيديهم في أيدي الانجليز ، وذعرت الحكومة ، كان من الصعب عليها أن تفهم كيف يجوز أن يجرى استفتاء ديمقراطى لا يشرف عليه رجال الادارة ولا يتحكم في الاجابة عليه اثنان القروش وحيل السماسرة . . وهكذا فوجئنا في اليوم التالى بزيارة كريمة من ضابطين من ضباط القلم السياسى وقال الضابطان هل صحيح انكم تفوهون باستفتاء الشعب ؟ قلنا نعم فقال الضابطان انهما يريدان الاطلاع على موضوع الاستفتاء فأعطينا كل منهما ورقة ثم سألنا : هل هناك اعتراض على الموضوع وهز الضابطان رأسيهما ثم نهضا وانصرفا وفي هذه الاثناء كان أحد مندوبينا معتقلا في قسم شبرا بتهمة توزيع منشورات شيوعية والمنشورات المقصودة هي أوراق الاستفتاء التى لا تحمل أكثر من السؤال البسيط (هل تضع يدك في يد الانجليز ؟) .

« أما الشعب المصرى فقد وقف من الاستفتاء موقفا يختلف عن موقف الحكومة المصرية وقال ٨٣ر٠٧٪ انهم يرفضون على الاطلاق مصافحة الانجليز وقال ٢٨ر٪ انهم يرفضون ويقبلون فى نفس الوقت لان لكل من الموقفين فوائده ومزاياه وقال ١٠ر٢٪ انهم يقبلون بلا قيد ولا شرط تماما كالحكومة المصرية ورفض ٣٧ر٪ أن يجيبوا على السؤال . وقد وزعت الملايين ٥٠ ألف سؤال وتلقت ٤٦٠٦٤ جوابا » .

• أما « طلفة » مأمون الشناوى فتقول « ان صمت رئيس الوزراء وابتسامة صلاح الدين ولباقة ابراهيم فرج وفصاحة فؤاد سراج الدين لن تخرج الانجليز من مصر ، فان المفاوضات الانجليزى لنيس مغفلا حتى يهون عليه فراق مصر التى قدمت للجيش البريطانىة مواردنا ومرافقها ولم تضمن عليهم بشئ الا بالعرى والجوع وتسلمت شيكا بخمسمائة مليون جنيه على بنك لا رصيد فيه وحتى لو لم يكن لصر موقعها الاستراتيجى الخطير فان الابتسامة واللباقة والفصاحة ليست من مواد التموين التى تفتقر اليها جيوش الاحتلال فى القتال ، لو فعل رئيس الوزراء ذلك لآمننا نحن المصريين بأن رفعتة •• كان بطلا •• وظل بطلا » .

وتواصل الملايين هجومها على الانجليز ومشاريع الدفاع المشترك وتفتتح صفحاتها لتصريح لعبد الحميد عبد الحق باشا يقول فيه « كل ما يقال عن المقترحات البريطانية سواء اكان فيها دفاع مشترك أم دفاع غير مشترك لا يعنى المصريين بقدر ما يعينهم أن يعرفوا ان الانجليز يعملون من وراء هذا الى تحقيق غرضين أساسيين أولهما : اتخاذ كل ما يلزم لضم مصر الى الكتلة الغربية وعلان ذلك صراحة فى وجه روسيا ، وثانيهما : الحيولة دون تدخل روسيا فى الشرق بأية وسيلة كانت •• » .

وبعد أن يؤكد عبد الحميد عبد الحق أن الانجليز لا يريدون تسليم مصر بأى حال من الاحوال يقول « ولهذا فاننى أعارض أشد المعارضة اعتماد ملايين الجنيهاات لوزارة الحربية والبحرية بغرض التسليح لان جزءا منها يدفع ثمننا لخلفات حربية بريطانية والجزء الاخر يدخل جيوب السماسرة » .

وتلاحق الملايين السياسة الاستعمارية البريطانية فى كل مكان « بريطانيا هى السبب فيما تعانیه ايران » •• « وجه مراسل جريدة الديلى اكسپريس عدة أسئلة الى الزعيم الدينى الايرانى آية الله كاشانى وقد تعهدت وكالات الانباء اغفال نشر اجاباته فى مصر والدول العربية واليكم نص اجابته : لا رهبانية فى الاسلام ومن أهم واجبات رؤساء ديننا التدخل فى الشؤون السياسية والاجتماعية لتحرير اوطانهم والدفاع عن مصالح الشعب •• سيواصل الشعب أعماله التأديبية اذا استمرت خيانة الحاكمين ولا توجد

الآن شعوب لا تهب للدفاع عن حقوقها ورد المستعمرين .. لا أعرف سبيها عن الاستعمارية الروسية ولكنني أعرف جيدا أن الانجليز هم السبب في كل ما تعانيه بلادنا من فقر وفساد وذلك بتدخلهم في شؤوننا الداخلية وبحمايتهم للخنونة من رجال حكوماتنا » .

ثم تستعرض الملايين كتابا هاما يفضح المخطط الاستعماري الذي وهبت الملايين العديد من صفحاتها لمقاومته .. أما الكتاب فهو « آبار القوة » للمؤلف الانجليزي أولاف كارو وأما المحرر الذي يعرضه على صفحات الملايين فهو الدكتور راشد البراوي .. الذي يتخذ لموضوعه عنوانا مثيرا « الزلزال » الذي يعصف بالشرق الاوسط . كاتب انجليزي يفضح المؤامرة « وينحدث الكتاب عن أهمية بترول منطقة الشرق الاوسط للمصالح الاستعمارية وعن اتفاق القوى الغربية على اقامة نظام دفاع مشترك لحماية هذه المصالح . » . ويقول في أحد نصوصه « اذن فمن المتعين فعلا حماية هذه الثروة وهذه هي الحقيقة التي لا يجب اخفاؤها وذلك عن طريق نظام دفاعي يربط البلاد المنتجة للبترول والتي تمر أنابيبها عبر أراضيها » .. « وتقول الخطة بما يلي : ١ - عقد ميثاق بين دول الاقليم الممتد من الخليج الفارسي حتى ساحل البحر المتوسط الشرقي - ٢ - ادماج اسرائيل في هذا الميثاق فيعقد العرب الصلح معها ويعترفون بها ولعل عدوانها الاخير نوعا من الضغط وإيحاء الى الدول العربية بالعمل على نيل ضمان حقيقي من الدول الغربية . ٣ - عقد معاهدة دفاع مشترك جماعية مع الدول ذوات المصالح في الاقليم » . وهكذا تواصل الملايين ضرباتها للمخطط الاستعماري وتفضح معه أيضا محاولات ادماج اسرائيل في ميثاق الدفاع المشترك بعد أن يعقد العرب صلحا معها ..

بل انها تشن هجوما تقضح فيه المتعاملين مع اسرائيل عن العرب .. « سيجت مجلس جامعة الدول العربية في اجتماعه في القاهرة يوم ٢٨ ابريل الحالي مسألة احكام الحصار الاقتصادي حول اسرائيل لمنع تهريب المواد الغذائية وغيرها ، بعد أن تبين أن عملية التهريب مازالت مستمرة بواسطة شخصيات عربية معروفة يدفعها الى هذا العمل الدنيء ما تصيبه من أموال طائلة وشراء فاحش » .

أما الشق الثاني من المعركة فهو الدفاع عن الحقوق الاقتصادية والاجتماعية للمواطنين مرتبطا أيضا بمعركة النضال ضد الانجليز .. « انجلترا تحارب مشروع الحد الأدنى للأجور » .. « ما من مشروع عمالي أو تعديل جديد في نظم الضرائب في مصر الا ونبتناوله الغرفة التجارية الانجليزية بالنقد أو المعارضة السافرة لكل اصلاح أو تجديد وقد نشرت

جريدة الغرفة أخيرا نقدا لاذعا لمشروع قانون الحد الأدنى للاجور زعمت فيه أن أعباء هذا المشروع ستكون شديدة الوطأة على اقتصاديات البلاد »

وموضوع آخر « مطلوب من الموظفين ألا يموتوا قبل صدور قانون التثبيت » . « أيها الموظفون حذار أن تموتوا الآن ، فالتثبيت موقوف . وقانون التثبيت الجديد لم يصدر بعد ، ليس لكم أن تموتوا أيها الموظفون وعليكم أن تصونوا حياتكم وعافيتكم من القضاء والقدر . عيشوا أيها الموظفون على الرغم منكم بل عيشوا أيها الموظفون على الرغم من القدر فمحتوم عليكم أن تعيشوا حتى يصدر قانون التثبيت فينظم لكم ولاسرکم العاجزة من بعدكم أسباب الحياة » .

ودفاعا عن حرية المواطنين تشن الملايين حملتها ضد البوليس السياسى مدافعة عن المصريين الذى أسقطت عنهم الجنسية المصرية (وأغلبهم من الشيوعيين ذوى الاصل الاجنبى) مقابل الافراج عنهم من المعتقلات حيث خيرهم بين الاعتقال وبين الرحيل عن وطنهم الى غير رجعة وقد اضطر بعضهم الى التوقيع على أوراق ومنحوا تذاكر للخروج من مصر دون عودة . فهل يعلم وزير الداخلية هذا ؟ وهل يعلم أن البوليس السياسى فى مصر يملك سلطة اصدار أوامر تقوم مقام المراسيم ؟ » .

وقد يكون غريبا أن تفتح الملايين صدرها لسيد قطب كى يكتب فى عددها الاول تحت عنوان « وطن ينهار » نحن أمة تنهار وهى تتحدث عن الجلاء والوحدة . أمة تعيش فى عهود الاقطاع وهى تتحدث عن الدستور والبرلمان ، أمة تموت من الجوع وهى تقيم المعارض والتمثيل ، أمة تشرب من وحل البرك وهى تنشئ حمامات السباحة فوق سطوح العماير ، أمة فى النهاية تخزن الحشيش وهى تحلم بزعامة العرب أو زعامة الاسلام . ان الامة التى يبيع أطباؤها الاوعية فى الاوبئة للقادرين ويتركون المحرومين يناوشهم الفناء ، ويبيع ضباطها ارواح الجنود فى الميدان لقاء بضعة الألوف من الجنيهات تشتترى بها فيلات للعشيقات . الامة التى تهرب ذموميتها الى أعدائها وتجوع واتى تنتهى الى ان يصبح الاستثناء فيها هو القانون والرشوة هى العرف السائد والمحسوبية هى طريق الوصول . هذه الامة فى حاجة الى أن تتحدث عن أشياء أخرى غير البرلمان والدساتير وغير التمثيل السياسى والفنصلى وغير المحافل والمعارض . . . نهى فى حاجة لان تنظف الدار وتبحث عن لقمة من الخبز وجرعة من الماء النظيف والا فلتعرف لنفسها طريقا آخر لادارة شئونها غير هذا الطريق المظلم الكليل » .

ويختتم سيد قطب مقالته النارى صارخا « نحن أمة تنحدر وتتهاوى وتنهار . أيها الجمهور الداهل أفق واصنع لنفسك شيئا قبل أن تموت »

وإذا كان غريباً أن يكتب سيد قطب أحد قادة الإخوان المسلمين في مجلة كالملايين فالأكثر غرابة أن تكتب الملايين مديحاً في الإخوان المسلمين . . « ان قضاياء الإخوان المسلمين التي عرضت على القضاء أخيراً ضد أزاحت الستار عن حوادث مروعة للارهاب والضغط وخنق الحريات والتككيل بالابرياء والمساكين ومعنى ذلك في صراحة ووضوح ان الإخوان المسلمين قد استهدفوا لدعايات ظالمة وحملة تنطوى على غير قليل من المبالغة والنهويل فواجب المسؤولين اليوم أن يدركوا هذه الحقيقة وأن يفتحوا عيونهم بعد هذا الظلام الحالك الذى كذف بالإخوان فيه على حقيقة أخرى هي أن الإخوان المسلمين أصحاب عقيدة وإيمان وأنهم في جهادهم ووطنيتهم صورة رائعة من صور الكفاح ضد الاستعمار . . الاستعمار الذى يقبض بيد من حديد على ملايين العرب والمسلمين » .

ويبدو أن الامر لم يكن مجرد مصادفة فالملايين تبدأ من عددها الاول حملة من أجل توحيد ما أسمته قوى الوعي الجديد . . « أحمد حسين . . فتحي رضوان . . صالح عشاوى متفقون ولكن » . . « تحدثت الملايين الى ثلاثة من رؤساء حركات الوعي الجديد هم الاساتذة أحمد حسين رئيس الحزب الاشتراكي وفتحي رضوان رئيس اللجنة العليا للحزب الوطنى وصالح عشاوى وكيل جماعة الإخوان المسلمين وضعت الملايين أمام كل منهم هذه الأسئلة :

- ١ - ما وجه الخلاف بين برنامجكم وبرنامجى الهيئتين الآخرين ؟
 - ٢ - ألا ترون أن قيادة الوعي الشعبى تقتضى تكتل قادة الوعي الجديد الى حين بلوغ مدى معقول من الطريق على الأقل ؟
 - ٣ - اذا كان قادة الحركات الواعية الجديدة ينهجون بالتحزب منهج القيادة القدامى فما جدوى الادعاء الجديد ؟
- وقبل أن نستعرض الاجابات يهمنى أن نتوقف أمام بعض الملاحظات . .
- فالدعوة ليست الى « جبهة » وانما الى « وحدة » كما يتضح من الأسئلة .

- كذلك هناك عبارات مطاطة تطمس الفروى الواضحة بين الجماعات مثل « قادة الوعي الجديد » « الحركات الواعية الجديدة » « الدعاء الجديد » « القيادة القدامى » .

- الدعوة أيضاً ضد التحزب واعتباره منهج القيادة القدامى .

- الفارق غير الواضح بين الجديد والقديم *

- انها دعوة غير واضحة وغير ناضجة وربما أيضا غير واعية .

أما اجابات قادة الوعي الجديد فهي « أحمد حسين . . لست أرى أى مصلحة تعود على أحد في مصر بأن تظل الحركات التى تصفها بأنها واعية متابعدة عن بعضها وغير متعاونة لست أفهم هذا الوضع ولا أستسيغه بأي حال من الاحوال ولا أتصور الا أن تكون المصلحة العامة هى رائدة . فتحى رضوان . . تعذبر اللجنة العليا أن بينها وبين الاشتراكيين والمفكرين الاسلاميين قرارا مشتركا وهو العمل على تحرير البلاد . . اننا نحن الوطنيين لا نتحزب بل نعتبر حزبنا هو الامة . صالح عشاوى . . تقوم فكرة الاخوان المسلمين على برنامج تستمد منه الاسلام وترتكز على قواعده وتعاليمه وفي هذه التعاليم ما يغنى عن غيرها من المبادئ التى يستحدثها البشر » .

وهكذا كانت الاجابات أكثر وعيا ووضوحا من الاسئلة ومن السائل .

وتواصل « الملايين » انتقاداتها اللاذعة للوضع السائدة منتهزة أية فرصة متاحة .

وتحت عنوان « تليفون الملايين » نقرأ « لو كانت جريدة الملايين فتاة من فتيات الكباريهات أو كانت جريدة الملايين راقصة خليعة أو كانت الملايين غانية لعبوبا تاكل من ثدييها أو كانت في احدى جارسونيرات القاهرة العديدة المنتشرة في كل مكان لاسرعت جهات الاختصاص فلبت طلب الملايين في تليفون بل في عشرة تليفونات . . لكن جريدة الملايين ليست شيئا كهذه الاشياء » .

أما صفحة الفن فتحتوى على برواز في أعلى الصفحة بعنوان « كلمة » . . « في مصر كتبة حسابات يعرفون جيدا كيف يحسبون ثمن الفيلم الخام وأجور الذئخة الموسيقى وتكاليف الاضاءة والكومبارس ثم يخرجون من عمليات الجمع والضرب والطرح بالقرار الذى يضمن لهم اضافة طابق جديد الى أكتاف العمارات القديمة التى يملكونها ومع ذلك فالملايين تسمى هذه الصفحة صفحة الفن لانها تريد أن تسبغ على كتبة الحسابات اسم الفنانين ولكن لانها تأمل - ومن يدرى - أن تقنعهم ذات يوم ، وشيئا فشيئا بأن يتحول كل منهم الى فنان . فنان يفكر وينفعل ويعبر ويجهل مبادئ الحساب » .

وكان كل ما سبق استعراضا للعهد الاول ولعلنا أطلنا بعض الشيء عن عمدة حتى نعطى الفرصة للتعرف على هؤلاء الذين خاضوا معركة اصدار

الملايين والتعرف الى كل آرائهم ومواقفهم من مختلف القضايا . وبعد ذلك .
يمكننا أن نحث الخطى ونحن نستعرض الاعداد الثلاثة الاخرى .

مانشئات العدد الثانى أكثر دلالة

– مؤامرة استعمارية ضد نقابات العمال المصرية .

– النحاس باشا ممنوع من السفر الى الخارج .

– الانجليز يهددون بعودة عبد الهادى .

ثم عنوان فرعى « تهديد رهيب بقتل السجينات السياسيات » .

وبرواز أعلى يمين الصفحة الاولى « لم تبد بعض المراجع ارتياحها الى تفكير النحاس باشا فى السفر الى الخارج لقضاء الصيف » . وبرواز آخر « عبود باشا يتوسط » « قلنا ان سعادة عبود باشا يعتزم السفر الى لندن قريبا وقد علمنا أن مهمة سعادته هناك لن تقتصر على الاعمال الاقتصادية التى تتصل بشركاته بل تتضمن القيام بمهمة سياسية خاصة هى التوسط لتخفيف حدة النزاع بين الطرفين المختلفين . . الوفد والانجليز »

أما الافتتاحية فتوحى بذاتها أن علاقة الملايين باليسار لم تعد مجرد علاقة مع طالب يهوى الاشتغال بالصحافة فثمة روابط بدأت تتكون بين الملايين وبين حدثو وكوادرها ومصادر أخبارها فقد خصص أحمد صادق عزام « حديث الملايين » للتعليق على رسالة السجينات السياسيات . .

« موجة الارهاب مدمرة فى كل عهد والرسالة التى نشرتها الملايين فى هذا العدد والتى وصلتنا مهربة من سجن مصر دليل قاطع على أن مصر لا تحكمها وزارة النحاس بل تحكمها وزارة أخرى أعضاؤها من رجال البوليس السياسى وحكومة النحاس التى قالت وقيل أنها جاءت لتطهر الحكم من جرائم السعديين والدمستوريين وتقضى على فظائع الارهاب لا يمكن أن تكون هى نفسها التى أمرت بدفن السجينات السياسيات فى كهوف بلا ذوافذ وفوق الاسفلت ولا هى التى أمرت بسرقة المسجونين من السجن ونقلهم الى قنا وأسوان حيث يقتلون فى الظلام بعيدا عن أنظار الشعب وبقية شعوب العالم المتحضر . حكومة النحاس اذن ليست هى التى أمرت بذلك لان حكومة النحاس ليست فى الواقع هى التى تحكم مصر ، فان فى مصر قبضة أخرى أقوى من الحكومة ومن الحكام ، قبضة تبسط ظلها على أرض مصر فتعصر بين أصابعها شعب مصر ، قبضة البوليس السياسى . . ان الحكومة المصرية لن تحاول تحت اشراف البوليس المصرى أن تغتال الشعب المصرى . . لكن الحكومة لن تستطيع أبدا أن تقتل الشعب لان الشعب اجيال والحكام أعمار » .

ونلاحظ على الامتتحائية أمرين :

- أولهما حماس رئيس التحرير للدفاع عن السجناء الشيوعيين .
- ثانيهما هذا النقد العنيف لحكومة الوفد .

أما الرسالة التي أثارت هذا التعليق العنيف فان الملايين تنشرها وتعلق عليها قائلة « من وراء القضبان ومن خلال الفضاء الاسود المسمى بالسجن ترتفع أصوات أمهات وأخوات وبنات أدركتهن حرية الرأي فزجت بهن في غياهب السجون . . وهذه رسالة خطيرة أفلتت بأعجوبة من رقابة السجن ورقابة البوليس السياسى ورقابة البريد ووصلت الى الملايين ونحن اذ ننشر هذه الرسالة انما نوجهها بنوع خاص الى أحزابنا النسائية لنقول لها لكى تدفعى عن حقوق المرأة يجب أن تدافعى عن كرامة المرأة ، ولكى تطلب المرأة المصرية المساواة بالرجل يجب أن تطلب مساواة السجناء السياسية بالحيوان المفترس الاسير ولا نقول بالقتلة وسفاكي الدماء من المجرمين في السجون المصرية . . » .

وأیضا . . يواصل سيد قطب الكتابة بأحرف حادة قاطعة « أمة من المتعطلين » . . « نحن أمة لا نتقدم لاتنا أمة لا تعمل ولا تنتج . . أمة من المتعطلين ، أمة تنام على الذهب وتتسول ، أمة مواردنا تكفل الحياة لخمسين مليوناً وهى لا تقدر على اطعام عشرين ، أمة تملك أن تتحرر من قيود الاستعمار وهى تستجدى بالمفاوضات كالشحاذ الذليل . . أمة تستطيع أن تمسك بيدها ميزان التوازن بين الشرق والغرب ولكنها ترضى بالهوان الذى يأنف منه العبيد ! لماذا ؟ لان حفنة من أصحاب الكروش تريد أن تعيش وتهب الموت للملايين . لان الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية تطحن الملايين وتحيلهم فتاتا ورمادا تحت أقدام العشرات المحظوظين ، لأن الاستعمار ضرورى لحماية هذه الحفنة من مصاصى الدماء . لان الشعب لا حساب له في أداة الحكم ولا أداة الرأى ولا أداة التشريع » .

وبعضى سيد قطب فيوجه ضرباته الى جذور النظام الاجتماعى من أساسها « هذه التشريعات التى تقيّد الحرية لمصلحة من تمن ؟ ولحساب من تصدر ؟ هذه الملاينة مع الاستعمار على أى أساس تقوم ؟ ولمصلحة من تستمر ؟ لست أعنى عهداً دون عهد ولا وزارة دون وزارة ولا رجالاً دون رجال . . ان جهاز الدولة كله فى كل عهد لا يعمل لحساب الملايين بل لحساب الحفنة القليلة من الباشوات والمستغلين » .

ثم هو يؤكد بعد ذلك « ان المعجزة التى تنتقذنا من هذا الهوان لن تأتي لنا من السماء ، ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

وأخيرا يقول « اذا فكرنا في أن نطلب الاستقلال فيجب أن نتذكر أنه ليس من مصلحة تلك الحفنة من المستغلين أن نستقل لانها لا تعيش إلا بحماية الاستعمار » .

أما « طلبة » مأمون الشناوى فهى موجهة ضد « القوانين التى نفيدها حريات الشعب » . تفتحم حرمة البرلمان ، وتخرج منها مزودة بالتأييد والتصفيق وهذه القوانين هى قضبان القفص الكبير الذى يوضع فيه اليوم شعب مصر . هكذا أصبح الشعب بفضل القوانين التى سنتها حكومته يسير طبقا لنظرية النشوء والتطور سيرا عكسيا ، يقلب النظرية رأسا على عقب اعنى أنه اذا كان الانسان قردا كما يقول داروين ، فان المصريين وقد كانوا بشرا أصبحوا اليوم قرودا بفضل اقصاف القوانين الرجعية . وتتقدم بعد ذلك حكومة مصر الى حكومة انجلترا للتفاهم على معاهدة صداقة بين شعب من القروء وشعب من البشر الاحرار كالانجليز وتقتل المباحثات لان وجهات النظر لا يمكن أن تتلاقى بين البشر والقروء . أما حراس الاقصاف وهم الوزراء فانهم فى حكم القانون المصرى آلهة لا يسألون عما يفعلون » .

وهكذا نجد انفسنا أمام « مأمون الشناوى » آخر غير الذى نعره . ان التقاء الرجل مع الملايين قد صنع منه شخصا آخر . يواصل حديثه قائلا « والذين عاشوا فى عهد ابراهيم عبد الهادى الرهيب يدركون تماما كيف تفنن هذا الرجل فى تعذيب نفر من ابناء هذا الشعب فلما خرج من الوزارة أحيط الاله المطرود بجنود الحكومة ليحموه من غضب الشعب عليه ومن كفر الشعب به سبحانه . اننا لا نتعجل قانون محاكمة الوزراء لانه فانوس خيالى فليس من المعقول أن يقتل رجال الحكومة حبلا لاعناقهم . ولكننا نطالب بقانون متواضع يمنع حراسة الوزراء السابقين ويومها لن نجد مصر وزيرا واحدا تحدثه نفسه بالاجرام فى حق الشعب » .

ويشارك يوسف حلمى فى هذا العدد هو الآخر . وثمة سببان للعلاقة بينه وبين صادق عزام فهما من نفس الانتماء القديم . اللجنة العليا للحزب الوطنى . وهناك الرباط الجديد . علاقه كل منهما بجندو .

وليوسف حلمى أسلوبه المميز الذى اكتسبه من مدرسة الحزب الوطنى العريقة . « مدرسة الهزيمة » . « موقف الحكومة الوفدية » يدعو الى منتهى الزئاء ، فقد انتهت بها سياسة المساومة الى مأزق شديد الخطر الخلاص منه مستحيل . فالواضح أن سياسة هذه الحكومة تأسست على قبول التحالف مع الجبهة الاستعمارية وكل ما فى الامر أنها تطلب منها أن تغطى مركزها تجاه الشعب بالاتفاق على نوع من الجلاء الصورى المزيف وعلى صيغة جوفاء خادعة لمسألة السودان ، ويتمنى المعسكر

الاستعماري من ناحيته ألا يسمى الى مركز هذا الحليف الذي استعمله منذ ثلاثين سنة كصيدلية للمخدرات ولكنه في فزعه من صحوه الشعب وتلخذه للنضال يرفض أن يقامر بالجلاء ولو مؤقتا » .

ان الذي يتكلم الان هو يوسف حلمى أحد قادة الحزب الوطنى الذين يمتلكون فى قلوبهم أحزانا كبيرة وانتقادات مريرة ضد الوفد وضد سياسته وضد تاريخه . . . ولقد نختلف معهم فى تقييماتهم هذه لكننا لا نملك الا الاستماع اليهم . . . » ان استقراء التاريخ السياسى لحزب الوفد ينتهى بنا الى نتيجة لا تنقض ، لقد كانت كل وظيفة هذا الحزب فوق تجارة المخدرات السياسية ، كانت أن يقبل انتصارات الشعب الى هزائم ، وفى كل مرة عندما كانت تتأزم الامور وتتأهب القوى الشعبية للنضال وتترأى أمام الأعين وحدة الشعب التى لا تنهزم كانت القيادات الوغدية تتخذها شر خذلان بمثل هذا الهذر الذى تلوكه أشداق الزعيم . . . غير أن حقن المخدرات السياسية قد بطل مفعولها وفسدت بمضى الزمن وأصبحت عديمة الأثر ، وخرج الأمر من يد الاصنام القدامى ، وفى يوم وليلة سنرى الكتلة الشعبية المكافحة وقد استردت لنفسها قيادها وواجهت متحدة متآزرة ضد أعدائها وقاوتت حتى الفناء قتالا مرا نهايته النصر الكامل الذى لا شك فيه » .

ثم تستعرض الملايين وقائع المؤتمر المشترك الذى عقده رؤساء تحرير الصحف الاحرار بدعوة من فتحى رضوان تحت عنوان « رؤساء تحرير الصحف الاحرار لا يؤيدون الدفاع المشترك فى السلم أو الحرب » .

وبالاضافة الى يوسف حلمى نلمح وجها جديدا هو أيضا على علاقة بحدثو . . . عبد المنعم خلاف الذى يكتب « تجمعوا ايها الساخطون » . . . ان أحاديث السخط على جميع أوضاع الحياة فى مصر قد زخرت بها المجالس واستقفاضت بها أنهار الصحف ولقد نضج الكلام حتى احترق . ولم يبق عن هذه الامة من لم تمتلىء أذنه بهذه الاحاديث بل من لم يشارك فيها بالرواية لما يشاهده من مظاهر الفساد فماذا بعد ذلك كله ؟ هل المقصود ان نظل نرؤى ونسمع ونبدى ونعيد ، ونعجن ونلت ، ونجتر ونخضع الى ما لا نهاية حتى تنطفئ باليأس جذوة السخط فى صدور الساخطين ؟ » ثم « الآن ايتها الملايين الساخطة صيحي صيحة واحدة فى كل مكان . . . الى التجمع . . . الى تكوين حزب السخط الى السلاح الاول لمجابهة الاخطار وهو الرأى المجتمع . . . والا فستظل أحاديث سخطك سمر مجالس وتسالى عجرة يجعلون حديث السخط كقفزقة اللب » .

ويمكن القول بأن حدثو كانت تقترب سريعا من الملايين ليس فقط بمشاركة بعض اعضائها واصدقائها بالكتابة وانما بمجموعة من المراسلين العماليين الذين أسرعوا بتقديم المشاكل العمالية على صفحات الجريدة . . فهناك ريبورتاج مصور عن مدينة العمال بامبابية بعنوان « مدينة العمال : بلا خبز ولا شوارع ولا نوافذ ولا تليفون ولا اسعاف ولا مدرسة » .

وبرواز بعنوان سعر العرق . . وكاريكاتير في شكل رسم بيانى « عامل مصرى = ٧١/٢ ريال أسبوعيا ، عامل انجليزى = ٣٠ ريال أسبوعيا ، عامل يندى = ٤٧١/٢ ريال أسبوعيا ، عامل أميركى = ٦٢١/٢ ريال أسبوعيا » . وتحت عنوان « نقط العرق » تبدو النكهة الطبقية بارزة واضحة « تنساب نقط العرق على جبين العمال فتكوى جفونهم وتلذع وجوههم ولكنها لا تذهب هباء ، ولا تضيع بلا ثمن ، بل تنساقط ساخنة على الارض ثم تتجمع تسينا فشيئا كالخزان الهائل وتنطلق فى عصف مكتسحة فى طريقها كل شئ . . لتشفى لنفسها فى الارض مجرى عميقا لاساس بناء من العدل . . راسخ لا يزول » .

ومع هذا التوجه الجديد تبرز أسماء بعينها « أرسل محمد على عامر رئيس نقابة عمال النسيج الميكانيكى وعضو اللجنة التحضيرية لجماعة أنصار السلام برقية الى النائب العام يشكو فيها من مضايقات مخبرى البوليس السياسى وكيف أن ثلاثة منهم يقفون ببابه ليل نهار وابعهم قد اتخذ لنفسه مسكنا بجوار بيته ولقد أطلق الجيران على بيت صاحب البرقية . . ننتطة بوليس محمد على عامر » .

وفوق كل هذا يبشر د. راشد البراوى بكتابات اشتراكية قد لا ترضى الماركسيين المقبلين فى حماس الى الجريدة ولكنها تردد كلمة الاشتراكية على أية حال . . « ونود أن يكون واضحا فى الاذهان ان الاشتراكية مرحلة عليا من مراحل الديمقراطية وقوائم الديمقراطية الحرية للمواطنين فى ابداء آرائهم بصدد المسائل المتصلة بحياتهم القومية والمحلية . . فيجب توفير هذه الحرية للصحف والمطبوعات والرسائل . . » ثم « وفكرة التأهيم ليست مجرد تتعلق بمذهب معين ولكنها مستوحاة من الضرورات الاقتصادية والاعتبارات القومية »

. . ثم تقدم الملايين على تجربة لم تسبقها اليها أية صحيفة يسارية . . « باب المجتمع » لكنها تبدأ هذه التجربة بمقدمة تقول (هذا الباب جعلناه مرآة صادقة لمجتمعنا المصرى كل أسبوع فهو اذن لن يكون مقصورا على أخبار الزوات وأصحاب الجاه والثراء ولا يدهشك أيها القارئ ان تطالع هنا خبرا أو صورة لمصرى مات من الجوع الى جانب صورة أو خبر لمحمد محمود خليل فى مسراته لا يدهشك ذلك ايها القارئ العزيز فان لمجتمع مصر وجهين أحدهما بذخ وإسراف والآخر فقر وجوع » .

اما الصفحة الاخيرة فهي بأكملها مجال لابداع زهدى وكاريكاتيره .
وفيهما ايضا قصيدة غريبة بمقدار ما هي شهيرة . . وهي تكتسب غرابتها
وشهرتها من ان صاحبها (الذى لم يعلن اسمه) كان كامل الشناوى .

وعنوان القصيدة « نشيد الشعب » اما ابياتها فتقول

يا ترسملونا	يا تبلسفونا
يا تموتونا	وتخلصونا
ان كلنا لقمه	بتكون بدقه
ونص شقه	وان قلنا لأه

بتحبسوننا

يا ترسملونا	يا تبلسفونا
والموت قبلنا	وكرب حالنا
ومهما قلنا	الفقر خالنا

والجوع أبونا

يا ترسملونا	يا تبلسفونا
احنا اللي نشقى	ونبص نلقى
خراب وسرقه	من عند برقه

لحد سينا

يا ترسملونا	يا تبلسفونا

ولقد ظلت هذه القصيدة تتردد كثيرا على السنة شباب هذه الايام .

ويواصل العدد الثالث نفس الطريق . .

مانشئاته تقول « التعديل الوزارى يتناول ٤ وزارات - حذف مرتب
شهر لموظفى الحكومة -

ميثاق البحر الابيض يؤلف من تركيا واليونان واسرائيل - تعيين وزير
دولة لشؤون الامن العام » « اما حديث الملايين » فيصوغه أحمد صادق عزام
ويركز هجومه ضد فؤاد سراج الدين « صاحب المعالى فؤاد سراج الدين باشا
وزير الداخلية والمالية سكرتير عام حزب الوفد المصرى مشغول هذه الايام
جدا باصدار قانون جديد يحرم به على الصحافة ان تتحدث عن الجيش . .

وصاحب المعالى سالف الذكر كان مشغولا فى الشهور الماضية باستصدار
قوانين لاعداد لها تحرم على المصريين ان يحركوا ساكنا . . أى ساكن سواء
كان ذلك احتجاجا أو ابداء رأى ، أو القيام باضراب . وكان معاليه مشغولا
أكثر من ذلك بمصادرة الصحف ومراقبة النقابات والقبض على الاحرار أو
القضاء على العناصر الوطنية داخل السجون ومع ذلك فان معاليه يؤكد ان

شغل الحكومة الشاغل هو القضية المصرية وتحقيق الجلاء والوحدة والحرية . .
اذن ففي ثياب صاحب المعالي شخصيتان . . شخصية مشغولة جدا بتحرير
الشعب المصرى وشخصية أخرى مشغولة جدا باستعباد الشعب المصرى . .
ولكن الشعب لا يستطيع ان يلغى عقله . . وعلى معالى الوزير ان يسارع
فوراً باستشارة طبيب « (١٥) » .

ومن « حديث الملايين » الى « صرخة الملايين » بقلم ابن الحسين . .
« سخرت لندن من الاقتراح الذى قدم فى مجلس نوابنا بعقد معاهدة عدم
اعتداء مع حكومة الاتحاد السوفيتى وليس غريباً أن تسخر لندن من هذا
الاقتراح أو من أى اقتراح آخر للتقريب بين موسكو والقاهرة ما دامت تؤمن
كما يؤمن الامريكىون واليهود (!) بأن مصر لن تتجروء فى يوم من الايام على
اتخاذ أى خطوة فى هذا السبيل يرجع هذا الايمان الى بضع سنوات مضت
عندما أنذرت الحكومة الامريكية بأن تأييدها السافر للصهيونية قد يدفع
الدول العربية الى التقرب من موسكو عدوتها اللدود غدد أكد وايزمان وبن جريون
وشرتوك لاصدقائهم الامريكىون ان النظام الاقتصادى شبه القطاعى الذى
يسيطر على مصر والعراق وسوريا ولبنان والمملكة العربية السعودية واليمن
وقد يدفع بهذه الدول الى أى طريق الا الطريق الى موسكو . . ومضت الايام
والاحداث تؤيد كل يوم النظرية اليهودية (!) .

فعندما سافر الوفد المصرى لعرض قضية مصر على مجلس الامن كان
أول تصريح لاحد كبار أعضاء هذا الوفد يتضمن هجومًا عنيفًا على الاتحاد
السوفيتى وعلى الديكتاتورية الشيوعية بالرغم من أن الاتحاد السوفيتى
كان املاًنا الوحيد فى احباط المؤامرة الانجلو - امريكية ضد القضية المصرية
وبالرغم من وقوف الحكومة السوفيتية الى جانب مصر وتأييدها الشديد
لقضيتها فقد عاد الوفد المصرى الى القاهرة لبدأ سياسة جديدة تنطوى على
العمل على تسوية العلاقات المصرية السوفيتية بكل الوسائل وسرعان ما بدأت
الدول العربية الاخرى حملة شديدة ضد الشيوعية وصدرت الاوامر بحل جميع
الاحزاب الشيوعية واضهاد كل نشاط شيوعى . . أتعرف لماذا ؟ لان الزعماء
العرب ظنوا واهمين ان هذه السياسة التى تنطوى على الارتواء تحت اقدام
الغرب الاستعماري كفيلة بتخفيف حماسة فى محاربة كل قضية عربية .

وبعد هذا يبدأ المقال فى سلسلة من التحليلات المرتبكة مؤداها أن اليهود
ينالعبون بالشرق والغرب معاً وأنهم يسمحدون بالنشاط الشيوعى حتى
يستخدموا هذا النشاط وسيلة لتخويف الغرب . . والضغط عليه وان الحزب
الشيوعى نما وترعرع فى اسرائيل واحتل أكثر من ٤٠ ٪ من البرلمان اليهودى

ويختتم المقال ٠٠ « اما الحكومات العربية النى اتخذت من الذلة والجبن أساسا لسياساتها فلم تلق من الغرب الا كل احتقار واستهتار ، فلم لا يحق للندن بعد ذلك أن تسمخر من تصفيق النواب لاقتراح عقد معاهدة عدم الاعتداء مع روسيا » .

اما سيد قطب فيواصل كتاباته العنيفة تحت عنوان « فلنواجه الحقائق » ٠٠ « لماذا لا نواجه الحقائق لماذا لا نجهر بما يقوله الناس في كل مكان وبما يعتقد كل فرد في هذه البلاد . لماذا لا نقول ان أحداً في هذا البلد لا يعمل شيئاً لحساب البلد وان أمراً لا يتم في هذا البلد الا ووراءه مصلحة لشخصية ما او لشركة ما أو جهة ما ، وان الملايين ليس لها حساب على اطلاق في كثير أو قليل لماذا لا نعلن ان البوليس السياسى هو الذى يدير البلد في كل عهد لأن رجال كل عهد في حاجة لحماية هذا البوليس . في حاجة إلى حمايتهم من الملايين الذين لا يمثلهم احد في عهد من العهود . لماذا نغالط أنفسنا ونقول ان لنا دستوراً وبرلماناً وقوانين نظامية تحكمنا وهذه القوانين يمزقها كل من يجلس في كرسي الحكم المسحور ، يمزقها وهو في حماية القوانين التى لم توضع الا لكبح جماح الملايين وتذليلها للسادة المستغلين في كل حين » ويمضى سيد قطب قائلاً « يجب أن نواجه الحقائق ، يجب أن نعرف أننا لا نحكم حكماً نظمياً ، أن هذا الدستور عبث لانه لا يفيد أحداً ، ولا يقيد أحداً . ان تلك القوانين لغوا لانها لا تعاقب المجرمين الحقيقيين . يجب أن نعرف الملايين كيف تحكم وكيف تدار الشؤون وكيف تفسر الامور ٠٠ يجب أن نواجه الحقائق وأن نقف وجها لوجه أمام الاوضاع التى يجب أن تزول لانها عاشت أكثر مما ينبغى وقد آن لها أن تزول » .

أليس غريباً ان يكون سيد قطب هو أكثر كتاب الملايين عنفاً ٠٠ وأكثرهم وضوحاً تجاه النظام الاجتماعى وتحديدأ تجاه ضرورات الاطاحة به وتغييره . ٠٠ أما العدد الرابع فما نشناتة تقول .

« وكيل مجلس الشيوخ المصرى ينادى بالصلح مع اسرائيل .

— جيوش الجوع تزحف على وزارة المالية .

— جريدة البرافدا السوفيتية تذيب أسرار المباحثات المصرية — البريطانية، المفوضون المصريون يخفون عن الرأى العام حقيقة اتفاقاتهم مع الانجليز » .

ثم عنوان رئيسى في الصفحة الاولى « المنشورات السرية تغمر انحاء اسرائيل . الشعب الاسرائيلى يرفض مقاتلة العرب ويستعد للانقلاب على حكومته » (!) (١٦) .

(١٦) الملايين - ١٣ - ٥ - ١٩٥١ .

اما الافتتاحية فعنوانها « حكومتهم وحكومتنا » وهى كالعادة بقلم احمد صادق عزام « الحكومة المصرية تعلن فى كل يوم انها مصرة على جلاء الانجليز عن منطقة القنال . والحكومة البريطانية لا تعلن شيئا ولكنها تزود منطقة القنال - فى كل يوم أيضا - بقوات جديدة ومعدات جديدة . والحكومة المصرية تصرخ فى كل يوم وبأعلى صوتها انها ستلغى المعاهدة بجرة قلم ، والحكومة البريطانية - بدون جرة قلم - تباصر اضعاف الحقوق التى نصت عليها المعاهدة ، والحكومة المصرية تقوم وتقدم لكل « لفوت بريطانى يبطأ بقدميه أرض مصر ٠٠ » والحكومة البريطانية تتخير فى كل يوم مكانا تصصفه من رجه مصر وموضعا حساسا تضغط عليه فى عنف لتستنزف الدم من قروحه الممزقة . والحكومة المصرية تبحث عن السلاح بشرط أن يكون بريطانيا ، والحكومة البريطانية تباع السلاح لمن يشاء الا مصر ٠٠ ومع ذلك فالحكومة المصرية لا تجرؤ أن تتبادل الغزل مع غير بريطانيا ولا أن تقدم الولاء لغير بريطانيا » ثم يمضى احمد صادق عزام مؤكدا ان المعركة بين حكومة الوفد وبين الانجليز ليست حقيقية « فالحكومة المصرية تعتمد بقاءها من ثقة الانجليز لا من ثقة المصريين ويستند بقاءها الى بنادق الانجليز لا الى أذرع المصريين ، ويتحدد مصيرها على المكاتب الانجليزية فى لندن . وليس معقولا أن تجد الحكومة فى طرد الانجليز فتنفد بزوالهم سندا قويا يعينها على الشعب المظلوم ، ويوم يميزق الشعب المصرى بارأته وبقوته وباصراره كافة الحبال التى تربط بين حكومته وحكومة الانجليز ٠٠ عنئذ سوف يتحقق الجلاء وسوف تتحقق الوحدة وتتحقق الحرية » .

اما « طلقة » مأمون الشناوى وهى طلقتها الاخيرة فقد انسحب بعدها من الملايين فتقول « فى مصر حرية أخرى مقيدة بالاغلال والاصفاد اسوء بمخفاف الحريات تلك هى حرية الاكل . ويكفى ان تعلم ان فى مصر ١٥ مليوناً من أبنائها لا يزيد دخل الفرد منهم على ثلاثة قروش فى اليوم لتدرك فى أى مجاعة طاحنة يعيش المصريون اليوم فان القروش الثلاثة لا تكاد تكفى الفرد الواحد خبزا مجرد خبز . والمسؤولون عندنا ينظرون الى ارتفاع الاسعار نظرتهم الى ارتفاع حرارة الجو والى أى ظاهرة من الظواهر الطبيعية التى لا يملكون حيالها نفعا ولا ضرا . ولا شك انهم معذورون فقد أثقلت النخمة جفونهم وشلت احساسهم فلا يشعرون بمقدمات العاصفة ونذير الاحداث ولا يحسسون بالخطر الكبير الكامن تحت مقاعدهم وتحت النعيم الذى يرفلون فيه ، ولا يعتبرون بالذين ناموا قبلهم واستيقظوا بعد أن أغلت منهم الزمام ٠٠ وهم لا يعون ان الملايين من المصريين الذين لم يدركوا بعقولهم حتى اليوم فساد الحكم والحاكمين ، سوف يدركون ببطونهم الحقيقة المروعة حقيقة الجوع الذى

توفره الدولة لثلاثة أرباع رعاياها وتسومهم حياة أفضل منها حياة الحيوان . كل هذا سوف تدركه ملايين الأشقياء في مصر بفضل ارتفاع الاسعار الذى يسابق ارتفاع المحسوبين الى أعلى المراتب . أجل سوف يدرك المصريون جميعا لا بعقولهم بل ببطونهم كيف يعيش الثرى السعيد في مصر على دم الشقى وعرقه ودموعه فمرحبا بالجوع ليكمل وعى هذا الشعب . ومطالب الجوع حاسمة » .

اما الخبر الذى تحدث عنه المانشيت فهو تصريح لحسين الجندى وكيل مجلس الشيوخ (وهو من أحزاب الاقلية) « اننى ساتكلم بصراحة في موضوع المباحثات السياسية بين مصر وبريطانيا وسأعلن رأيي بصراحة وهو ان القضية المصرية لا تحل الا اذا عقدنا صلحا مع اسرائيل » ثم استطرد الجندى بك « وسأنادى بابقاء معاهدة ١٩٣٦ لانها خير ألف مرة من اية معاهدة تبرم . » ثم قال « وفي يقيني ان حكومة الوفد لا تنال أى مطلب من مطالب البلاد القديمة من الانجليز » .

والسطر الثانى من المانشيت الذى تحدث عن « جيوش الجوع التى ترحف على وزارة المالية » تفصيله كما يلى : « فى الساعة الحادية عشرة من صباح أمس كانت قوة من رجال البوليس أمام مبنى وزارة المالية على استعداد ، وفى نفس اللحظة كانت قوة كبيرة من موظفى الحكومة المنسيين بلغ عددهم ألف موظف داخل مبنى وزارة المالية يطالبون مقابلة معالى فؤاد سراج الدين باشا لعرض شكواهم ومطالبهم . . وكان من بين الهتافات التى رددوها ليسمعها معاليه هى : نريد أن نعيش يا معالى الوزير - أين الوعود يا وزير المالية - الجوع يقتلنا يا وزير الشعب - لا نريد العزب ولا الملايين ولكن نريد أن نعيش » .

. . وبعد العدد الرابع تبدأ انعطافة جديدة فى حياة جريدة « الملايين » « الصراع الذى بدأت ملامحه منذ العدد الثانى بين القيادات الصحفية ذات المكانة المهنية وذات الموقف المعتدل وبين العناصر اليسارية الأكثر تطرفا وذات الانتماء العمالى والنقابى والمنتسبة الى تنظيم شيوعى سرى هو منظمة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حنتو) .

. . هذا الصراع حسم تماما .

ربما حسمه أحمد صادق عزام باعتباره صاحب الترخيص ورئيس التحرير . . وصاحب رأس المال .

وربما حسمته الازمة المالية التى قللت أو أنهت مساهمة أى صحفى محترف يطلب أجرا عما يكتب والتى فتحت الباب أمام الكوادر الحزبية التى

تقدم التحرير المجانى وأخبار الاقاليم والنقابات وتقوم بالتوزيع وجمع الاشتراكات والتبرعات معتمدة على شبكة العضوية التنظيمية المنتشرة في مختلف الأقاليم . .

على أية حال . . العدد الخامس ليس بين أيدينا وابتداء من العدد السادس تبدأ الملايين رحلة جديدة يمكن القول بانها وامتدادا حتى العدد الأخير (الثلاثين) كانت الى درجة كبيرة وفي توجهاتها السياسية الاسـسية لسان حال لحدثو .

وهكذا تبدأ الملايين صفحة جديدة . .

نحن الآن مع حدثو وجهها لوجه . .

وأمام مرجع أساسى لممارساتها السياسية والفكرية والمنهجية في فترة حاسمة من تاريخها ومن تاريخ مصر كلها ولان الامر يتعلق بمنهج وبرنامج عمل واحدة من أهم المنظمات الماركسية في ذلك الحين فانه يتعين علينا أن نغير بعض الشيء من أسلوب تعاملنا مع هذا المرجع باعتباره مادة للمعرفة التاريخية .

لن نجد كثيرا أن نتابع الاعداد واحدا بعد الآخر فسوف نتباعد ملامح الصورة وتفقد قدراتها على اعطاء لوحة متكاملة . ولهذا فاننا سنتابع المحاور الأساسية للتوجه السياسى والمنهجى واحدا بعد الآخر . وتبرز امامنا عدة محاور أساسية . .

- * الموقف من الوفد وحكومته وممارساته . .
- * القضية الوطنية والموقف من القوى الاستعمارية وقضية الدفاع عن السلام العالمى .
- * قضية الحريات والدفاع عن الديمقراطية .
- * الجبهة الوطنية والخلافات حولها .
- * التوجه الاجتماعى والدفاع عن حقوق الجماهير الكادحة .
- * الموقف من القضايا العمالية والعمل وسط العمال .
- * الموقف من القضية الفلسطينية .

. . ثم بعد ذلك لابد لنا من رؤية لبعض القضايا الاخرى ومن رؤية عامة للجريدة وممارسات محرريها والموقف الحكومى منها . . الخ .

وسوف نراعى فى استعراضنا لكل المواقف التسلسل الزمنى لتتابعه بهدف ايضاح مدى اتساق الموقف مع الاحداث وتقلباتها المختلفة .

ولتبدأ بالموقف من الوفد . .

في العدد الثامن نجد في صدر الصفحة الاولى عنوانا بارزا « خلاف جديد بين أعضاء الوزارة » . . « نستطيع أن نؤكد أن رفعة النحاس باشا حمل معه عندما تشرف بمقابلة جلالة الملك المعظم يوم الجمعة الماضي كتاب استقالة الوزارة وكان رفعته يعلم أن جلالة الملك قد حدد موعد سفره فأراد أن يثبت من الأرض التي تقف عليها حكومته وإشاعة روح الثقة بين زملائه في الوزارة . . » .

. . وفي العدد التاسع . . نجد في الصفحة الأخيرة حيث كاريكاتير زهدى اللاذع « اضحكوا على الدولة » النحاس باشا ترك لاظغلي والسفير البريطاني وترك مشاكل الموظفين والعمال والفلاحين وذهب الى سيدى بشر ليشم هواء البحر ، وفؤاد سراج الدين باشا نسي ميزانية الدولة ليتنزه على الكورنيش وأحمد حسين ترك مشروع الضمان الاجتماعى ومشاريع الإصلاح الاجتماعى وسافر الى ساحل الريفييرا ، والشعب يفتشاجر مع باعة البطيخ والشمام ، الشعب هو الذى دفع ثمن نزاهات وزراء الدولة فى الصيف من عرقه وكفاحه ، الشعب الجائع هو وحده الذى يحتاج الى نزاهات على نسيم البحر أما الوزراء وزراء الشعب فمى مكاتبهم فى القاهرة آلات تكييف هواء . . » (١٧) .

ثم توجه الهجوم ضد سراج الدين « سراج الدين يعلن الحرب » . . « نستطيع أن نؤكد أن معالى سراج الدين باشا قد وضع نصب عينيه فى الوقت الحاضر تنفيذ برنامج سياسى شخصى يهدف الى التخلص من بعض اقطاب الوفد الذين يحتمل أن ينافسوه فى تولي رئاسة حزب الوفد بعد رفعة النحاس باشا » (١٨) ثم تواصل الملايين بعد ذلك الخوض تفصيلا فى الخلافات الوفدية . .

وهجوم شديد آخر على النحاس باشا نفسه . . فى العدد العاشر عمود عنوانه « على مسؤوليتى » . . « وأخيرا قرر رفعة الرئيس الجليل والزعيم الكبير خليفة سعد أن يحج . . والنحاس باشا رجل تقى نقى ورع بل قد يعده بعض الاتباع من أولياء الله المخلصين . . فهم يركعون له كلما هلت طلعتة عليهم ويقبلون يده كلما وادتهم الفرصة السعيدة ويتمسحون به عسى الله أن يمنحهم من بركته ما يحلون به المشكلات والرتب والدرجات » ثم تمضى الملايين فى تعريضها بالنحاس قائلة « وهو رئيس وزعيم يجب من أتباعه أن ينحنوا دائما لانه يجب الانحناء ويجيده ويعلم أن فيه الحياة والبقاء . .

١٧ - الملايين - ١٧/٦/١٩٥١

١٨ - المرجع السابق .

والحياة والبقاء هما الغاية والهدف عنده فالنحاس باشا الطيب التقى الرئيس
قرر الحج هذا العام فكان لزاما على الملايين أن تحييه وأن تهنئه وقد لا يعلم
الشعب أن رفعتة قد حج من قبل مرتين ويريد أن يكملها بحجة الثالثة وحجة
هذا العام كحجة ما فات من الاعوام ، حجة الى الريفييرا المكرمة ٠٠ المكرمة
عند الرئيس الجليل ٠٠ نعم الريفييرا الفرنسية الجميلة ففيها شفاء لنفسه ،
وراحة لضميره ، لا يجدها في مكة المكرمة ولا في مدينة رسول الله الكريم .

ثم تختتم الملايين هجومها اللاذع على النحاس باشا قائلة « والملايين
تدعو لرفعتة بطول البقاء ، وراحة البال ، والطمأنينة ، وترجو من الشعب
المصرى الكريم ومن الشعوب العربية والاسلامية أن يحذروا حذو هذا الزعيم
الأمين وأن يولوا وجههم شطر الريفييرا وأن يحجوا اليها ففيها شفاء لنفوسهم
وقلوبهم ولهم في النحاس باشا وأتباعه أسوة حسنة . وعلى الشعب المصرى
المسلم الكريم السلام » (١٩) .

ورغم هذا الهجوم الشديد على النحاس ٠٠ نجد « الملايين » تتعامل
سياسيا مع النحاس بصورة مختلفة عن غيره من قادة الوفد
« علم مندوب الملايين من مصدر موثوق به ان الدوائر المسؤولة ستعرض منصب
وزير الخارجية المصرية على سعادة عبد الحميد بدوى باشا وذلك بعد تصميم
الدكتور صلاح الدين باشا وزير الخارجية الحالى على رفض الرد البريطانى
الجديد من أساسه ووجوب قفل باب المفاوضات نهائيا ، وتذسولى بعض
السلطات الوزارية يؤيدها في ذلك رجال المال والصناعة مهمة الاقناع بأهمية
هذا العرض لانها ترى ضرورة التحالف مع بريطانيا بأى ثمن وفى أى شكل
بالرغم من معارضة رغبة النحاس باشا » .

وكما تميز الملايين بين موقف النحاس وبين غيره من قادة الوفد - ورجال
المال والصناعة - فانها تميز بين موقف شباب الوفد وموقف قيادتهم
عموما ٠٠

٠٠ وفى نفس العدد تنشر الملايين تحت عنوان « ثورة شباب الوفد
على النقطة الرابعة » نصا كاملا لبيان صادر عن الطليعة الوفدية موجه
الى حضرات الشيوخ والنواب المحترمين « حضرات الشيوخ والنواب المحترمين
ان بلادنا تسير نحو كارثة محققة وان شعبنا ليتعرض لخطر عظيم فلم يكف
بلادنا أن الانجليز المعتدين يزيدون كل يوم فى قواتهم ولم يكنهم أن يبنوا
المطارات والموانئ الحربية وأن يزحفوا من منطقة الفنال الى منطقة شبه
جزيرة سيناء ليحولوها الى معسكر ضخم وانما أصبحنا اليوم نتعرض

لشر جديد وخطر داهم ألا وهو خطر الاستعمار الأميركي الداهم . . . ان
الاستعمار الأميركي بكل مظاهره الاقتصادية والسياسية والعسكرية يزحف
بثبات على بلادنا في صورة اتفاقية النقطة الرابعة وهي الاتفاقية التي
وقعها وزير الخارجية والسفير الأميركي في ١٥ مايو ١٩٥١ .

وبعد عرض تفصيلي لبنود الاتفاقية ومخاطرها على الاستقلال
الوطني والاقتصادي والسياسي . تختتم المذكرة قائلا :
« باسم هذا الشعب الذي يدافع عن استقلاله وحريته . .
باسم شعبنا الذي منحكم الثقة في الانتخابات . .

باسم ملايين الاطفال والنساء الذين يهددهم خطر الموت والمرض
والتشريد في الحرب المقبلة . .

باسم شهدائنا . . نطلب أن ترفضوا الاتفاقية وستجدوننا دائما
الى جانبكم نشد أزركم مستعدين على الدوام أن نبذل دماءنا دفاعا عن
حريتنا واستقلالنا - الطليعة الوفدية » .

وتواصل الملايين هجومها على الحكومة الوفدية وفي العدد ١٣ مقال
عنيف بقلم د . فخرى أسعد بعنوان « الحكومة مستقرة تمام الاستقرار » . .
« لا شك أن الحكومة الشعبية (كذا) تنعم اليوم بتأييد الشعب الى حد يجعلها
اليوم أقوى منها في أي يوم من سابق الايام وهل أدل على ذلك من أن
جميع المقام استطاع أن يصعد الى الدور العلوي على قدميه في يوم عيد
مبلاده ومن أن ينعم برفقة مجوهراته وقصوره في جاردن سيتي والمرج . .
وهل هناك برهان أنصع وأسطع من أن وزير الداخلية والمالية الجبار
قد وجد الامور قد استتبت في بهوت وكفور نجم وسائر أنحاء البلاد
وما عليه الا الرحيل لأوروبا برفقة ٦٤ فردا من أفراد الاسرة الكريمة لكي
يجاهد من أجل هذه الامة المغلوبة على أمرها . . وهل هناك جناد أمضى
من أن يعود الينا رشيما بعد أن يخمس جثته الضخمة . . » ثم يستعرض
المقال الوزراء الواحد بعد الآخر متهمكا على كل منهم « ليدع وزير
المالية جانبا لانه يشكو التخممة لنفسه والازمة لصندوق الدولة فيشاء
تمكيده المتزن أن يخلق الطبقات حتى في الخبز والرغيف فيجعل بعضه في
سواد قلبه والاخر أبيض من كل سوء . . ووزير الزراعة يوزع مبيدات الدودة
على الدوائر والاقطاعات ويحرم منها صغار الملاك والمزارعين . . ووزير
الزموين وجهه يقطع الخميرة من البيت فما تدخل في أمر من أمور الزموين الا
وخرجت من باب الموجودات وظهرت خفية في سوقها السوداء أما غنام فهو
يدق بطل البطيخ والشممام ولنترك وزير الاشغال لانه منهمك في زخرغة
القصور وانشاء التماثيل . . وشارع الهرم . . » .

يختام المقال « ومع ذلك فحكومتنا الشعبية لا تزال مستقرة في الحكم أليمت متمتعة بثقة الشعب وملك مصر ولا تنس من فضلك ثقة حكومة الانجليز » (٢٠) .

وفي العدد ١٧ نجد مقالا بعنوان « سراج الدين يسارع بالعودة الى مصر » ٠٠ « هبت الحركة الشعبية في مصر عصفية ضد أذئاب الاستعمار الانجلو - أمريكي الذين يعملون في صفوف الوفد وعلم بذلك صاحب المعالي مؤاد سراج الدين باشا وزير الداخلية والسكرتير العام للحزب وشعر وعم في مصيفه بأوروبا بأن الارض تهيد من تحته وأن الامور بدأت تنطوّر بسرعة غريبة ضده ولا سيما بعد أن اجتمع الكثير من أعضاء الهيئة الوحدية وأبرقوا الى معالي عبد الفتاح الطويل بالحضور الى مصر .

وبعد أن نتحدث الملايين مطولا عن دور الشباب الوفدى في النضال ضد القوى الرجعية في الوفد تقول « على الوفديين المخلصين أن يستعدوا لغزو المعركة فاما سياسة وطنية تتفق ومصالح الشعب واما الارتقاء في أحضان المستعمر » (٢١) .

ومن الحديث العام عن الشباب الوفدى ومن تأييده بشكل عام في معركته ضد اليمين الوفدى الى توجيه الضربات للنساء الحزبي الوفدى ذاته ففي نفس العدد وفي باب « الى المحرر » الذى يشرف عليه عبد العزيز بيومى رسالة من ابراهيم نوفل عضو لجنة الوفد بغيط العنب بالاسكندرية « سادقا » والرسالة ذات مغزى لان الانتقاد يأتى الان من « وفدى » ولاه مشفوع بالاستقالة من حزب الوفد واتهام الحكومة الوفدية بالخيانة . تقول الرسالة ٠٠ « قامت الحكومة الوفدية بارتكاب عدة خيانات جسيمة ضد الشعب المصرى كان آخرها محاولة اصدار قانون لخنق حرية الرى والصحافة وذلك رغم أنها كانت قد ارتبطت مع الشعب في معركة الانتخابات الماضية بعدة تصريحات تؤكد عزمها على عدم المفاوضة مع الاستعمار والعمل على اطلاق الحريات ورفع المستوى الاجتماعى والاقتصادى للملايين الكادحة البائسة . ولكن الشعب المصرى الواعى الذى تمكن من تحطيم انطاكية صدقى ، والسفاح عبد الهادى لن يعجز عن تحطيم كل من يحاول خيانتة وخنق حرياته من أعضاء الكتلة السراجية المتمردة وامام هذه الخيانات والمؤامرات التى يقوم بها الوفد في هذه الايام لا أملك الا أن أعلن استقالتي منه وانضمامي الى معسكر المكافحين الاحرار الذين يعملون حقيقته

٢٠ - الملايين ١٥/٧/١٩٥١

٢١ - الملايين ٢/٨/١٩٥١

من أجل تحرير الشعب من الاستعمار وأذنا به وتثبيت دعائم الامن والسلام
في جميع أرجاء العالم » ..

.. وهكذا فان عضو لجنة الوفد بغيط العنب بالاسكندرية لا يكتفى
بالاستقالة من حزب الوفد وهو في قمة السلطة وانما يعلن وفي صراحه
ووضوح انضمامه الى معسكر المكافحين الذين يعملون حقيقة من أجل تحرير
الشعب من الاستعمار وأذنا به ..

.. وأما « الملايين » فهي اذ تنشر هذه الرسالة ذات المغزى فلا يعربها
أن تعلق عليها قائلة « ان صرختك هذه تعبر بوضوح وجلاء عما يعامل الان
في أذهان الآلاف العديدة من الشباب الوفديين الاحرار .. اننا نرى معك
بحرف أنه لم يعد ثمة معنى للبقاء في حزب يسير في ركاب الاستعمار ..
وأذنا به ويعمل على سلب حريات الشعب وهدم الدستور » ..

.. ونتوقف أمام عبارة « حزب يسير في ركاب الاستعمار » .. ونبدى
بعض الدهشة .. لكن كل ما سبق لا يعدو عن كونه مناوشات من خصوم
سياسيين تقف بالقارئ على هامش الموقف السياسي وتخلو من التحليل
العقيق وتكتفي كما لاحظنا بالتهم وتكاد تشبه في ذلك كله موقف صحف
المعارضة الوطنية التي تكاثرت هذه الايام وأكثرت من هذا النمط الانتقادي
للحكومة الوفدية وممارساتها ..

لكن الامر لا يقف عند هذا الحد فثمة تحليلات وتقييمات جادة يمكننا
أن نستخلص منها موقفا متسقا .. ففي العدد ١٨ وفي الافتتاحية يكتب
صادق عزام « خرج علينا نجيب الهلالي باشا من صومعته وتكلم .. تكلم
اخيرا وتكلم كثيرا وقال في الوفد ، وفي الحكومة الوفدية ، وفي الزعيم
الجليل ما يقوله الناس جميعا الان في الوفد وفي الحكومة الوفدية وفي
الزعيم الجليل وطرب بعض الناس وظنوا أن نجيب الهلالي هو المهدى المنتظر.
وهو حلال العقد ، وهو رجل الساعة ، ولكن معظم الناس لم يروا في الوجه
الجدبد شيئا ، انه ككل الوجوه القديمة التي ابتلى بها هذا الشعب العظيم
المغلوب على أمره » وبعد أن تشن الافتتاحية هجوما على سياسة الوفد
وعلى نجيب الهلالي على السواء . تقول في وضوح « الحقيقة أن المعسكر
الاستعماري يزيد أن يستبدل سياسة بسياسة ووجدها بوجوه جديدة وهو
يعرف ان معسكر الشعوب يتدعم كل يوم ، ويلمس في كل ساعة انهيار
المعسكر الاستعماري القائم على التناقضات وأزمات لا حصر لها وهو
لا يهمه في كثير ولا في قليل مصلحة الشعوب ولكن الشعوب استيقظت ووعت

وهبت ثائرة ضد الاستعمار الغاشم فكان لا بد للاستعمار المتداعي ن
يغير سياسته وأنفه في الرغام هذه هي الاسباب الحقيقية لهذه الموجة من
التغيرات والتبديلات على مسرح السياسة في المنطقة الواقعة في دائرة
النفوذ الاستعماري هذه هي السياسة التي تتحدث عن النساد وعن التشريعات
الرجعية وعن الاقطاعات وعن كثير من الاشياء ولكنها تغفل أو تتغافل عن
أس البلاء : الاستعمار . ولا تنطق بحرف واحد عن المعاهدات القائمة مع
الاستعمار وعن المعاهدات المنظورة مع الاستعمار . »

.. ثم تمضى الافتتاحية لتسطر موقفا واضحا .. « هذا الشعب
يتطلع اليوم الى قيادة جديدة وهذه القيادة هي قيادة الطبقة العاملة ،
القيادة التي لا يمكن ان تتراجع أبدا في صراعها مع الاستعمار والاستبداد ،
القيادة التي لا تقبل تهادنا ولا مساومة مع أحدهما أو كليهما .. القيادة
التي تسير على رأس موكب من عشرين مليوناً وإلى جانبها دغاؤها المخلصون
الذين يندر للاستبداد أن يكون بينهم بابا من الباباوات » (٢٢) .

.. واذا كان هذا الموضوع الواضح في طرح بديل آخر - هو حزب
الطبقة العاملة - جديداً على منهج الملايين فان الجديد حقاً هو أن التوقيع
تحت هذه الكلمات .. لاحمد صادق عزام . كم تغير الرجل !

وفي نفس العدد خبر يقول « منحت وزارة الحربية عطلة رسمية لعمال
سلاح المهمات بدأت من أول الزهيس وتنتهى صباح الاثنين وسيسمحون
لهم بالسفر مجاناً الى الاسكندرية لاستقبال سراج الدين وتنهضته بنقص
وزنه ١١ كيلو مشفى » .

وفي العدد ١٩ هجوم عنيف على معاهدة ١٩٣٦ بقلم م . رشدى « الفلاحون
ومعاهدة ٣٦ » .. « لقد كانت معاهدة ٣٦ وبالا على الشعب المصرى ووصمة
عار فى جبين الثلاثة عشر الذين وقعوها متآمريين على مستقبل الشعب المصرى
عماله وفلاحيه لحساب الاستعمار . ان معاهدة ٣٦ كانت سبباً فعالاً لهذا
الغلاء الذى يعانى به الفلاح فان أحد الاسباب الرئيسية لارتفاع أسعار
القمح واللحم والخضروات والسكر هو تلك الالاف من اطنان المواد الغذائية
التي تحملها مئات اللوريات يوميا الى القنال وسيناء لينعم بها جنود
الاحتلال، بينما يحرم منها الشعب المصرى بسبب هذه المعاهدة التي ربطتنا
بسياسة الاستعمار الانجليزى ندفع ثمنها نحن الفلاحون من دم أبائنا
الذين يساقون الى كل حرب كخراف الضحية للذبح ، هذه المعاهدة التي تدفع
الحكومة الى تبديد ٧٠ مليوناً من ميزانية الدولة فى شراء أسلحة وذخيرة

فأسدة لا يستفيد منها الشعب . هذه المعاهدة التى ضمنت حماية الاستعمار لكبار الملاك الاقطاعيين ومكنتهم من أن يتحكموا فى الفلاح ويستنزفوا عرقه ودمه ويسرقوا قمحه وقوته ويجلبونه بالسياط فى العزب والتفاتيش » .

هذا التوجه الطبقي الواضح المعالم .. يصاحبه تحليل مستفيض لأثر المعاهدة السلبى على حياة ومستقبل الفلاحين وأخيرا « فليعلن الفلاحون معاهدة ٣٦ والذين وقعوها وليقف الفلاحون مع بقية أفراد الشعب فى وجه أى معاهدة جديدة مع الاستعمار الأمريكى أو الانجليزى يراد بها استغلال الشعب المصرى وسرقة قوته وإرسال أبنائه ليموتوا فى حروب لن يستفيد منها غير الخراب والدمار » (٢٢)

٠٠ وتمضى الملايين فى حملتها ٠٠ ذات المحتوى الوطنى والطبى معا .. معلنة وبصرامة توجهها متميزا فى القصة الوطنية رافعة وبأقصى عنف ممكن سبابتها فى وجه الحكومة الوفدية مطالبة مع جماهير الشعب بالغاء معاهدة ١٩٣٦ .

والعدد العشرون تخصص افتتاحيته أيضا لنفس الموضوع « تسويق جديد » . « وأخيرا كشفت الحكومة عن وجهها القناع وأسفرت عن حقيقة نواياها فى صدد مطالبة الشعب الوطنية بالغاء والاستقلال وتولت صحيفة الأهرام هذه المهمة حين نشرت حديثا منسوباً الى شخصية رسمية كبيرة يشرح موقف الحكومة من معاهدة ١٩٣٦ والاستعمار البريطانى ، وأول ما كشفه هذا التصريح أن الحكومة لا تنوى الغاء المعاهدة الان ، وأنها تنوى الامعان فى سياسة الماطلة والتسويق .. » ثم يشدد الهجوم « وأثبتت المتحدت المختفى رعبا من سخط الشعب أن الوزارة الحالية ليست أقل استعدادا من حافظ عفيفى الذى خاصم القضية المصرية وأعلن خيانتة صراحة وليست أقل منه رغبة فى الخضوع للاستعمار وربط مصر لعجلته المتعفنة القدرة بإبرام معاهدة أخرى وكشف أيضا عن عجز الحكومة عن قيادة الشعب فى نصالة من أجل الاستقلال باظهار الخوف من التجاء بريطانيا الى الغاء انفاذية الأرصدة وفصل مصر عن السودان وانتهى المتحدث الى النتيجة التى يعتمد الوصول اليها حيث أنه لا يمكن الاتفاق مع بلاد الكتلة الشرقيه بحجة أن مصر لا تستبدل سييدا بسيد » .

٠٠ ثم يمضى أحد صادق عزام وهو صاحب التوقيع على الافتتاحية فى : « جزمه العنيف » أما الاستعمار الأمريكى فلا خطر منه لأنه ليس من بلاد الكتلة الشرقية ويعرف الجميع ان الوطنيين المخلصين حين يطالبون بعقد

ميثاق عدم اعتداء مع الاتحاد السوفيتي انما يريدون ابطال حجة بريطانيا
الكاذبة في حمايتنا المزعومة من الاعتداء والدفاع عن الشرق الاوسط » .

ومرة أخرى يعجز التوجه الطبقي واضحا في اطار الموقف الوطني « ان
أولئك الخونة المصريين الذين ارتبطوا بالاستعمار البريطاني والاستعمار
الأمريكي الجديد وشاركوهما في استغلال ملايين العمال والفلاحين ونشروا
في بلادنا الدعاية والرقاعة والرشوة والفساد والمرض والجهل هم الذين يعرفون
أن بقاءهم رهن ببقاء الاحتلال البريطاني لحمايتهم من سحق الشعب
وتدمره على البؤس والاستغلال وهم حين ينطقون بالخيانة معبرين عن
مصالحهم الانانية القذرة يعرفون انهم يسخرون من الشعب او يضلّلونه
أو يخدرونه » .

والختام « ان واجب الوطنيين المخلصين يزداد جلا ووضوحا كلما بصق
أحد الرسميين المجهولين أو المعرفين خيانتته القذرة في وجه هذا الشعب ،
هذا الواجب الوطني في ذوعية الجماهير الشعبية وحشد قواها الوطنية حول
أهدافها الوطنية الثابتة وتحت قيادة جديدة مطهرة عن رجال ذلك الجيل
الذي نسأ وتربى أبا عن جد في أحوال الخيانة والاستعمار واستهتر بحقوق
الشعب » (٢٤) .

وبرغم النعود الكثيرة للنحاس والحكومة الوفدية بأن المعاهدة ستسقى
وان المناقصات لن تستأنف تواصل الملايين هجرها في عنف بالغ على الحكومة
والسياسة الوفدية ذلك أنه لم يكن هناك أى قدر من الثقة يسمح بأى قدر
من الاعتقاد بأن الحكومة الوفدية قادرة على اتخاذ هذه الخطوة .

ولعل هذا الموقف يمكن أن يثار بصورة أخرى . .

فالمسألة ليست ثقة في حكومة الوفد وفي ممارساتها وقدراتها بقدر
ما هي ثقة في الثقل الجماهيري لجارف لمطلب الغاء المعاهدة ولقدرة هذا
الثقل على استقطاب قوى سياسية فاعلة حتى في صفوف الوفد شيايا
ونوابا وقادة . . ولعل السياسى مطالب بالحذر وبألا يخرط في منح ثقته لكنه
مطالب أيضا بادراك المكنات وبادراك التغيير الذى يطرا على المواقف والآفاق
الممكنة لها . .

.. لكل هذا يبدو غريبا أن يصدر العدد ٢١ من الملايين في ٧ أكتوبر
١٩٥١ أى قبيل اعلان النحاس باشا الغاء معاهدة ١٩٣٦ بأيام وهو يشن
حملات بالغة العنف على حكومة الوفد ..

٠٠ وإذا كان المنشئت يحمل دلالة هامة « المصريون المتأمركون يستعدون لتأليف الوزارة الجديدة » مان الافتتاحية التي تتخذ لنفسها موقعا جديدا (عمودين بالبنت الاسود على يمين الصفحة الاولى) والتي لا تحمل توقيع رئيس التحرير ودون ذكر لاسم كاتب هذه الافتتاحية التي توحى بوضعيتها الجذبة انها موقف سياسى لتنظيم حزبى وليست مجرد رأى فرد هذه الافتتاحية تتخذ لنفسها العنوان التالى « الطريق الى الخيانة وطريقنا للتحرر الوطنى » ٠٠ وتشن كالعادة هجومها على الوفد ٠٠ « دخل حزب الوفد المصرى الانتخابات النيابية الاخيرة على أسس واضحة محددة هى قطع المفاوضات والغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتى ١٨٩٩ وعدم الارتباط بأى حلف اقليمى استعمارى وتوسيع الحريات العامة على أوسع نطاق ، بهذه الأسس دخل الوفد المعركة الانتخابية واكتسح أحزاب الاقلية وقهرها فى أغلب دوائر القطر ، لكن الوفد لم يف بوعوده فقد فتح باب المفاوضات على مصراعيه بمجرد تربيعة على كرسى الحكم وخبر الكل طول هذه المفاوضات ومدى عمق سريتها ولم يتحمل الشعب وتأكد لديه أن هناك مؤامرة تدبر من وراء الستار تهدف الى تكيله بقيود جديدة وأخذت صيحات الشعب تتعالى من كل صوب منادية بقطع المفاوضات والغاء المعاهدة فوراً وبلا إبطاء ولكن الحكومة الوفدية لم تف . فى الانضمام الى معسكر الشعب الى ضم الشعب فماذا تفعل ٠٠ دخلت الحكومة جريا وراء سياسة السادة الانجلو - الأمريكان فى مفاوضات تهدف الى ضم مصر والبلاد العربية الى حلف يشمل اليونان وتركيا وفرنسا وأمريكا وبعض دول الكومنولث ٠ ان الحلف الجديد الذى تعمل الحكومة الوفدية جادة فى ربط مصر به انما هو حلف عدوانى جديد تنتزعه أمريكا وانجلترا وتهدفان منه الى كبت الحركة الوطنية فى بلاد الشرقين الاوسط والادنى والى استغلال موارد هذه الدول ومراكزها الاستراتيجية فى الاعتداء على الاتحاد السوفييتى بطل الديمقراطية والسلام » (٢٥) ٠

ولا بد أن الملايين قد وجدت نفسها فى مركز حرج بعد أيام قليلة عندما أعلن النحاس الغاء المعاهدة وصمم على رفض الاحلاف العسكرية ٠ على أية حال وبرغم هذا الهجوم الشامل على السياسة الوفدية فقد ظلت الملايين على حرصها التقليدى فى التمييز بين عناصر وعناصره ومواقف ومواقف حتى فى صفوف الوزارة الوفدية ذاتها ٠٠ « طه حسين يرفض مشروع النقطة الرابعة » ٠٠ « قرر الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف العمومية رفض مشروع النقطة الرابعة وأصر رغم المحاولات الكثيرة التى قام

بها بعض أصدقاء الولايات المتحدة الأمريكية على عدم قبول أية بعثات علمية تخصص في مشروع النقطة الرابعة لرجال التعليم المصريين وفي طليعة أسباب رفض الدكتور طه حسين للمشروع اعتباره مصر دولة متخلفة أى غير متقدمة وعرض بعض البعثات في جامعة بيروت الأمريكية وهى التى نعتبر أقل درجة من جامعة فؤاد الاول وسائر الجامعات المصرية .. وقد بلغ من تبجح الأمريكيين أن يعرضوا على المصريين بعثات في هذه الجامعة من الدرجة الثالثة في نفس البرنامج الذى أعد لرجال التعليم في الحبشة وليبيريا » .

لكن الأمر لم يكن مجرد تأييد موقف مقابل موقف بل ضرب مومع بموقف ووضع الموقفين معا في حرج التصادم والتناقض . فعلى يسار الصفحة الاولى من نفس العدد بالبنط الاسود لاحمد صادق عزام يقول « يواجه طه حسين كوزير وكمفكر وككاتب حر أخرج للشعب مستقبل الثقافة في مصر وأخرج لنفس الشعب « المعذبون في الأرض » وكرجل أولاه الشعب ثقته بل وأعطى هذه الوزارة بالذات ثقة كبيرة على اساس البرنامج الذى رسمه لتأميم التعليم ونشره وجعله كالماء والهواء حقا مشاعا للجميع لا لم يملك الثمن .. يواجه طه حسين الان أزمة ترتبط بكيانه وبكرامته وبالوعود اننى ارتبط بها أمام الشعب كوزير » ويواصل عزام هجومه قائلا « ان آلاف الطلبة في الجامعات المصرية مهددون بالحرمان من الدراسة اذا لم يدفعوا رسوم الالتحاق ويدفعوها مقدما وعشرات الالوف من طلبة المدارس الثانوية مهددون بالحرمان من الدراسة اذا صدقوا ما قاله طه حسين وما وعد به طه حسين حين أعلن أن التعليم الثانوى أصبح مجانيا وأصبح كالماء والهواء حقا مشاعا للجميع » ثم يتحول الكاتب الى الهجوم والتعدييد « ان لشعب صمم على أن ينال حقه ويتعلم ولن تقوى قوة في الارض على أن تحرم طلبة مصر من الدراسة لانهم فقراء وستفتح أبواب الجامعة والمدارس للجميع سواء رغبت الوزارة أو رفضت لاننا لم نعد قطيعا .. ولم يبق الا أن يقف طه حسين الوزير المسؤول وصاحب مستقبل الثقافة في مصر الى جانب الطلبة والى جانب الحرية والنور حتى لا يفقد أمام الشعب كيانه وكرامته . ودنى لا يعتبره الشعب مثل غيره أداة طيعة في يد أعدائه » .

وبرغم كل توقعات الملايين يعان النحاس باننا الغاء معاهدة ١٩٣٦ خضوعا لضغط وارادة حركة جماهيرية لا تقهر .. ونخلق هذه الخطوة تداعيات بالغة الاهمية على مجمل الحركة الوطنية والشعبية .

لكن الموقف الناقد لقيادة الوفد يظل كما هو وتظل سهام الملايين مسددة الى نفس الاتجاه القديم وفي العدد ٢٤ يتربع على صدر الصفحة الاولى مقال هو أقرب الى المنشور وبلا توعية ٠٠ أما العنوان فهو « نحو جبهة وطنية متحدة ، المعركة معركة الشعب » ٠٠ « سجل الشعب المصرى أولى انتصاراته فى كفاحه ضد الاستعمار الانجلو أمريكى وأذنايه (من المصريين المزيفين) بالغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتى ١٨٩٩ وبرفض المقترحات الاستعمارية للدول الاربع ٠ لقد انتصر الشعب فى كفاحه وفوت بهذه الفرصة المؤامرات التى كانت تدبر فى الخفاء لاحتلال الاستعمار الدولى بدل الاستعمار البريطانى » ٠

ثم ٠٠ « لقد سر الشعب بقرارات الحكومة لان هذه القرارات تمثل رمزا لانتصار الشعب المصرى » وبعد هذه الاشارة الى سرور الشعب من قرارات الحكومة تعود الملايين وفى السطر التالى مباشرة الى القول « لقد انخدع الشعب من موقف الحكومة ومن خطب سراج الدين وتصريحات صلاح الدين ٠٠ لقد انخدع واعتقد أن حكومة الوفد ستقود بصدر رحب الكفاح الثورى للشعب المصرى ولكن الفرع الشعبى قد تبدد وانخداع الشعب بحكومة الوفد لم يستمر لان الشعب قد أدرك من خلال خبرته الذاتية أن حكومة الوفد غير جادة على الاطلاق فى اتخاذ مواقف ايجابية من الاستعمار البريطانى الروابض فى قنساء السويس والسودان والشركات الاستعمارية وأوكر الجاسوسية البريطانية ولان حكومة الوفد غير جادة فى اتخاذ موقف ايجابى من أمريكا التى تزحف يوميا لتحتل مكان بريطانيا ، أمريكا النى ربطتنا بعجلتها الاستعمارية عن طريق مشروع النقطة الرابعة » ٠

ثم تركز السهام على العدو الاول للييسار من بين الوفدين جميعا « سراج الدين يعمل على تجميع (الخونة القدامى) رجال العهد الغابر (عبد الهادى - هيكال) الذين أذلقوا الشعب الامرين خلال حكمهم الارهابى الاسود ٠ ان سراج الدين يدخل فى محالفات صريحة مع أعداء الشعب وأصدقاء الاستعمار من السعديين والدستوريين والمستقلين الاحتكاريين ويعمل على استشارتهم فى حل مشاكل الوطن وهم من جانبهم يباركون موقف الحكومة السلبى وضربها للحركة الوطنية يقولون بأن على الشعب طاعة الحكومة والانتظار بفارغ الصبر . أن القوة المغناطيسية التى تحرك سراج الدين للتحالف مع زعماء العهد الغابر الاسود هى الخوف المشترك بين الجانبين من انبعاث قيادة شعبية جديدة مخلصه تعمل على طرد الاستعمار الانجلو - أمريكى بأشكاله المختلفة من وادى النيل ، ونداءات الهدوء والسكينة وضبط الاعصاب التى تصدر من سراج الدين وابراهيم فرج وأخيرا طه حسين ، ومن الصحافة

الصفراء والاذاعة هذه النداءات جزء لا يتجزأ من سياسة تمييز الحركة الوطنية النامية وجزء من التحضير لتكوين الوحدة القومية من الاقطاب (سراج الدين - هيكل - عبد الهادي - على عامر) التي تريد الاتفاق بدون رقابة واعية من الشعب والجماهير مع الاستعمار الانجلو - أمريكى » .

ثم تقدم الملايين مفهوما جديدا وطبقيا للمعركة الوطنية ضد الاستعمار . . . فنقول « ونداءات سراج الدين ووزير الشؤون الاجتماعية بنسيان المطالب الاقتصادية للعمال والفلاحين والطلبة في هذه الفترة جزء من خطة التمييز للحركة الوطنية ، لان الكفاح ضد الاستعمار مرتبط تماما بكفاح الطوائف المختلفة من أجل مطالبها الاقتصادية فالفلاحون لا يمكن ان يكونوا من جنود الكفاح ضد الاستعمار الا اذا ضمنوا اصلاحا زراعيا ساملا بعد التحرر بوضع قانون لتوزيع الارض وتخفيض الايجارات واصدار قانون بالسماح للاجراء الزراعيين والفلاحين بتنظيم أنفسهم في نقاباتهم واتحاداتهم . والعمال يمكن ان يلعبوا الدور القيادي للحركة الوطنية اذا كان من ضمن برنامج التحرير تأميم الشركات الاستعمارية وضمان حياة انسانية سعيدة بعد التحرر . ان سراج الدين يريد ان يدخل في روع الجماهير الكادحة ان هناك تناقضا بين الكفاح ضد الاستعمار والكفاح من أجل رفع مستوى المعيشة للشعب المصرى »

ثم يمضى المقال أو بالدقة المنشور . . . قائلا « اننا نؤمن تماما أن الكفاح المسلح للشعب المصرى هو الطريق الوحيد للتحرر ولكننا لا نؤمن ان هذا الكفاح المسلح سيتم عن طريق الحكومة الوفدية واية حكومة ممثلة لحكومات العهد الغابر . اننا نؤمن ان الكفاح السبعى المسلح سيتم عن طريق قيادة شعبية مخلصه يثق بها الشعب ويخاف منها الاستعمار الانجلو أمريكى والحكومات الموالية له .

فالى التقدميين والعمال وفلاحين والطلبة والمثقفين المتنورين والاشتراكيين والوطنيين والاخوان . . . والوفديين المخلصين نوجه نداءنا الحار بضرورة تكوين الجبهة الوطنية الديمقراطية المتحدة مزليين من أجل هذا الهدف السامى كل الصعوبات والخلافات غير الجذئية حول الاهداف ، اسم اللجنة التى نريد تكوينها فالى الامام » (٢٦) .

ولا بد لنا من وقفة أمام هذا المقال المنشور لكننا نلاحظ أولا ان المناشيت الرئيسى فى هذا العدد كان « الجواسيس الانجليز يمدون الطريق

لحتم على ماهر « وهو ما حدث فعلا بعد أسابيع قليلة . لكن الملايين وبرغم هذا التحذير لا تلبث أن تلتقط خيط الكفاح المسلح لتعلن في هذا المقال المنشور ربط المعركة الوطنية بالمعركة الوطنية ، وبزغم تواضع المطالب الطبقيية الا أنها كانت كافية لاضافة عناصر كان من الممكن أن تكون طرفا في الجبهة الوطنية الديمقراطية . . التي تبنت حنتو فكرة الدعوة اليها . . بل لعل بعض تعبيرات المقال / المنشور لم تكن دقيقة أو وافية بالغرض فليس تعبيرا دقيقا ذلك الذى يؤكد أن « الفلاحين لا يمكن أن يكونوا من جنود الكفاح ضد الاستعمار الا اذا منحوا اصلاحا زراعيا شاملا بعد التحرر » .

وهذا الهجوم على الحكومة الوفدية برغم أنه كان هناك ما يبرره الا أنه كان في بعض الاحيان أكثر شدة من متطلبات الظرف السياسى خاصة بعد الغاء المعاهدة ورفض فكرة الاحلاف الاستعمارية رفضا قاطعا . صحيح ان شوائب كثيرة كانت عالقة بالموقف الوفدى الا أنه كان من الضرورى اتخاذ سياسة مرنة وحذرة تراعى شدة الضغوط الاستعمارية والرجعية على الوفد ورغبة الدوائر المعادية في ازاحة حكومة الوفد وتراعى أيضا أن « الوفديين المخلصين » هم بناء على الحاح « حذرت » جزء من الجبهة الوطنية الديمقراطية . والحقيقة ان الاختلاف لا يكمن في مبدأ انتقاد الحكومة الوفدية وممارساتها ، فقد كانت تستحق هى وممارساتها الانتقاد لكن التساؤل ينصب حول كم الانتقاد وتوقيته ، وحول توجهات ابراز نقاط الاختلاف .

وفى نفس العدد يواصل أحمد صادق عزالم نفس النهج ، ويستمر ممسكا بخيط العداء للوفد ، لينسج منه موقفا متكاملا . « هل المعركة معركة الشعب أم معركة حفنة من الباشوات ومن يسمون أنفسهم بالزعماء ؟ ان التحرر من الاستعمار يهم كل عامل مصرى وكل فلاح مصرى وكل طالب مصرى وموظف مصرى وكل كادح يعمل ويشقى في مصر وهؤلاء هم الشعب ولكن يظهر أن هذه الحقيقة لا تريح الحكومة ، ولهذا تحاول أن تتجاهل التاريخ ومعارك التحرير التى دارت في الصين وغير الصين والتي تدور الان في كوريا وغير كوريا وتجعل من معركة التحرير في مصر اكدوبة أو خدعة لن تضلل بها الا نفسها .

لقد ظهر على ماهر باشا فجأة كقائد وطنى ووضع على رأس لجنة الميثاق .

لقد ظهر يمس سراج الدين الاخ المدلل للباشا فؤاد سراج الدين وأصبح فجأة في مقدمة أولئك الذين سيضمون الصفوف ويعبئون القادة ، قادة المعركة التى يبذل الشعب فيها دمه . .

لقد ظهر عزيز المصرى باشا فجأة - الباشا القوائد الذى حاول الهرب الى الفاشيست الالمان من قبل - ظهر ومهدت له الصحف بالاحاديث والتصريحات ليقولم قبادة الكتائب وتنظيمها » .

... ويختتم أحمد صادق عزام مقاله « ٠٠ اننا نقول للباشا النحاس .
وللباشا سراج الدين . وللباشوات ماهر والمصرى أن معركة التحرير تخص
عشرين مليوناً وتخص أساسا العمال والفلاحين لانهم ينوون حقا القضاء
على الاستعمار لبناء حياة جديدة عادلة خليقة بالبشر . اننا نكرر أن تكوين
جبهة وطنية ديمقراطية تنظم صفوف الطبقة العاملة والفلاحين والجماهير
الشعبية تحت برنامج واضح هو الطريق الوحيد للتحرر والقضاء على مؤامرات
الاستعمار وأعدائه ولن يتم تحرير مصر الا بقوات الشعب وتحت رفاة
الشعب » ..

وإذا كان عنف الهجوم غريبا فان الاغرب منه هو أن صاحب التوقيع
أحمد صادق عزام الذى أصبح فيما يبدو مقتنعا بشكل شبه كامل بمقولات
ومواقف حدتو .

لكن الأمور لا تستمر على هذا النحو .

فالمؤامرات الاستعمارية تشتد ضد الحركة الوطنية وضد حكومة الوفد .
والتمايز فى صفوف القيادة الوفدية يبرز ..

و « الملايين » ذاتها تؤكد أكثر من مرة أن الاستعمار يسعى للإطاحة
بحكومة النحاس وتنصيب حكومة جديدة من عملائه . وازاء تعقد الموقف
يتقدم أحد أعضاء اللجنة المركزية لحدتو محاولا أن يحدد موقفا من
كل هذه الاحداث المعقدة والمتشابكة .. فى العدد ٢٨ يكتب ابراهيم عبد
الحليم « كلمة الملايين » .. فيقول « السفير أو العميل الرسمى للاستعمار
الامريكى فى وشنجتون لا ينطق باسم الشعب بل ينطق باسم أعوانه ويحمى
ظهور العساكر الانجليز ويمهد الطريق لقوات من أمريكا ومن كندا ومن
استراليا وتصريحات ومناقشات يقوم بها عمرو باشا السفير المصرى فى
عاصمة الدولة التى يقتل جنودها شعبنا هدفها استباحة الدم الذى سال ،
والعودة بقضية الشعب الى مناقشات القاعات والقصور والى مفاوضات جريها
شعب مصر وجربتها حكومة مصر مئات المرات وكانت كلها تقودنا الى طريق
واحد .. العبودية . وتصريحات من هيكلى ليس لها من رائحة الا رائحة
الجريمة والخيانة يقول . لنترك الامر الى أولياء الامر وهو يطعن الحكومة
من الخلف . وتصريحات من عزام تنقلها جميع صحف العالم بأن مصر
على استعداد لان تعطى أمريكا قواعد عسكرية فى أراضيها ، ثم يعود
ويستنكرها بعد أن تكون قد لعبت دورها السيئ . وتصريحات من الهضيبي
بل لعلها هى الاخرى مدسوسة عليه بأن الشيوعية هى العدو الاول ، نفس
الكلمات المسمومة التى سمعناها من صدقى فى الوقت الذى يبيع فيه مصر

وشعب مصر لاستعمار مجرم ٠٠ والخطبة التي نفذها سراج الدين لتأمين
الكتائب ، والشعب الذى لم يعد حائرا ولم يعد نائما ٠٠ يتساءل ويكاد
ينطق بالجواب ٠٠ ان مؤامرة جديدة ضده وضد مستقبله تدبر فى الخفاء »

ثم ٠٠ وبعد كل هذا التمهيد يقول ابراهيم عبد الحليم عضو اللجنة
المركزية لحدثو « اننا نثق أن حكومة الوفد لم تكن تهزل حين أعلنت الغاء
معاهدة ٣٦ » لكنه يعود فيقول ٠٠ « ونثق أيضا أن وزراء مثل سراج الدين
وعثمان محرم يحاولون جر العجلة الى الوراء أى اعادة المعركة الى المكاتب
والمفاوضات والاتفاقات ، ان الطريق لوقف هذه المؤامرات هو توحيد العمال
والفلاحين والطلبة والمثقفين فى اتحاداتهم للدفاع عن مطالبهم الاقتصادية
والكفاح . اننا نؤمن بأن أسلوب المناورات وطعن الشعب من الخلف وحرف
المعركة لن يتوقف اذا لم تتحرك العناصر المخلصة فى قيادات وقواعد الوفد
والاشتراكيين والاخوان والحزب الوطنى والشبان المسلمين والتقدميين وتحمل
نصيبها الايجابى فى الكفاح » (٢٧) .

وهكذا فان يد « حدثو » رغم كل ما حدث تمتد الى العاصر المخلصة
« فى قيادات وقواعد الوفد » وهى يد تثق « فى أن حكومة الوفد لم تكن
تيزل حين أعلنت الغاء معاهدة ١٩٣٦ » .

٠٠ ومع استمرار التآمر الاستعمارى على حكومة الوفد وبرغم استمرارها
فى ارتكاب الاخطاء تقترب حدثو أكثر فأكثر من الدفاع عن حكومة الوفد ٠٠
وفى العدد قبل الاخير نجد المانشيت « هدف الانجليز احتلال القنال
واسقاط حكومة الوفد » ويكتب أحمد صادق عزام فى « كلمة الملايين » ٠٠
« أدرك الشعب المصرى أن الهدف الحقيقى الذى يكمن وراء المظاهرات العسكرية
الوحشية التى تقوم بها القوات البريطانية هو اسقاط الحكومة الوفدية .
أدركوا هذا منذ الوهلة الاولى واندفعوا يحمون هذه الوزارة من المؤامرة التى
تحاك ضدها ادراكا منهم أن سقوطها هو أكبر نكبة يمكن أن تصيب
الحركة الوطنية فى الوقت الحاضر » .

.. هذا الموقف جديد تماما لكن حماية الحكومة الوفدية ومساندتها تدم
وفق شروط محددة ٠٠ « اذن من يحمى الحكومة الوفدية ؟ انه الشعب
وحده ولكن الشعب لا يمكن أن يحمى هذه الحكومة اطلاقا اذا لم تقم بتوجيه
كل ثقلها الى صدر الاستعمار واذا لم تقم بتنفيذ مطالب الشعب الاساسية ،

فما هى اذن الشروط ٠٠ أو المطالب ؟

« - الشعب يطلب اليوم أن تقطع الحكومة العلاقات السياسية مع
بريطانيا وأن تعقد معاهدات الصداقة والتحالف مع الاتحاد السوفيتي ودول
الديمقراطية الشعبية لان هذه المعاهدات أساسية بالنسبة لكفاحنا ضد
الاستعمار » .

- والشعب يطلب اطلاق الحريات العامة وفي مقدمتها حية الفئات والطبقات
في ممارسة حقوقها النقابية والسياسية دون أى قيد وأيضا حرية الرأى والاجتماع
والتظاهر .

- ان الشعب يطلب اليوم اطلاق سراح المسجونين السياسيين » .

وبعد هذه المطالب الثلاثة تقول الملايين « اننا نعلم أن هناك في
الوفد نفسه وفي الوزارة نفسها من يكره الاستجابة لمطالب الشعب ونعلم أكثر
من ذلك أن بعض ذوى النفوذ في الحكومة ذاتها يريدون العودة الى سياسة
المفاوضات والى سياسة الوحدة القومية سياسة التحالف مع أبطال العهد
الأسود ولكننا نعلم أيضا أن كثيرا من المخلصين في الوفد يسمعون هذه
السياسة ويسيرون على سياسة شعبية محضة وعلى هؤلاء أن يقوموا بكفاح
ضخم لمصلحة الشعب كله في سبيل تحطيم المناورات التي تقوم بها هذه
العناصر في محاولة للرجوع بالشعب الى الوراء » . ان الشعب المصرى يخوض
اليوم معركة حاسمة ضد الاستعمار ، وانه ليطلب أن توفر كافة حرياته
حتى تستطيع طاقته أن توجه بنجاح ضد العدو . هذه هى مطالب الشعب
وعلى الحكومة أن تحترمها « (٢٨) » .

.. وتأتى الى العدد الاخير (الثلاثون) فيزداد الموقف وضوحا ويقول
أحمد صادق عزام في « كلمة الملايين » .. « ان الموقف لم يعد يحتمل التمهيع
والمدارة .. ان التوى الرجعية التي تتآمر اليوم على الشعب وعلى مصيره ،
تتآمر في نفس الوقت على الحكومة الوفدية وتهدف الى توجيه الطعنة
المميتة الى الوفد كحزب مرتبط بالشعب » . ان الحركة الوطنية مهددة اليوم
بخطر مباشر .. خطر من الاستعمار وخطر من الرجعية المحلية التي نظمت
صفونها ، وهذا الخطر موجه أيضا الى كل وطنى مخلص في الوفد سواء أكان
في الوزارة أو في القاعدة ، والى الاخوان والاشتراكيين والتقدميين « (٢٩) »

وتكون هذه آخر نداءات الملايين للحكومة الوفدية ..

٢٨ - الملايين - ١٢/١٢/١٩٥١ .

٢٩ - الملايين - ٢٦/١٢/١٩٥١ .

ومن التشدد تجاه تردد حكومة الوفد الى تشدد أعنف بمواجهته الاستعمار وكل أعوانه والمتهادنين معه ٠٠ وقبل أن نبدأ في استعراض موقف « الملايين » تجاه هذه القضية نشير الى أن « الملايين » كانت مفتحة العينين تجاه الزحف الاستعماري الأمريكي فمعركة القنال والمعركة ضد الاحتلال ومعركة الاحلاف العسكرية هي معركة ضد الاستعمار الانجلو - أمريكي معا ٠٠ وسوف نرى كيف تركز الهجوم أساسا على الاستعمار الأمريكي باعتباره « المايسترو » الأكثر خطرا على أمن واستقلال مصر ٠٠

وسوف نرى أيضا كيف ربطت الملايين المعركة ضد الاستعمار بالنضال من أجل السلام العالمي باعتبار أن الاستعمار هو مسبب الحروب وكذلك سنرى بوضوح خطة « حدتو » محاصرة الهجمة الاستعمارية على المنطقة ومحاولة إنشاء حلف الشرق الاوسط وقد تمثلت هذه الخطة في التحضير لعقد « مؤتمر شعوب الشرق الاوسط » بالقاهرة ٠

وهكذا نعود مرة أخرى الى البداية ٠٠

لنجد في العدد السابع « وزارة الداخلية تصرح باحتلال القاهرة » ٠٠ « صرحت وزارة الداخلية لثمانى عشرة سيارة من سيارات أتوبيس الشرق بنقل جنود الاحتلال من منطقة القنال الى القاهرة كل يوم سبب وثلاثاء من كل أسبوع وقد اشترطت وزارة الداخلية في التصريح أن يكون الجنود المنقولون الى القاهرة بملابس مدنية » (٢٠)

أما العدد الثامن فيتضمن وثيقة بالغة الخطورة ٠٠ وتكمن خطورة هذه الوثيقة في انها تحدد معالم المخطط الاستعماري ازاء مصر وحركتها الوطنية ٠٠ ان مطالعة هذه الوثيقة الان ومقارنتها بمسلسل الاحداث التى وقعت فعلا توضح لنا مدى خطورة نشرها على صفحات الملايين في وقت مبكر ٠

« تقرير خطير للسفارة البريطانية بالقاهرة - الملايين تنشر فقرات من التقرير الخطير - السفارة تكشف عن اطمئنانها الى معظم السياسيين - هل يدبر الانجليز لاحداث انقلاب جديد خطير ؟ »

وقبل أن ننقل عن الملايين ما نشرته نذكر فقط أنها نشرته في ٢٣ يونيو

١٩٥١ ٠٠

٠٠ « تمكنت الملايين بوسائلها الخاصة من الحصول على خلاصة تقرير خطير أرسلته السفارة البريطانية يوم ٩ مايو الماضى الى مستر هربرت

٣٠ - الملايين - ١٩٥١/٦/٣ ٠

موريسون وزير خارجية بريطانيا وكنا نود خدمة للشعب المصرى واطهارا للحقائق الخافية عليه أن ننشر جميع المعلومات التى اشتمل عليها التقرير والتى تناولت مواقف معينة لشخصيات مصرية كبيرة ولكننا مرغمين على الاكتفاء بنشر هذه الاجزاء التى تكشف الى حد كبير أخطر مؤامرة يدبرها الاستعمار بمساعدة بعض الشخصيات والهيئات المصرية لاحداث انقلاب رجعى جديد لا يعتبر عهد عبد الهادى الاسود الى جانبه شيئا مذكورا . وقد جاء فى التقرير « على الرغم من الضربات القوية التى وجهها صدفى والنقراشى وعبد الهادى الى الحركة الوطنية فى مصر وعلى الرغم من حرب فلسطين وما ترتب عليها من اعلان الاحكام العرفية واتخاذ خطوات ايجابية ازاء المهيجين السياسيين بزجهم فى المعتقلات والسجون وسن تشريعات لا يمكن اصدارها الا فى البلاد الشرقية الاسلامية (!) واصدار احكام رادعة على عدد كبير من الشيوعيين المصريين والسودانيين - على الرغم من كل ذلك فان الحركات الوطنية لم تتحطم بل ازدادت قوة بدرجة أصبحت تهدد مصانحننا وتقلب رأسا على عقب السياسة التى رسمت فى المؤتمرات المختلفة والتى عقدها المستر بيفن السفراء البريطانيين » وتمضى الوثيقة قائلة « . . ومع أن النحاس باشا قد وقف مناصرا لبريطانيا فى الحرب الاخيرة وقدم لها خدمات لا تنسى الا أن المصادر تقطع بأنه لم يعد ذلك الرجل القوى الذى يمكن لبريطانيا أن تعتمد عليه كل الاعتماد حقا لقد أثبتت المحادثات المصرية - البريطانية موافقة النحاس باشا شخصيا (!) وأغلب وزراء الوفد (!) على التسليم بمبدأ الدفاع المشترك . . لكن يبدو أن هذه الوزارة تتبيب مواجهة الشعب والحركة الوطنية الجارفة والتى زادت من اشتعالها الحرب الكورية وحركة تأميم البترول الايرانية . ومن مظاهر التأثير بأحداث كوريا وايران أن بعض المهيجين من أعضاء مجلس النواب المصرى تباروا فى اظهار حماستهم ومزق أحدهم معاهدة ١٩٣٦ فى البرلمان وطالب آخر بعقد معاهدة عدم اعتداء مع روسيا السوفيتية » .

ثم انتقلت الوثيقة الى الحديث عن السعديين والدمستورين وقالت عن عبد الهادى بالذات أنه قد انتهى ثم قالت « لم يعد فى الامكان استخدام هؤلاء الرجال للعب أى دور على مسرح السياسة المصرية بعد أن سببت السنوات التى حكموا فيها كراهية الرأى العام لهم واستعداده للثورة اذا فرضوا عليه من جديد لذلك يجب أن نسقطهم من حسابنا ولو فى الفترة الحرجة الحالية على الأقل » .

وبعد أن تستعرض الوثيقة فى فقرات مطولة تطورات الوضع الدولى التى توضح أن منطقة الشرق الاوسط التى اعتادت بريطانيا على استخدامها كمركز استراتيجى فى الحرب قد أصبحت منطقة قلقه وتحولت الى منطقة

خصبة لنشاط الشيوعيين يساعدها في ذلك الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية الشاذة التي لا تمثل إلا مصلحة فئة خاصة لا تتعدى المئات من الافراد . . . بعد ذلك تصل الوثيقة الى نتيجة بالغة الخطورة . . . فتقول « لن ينقذ الوضع في مصر ويحوّله الى جانبنا الا انقلاب جديد له طابع ثوري ويحقق بعض الاصلاحات للطبقات الفقيرة في الوقت الذي يبطش فيه بالحركة الوطنية ويقضى على نشاط العناصر المعادية لنا وفي مقدمتها العناصر الشيوعية » .

ثم يستعرض التقرير العناصر المصرية والهيئات السياسية التي يمكن استخدامها في هذا الانقلاب وقد جاء ذكر حافظ رمضان باشا ووصفه التقرير بأنه « ولو أن له ميول أمريكية ويعمل في عدد من الشركات الامريكية الا أنه ما زال رئيس الحزب الوطني وهو غير اللجنة العليا للحزب التي يبدو أنها جرفت في التيار الثوري وحافظ رمضان من النوع الذي يعتمد عليه ويمكن أن يشترك في وزارة انقلاب » .

ثم تناول التقرير الاخوان المسلمين فقال « من الممكن أن نعتمد على قيادة الاخوان المسلمين بل يمكن أن نطرح دون مغالاة أن في مقدورهم لعب أكبر دور يمثل مصالحنا ويجب بهذه المناسبة أن نذكر وزارة الخارجية بالخدمات الجليلة التي قامت بها قيادة الاخوان في سنة ١٩٤٦ ولا يمكن أن ننسى الدور الكبير الذي قام به الاخوان المسلمين في بدايد حرب فلسطين » . أما أخطر جزء في الوثيقة فهو ذلك الذي يتناول الصحافة المصرية والذي جاء فيه « لولا المساعادات التي قامت بها أغلب الصحف لجلونا عن مصر منذ سنين » .

ثم تعلق الملايين بعد ذلك قائلة « واننا ننشر هذا التقرير لنسجل خيوط مؤامرة جديدة يديرها الاستعمار ضد مصر ولنضع هذه الحقائق الدامية أمام أعين الشعب ليعرف كيف يميز بين أصدقائه وأعدائه . وليقف على الوسائل التي مكنت القوات البريطانية من احتلال مصر منذ سبعين سنة ومن البقاء فيها حتى اليوم » (٢١)

... هذه الوثيقة بالغة الخطر .

... انها تنير شهباء المؤرخ للبحث عن كافة دقائقها . عن نصها الكامل وعن كيفية تسربها لجريدة الملايين وعن علاقتها بما وقع في مصر من أحداث بعد أقل من عام واحد . . .

لكن كل هذه الطموحات التاريخية ليست ضرورية لدراستنا هذه وليس أمامنا سوى أن نرجئها لدراسة أخرى .

لكن ما يهمنا هو أن هذه الوثيقة قد ألفت بظلمها على كسبر من توجهات الملايين وخاصة ازاء الوند والنحاس ..

والمعركة التي تخوضها الملايين ضد الاستعمار معركة متكاملة فهي تتابعه في كل مكان ..

وعلى امتداد صفحة بأكملها من نفس العدد موضوع بعنوان « كيف سطا اللصوص الانجليز على بترول ايران » أما عناوين الفرعية « قطار سكة حديد ثمنا لبترول ايران - قسيس انجليزى يسرق امتياز البترول - انجلترا تسرق ٢٠ مليون جنيه سنويا من ايران » أما مقدمة الدراسة الطويلة « النزاع المستمر بين الشعب الايراني واللصوص الانجليز حول البنترول الايراني والبرقيات تتوالى عن تطورات قرار التأميم الذى أصدرته الحكومة الايرانية وعن المحاولات التى يبذلها الاستعمار الانجليزى لتحطيم هذا القرار وكان على الملايين ان تطلع قراءها الوطنيين فى جميع أنحاء الشرق الاوسط على الدور الخطير الذى لعبته القرصنة البريطانية والجاسوسية الانجليزية فى سبب بترول ايران ، انها قصة من قصص الاستعمار الذى يمتص دماء الشعوب متحدثا عن مهمته الجليلة فى رفع مستواها والنهوض بها .. انها قصة للحنونة الذين يتحدثون عن مآثر كرومر ودنلوب وأخلاق السادة الانجليز الذين اذا ضربوا لك موعدا للشاى فى الساعة الخامسة حضروا فى الموعد بالضبط ودون تقديم او تأخير .. انها قصة الاستعمار على حقيقته .. وفى بساطة هى قصة لص ينتزع اللتمة من يدك فاذا أبيت عليه ذلك .. قتلك » وبعد هذه المقدمة صفحة كاملة .. لقصة النهب البريطانى للبترول الايراني ..

وفى نفس العدد دراسة مطولة وهامة للغاية عن أفريقيا وعن دور القوى الثورية فيها ودور حركات التحرير الافريقية وتكوين التجمع الديمقراطى الافريقى الذى تأسس فى المستعمرات الفرنسية فى أفريقيا والذى يزيد عدد أعضائه على المليون عضو ..

أما عناوين الدراسة « قبس من نور الحرية يشرق على القارة السوداء - أفريقيا آخر معقل للدول الاستعمارية تعبئه جميع الموارد الافريقية لخدمة الولايات المتحدة وحليفاتها » ..

وهكذا تمد الملايين ذراعيها بعيدا لتضع أمام قارئها معلومات لم يعتقد على مطالعتها فى الصحف المصرية وتقدم بذلك على تجربة جديدة تستحق التأمل وتدوحى بأن كوادى « حدثو » لم تكن قادرة على تتبع هذه الموضوعات

ودراستها فحسب وانما كانت أيضا تدرك أهمية وحدة النضال ضد الاستعمار
ووحدة كل المناضلين المعادين له . بهذا المفهوم تستمر « الملايين » في معركتها
ضد الاستعمار .

وفي العدد ٩ تطالع في صدر الصفحة الاولى صورة كبيرة لماك آرثر
وتحتها التعليق التالي « هذا الوجه . . انه وجه ماك آرثر في شبابه ، عندما
كان ضابطا صغيرا في الحرب العالمية الاولى ، لقد أبلى بلاء حسنا في ميادين
فرنسا ، بلاء ينلبيء عن مستقبله اللامع في ذبح الشعوب والفتك بها كما حدث
في كوريا وكما ينتظر أن يحدث مع غيرها في أنحاء العالم اذا لم تسحق
الشعوب أمثال هذا الجزار سحقا ، وهي لا شك ستسحقه » (٢٢)

وفي نفس العدد « حديث الملايين » بعنوان « أساليب الاستعمار » بقلم
أحمد صادق عزلم « الاستعمار اليوم رغم ضعفه وتراجعته في كل مكان إلا
أنه لا زال يقاوم لكنه لا يقاوم بنفس الأساليب السابقة سافرا يرسل
للبرارج والاندازات ، وانما بوسائل أخرى أصبحت هي الوسائل الوحيدة
الصالحة أمام ثورة الشعوب واصرارها على القضاء عليه قضاء لا رجعة فيه ،
ففي مصر يطلق السنة صحافته ومأجوريه كى يتحدث عن حيدر . . الديكتاتور
القادى ، ويثير حكاية الوثائق المزيفة ، ومؤامرة النحاس مع الاتحاد
السوفييتى ، ويدفع هيكل الى المسرح ليشغل أذهان الناس بالحديث عنه ،
ويحاول أن يدبر انقلابا رجعيا في مصر لا يلعب دور البطولة فيه ابراهيم
عبد الهادى الذى انتهى ولا حيدر الذى يتربص له الجميع وانما هيكل الوديع
وبذلك يرضى الشعب المصرى « بالمر » خوفا من « الأمر منه » أيها الاستعمار
المغفل هل تظن أن الشعب المصرى مثلا لا يدرك ماذا تنبئته مع النحاس وصلاح
الدين وابراهيم فرج لامضاء الدفاع المشترك ؟ امض فى مؤامرتك واجمع من
حولك جواسيسك ومأجوريك ووقع المعاهدات والاتفاقات فان الشعوب تعرفك
جيذا وستحطم جميع ما أعددت وستمزق جميع الوثائق التى وقعت بها بالاتفاق
مع الخونة البلهاء الذين لا زالوا يظنون انك قوى مهاب وليثق الخونة العاهرون
الذين وقعوا معه معاهدة صدقى - بيغن والخونة المنتظرون الذين يوقعون
بأنفسهم صك خيانتهم فان الشعوب لا تهزل ولا تمزح . »

وفي الصفحة الحادية عشرة من نفس العدد دراسة مطولة عن « الماسونية »
وانتهامها بأنها « وكر من أوكار الاستعمار » .

والمعركة ضد الاستعمار تركز في جانب كبير منها على الاستعمار الأمريكى
ومخططاته ازاء مصر والمنطقة في العدد ١٠ يخص أحمد صادق عزلم

« حديث الملايين » التحذير من النقطة الرابعة « غدا يعرض على مجلس النواب مشروع النقطة الرابعة وعلى النواب المحترمين الذين يناقشون هذا المشروع أن يتذكروا المعركة التي لم تعرفها مصر من قبل والتي أتت بهم الى البرلمان المعركة الانتخابية التي جرت بين الشعب الذى عانى ما عانى فى خمس سنوات طوال وبين العهد الغابر الاسود ، المعركة التي أراد سرى وهاشم والسارتان الأمريكية والانجليزية أن يعترضوا طريقها ، المعركة التي فاجأت بنتائجها النحاس نفسه لانه لم يكن يتوقع هذا النصر ، وظنه نصرا لنفسه بينما هو نصر للشعب . »

ويمضى عزام مخذرا النواب « على النواب الذين ينظرون مشروع النقطة الرابعة غدا أن يتذكروا هذه المعركة الخالدة ، وأن يدركوا جيدا أنهم يدينون بمقاعدهم لهذا الشعب وحده وأن أى انحراف عن الواجب الوطنى سوف يفقدهم هذه المقاعد الى الابد ، لان هذا الشعب لم يعد يهزل بل هو جاد كل الجد . غدا يعرض مشروع الاستعمار الأمريكى على مجلس النواب المصرى . نحن لا نصارع الاستعمار الانجليزى باحتلاله ونفوذ الاقتصادى لنلقى بأنفسنا فى براثن استعمار أشد وأنكى » (٢٢)

« وفى نفس العدد دراسة هامة عن بترول العراق وعن مؤامرات الانجليز للاستيلاء عليه وعنوان الدراسة « الاستعمار يبيع الاكراد والارمن واليونانيين فى سوق البترول » ثم دراسة أخرى بعنوان « قصة تأميم بترول - درس من المكسيك » .

أما صفحة الكاريكاتير التي اعتاد زهدى أن يواصل عليها ابداعه الفنى فقد خصصت فى هذا العدد هى الاخرى للهجوم على « النقطة الرابعة » ويصاحب الرسوم تعليق سياسى يقول « ان الحكومة لن تتيح التسول لمعظم رعاياها يسهل عليها أن تتسول دوليا وتمد يدها مستجدية النقطة الرابعة هذه الحكومة التي أباحت أموالها للبلاطية الانجليز كما أعلنت حرب ، والتي تفزع بالمعونة كلما زلزلت الارض بتركيا المتغطوسة ، والتي أذابت فى رمال فلسطين ٢٠٠ مليون جنيه وآلاف من الارواح بلا ثمن ، والتي هزها الكرم فجادت بسلاح يحتاجه جيشها ان مصر الكريمة هذه اذ تمد يدها الى النقطة الرابعة انما تمدها الى حبل الاستعمار الأمريكى تلفه حول عنقها » .

وتواصل « الملايين » تعقبها للاستعمار الأمريكى الزاحف الى مصر وفى العدد ١٢ تقول الافتتاحية « تدرس وزارة الخارجية هذه الايام نص الرسالة

التي بعث بها الرئيس ترومان الى لجنة الشؤون الخارجية بمجلس الشيوخ والنواب عن المعاونة المقترحة لبلدان الشرق الاوسط وقد استطاعت الملايين أن تحصل على نص هذه الرسالة ، وفيما يلي نصها « تلحتم مصالح الولايات المتحدة في الشرق الاوسط بذل غاية الجهد لمعاونة الحكومات والشعوب في هذه المنطقة لبناء قوتها العسكرية والسياسية والاقتصادية .. أولا لكي لا يشجع أحد على العدوان عليها من الخارج ، وثانيا لحماية من الانقلابات الداخلية ، وثالثا لدعم رغباتها في الاستقرار والتقدم ، ورابعا لمنع أسباب الشقاق والاضطراب التي تحول دون الاستقرار ودون التقدم والرقى » وان نظرة واحدة على نص الخطاب تدل دلالة واضحة على أن قبول هذه المعاونة ليس الاقبولا لتدخل أمريكي سافر في كل ما يتعلق بالشؤون الداخلية والخارجية فقد بدأت الرسالة بالاشارة الى أن أساس هذا المشروع هو ما تدعيه أمريكا من مصالح في بلاد الشرق الاوسط ، ولا يعدو قبول المشروع أن يكون اعترافا رسميا من جانب هذه الدول بهذه المصالح الأمريكية « (٢٤)

وفي العدد ١٤ ريبورتاج بعنوان « عين شمس .. وكر من أوكار الجاسوسية الانجلو أمريكية في الشرق .. الحلقات الثقافية تتولى تخريج صنائع الاستعمار .. ليلة حمراء لتدشين الأعضاء الجدد » .

وبالرغم من أهمية الموضوع الا اننا نشير الى أن اعداد هذا الريبورتاج كان ضعيفا من الناحية الصحفية بصورة لم نعهدها من قبل في الملايين ، بما يشير الى أن كاتبه كان بعيدا تماما عن ميدان الصحافة .

أما في العدد ١٧ فافتتاحية « أحمد صادق عزام » تقول « أوضح مستر موريسون في بيانته الشهير أن الاستعمار البريطاني قد صمم نهائيا على البقاء في مصر أبد الأبد ، وأنه في هذا لا يمثل نفسه فحسب بل يمثل الجبهة الاستعمارية في مجموعها وعلى رأسها الولايات المتحدة رأس الرمح في العدوان والهجوم على الشعوب وبالرغم من هذا جاء خطاب صلاح الدين خاليا من أى اشارة ولو من بعيد الى هذا الموضوع ، وليس هذا من قبيل المصادفة البحتة فالدلائل تشير جميعا الى أن هناك اتجاها متزايد النمو الى الارتباط رأسا بالسيد الجديد الاستعمار الأمريكي ولم يعد هذا الاتجاه خافيا على أحد ولا سيما بعد المواقف القتالية في النقطة الرابعة وفي الترحيب بفكرة الانضمام لحلف الاطلنطي ، وفي اللجوء الى أمريكا لتصفية الخلافات الناشئة بين مصر وبريطانيا » .

وتمضى الملايين مؤكدة في الختام « ان الشعب المصرى الذى يناضل للتحرر من براثن الوحش البريطانى لن يرضى أن يضيع نضاله على مذبح الاستعمار الأمريكى بل سيناضل بكل توته ليرده على أعقابيه » (٢٥)

وفي العدد ١٨ مانشيت بعرض الصفحة الثالثة « الاستعمار الانجليزى فى شرق الدلتا والاستعمار الأمريكى فى غرب الدلتا - الخواجة « جاناكليس » يرث الخواجة « نوبار » فى استغلال الشعب المصرى - مساحات شاسعة من أرض الوطن الزراعية لشركة أمريكية » (٢٦)

وهكذا توجه الملايين طعناتها للمراكز الاستعمارية فى الاقتصاد المصرى بل انها تكشف فى نفس الوقت حقيقة الدور التخريبى الذى تلعبه أمثال هذه الشركات ففى الصفحة الرابعة من نفس العدد موضوع عنوانه « مدير شركة جريشام للتأمين ٠٠ جاسوس » وفى نفس الصفحة موضوع عن الهند بقلم حليم طومسون (حدثو) « الهند الجوهرة التى سقطت عن التاج البريطانى » .

وفى نفس العدد أيضا يواصل زكى مراد تقديم عموده الاسبوعى « مصر جزء من العالم » ٠٠ « كانت تصرفات أمريكا فى هذا الاسبوع فيما يتعلق بمشكلة معاهدة الصلح اليابانية مثار دهشة الراى العام العالمى الا أن الدهشة تزول حين تتضح الاسباب الحقيقية التى تدفع أمريكا الى « كروتة » هذه المعاهدة فى هذه الآونة بالذات » وبعد تحليل ظروف عقد المعاهدة يطالب زكى مراد وزير خارجية مصر أن يقوم بما يأتى :

أولا : أن يطالب باشتراك الدول ذات الشأن فى عقد معاهدة الصلح اليابانية وهى الجمهورية الشعبية الصينية والاتحاد السوفيتى وأن يعلن اعتراف مصر بالصين الشعبية حتى لا نضل متخلفين عن الدول التى أعلنت هذا الاعتراف واحداها بريطانيا الاستعمارية ٠٠

ثانيا : أن يصر على موقفه هذا من اليابان فى حله للقضية المصرية فان الانسجام المنطقى بين موقفه هذا وبين مواجهته لمسألتنا الوطنية لا يمكن أن يتحقق الا اذا ألغى معاهدة ٣٦ واعتبر القوات البريطانية قوات معادية وأيد الشعب فى ضرورة تطهير أرض الوطن منها » .

٠٠ ومن الهجوم على الاستعمار الأمريكى وعلى مشاريعه الاستعمارية ومن تعقبه حتى اليابان الى الهجوم على عملائه بالداخل وفضحهم ٠٠ فالموضوع

٣٥ - الملايين - ١٢/٨/١٩٥١ .

٣٦ - الملايين - ١٩/٨/١٩٥١ .

الاساسى فى الصفحة الاولى من العدد ٢٠ « أمريكا تؤسس لنفسها حزبا جديدا » وتوضح الملايين قصة هذه المحاولة « كان أول هذه الخيوط العطف الأمريكية الواضح على الدكتور أحمد حسين وزير الشؤون الاجتماعية المستقيل الذى تثق به الدوائر الأمريكية وتقوم له بدعاية واسعة فى المنظمات الدولية باعتباره سياسيا واعيا يستطيع وقف الخطر الشيوعى بما يفكر فى تنفيذه داخل اطار الازمات القائمة من مشروعات الإصلاح الاجتماعى ، وكان ثانى هذه الخيوط الحديث الذى نشرته الاهرام للدكتور حافظ عفيفى والذى دعا فيه الى عقد محالفة ثلاثية مع الولايات المتحدة وبريطانيا ونوه فيه بضرورة الاهتمام بالإصلاح ، أما الخيط الثالث فهو المقابلات التى تمت بين رجال السفارة الأمريكية وبعض المستقلين فى الأسابيع الأخيرة فى دار السفارة وفى إحدى الصالونات النسائية ، وقد قاموا بجس النبض والايحاء بأنشاء حزب سياسى جديد يحارب الفساد وتعاونيه أمريكا بتأييدها المادى والادبى وبين الأسماء التى ترددت كنواة لهذا الحزب الدكتور حافظ عفيفى والدكتور أحمد حسين وسابا حبشى وعبد القوى أحمد وفكرى أباطة وأحمد عبود الذى هو من أوائل الذين عملوا على تغيير الدفة نحو الإستعمار الأمريكى وقد بذلت عدة محاولات مع فتحى رضوان ولكنه رفض باباء بعد أن لقن الأمريكان درساً قاسياً فى الوطنية (٢٧) .

وتواصل الملايين تعقبها لهذا المخطط وتعود فى العدد ٢٤ لتسلط الاضواء على علاقة أحمد عبود بالامريكان وبالانجليز فأحد مانشتات العدد « عبود يطلب تدخل السفير الأمريكى » والخبر الرئيسى فى الصفحة الاولى من العدد « فى الساعة الثانية عشرة بالضبط شوهد عبود باشا وهو يدخل السفارة البريطانية من بابها العمومى » (٢٨) .

٠٠ فاذا عدنا الى العدد العشرين نجد أن الصفحة الرابعة والأخيرة تخصص مساحة كبيرة لباب جديد « القاموس المصرى » وفيه تقول الملايين « ثبت من أحاديث أقطاب الاستعمار فى مصر والخارج أنهم يستخدمون لغة أخرى غير التى يفهمها الشعب المصرى ونحن هنا نقدم ترجمة العبارات الجارية على لسان الدعايات الاستعمارية الخبيثة ..

– الدفاع عن الشرق الاوسط = مقاومة كفاح شعوب الشرق الاوسط فى سبيل التخلص من الاستغلال الاستعمارى لثرواتها ومواردها والى يدى العاملة فيها ٠٠

٣٧ – الملايين – ١٩٥١/٩/٩

٣٨ – الملايين – ١٩٥١/١٠/٢٨

- العالم الحر = المعسكر الذى يدافع عن «حرية» الاحتكارات فى استغلال الانسان وامتصاص دماء المستعمرات و «حرية» الأغنياء فى ذلبح الفقراء .

- أسلوب الحياة الامريكية = مذبحه دنشواى والوعود بالجلء وابتلاع الديون الاسترلينية وسرقة الشعوب المستضعفة على أحدث طرق القرصنة الغادرة وشراء ذمم الخونة من الحكام » .

ويأتى العدد ٢٢ بعد اعلان النحاس باشا إلغاء معاهدة ٣٦ ونزول الافتتاحية « علم مندوبنا فى الدوائر السياسية ، ان اعلان الحكومة انصرية إلغاء المعاهدة والاتفاقية ١٨٩٩ قد أحدث ذعرا وارتبكا فى الدوائر الانجلو - أمريكية وقلب خطط سياسة هذه الدول رأسا على عقب فقد كانت الخطه مرسومة من قبل على أساس أن يطلب من مصر الانضمام الى حلف الشرق الاوسط كضمن للمعاهدة ، وبهذا تضمن الكتلة الاستعمارية أن تخضع مصر ومن ورائها الدول العربية الاخرى عسكريا وسياسيا الى دول حلف الاطلنطى تحت زعامة أمريكا وكان الثمن الذى سيدم الى مصر فى هذه الحالة هو أظنان الدبابات والمدافع الامريكية فى نظير أن تقدم مصر الوقود الآدمى لهذه الاسلحة وقد اضطر وزراء بريطانيا وامريكا وفرنسا وتركيا الى غص اجتماعاتهم التى كانت معقودة فى الدولة الاخيرة والى التوجه الى عواصم الدول العربية مباشرة لانقاذ ما يمكن انقاذه قبل أن تتحرك الشعوب العربية فتتأثر بتغيير الموقف فى مصر وبالحركات الشعبية فى ايران وتهب فى ثورة جامحة على الاستعمار الاجنبى تقضى على كل امل فى الاتفاق وقد علم مندوبنا أن وزراء خارجية سوريا ولبنان والعراق قد أبلغوا وزراء الدول الاربع أنهم على استعداد للانضمام الى هذا الحلف اذا اتخذت مصر هذا الموقف ..

وصرح وزراء خارجية هذه الدول بأن الاتجاه السياسى فى مصر وموقفها من الصراع العالمى هو الذى سيحدد اتجاه سياسة دول الشرق الاوسط جميعا (٢٩)

أما مانشتات العدد ٢٣ فكل منها ذا مغزى خاص .

- « - الاتحاد السوفييتى يرفض مؤامرة أمريكية ضد الشعب انصرى .
- مؤامرة انجليزية لاحتلال جميع المطارات المصرية .
- يجب اجبار الحكومة على اطلاق الحريات .
- نحو جبهة وطنية ديمقراطية متحدة .

أما الافتتاحية فتكرس لموضوع تخطيط الانجليز لاحتلال المطارات « علم مندوبنا في الدوائر الدبلوماسية من مصدر كبير يعمل في السفارة البريطانية (!) ان هناك مؤامرة خطيرة دبرت في الايام الاخيرة لتوجيه ضربة قاصمة الى الشعب المصرى وتتقضى الخطة بأن يحتل جنود المظلات التى وصلت أخيرا من قبرص جميع المطارات فى القاهرة والاسكندرية والنخيا وأى مكان آخر ٠٠ وتحتم الخطة أن يذم هذا الاحتلال فى ظرف ٢٤ ساعة وقد صرح نفس المصدر أن هذه الخطة قد عرضت على حكومات فرنسا وتركيا وكندا فوافقت عليها بالاضافة الى أمريكا التى اشتركت فى رسم الخطة » ٠

وبعد هذه « الخبطة الصحفية » تعلق الملايين « والملايين تنشر خيوط هذه المؤامرة الاستعمارية الجديدة لتوقف الشعب والحكومة على ما يدبر للوطن ولتطالب الحكومة بأن تقوم بواجبها وأن تجعل من الجيش الحصن الذى يحمى الوطن ويتقدم الصفوف لتحريره » (٤٠)

٠٠ ولا بد لنا أن نشير هنا الى هذه النجاحات الصحفية المتتالية التى تميزت بها الملايين بحصولها على معلومات صحفية بالغة الاهمية لعل نشرها قد أربك أصحابها كثيرا وأفسد خططهم ٠٠ ان مثل هذه المعلومات ويسبقها « الوثيقة » الانجليزية الهامة ٠٠ تشير الى أن الملايين وربما (حدثو) أيضا كانا على صلة بمصادر اخبارية عليمه وقادرة على الحصول على معلومات ما كان لها أن تصل الى أية صحيفة مصرية وفى العدد ٢٤ يعود الضوء ليسلط على عبود باشا وعلاقاته بالامريكان « علم مندوبنا فى الدوائر الاجنبية أنه قد تمت فى الايام الاخيرة اتصالات عديدة بين بعض الباشوات المصريين من المستقلين وكبار رجال المال وبين السفارة الامريكية وبين السفير الامريكى نفسه ٠٠ وقد توجه الباشا عبود الى السفارة الامريكية ثلاث مرات فى يومى ٢٤ ، ٢٥ ومكث فى كل مرة مدة أطول من ساعة فى نقاش حار مع جيفرسون كافرى » ٠

وبعد أن تفصح الملايين لعبة الاتصال بأمرىكا وتفصح أصحابها من المصريين ٠٠ وتسجل انهم بعض الباشوات من كبار رجال المال ٠٠ تعلق على الخبر قائلة « والملايين تقول للباشا عبود وأمثاله بمنتهى الصراحة والوضوح ان الشعب الذى تراق دماؤه فى القنال لم يعد على استعداد للسكوت على أى نوع من الخيانة وان أى اتصال بالانجليز والامريكان للتعاون معهم يدخل

في قائمة جرائم الخيانة • ان الشعب الذى يرغم صغار التجار على قطع علاقاتهم بالانجليز سيعرف كيف يرغم حثنة من كبار الباشوات وأصحاب الشركات على الاعتراف بأن القضية أصبحت تخص عشرين مليوناً من المصريين» (٤١) •

والعركة ضد أمريكا ليست مصرية المذاق فحسب • فحدثوا الآن جزء من الكتيبة التقدمية في الشرق الاوسط وكوادرها تنهك في الاعطاد لانعقاد مؤتمر شعوب الشرق الاوسط بالقاهرة •

وينعكس المذاق الجديد عبر صفحات الملايين .

وفي العدد ٢٧ تحرص الملايين على أن تقدم لشعب مصر باقة من تأييد القوى التقدمية في العالم •

وعلى نصف صفحة كاملة « شعوب العالم تؤيد مصر في نضالها ضد الاستعمار » وتحت هذا العنوان رسائل وبرقيات تأييد للنضال المصرى ضد الاستعمار من • اتحاد الطلبة العالمى ، الاتحاد العام العالمى للشبيبة الديمقراطية ، الاتحاد العام الفرنسى للنقابات ، مجلس النقابات العراقية ، الاتحاد العالمى للنقابات ، أنصار السلم في لبنان ، أنصار السلم في سوريا ، اهالى فلسطين ، المحامين السوريين » (٤٢)

كان ذلك ضروريا ليس فقط لضخ المزيد من الحماس في نفوس المصريين وانما أيضا لاقناعهم بوحدة المعركة ضد الاستعمار وبأن المعركة ضد الاحتلال البريطاني في قنال السويس وضد التسلل الأمريكى في مقدرات مصر هى جزء لا يتجزأ من المعركة ضد النفوذ الاستعمارى في كل منطقة الشرق الاوسط خاصة والعالم أجمع عامة ••

ويكون طبيعيا أن تتركز نيران الافتتاحية ضد مشروعات الدفاع المزعوم عن الشرق الاوسط وضد « الخائن » نورى السعيد لانه لم يزل يلعب دوره في الدعوة الى مشروع استعمارى جديد وبعد ذلك تقول الافتتاحية « ونحن نوجه نداءنا الحار الى الشعوب العربية وشعوب الشرق الاوسط للكفاح بكل ما أوتيت من قوة لتخطيم هذا المشروع العدوانى الاستعمارى اننا نوجه نداءنا الى شعوب الشرق الاوسط وشمال أفريقيا ان تواجه هذه المؤتمرات •• مؤامره الاستعمار ومؤمرات عملائه وان توحيد صفوفها لمواجهة الخطر الذى يهددها ويهدد مستقبلها ، ان الدول الاستعمارية وعلى رأسها بريطانيا وأمريكا بالرغم من التنافس بينها قد وحدت صفوفها ولم يبق الا ان ترد الشعوب على هذه

٤١ - الملايين ٢٨/١٠/١٩٥١

٤٢ - الملايين ٢٨/١٠/١٩٥١

المؤامرة بوحدها في النضال . ان مؤامرات الخائن (نوري السعيد) العراقي والخائن (الحكيم) السوري لن يوقفها بلا رجعه الا الوحدة والتحالف بين الشعوب . وقد أصبحت الظروف والاحداث الاخيرة تحتم أكثر من أى وقت مضى أن يعقد مؤتمر شعوب الشرق الاوسط وشمال أفريقيا لتحديد موقفها وواجباتها في النضال من أجل التحرر الوطني ومن أجل السلام العالمى «وتواصن « الملايين » رحلة الدعوة لوحدة نضال شعوب الشرق الاوسط والشعوب العربية في المعركة ضد الاستعمار . وفى العدد ٢٨ يكتب أحمد صادق عزام في الصفحة الاولى . . « الاستعمار الأمريكى يزحف ويدبر المؤامرات للسيطرة على الشرق » فيقدم تفسيره لمواقف الوفد الاخيرة قائلاً « وأمام هذا التهديد بالسافر وأمام وعى الشعب المصرى الذى جرب خيانات صدقى وعرف كيف يحطمها وجرب تذبذب النحاس ومفاوضات وعرف كيف يحطمها أمام ذلك لم يكن أمام حكومة الوفد وهى ما زالت مرتبطة أمام الشعب بالعهد والمواثيق الا أن تقف أمام الضغط وترفض أن تضع مصر تحت سيطرة الكتلة الاستعمارية مجتمعة وأن تقدم ثروات مصر ودماء شعبها قربانا لاعداء الشعب » .

ثم ينتقل الى التحذير « اننا ننظر الى الانقلاب الذى تم في سوريا كدرس يجب أن نتعظ به حكومة مصر . ان عملاء أمريكا ينتظرون الاوامر » .

ثم يتنبأ بما حدث فعلا بعد بضعة أسابيع « ان حكومة الوفد تكاد ترتعد لانها تشتم رائحة المؤامرة ولانها تعرف أنه ليس هناك الا طريقتين التطويح بها أو الخيانة واننا لنثق أن ليس هناك الا طريقا واحدا لا لبقاء حكومة الوفد فقط ولكن لتحرير مصر أيضا وهو أن تتجه هذه الحكومة الى الشعب وتثق فيه وتطلق سراح قواه المكبوتة وتمكنه من تنظيم صفوفه وحشد قواته في المعركة ، المعركة التى يجب أن تشترك فيها كل مدينة وكل قرية في مصر لا أهل القنال وحدها التى يجب أن يشترك فيها جميع العمال والفلاحين والطلبة والوطنيين في مصر لا مدن القنال وحدهم المعركة التى لا يمكن أن تكون سليمة ولا يمكن أن تكون عادلة ولا يمكن أن تكون حقيقية اذا لم تنتقل بالكامل الى يد الشعب . . بهذا الاسلوب وحده نستحطم مؤامرات نوري السعيد . . وستحطم مؤامرات الشيشكى وغيره من الخونة . . وستحطم مؤامرات عبد الهادى وغيره من رجال الاستعمار في مصر وستحطم الخط الثانى للاستعمار ويكشف ظهره ويواجه الشعب المتعطش الى الحرية والى السلام والى حياة عادلة وجهها لوجه « (٤٢) .

أما مانشتات العدد ٢٩ أى العدد قبل الاخير فهى :

- « هدف الانجليز احتلال القنال لاسقاط حكومة الوفد .
- الحكومة العربية تتآمر مع الاستعمار ضد الشعب المصرى .
- مؤامرة أمريكية لتحويل الشرق الى مستعمرة ومستودع للبارود .
- مؤتمر شعوب الشرق الاوسط هو رد شعوب الشرق على الاستعمار » (٤٤)

أما فى العدد الاخير فان الاستعداد لمؤتمر شعوب الشرق الاوسط يجرى على قدم وساق ويكتب محمد على عامر عضو اللجنة التحضيرية ورئيس نقابة عمال النسيج الميكانيكى تحت عنوان « العمال فى النضال من أجل حقوقهم من أجل التحرر » . لقد سجلت اللجنة التحضيرية لاتحاد عمال نقابات القطر المصرى انتصارات ضخمة فى المرحلة الماضية فقد اشتركت اللجنة بمندوبيها فى المؤتمر السنوى لاتحاد النقابات العالمى فربطوا بذلك كفاحهم بكفاح عمال العالم واشتركت بمندوبيها فى المؤتمر السنوى لاتحاد نقابات عمال السودان وربطوا بذلك كفاحهم بكفاح عمال السودان » .

ثم يمضى محمد على عامر الى هدفه « ان الطبقة العاملة المصرية يجب أن تلعب دورها البطولى فى التحضير لمؤتمر شعوب الشرقين الادنى والاوسط وشمال افريقيا لان نجاح المؤتمر يعنى نجاح العمال فى قيادة الشعب فى الصراع الوطنى الديمقراطى ان الفئات الشعبية ستلعب دورها لانجاز هذا المؤتمر وعلى الطبقة العاملة أن تدعم قيادتها السياسية لهذه الفئات بدورها الجبار فى التحضير لمؤتمر شعوب الشرقين الادنى والاوسط وشمال افريقيا » .

ولا يمكن أن ينجح العمال فى الاشتراك فى مؤتمر الشعوب الا اذا قويت وحدتهم بانجاح مؤتمر النقابات بالقطر المصرى الذى دعت له اللجنة التحضيرية فى يوم ٢٦ يناير .

يا عمال مصر : ان أعداءكم فى الداخل والخارج يتربصون بكم فاحرصوا على انجاح مؤتمركم » (٤٥) .

والمعركة من أجل السلام العالمى هى أيضا جزء من معركة النضال ضد الاستعمار ومخططاته . ولقد كان النضال من أجل السلام أحد واجبات « حدثو » الرئيسية فى هذه الفترة .

٤٤ - الملايين ١٢/١٢/١٩٥١

٤٥ - الملايين ٢٦/١٢/١٩٥١

وقد خاضت « الملايين » معركة السلام بكفاءة وفعالية مستخدمة كل أسلحتها ٠٠ ابتداء من الكاريكاتير الى الشعر الى المقال الى الخبر ٠٠

وفي الصفحة الاخيرة من العدد ٩ يتألق كاريكاتير زهدى دفاعا عن السلام ومعه تعليق يقول « منذ ظهر الانسان على الارض وهو يكافح ليعيش في سلام وسراج الدين باشا لا يريد أن يعيش شعب مصر في سلام فهو يتهم أنصار السلام بالشيوعية والعمل لحساب موسكو ٠٠ وإذا كان أنصار السلام شيوعيين كما يزعم سراج الدين وقلم المخابرات البريطانية فالنبي عيسى كان يدعو للسلام ولم يكن شيوعيا والانبياء جميعا دعوا للسلام ولم يتهمهم أحد بأنهم شيوعيون » (٤٦)

ويخصص العدد ١٠ صفحة كاملة للسلام ٠٠ بها موضوعان قادران على جذب انتباه القارئ لموضوع الدفاع عن السلام العالمى ٠٠ « عندما تسقط القنابل الذرية على مصر - بقلم محفوظ عزام » و « اللقاء قنبلة ذرية على قنال السويس » - بقلم عبد المغنى سعيد . وبهنا هنا أن نسجل أن المقال الاخير قد حمل أول دعوة مصرية لتشكيل معسكر عدم الانحياز . فهو يؤكد أنه اذا فكر الروس يوما في الهجوم على مصر فسيكون ذلك لاغراض دفاعية اذا ما استخدمها الحلفاء كقاعدة هجومية ضدهم وهذا ما يجدر أن نتلافاه باعلان الحياد وبتأليف كتلة محايدة من الدول العربية والهند التى أبدت فى الاعوام الاخيرة حرصا واضحا على أن لا تربط عربتها بعجلات الامبراطورية البريطانية ملتزمة طريق الحياد المستقيم عاملة على توطيد دعائم السلام » (٤٧) .

وفي نفس العدد موضوع اخبارى بعنوان « نساء العالم ضد الحرب » ٠٠ ويسافر زهدى الى برلين الشرقية ليحضر « المهرجان العالمى الثالث للشباب والطلبة المدافعين عن السلام » ومن هناك يكتب رسائل عديدة عن نضال الشعوب من أجل السلام .

وفي العدد ١٧ يكتب زكى مراد فى عموده الاسبوعى « مصر جزء من العالم » ٠٠ « ان الحقيقة الواقعة ان مصر اليوم جزء من جبهة الانجليز امريكان وتقوم بدورها فى الخطط العدوانية التى تنفذها هذه الجبهة » .

واليوم وبعد خطاب شفرنريك ورد ترومان أصبح واضحا أمام العالم كله من هم العاملون للحرب ومن هم الذين يصونون السلام ويدافعون عنه،

٤٦ - الملايين ١٧/٦/١٩٥١

٤٧ - الملايين ٢٤/٦/١٩٥١

٤٨ - الملايين ١٢/٨/١٩٥١

وعلىنا أن نحدد موقعنا واضحا صريحا اننا في جبهة السلام والحرية في نضالها العتيد ضد مجرمي الحرب وشياطين الذرة « (٤٨) » .

وفي نفس العدد مقال لانجي أفلاطون عن نضال نساء العالم من أجل السلام بعنوان « ٩١ مليون امرأة معنا » .

وفي العدد التالي تشن الملايين حملة عنيفة ضد محمود أبو الفتح صاحب جريدة المصرى لانه يضطهد الصحفيين أنصار السلام والتقدميين العاملين في جريدته . فقد خير انجي أفلاطون محررة باب المرأة بالمصرى بين عملها بالجريدة وبين نشاطها في حركة أنصار السلام . وقد فضلت انجي أفلاطون حركة السلام . ثم اشارت الى اضطهاد عبد الرحمن الخميسي المحرر بالمصرى بسبب نضاله من أجل السلام . لكن الملايين تؤيد في نفس الوقت أحمد أبو الفتح وتشيد بمواقفه الوطنية (٤٩)

وفي العدد ذاته مقال بعنوان « لمصلحة من ؟ » والتوقيع ع . سعيد (ربما كان عبد المغنى سعيد) والمقال يدين حملات الحكومة على أنصار السلام قائلا « ألقت الحكومة القبض على بعض أعضاء جماعة أنصار السلام بدعوى أن هذه الفكرة وافدة من الخارج وقد نبقت في بلاد معيبة لها اتجاهات معروفة كما صرح بذلك معالي وزير الداخلية بالنيابة . لمصلحة من يقوم معاليه بهذا الاعتقال ؟ لمصلحة الانجلو سكسون الذين يناصبوننا العداء ويحاربوننا في كل ميدان ويناصرون كل من يعادينا ؟ أم لمصلحة السياسة المصرية الخارجية القائمة على تمسك مصر بالحياد في النزاع القائم ؟ والحياد والسلام توأمان لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر وان فصلهما معالي الوزير الخطير في مؤتمره الصحفي « (٥٠) » .

واذ تتعرض اللجنة التحضيرية لأنصار السلام لهجمات بعض المنظمات الماركسية وبعض الصحف مثل صحيفة « الناس » يكيل ابراهيم عبد الحليم الصاع صاعين على صفحات العدد ٢١ . تحت عنوان « أنصار السلام وأعداء السلام » . « اليوم يظهر بعض الخونة والمخربين وأعداء الحرية ليوجهوا طعناتهم المسمومة الداعرة الى حركة السلام والى اللجنة التحضيرية والى معارك حركة السلام تحت شعارات أخرى مثل شعار الكفاح من أجل السلام بشكل أسلم ! وتحت شعار حركة سلام سلامية ! وتحت شعار هدم اللجنة التحضيرية والهجوم على أشخاصها أو تحت شعار اقحام الخلافات الحزبية ، أى بشعارات لا تختلف عن الصفات التى حاول أن يلصقها بها

٤٩ - الملايين ١٩/٨/١٩٥١

٥٠ - الملايين ١٩/٨/١٩٥١

الخونة وأبواق الاستعمار وكتبت للتضليل من اليسار الى اليمين بدلا من اليمين الى اليسار .

واليوم آن الوقت لنقول لهؤلاء ما قلنا للمستعمرين وما ستقول لكل من يخدم أغراضهم أنتم خونة ، أنتم مخربين . أنتم أنصار الحرب . أنتم أعداء السلام وموقفكم الحالي لا يختلف عن موقفكم من نداء استكهولم حين رفضتم جمع التوقيعات أو حتى مجرد التوقيع . . هذا هو رأينا . وقد آن الوقت لنعلنه للخونة والمترددون الاستعمار سواء أكانوا يلعبون دورهم في النور أو في الظلام ، سواء أكانوا يلعبون دورهم بتوجيه من الاستعمار أو بتخريب توجهه وتقوده عناصر عفنة مضللة . . آن الوقت لنقول لهؤلاء وللشعب ليس هناك كفاح للسلام تحت أى شعارات كانت الا تحت لواء اللجنة التحضيرية الحالية وتحت قيادتها ولقد تعلمنا من تجارب الماضى ومن أساليب الاستعمار والبوليس السياسى فى التخريب ولن نسمح للمأسى والجرائم التى حدثت فى الماضى بأن تتكرر » (٥١)

. . ويعلن العدد ٢٢ انتصارا هاما لحركة السلام . . « فى يوم الأحد الماضى وفى منزل الفنانة السينمائية لولا صدقى اجتمع ٢٥ من الكتاب والفنانين ورجال السينما لاعلان تأليف لجنة الفنانين المصريين لانصار السلام وكان مندوب الملايين هناك يشهد هذا الحدث التاريخى ويسجل هذه الخطوة الحاسمة خطوة انتقال الفنانين من الابراج العاجية ومن الابتذال ومن التضليل الى المعركة والى الشعب والى الكفاح من أجل الحرية لمصر ومن أجل السلام للعالم وكانت أول خطوة هى اعلان تكوين اللجنة واعلان بيان واضح وصريح الى جميع الفنانين والى الشعب وقد جاء فى البيان : نحن الفنانين المصريين ، نحن الذين عانينا من الحرب وأهولها فى أعصابنا وفى انتاجنا وفى أرزاقنا وفى حرياتنا نحن الذين نكره الاستعمار الذى يصر على احتلالنا وعلى جعلنا مسرحا للحرب نحن الذين نرفض الحرب كوسيلة لحل الخلاف فى رأى نحن الذين نحب الحياة بكل لحن موسيقانا ، وكل نبضة فى دمنا ، نحن الذين نعشق الحرية ونؤمن بوحدة الانسانية ونكره أعداء الحرية نعلن انضمامنا لحركة السلام العالمية لنناضل مع أبطال السلام فى العالم » (٥٢) .

ثم بعد ذلك . .

نعود قليلا لتتوقف أمام موضوع هام تلمسته الملايين أكثر من مرة وتلمسناه معها أكثر من مرة .

٥١ - الملايين ١٩٥١/١٠/٧

٥٢ - الملايين ١٩٥١/١٠/١٤

وهو اكتشافها المثير للمؤامرة التي كانت تدبر لنصفية المد الثورى ولانهاء الكفاح المسلح وسواء على المستوى الصحفى أو المستوى السياسى فقد حققت الملايين نصرا يبدو غريبا على مثل هذه الصحف التى كثيرا ما تكون مثل هذه « الأخبار » البالغة السرية بعيدة تماما عن تناول يديها . . أكثر من مرة ألمحت « الملايين » الى خيوط مؤامرة نحاك . .

ولم يكن الكلام مجرد تحليل سياسى صائب لكنه يركز فى الاساس الى معلومات محددة دقيقة مصدرها لا بد أن يكون وثيق الصلة بدوائر صنع القرار فى أعلى المستويات التى تنسج هذه المؤامرة . . أن مثل هذه المقدرة تحتاج الى تأمل . .

سواء بالنسبة الى الملايين « الجريدة » أو بالنسبة للملايين « التعبير عن خط منظمة سياسية » .

وكمثال آخر نتوقف فى انبهار أمام موضوع اخبارى نشر فى العدد ٢٤ أى فى ٢٨ أكتوبر ١٩٥١ ليرى وقائع حدثت فعلا فى ٢٦ يناير ١٩٥١ . .

لنقرأ معا « الجواسيس الانجليز يمهدون الطريق لعلى ماهر » . . « علم مندوبنا فى الدوائر السياسية أن الاستعماريين الانجليز يدبرون الآن أكبر جريمة ضد سلامة الوطن فقد من الاتصالات لجس النبض فيما اذا عين على ماهر باشا فجأة رئيسا للوزراء فى مصر وقد أبلغ هؤلاء الجواسيس بعض الباشوات والساسة المصريين أن تغيير الوضع فى بريطانيا وانتقال الحكم الى المحافظين سيتبعه حتما تغيير شامل فى الوضع الداخلى فى مصر حتى ولو اقتضى الامر استخدام القوة أبلغ هؤلاء الجواسيس الباشوات والساسة المصريين ان الدوائر الحاكمة فى بريطانيا قد وقع اختيارها على رفعة على باشا ماهر كالرجل الذى فى مقدوره أن يلعب الدور البريطانى فى مصر فى المرحلة الحالية » .

• لنفحص الاسطر السابقة صحفيا سواء من حيث صياغتها الدقيقة أو من حيث تركيزها على ما هو هام . . ثم لنفحصها على ضوء المقدرة على التوصل الى مثل هذه الاسرار . . ولنفحصها أخيرا - سياسيا - على ضوء ما وقع فعلا فى يناير ١٩٥١

تماما كما قالت الملايين . . « فجأة » تم « استخدام القوة » (حريى القاهرة) لاطاحة بحكومة الوفد وكان « الرجل الذى فى مقدوره أن يلعب الدور البريطانى » هو أيضا على ماهر .

• وبعد أن نشرت الملايين هذا الخبر المثير توجهت الى حكومة الوفد قائلة « والملايين تنشر هذه المعلومات أو هذه الجرائم لتنبه حكومة الوفد

ولتنبه الشعب الى هذه المؤامرة التي تمهد لانقلاب فاشى وتمهد لتحطيم صراعنا الشعبى الحالى ولاتمام جريمة ابقاء الاستعمار وربط العشرين مليوناً من المصريين فى معسكر الاستغلال والحرب والخراب « (٥٣)

كذلك فقد وهبت « الملايين » مساحات كبيرة من صفحاتها للدفاع عن الحريات العامة ..

وقد تركز دفاعها فى شقين أساسيين :

١ - مقاومة التشريعات المفيدة للحرية .

٢ - الدفاع عن المسجونين الشيوعيين والمطالبة بالافراج عنهم .

وفى الشق الاول ترفع الملايين سبابتها أكثر من مرة لتقاوم الميل الوفدى لاصدار التشريعات المفيدة للحريات محذرة الوفديين أنفسهم بأنهم لا يتخلون فقط عن وعودهم التى أتوا على أساسها الى الحكم وانما أيضا بأنهم ينسجون قيوداً سوف تلتف حول أعناقهم هم قبل غيرهم وقد حرصت « الملايين » أيضا على خوض هذه المعركة فى اطار أوسع جبهة ممكنة تضم فى صفوفها الكثيرين من الوفديين المعارضين لسياسة حكومتهم ..

وعندما حاولت حكومة الوفد تمرير تشريعات الصحافة .. خصصت الملايين عدداً خاصاً - العدد ١٥ - لمعارضتها ..

وقد صدر هذا العدد فى ١٢ صفحة خصصت جميعاً لادانة تشريعات الصحافة وألغيت فى هذا العدد كافة الابواب التقليدية (السياسية الخارجية - الى المحرر - قبلى وبحرى - نقط العرق .. الخ) لتحل محلها حملة عنيفة ضد هذا القانون .

.. وبالضرورة احتاج هذا العدد الخاص الى توضيب خاص .. فلصفحة الاولى خصصت بأكملها لنشر افتتاحية ساخنة وفى وسطها بروازان ..

البرواز الاول اخبارى « أصدر النحاس باشا تعليمات الى اللجنة التشريعية بمجلس النواب بأن تترك مشروعات قوانين الصحافة تنهر فى سلام ولا ينطق أحد بكلمة واحدة بشأنها » (٥٤)

والبرواز الاخر عبارة عن مربع أسود بداخله صورة اسطفان باسيلي (النائب الوفدى الذى قدم مشروعات القوانين لمجلس النواب) والتعليق

٥٣ - الملايين ٢٨/١٠/١٩٥١

٥٤ - الملايين ٢٩/٧/١٩٥١

يقول أن أبناء دائرة الزيتون (وهي الدائرة التي يمثلها اسطفان باسيلى في المجلس) عقدوا سلسلة من الاجتماعات لاعلان . « احتجاجهم على المشروعات التي تقدم بها نائب دائرتهم والمطالبة بسحبه هو ومشروعاته من المجلس وأن المحامين سيطالبون في جمعيتهم العمومية بفصل النائب باسيلى من النقابة وحرمانه من الاشتغال بالمحاماة لانه خان طبيعة المهنة التي كانت ولا تزال مهنة الدفاع عن الحرية والعدالة . »

أما الافتتاحية فقد كانت ساخنة حقاً وقد جمعت كلها بالبخط الاسود الكبير . « وقعها أحمد صادق عزام « أيها المواطنون . حرية الصحافة في خطر » .

هذا هو المانشت . « أما الموضوع . .

« أيها المواطنون . « في كنف من السرية وتحت ستار الظلمات حاولت الحكومة الاطاحة بحقوقكم والعصف بحرياتكم بفرض تلك القوانين الرهيبة الغاشمة التي تخول لها اخماد كل صوت حر يرتفع من أجلكم وتحطيم كل قلم وطنى يزود عن قضيتكم .

ولكن الوطنيين هتكوا سبقرها ومزقوا الحجاب عن نواياها وجندوا أنفسهم لمعركة عنيفة عاتية يخوضونها ضد ذلك المحاولة الاثمة ولم تفلح مناورات الحكومة ولا بياناتها المكذوبة في أن تصرف المناضلين عن نضالهم لاحباط خططها واسقاط مشروعاتها .

أيها المواطنون . « تريد الحكومة بهذه التشريعات أن تعود بكم الى عهد الحكم المطلق وتجعل بلادكم سجناً رهيباً وتجعل منكم عبيداً أذلاء ولا تجرى أقلامكم الا بما توحيه لكم وتمليه عليكم ولا تنفجر شفاهكم الا عن كلمات التسبيح بحمدها والا سحقت أقلامكم وأخرست ألسنتكم بكلمة من وزير الداخلية سبحانه لا راد لمشيئته ولا معقب على امره . « ووراء هذا كله استعمار داعر يفزعه أن يسمع دوى أصواتكم ترددها صحافتكم الوطنية وهي تعلقو . « من أجل الخبز والحرية والسلام » (٥٥)

وتحشد « حدتو » كل طاقاتها النضالية واتصالاتها الجبهوية وعلاقاتها الحزبية في هذه المعركة ففي حي الزيتون كما رأينا، تجمع الناضلون في دائرة اسطفان باسيلى الانتخابية ليشاركوا في المعركة . وعلى أصعدة عديدة تحشد مختلف القوى في جبهة واسعة حقاً ضد القوانين المقيدة لحرية الصحافة .

ولنطالع على صفحات هذا العدد . . لتتابع كل هذا الحشد من الاقلام
والمواقف :

- النائب الوفدى أبو شادى الكيلانى . . ستذهب التشريعات وتذهب
الحكومة .

- الطلبة السودانيون . . أيها النواب الوفديون أوقفوا جرائم الحكومة

- غلبة الازهر للحرية والدستور . . بيان موقع عليه من :

- أحمد على سكرتير عام اتحاد طلاب كلية أصول الدين بالنيابة .

- عبد الرحمن عبود هريدى سكرتير عام اتحاد طلاب كلية الشريعة .

- محمد العديسى عضو اتحاد طلاب كلية الشريعة .

- محمد أحمد العصرة المحامى . . نحو الهاوية .

- كامل البندارى باشا . . هذه التشريعات تفتح الطريق فسيحا أمام
الاستعمار الأمريكى . .

- أحمد أبو الفتوح . . دولة القوانين .

- عبد العزيز بيومى المحامى . . الحكومة تدعم الاغتيال السياسى .

- حسن عبد الرحمن رئيس نقابة سائقى السيارات المتحدين .

ورئيس مؤتمر نقابات سائقى وعمال النقل المشترك بمصر . . لن
تقتضوا على صحافة العمال .

- محمد على عامر رئيس نقابة عمال النسيج الميكانيكى بالقاهرة
وضواحيها . . يا عمال النسيج حرية الصحافة فى خطر .

- سيد خليل ترك سكرتير عام مؤتمر نقابات عمال وسائقى النقل
المشترك . . أعداء العمال يكممون الافواه .

- زئير العمال فى وجه أعداء الوطن . . بيان صادر عن عشرين نقابة
عمالية . .

- أحمد طه أحمد سكرتير نقابة مستخدمى وعمال شركة ماركونى . .
لن نخطف طريقنا مهما سننقم من تشريعات .

- عبد العزيز عثمان . . سكرتير نقابة عمال شركة الكوكاكولا
بالقاهرة . . الصحافة منبر العمال ولن نسمح بالاعتداء عليه .

- دكتور عزيز فهمى . . القضاء نفسه لا يملك حق تعطيل الصحافة والغائها .

- أحمد شوقي الخطيب المحامى . . وقاية النظام الاجتماعى أكذوبة هامة لن تبغثوا فيها الحياة .

- مصطفى أمين بك . . الارهابيون يتولون الحكم سرا .

- محمد زكى عبد القادر . . المادة ١٥ من الدستور .

- أحمد قاسم جودة بك . . تشريعات اجرامية .

- فتحى الرملى . . ثورة على الدستور .

- كامل الشناوى . . هذه جريمة .

- يوسف حلمى . . الخنجر ذو الحدين .

صرخة الطليعة الوفدية . . حسن صدقى - ادوارد الضبع - رجائى عبد الملك - منير شنب . .

. . ونعود فنأمل المغزى الكامن فى القدرة على حشد كل هذه القوى والاتجاهات للكتابة فى عدد واحد من أجل قضية محددة . .

ونسأل هل يمكن أن يعبر هذا الحشد الذى يمتد من أهم القادة النقابيين الى قيادات الشباب الوفدى الى مختلف العناصر الليبرالية واليسارية . . الى حتى مصطفى أمين وأحمد قاسم جودة . . هل يمكن أن يعبر مثل هذا الحشد عن قدرات أو حتى علاقات ذلك التنظيم الذى كان يصدر الملايين ؟

ونعود فنقلب صفحات العدد لنلتقط منه بعض لمسات تكمل الصورة . .

فالبيان الذى أصدرته العشرون نقابة عمالية يمثل بذاته ثقلا سياسيا واجتماعيا هاما . . وعنوانه «زئير العمال فى وجه أعداء الوطن وأعداء الدستور»

- نصف مليون عامل يدرأون عن الصحافة . . اعتداء الحكومة . .

وقد حرصت الملايين أن تنشر صورة لهذا البيان وللتوقيعات التى جمعت عليه . .

فأما البيان فيقول « نحن ممثلو النقابات واتحادات ومؤتمرات الطبقة العاملة المصرية وقد روعتنا تلك المحاولة الآثمة التى يدبرها أعداء الوطن لطقن الدستور فى صميمه نعلن :

ان هذه التشريعات الرجعية لن تخدم سوى المستعمرين وأذئابهم من الخونة الذين يفرغهم أن يتكلم الشعب ويرهبهم أن تكون فى مصر صحابة حرة

تزود عنه وعن مصالحه وقضيته الوطنية وإن العمال وهم يدركون تمام الإدراك مدى خطورتها يبقون اليوم لمقاومتها بكل ما تعنيه المقاومة ..

أيها المواطنون

ناضلوا ضد هذه المحاولة التي يراد بها مسح دستوركم والتطويع بحرياتكم ووضعكم وراء القضبان .

أيها المواطنون

احتجوا على هذه القوانين وأسمعوا صوتكم للبرلمان وأطلبوا ممن أحملتهم الى مقاعده أن يوقفوا الجريمة .

أيها النواب

لتجعلوا من يوم ٣٠ يوليو يوما مشهودا في تاريخ مجلسكم ولتلقنوا لأولئك الذين توهموا أنهم قادرون على العبث بالدستور درسا في احترامه .
عاشت صحافة الشعب حرة . وعاش الدستور .

وأما الموقعون على البيان .. فمن بينهم قيادات أهم التشكيلات النقابية مثل نقابة عمال الشركة الشرقية للدخان (ماتوسيان) ، نقابة عمال ومستخدمى الحكومة ، نقابة عمال النسيج ، نقابة عمال الفنادق ، عمال سوكونى فاكوم ، عمال وسائقى النقل المشترك .. الخ » ..

ولم تكن صرخة الطليعة الوفدية بأقل حدة « فى الوقت الذى يشهد فيه الصراع بين الشعب وبين الاستعمار وفى الوقت الذى يقوم فيه الشعب بالانضال ضد أذنان الاستعمار الانجلو - أمريكى وفى الوقت الذى يجب أن يناقش فيه كل مصرى مشاكلنا العامة بكامل حريته فى هذا الوقت بالذات تحاول الحكومة تفسير المادة ١٥ من الدستور بحيث يتيح لها الاعتداء على الحريات البسيطة الباقية .. » .

ويمضى البيان قائلا « ان السياسة التى تسير عليها الحكومة . والتى تؤدى الى ربطنا بعجلة الاستعمار من دفاع مشترك وحلف البحر الابيض لتفسير جنبا الى جنب مع سياستها الداخلية فى كبت الحريات والاعتداء على الدستور ذلك أنه فى ظل الحريات الشخصية والسياسية يسهل على الشعب أن ينظم نضاله من أجل طرد الاستعمار . ان هذا القانون يعيد قييدا جديدا يضاف الى مئات القيود المفروضة على هذا الشعب . انه ليس بقيد جديد فحسب بل هو أشد وأقسى القيود .

أيها المواطنون .. ان الطليعة الوفدية التى كافحت بكل قوة ضد المشاريع الاستعمارية ، وضد القوانين الرجعية كالمادة السادسة من مشروع

قانون الاحكام العرفية ، وقانون المشبوهين السياسيين لتقف اليوم ضد القضاء على حرية الصحافة وتدعو جميع المواطنين أن يطالبوا نوابهم برفض هذا المشروع المتعارض مع روح الدستور » .

ونتوقف أمام الموقعين الاربعة ونجدهم جميعا على علاقة بشكل أو بآخر بتنظيم طليعة العمال بما يوحى بأن القيادات الاخرى للطليعة الوفدية لم تشأ أن تضع اسمها على هذا البيان ولعل هناك تفسير آخر !

٠٠ أمام مقال سيد خليل ترك فيقول « ان دلت القوانين المقترحة على شيء فانما تدل على ضعف الحكومة وذعورها من أن تصل الراء الحرة الى الشعب الذى أصبح في نظرها يتكلم أكثر مما يجب باعلان ارادته ورغباته من فوق منبر صحافة حرة ومن الطبيعي أن تقدم على هذه المحاولة حكومة فاشلة ضيعت القضية الوطنية وجوعت الشعب وحرمته من رغبة العيش ولكن من الطبيعي أيضا أن يقف الشعب وأن يقف العمال للدفاع عن الحريات الدستورية وعن حرية الصحافة » .

وأخيرا هناك مقال أحمد أبو الفتح رئيس تحرير المصرى ٠٠ « علمت بأن أمرا يراد بالصحافة والصحفيين في صورة مشروع قانون سيقدم للبرلمان لنظره على وجه الاستعجال ، ٠٠ ويقال أن بعض الصحف قد انحرفت عن طريقها الصحيح ودأبت على تهيج الخواطر وبث روح الكراهية بين طوائف الشعب ، وأنا لا أفهم كيف يجرؤ انسان على ترديد مثل هذا القول وقد انفردت مصر دون سائر الدول بقوانين وأنظمة قاسية على الصحافة والصحفيين وأصبحت تملك أشد النظم سوءا مما تعيرنا به دول الارض جميعا » .

ويمضى رئيس تحرير المصرى جريدة الوفد الرئيسية ليضع يده على الجرح الحقيقي ٠٠ « ويقال ان الصحف أو بعضها يدعو للشيوعية ، ومصر هي الدولة التي تفردت بتشريعات بعضها لم يأخذ صفة الدستورية تحارب الشيوعية ومن يدعو اليها بأشد وسائل الحرب وانى لأعجب لعقلية تتصور أن محاربة الشيوعية لا تكون الا بسلطة القانون وقوة البوليس ، أعجب لهذه العقلية التي وضع الله عليها المغاليق أو فرض أصحابها على أنفسهم المغاليق فأصبحت لا تستطيع أن تدرك أن الحكومات كلما تعذلت وقست وقيدت الحريات أنتجت عملها هذا التذمر والسخط وهذه ولا شك أخصب حقول الشيوعية » .

ويمضى أحمد أبو الفتح « الله أكبر ٠٠ الله أكبر على كل من ضل سواء السبيل فرأى في اقامة دعائم الظلم حائلا دون تنفى السخط . ان لانتشار الشيوعية ولاعتناق الناس لبدائها أسبابا ، فهل فكرتم في بواعثها وهل حاولتم دراستها وهل تبصرتم عواقب ترك تلك الاسباب والبواعث دون دراسة

وعلاج مكتفين بفتح السجون والمعتقلات .. اللهم لا حول ولا قوة الا بك .
منطقهم أن لا حول ولا قوة الا بالقوانين والسجون وهم يعلمون ان سجون
مصر لن تكفى الساخطين الثائرين ، وهم يعلمون أنهم لو فتحوا في كل حى
وفى كل قرية وفى كل زقاق وحارة سجنا فانهم لن يستطيعوا أن يقفوا فى وجه
ثورة الجوع والعري والحرمان واليأس ..

يا حضرات النواب المحترمين .. اليوم تبثون قانونا جائرا فتبصروا
وأذكروا أن كلمة الشعب هى العليا ولا حياة للشعوب الكريمة فى ظل القوانين
الجائرة المتعسفة وأذكروا ما أصاب سمعة مصر فى المحافل الدولية من
القوانين القائمة .. أذكروا كل هذا واعتمدوا على الله فى رفض المشروع وفقكم
الله وسدد خطاكم وجنبكم سوء الذكرى وهو سبحانه وتعالى ولى التوفيق»

ولسنا بحاجة الى القول أن حملة الملايين كانت تذم فى اطار حملة
شعبية عارمة شاركت فى تنظيمها قوى عديدة بحيث أصبح من المستحيل على
القانون أن يمر .

.. ولعلنا لسنا بحاجة أيضا الى القول .. بأن مثل هذه التشريعات
البشعة كانت تستهدف أساسا صحفا كالملايين وغيرها من الصحف الوطنية
والتقدمية التى تكاثرت فى هذه الايام فأصبحت سلاحا حقيقيا فى حشد
الجمهير وتحريكها .

وتنجح القوى الوطنية والتقدمية فى معركتها وتسقط تشريعات
الصحافة .

ومع ذلك تواصل الملايين المعركة فى افتتاحية العدد ١٦ « أيها المواطنون
انتهت الجولة الاولى من المعركة بفوزكم! فوزا مبينا على أعدائكم أعداء الوطن
والدستور لقد ذهبت تشريعات اسطفان باسيلي الى غير رجعة وتقدم هو
نفسه يجر أذيال الخجل والخزى والعار ليعلم أنه لا يقلّ غيرة على الحرية
من غيره من المصريين ، ما أشبهه وهو تنازل عن تشريعاته التى أثارتكم بفؤاد
سراج الحين حين وقف فى مجلس النواب ليعلم تنازله عن المادة السادسة
من قانون الاحكام العرفية تلك المادة التى كانت تريد أن تحيل مصر
معتقلا لكم بعد أن كانت المعتقلات قاصرة على هاكستب والطور وأبى
قير وعيون موسى . ولكن المعركة لم تعد معركة تشريعات غاشمة أرادوا بها
أن يطعنوا الحرية الصحفية طعنة قاتلة ويقضوا بها على الدستور قضاء
مبرما ، انها اليوم معركة لتوطيد دعائم الحريات الوهمية التى خدعونا
بها سنين طويلة ولقطع دابر الانقلابات التى نكبونا بها أكثر من مرة لقد
استيقظتم اليوم بعد طول هدوء .. لتقيموا تلك الحريات على أسس حقيقية
أو ليست تشريعات « عزيز فهمى » « ابراهيم شكرى » بادرة قوية من تلك

البوادر التي لم تعد تطبق خداعا أو تمويهها أو ليست القرارات التي اتخذتها نقابة الصحفيين خطوة أخرى نحو انعتاق الصحافة من كثير من القيود التي كبلتها ، أو ليست إعادة النظر في قانون المطبوعات دليلا على أنكم أزمعتم أن تحطموا هذه القوانين الغاشمة واحدا بعد الآخر ، أو ليس المشروع الذي تقدم به حضرات النواب المحترمين لالغاء الفقرة الأخيرة من المادة ١٥ من الدستور برهانا على أنكم قررتم أن تضعوا حدا لجميع الخافذ التي جعل من دكمستوركم أكذوبة ٠٠ أيها المواطنين ٠٠ الى الامام من أجل تحرير وطننا وتدعيم دستورنا « (٥٦) » .

وحتى في صفحة الفن تستمر معركة الدفاع عن حرية الصحافة ففي العدد ١٧ نقرأ في العمود الثابت « المحرر الفني يقول » والذي كان يحرره عبد الفتاح البارودي ٠٠ « من حق الفنانين أن يبتهجوا بانتصار الصحافة في معركة الحرية التي خاضتها في الاسبوع الماضي ولكن ليس من حقهم أن يقفوا كما بدأنا نلاحظ عند حد الابتهاج بل ان واجبهم الاول الان أن يبصروا للناس بأن هذا الانتصار لا معنى له ولا جدوى فيه اذا لم ننههم فهما صحيحا يحول دون التعامى عنه في الواقع ، واذا لم نعتبره مجرد خطوة ينبغي أن نتعقبها خطوات طويلة شاقة حتى يخلص المجال الفكرى والادبى والفنى من شتى العوائق والشوائب ٠ لقد آمنوا مؤقتا أن تزداد القيود وأن يتضخم الاستعساف ولكن لا تزال القيود الاولى باقية صارمة متعسفة كما كانت هي ٠ لننبه الشعب الى الحقيقة ونحذره من الوقوع بين براثن التخدير ، لذلك أجاهر بأن انتصار حرية الرأى في المحنة الأخيرة المريعة لا يمكن أن يسمى انتصارا حقيقيا حاسما الا اذا فهمنا اننا ما نزال في بداية الطريق واننا في حاجة الى مزيد من الصمود والكفاح ضد المستعمر ، أى ضد مكن الداء الاصيل « (٥٧)

ولم يكن غريبا أن تواصل الملايين معركتها ضد تشريعات الصحافة بعد سحبها ٠٠ ولكن هل يبدو غريبا أن تنسب الكلمات السابقة الى عبد الفتاح البارودي ؟

وفي أكثر من معركة من معارك الحرية تسهم الملايين بل لعها اسمت نيتها جميعا وفي العدد ١٨ نقرأ « القبض على ابراهيم شكرى » ٠٠ « قامت النيابة العامة أمس باتخاذ أول اجراء من نوعه في تاريخ القضاء المصرى اذ أمرت بالبقاء القبض على النائب الاشتراكى الجرى ابراهيم شكرى

٥٦ - الملايين ١٩٥١/٨/٦

٥٧ - الملايين ١٩٥١/٨/١٢

وننتزع بصورة قاسية من بلدته شربين كما ينتزع للصوص والمجرمون وتجار المخدرات ٠٠ وعلم مندوبنا أن كثيرا من حضرات النواب الاحرار قد اجتمعوا على أثر علمهم بالقبض على زميلهم الاشتراكي ورأوا ان الاجراء المتخذ ضده هو اجراء ضد الدستور وضد النظام البرلماني كله وانه انذار لهم جميعا بالكف عن معارضتهم الوطنية ولهذا فانهم سيتخذون عدة اجراءات ايجابية مضادة سيعلنون عنها في الجلسة المقبلة لمجلس النواب « (٥٨)

وتتواصل المعركة من أجل الحريات العامة وتكون بذاتها معركة ضد الممارسات الخافية للديمقراطية التي ترتكبها حكومة الوفد ومعركة من أجل تبصير الوفديين بأخطار مثل هذه الممارسات عليهم أنفسهم ٠٠

وتحت عنوان « ماذا يريدون » نقرأ في العدد ٢٠ « تشريعات الصحافة . القبض على الصحفيين وأنصار السلام ، الغاء الصحف والاجتماعات ومنع المظاهرات ، المؤامرات ضد مجلس الدولة تهديدات سراج الدين للصحف الوطنية الحرة ، تصريحات حافظ عفيفي ٠٠ هذه كلها حلقات من سلسلة السياسة العليا في مصر تتجمع كلها في شعاع من الانوار الكاشفة المصوبة الى موقف الحكومة من الاستعمار ومعاهدة ١٩٣٦ » ونواصل القراءة « وتتضمن سياسة فؤاد سراج الدين الغاء الصحافة وتصفية مجلس الدولة وقمع تحركات الشعب بالقوة والتمهيد لاعادة مهزلة فلسطين الدامية من جديد خلال الشهور القليلة القادمة لتحويل أنظار الشعب عن الاستعمار ، عن عدوه الاول والحقيقي وسند الرجعية المصرية جميعا » ثم « ان هذه المؤامرة المفصولة لن تصرف الشعب عن كفاحه وعلى قوات الجبهة الوطنية أن تستعد وأن تتحرك وتتحد وتتسع لمواجهة العدوان المدبر على حريات الشعب وكرامته وأهدافه وعلى جميع العناصر الشريفة أن تحشد صفوفها لمواصلة الضغط على وزارة الوفد حتى تنفذ وعودها وتفهم أن الشعب لن يرضى أن يمثل به من جديد وأنه لا بد من محاربة سراج الدين رأس الرمح في السياسة الرجعية الوفدية اليوم والقضاء على نفوذه ومحاولاته ومؤامراته وأن تحذر الحكومة والوفد من اللجوء الى الوسائل غير المشروعة بالعدوان على الحريات والدستور واهدار القوانين لا بد أن يشجع على مواجهة الكبت بالوسائل غير المشروعة والتاريخ البعيد والقريب شاهد على ما نقول ٠٠ أفلا تبصرون » (٥٩) .

وفي العدد ٢٥ نقرأ في الصفحة الاولى مقالا بعنوان « الشعب يكشف مؤامرات الحكم العرفي » يقول ٠٠ « سينظر مجلس الوزراء اليوم في اصدار

٥٨ - الملايين ١٩/٨/١٩٥١

٥٩ - الملايين ٩/٩/١٩٥١